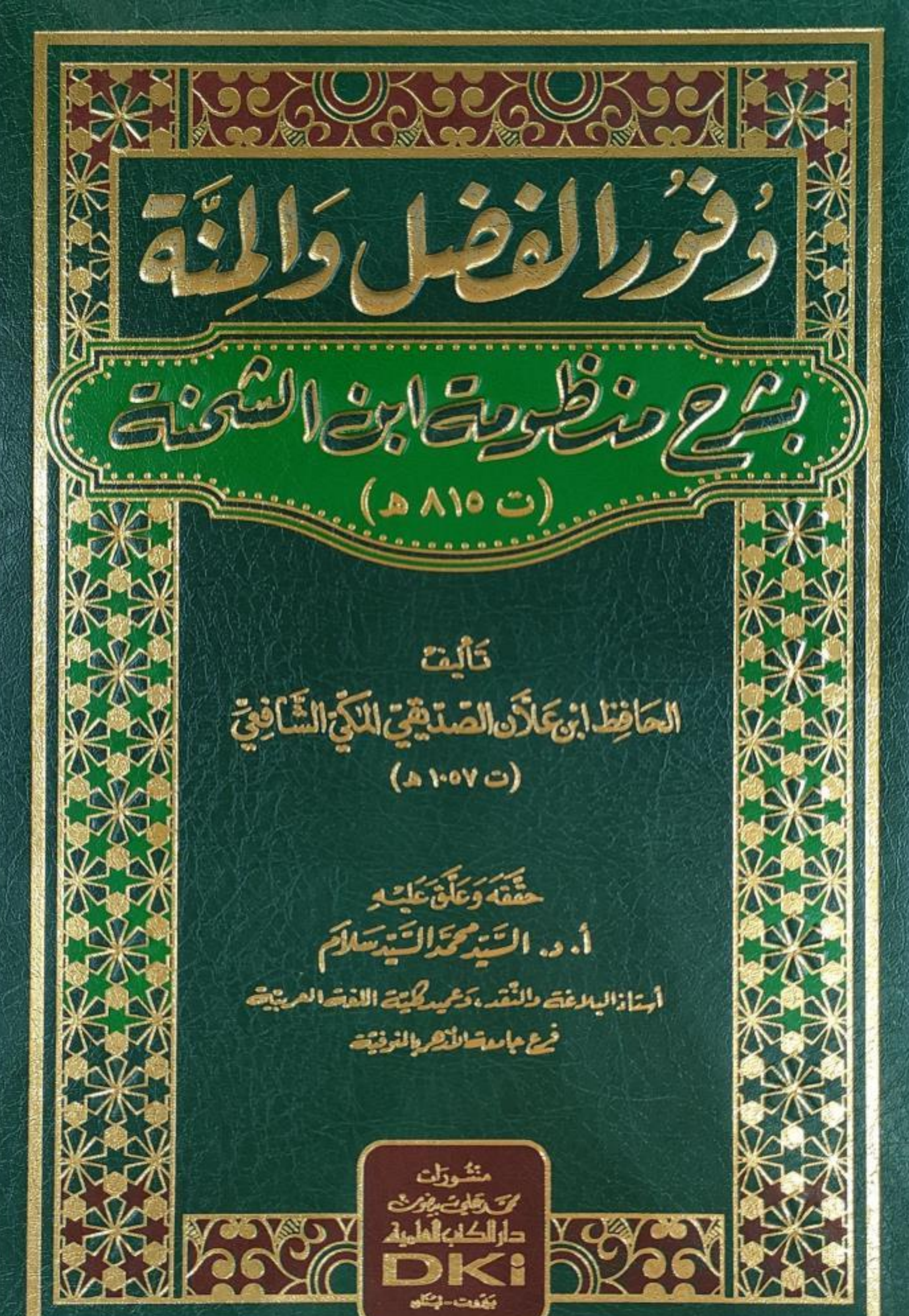


وفور الفضل والمنة
بشرح منظومة ابن الشحنة
(ت ٨١٥ هـ)
تأليف
الحافظ ابن علان الصديقي المكي الشافعي
(ت ١٠٥٧ هـ)
حققه وعلق عليه
أ. د. السيد محمد السيد سلام
أستاذ البلاغة والنقد، وعميد كلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان


وفور الفضل والمنة
بشرح منظومة ابن الشحنة

الكتاب: وفور الفضل والمنة بشرح منظومة ابن الشحنة

Title: WUFŪR AL-FAḌL WAL-MINNA BIŠARḤ MANẒŪMAT IBN AŠ-ŠIḤNA

التصنيف: شروح - منظومات - بلاغة

Classification: Explanation - Poems - Rhetoric

المؤلف: الحافظ ابن عَلّان الصِّدِّيقي (ت ١٠٥٧ هـ)

Author: Al-Hafez Ibn Allan Al-Seddiqi (D. 1057 H.)

المحقق: أ. د. السيد محمد السيد سلام

Editor: Prof. Dr. Al-Sayyed Mohammed Al-Sayyed Salam

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	504	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2020 A.D. - 1441 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon	بلد الطباعة لبنان
Edition	1st	الطبعة الأولى

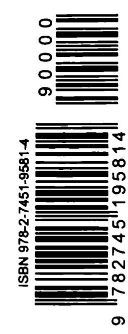
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN 978-2-7451-9581-4



(ت ٨١٥ هـ)

تأليف

الحافظ ابن علان الصديقي المكي الشافعي

(ت ١٠٥٧ هـ)

حققه وعلق عليه

أ. د. السيد محمد السيد سلام

أستاذ البلاغة والنقد، وعميد كلية اللغة العربية

فرع جامعة الأزهر بالمنوفية




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهم إني أحمدك حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على نبيك الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتُنال به الرغائب، ويُستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله، ومن سار على طريقه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن حاجة دارس علوم اللغة، وعلوم الشريعة على وجه الخصوص، ودارس كل العلوم العربية على وجه العموم، إلى علوم البلاغة، كحاجة الجسد الحي إلى الماء الصافي؛ لأن الأفكار تعلو بحسن فهمها، والعلوم ترتقي، وتنهض بإمعان تطبيقها، ومن ثم كانت معرفتها هيَ الفيصل في بيان سر إعجاز كلام الله، دون سائر الكلام؛ حيث في معرفتها، مع الإحاطة بعلوم اللغة - كما قال الشيخ عبد القاهر: «دقائق وأسرارًا طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مُسْتقاها العَقلُ، وخصائصُ معانٍ ينفردُ بها قومٌ قد هُدُوا إليها، ودُلُّوا عليها، وكُشِف لهم عنها، ورُفعتِ الحُجُب بينَهُم وبينَها، وأنها السَّببُ في أنْ عرضتِ المزيَّةُ في الكلامِ، ووجبَ أن يفضُلَ بعضُه بعضًا، وأن يبعدَ الشأوُ في ذلك، وتمتدَّ الغايةُ، وَيعلوَ المُرتقَى، ويعزَّ المطلبُ، حتى ينتهيَ الأمرُ إلى الإعجازِ، وإلى أن يخرج من طوق البشر»[1].

وقد سبقه أبو هلال العسكري إلى هذا المعنى فقال: «اعلم - علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله - أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه - علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحّة

(١) دلائل الإعجاز ص٧ قراءة أبي فهر محمود شاكر..

النبوة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكّ بيقينها»[١]؛ ومن ثم كانت الحاجة إلى فقهها، وتطبيقها ماسة لكل أديب، ولكل محدث، أو مفسر، أو منافح عن الحق الشرعي؛ تجلية للحجة، وتوثيقا لكل برهان.

ومن أرقى المفاتيح التي تهدي إلى ذلك بيسر منقطع النظير، ومعرفة الشيء على وجه الإجمال الذي يرشد إلى أحسن التفصيل، تلك الأرجوزة التي نظم سلكها ابن الشحنة العلامة الألمعي، في مئة بيت لم تزد، أي في مبناها المحكم الدقيق، ولكن معناها، ومغزاها يحوي المعنى الكثير، ويفيض العلم الغزير، وجاء شرح ابن علان لها - أيضا - محكما، يتميز بالإيجاز، ومن ثم قال في مقدمته: «**مزجتها للتقريب، وأتحفت بها الطالب إتحاف المحب للحبيب، ولم أطل فيها المثال**»، غير أني بتحقيقي لها مزجت هذا التقريب بالتفصيل، إغناء للطالب والدارس عن البحث عن سواها، فإذا عكف عليها وجد بغيته، ونال من المراد طلبته، وحقق بمعرفة المطلوب بلاغته، حيث شفعت الشرح بالشرح، وقرنت المثال إلى المثال؛ ليكون المعنى عند طالب العلم سهل المنال، وليصل إلى مبتغاه بما يغنيه عن السؤال، فحققت النص، بمطابقة بين نسختين، ووضعت رقم لوحة المخطوط بين معكوفين، وكتبت بيت الناظم في موضعه عند كل موضوع، وجعلت كلمات الناظم التي كتبها الشارح بخط عريض، وخرجت الشاهد، وشرحت المثال، وقدمت لذلك كله بتمهيد سهل المنال يعرِّف القارئ بناظم، ومنظوم، وشارح، ومشروح؛ ليأنس بذلك إيناس الطالب بالمطلوب، والراغب بالمرغوب، فيدرسه على اشتياق، ويحيط بالبلاغة دون ملل، أو إخفاق.

هكذا أردت بصنيعي هذا، راجيا رضاء ربي، آملا أن يكون عملي مفتاحا من مفاتيح الخير التي تهدي إلى أقوم الطرق، وأيسر السبل، والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أ. د/ السيد محمد سلام
أستاذ البلاغة والنقد وعميد كلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية.

---

(١) كتاب الصناعتين ص١ تحقيق: علي البجاوي.

فصل تمهيدي
الناظم والشارح

المبحث الأول: الناظم والمنظومة

الناظم: ابن الشِّحْنَة الكبير
(٧٤٩ -٨١٥هـ)

اسمه وكنيته ولقبه:

محبّ الدّين أبو الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي ابن أيوب بن الشّحنة (بكسر الشين) محمود حُسام الدِّين بن الخُتْلُو.

والشِّحنة جدّه الأعلى محمود، الشهير بابن الشّحنة التّركي الأصل الحلبي الحنفي.

*** لقبه:**

(الشِّحْنَة) لقبٌ أتاه عن جدِّه «محمود» شِحْنَةِ حلبَ، أي: رئيسِ شُرطتِها.

مولده:

ولد سنة تسع وأربعين وسبعمائة في حلب وَنَشَأ بهَا فِي كنف أَبِيه.

جهوده العلمية ومكانته:

حفظ القرآن العظيم، وحفظ عدة متون، وتفقه، وبرع في الفقه، والأصول، والنحو، والأدب، وأفتى، ودرّس.

شيوخه ورحلاته:

أخذ عَن شُيُوخ بَلَده والقادمين إِلَيْهَا، وارتحل فِي حَيَاة أَبِيه لدمشق، والقاهرة، فَأخذ عَن مشايخها، وَمَا علمت من شُيُوخه سوى: السَّيِّد عبد الله فقد أثْبته الْبُرْهَان الْحلَبِي، بل قَالَ وَلَده أَن ابْن مَنْصُور والأنفي أذنا لَهُ فِي الْإِفْتَاء والتدريس قبل أَن يلتحي، وَأَنه بعد مُضِيّ سنة من وَفَاة وَالِده ارتحل إِلَى الْقَاهِرَة أَيْضا وَنزل بالصرغتمشية فاشتهرت فضائله.

توليه القضاء:

ولى قضاء قضاة الحنفية بحلب، ثم دمشق، إلى أن قبض عليه الظّاهر برقوق في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، وقدم به إلى القاهرة، ثم أفرج عنه، ورجع إلى حلب فأقام بها إلى أن قبض عليه الملك الناصر فرج سنة ثلاث عشرة وثمانمائة لقيامه مع جماعة على الناصر، ثم أفرج عنه، فقدم القاهرة، ثم عاد إلى دمشق صحبة الملك الناصر المذكور سنة أربع عشرة وثمانمائة، فلما انكسر الناصر وحوصر بدمشق ولّاه قضاء الحنفية بالقاهرة فلم يتمّ لأنه لما أزيلت دولة الناصر أعيد بن العديم لقضاء الدّيار المصرية، واستقرّ ابن الشّحنة في قضاء حلب وأعطى تداريس بدمشق: قال ابن حجر: كان كثير الدعوى والاستحضار، عالي الهمّة، وعمل تاريخا لطيفا فيه أوهام عديدة، وله نظم فائق وخط رائق.

ومن نظمه: (الكامل)

ساق المدام فكلّ ما في النّا ... س من وصف المدامة فيكا
فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيك ووجنتيك وفيكا

وله: (السريع)

أسير بالجرعى أسيرا ومن ... همّي لا أعرف كيف الطّريق
في منحني الأضلع وادي الغضا ... وفوق سفح الخدّ وادي العقيق[1]

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٩/ ١٦٩ - ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

مؤلفاته:

١- مختصر تاريخ أبي الفداء وذيله لإلى زمانه.

٢- أوضح الدليل والأبحاث فيما يحل به المطلقة بالثلاثة.

٣- وشرح الكشاف للزمخشري في التفسير[(١)]

٤- ألفية رجز تشتمل على عشرة علوم.

٥- وألفية اختصر فيها منظومة النسفي وضم مذهب أحمد.

٦- وله تواليف أخرى في الفقه والأصول والتفسير[(٢)].

٧- ألفية في الفرائض - لابن الشحنة محب الدين[(٣)].

٨- روض المناظر، في علم الأوائل والأواخر - ط. اختصر به تاريخ أبي الفداء وذيل عليه إلى سنة ٨٠٦هـ.

٩- الرحلة القسرية بالديار المصرية.

١٠- وكتاب في (السيرة النبويّة).

١١- و (الموافقات العمرية للقرآن الشريف - خ).

---

(١) معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة ١١/ ٢٩٥، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ٢/ ٥٣٦.
لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٩/ ١٧٠.

(٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٣/ ١٢١، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٢- ومنظومة، وشرحها، و(البيان - خ).

١٣- (الأمالي - خ) في الحديث، سبعون مجلسا في ١٢٠ ورقة، في جامع المؤيد بمكتبة فيض الله، باستنبول (الرقم ٢٦٤) كتب سنة ٨٧١ (كما في مذكرات الميمني - خ).

١٤- و (عقيدة - خ) قصيدة بائية.

١٥- (نهاية النهاية في شرح الهداية - خ) جزء منه، في فقه الحنفية[١]

١٦- تنوير الْمنَار.

١٧- المبتغى فِي اخْتِصَار روض المناظر.

١٨- مُخْتَصر الْمُخْتَصر فِي اخبار الْبشر لأبي الفدا فِي التَّارِيخ.

١٩- منظومة فِي ألف بَيت فِي عشرَة عُلُوم[٢].

٢٠- منظومة ابن الشحنة في المعاني والبيان والبديع، وهي التي بين أيدينا.

وفاته:

كما ولد في حلب، ونشأ بها، ورحل منها، وتنقل بينها وبين القاهرة، وتولى التّدريس في دمشق، عاد ثانية إلى منشئه، ومسقط رأسه (حلب)

وأقَام الْمُحب بِدِمَشْق فَلَمَّا توجه نوروز بعد أَن اقتسم هُوَ وَشَيخ الْبِلَاد وَكَانَ نوروز كثير التَّعْظِيم للمحب ولاه كَمَا قَالَ وَلَده جَمِيع مَا هُوَ فِي قسمه من الْعَرِيش إِلَى الْفُرَات قَالَ فاقتصر مِنْهُ على بَلَده وَوصل صحبته إِلَيْهَا كل ذَلِك فِي سنة خمس عشرَة فَلم تطل أَيَّامه.

وَمَات عَن قرب فِي يَوْم الْجُمُعَة ثَانِي عشر ربيع الآخر مِنْهَا وَصلي عَلَيْهِ بعد الْجُمُعَة تَحت القلعة وَدفن بتربة اشقتمر خَارج بَاب الْمقَام، وَكَانَت جنَازَته حافلة وَمِمَّنْ حمل نعشه

(١) الأعلام ٧/ ٤٤ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

(٢) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٢/ ١٨٠. إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١.

ملك الْأُمَرَاء نوروز ومدحه الْجمال عبد الله بن مُحَمَّد بن زُرَيْق المعري بقصيدة بائية أَولهَا:

(لم أدر أَن ظَبْي الألحاظ والهدب أمضى من الهندويات والقضب)(١)

عليه من الله الرحمة والرضوان.

أهمية منظومة ابن الشحنة ومكانتها:

منظومة ابن الشحنة - في علم البلاغة لأبي الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمود الحلبي المتوفى سنة ٨١٥ خمس عشرة وثمانمائة أولها الحمدلله وصلى الله على رسوله الذي اصطفاه الخ.

بعض شراحها:

١- شرحها محب الدين محمد بن تقي الدين أبي بكر بن داود ابن عبد الرحمن الحموي الدمشقي المحبي المتوفى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف أولها حمدًا لمن خلق الإنسان وعلمه البيان والشكر لمن من علينا ببديع الإحسان الخ.

٢- وشرحها يوسف بن أبي الفتح السقيفى الدمشقى شارح الشفاء للقاضي عياض.

٣- وشرحها العلامة محمد بن محمد الغزي الحنفي المتوفى سنة... وسماه مواهب الرحمن على مائة المعاني والبيان أولها الحمدلله الذي انطق ألسنتنا بواضح البرهان الخ فرغ منها سنة ١١٣٤ أربع وثلاثين ومائة وألف(٢).

٤- شرحها (حفيد النَّاظم) عبد الله بن محمّد بن محمّد بن الشِّحنة (ت ٩٢١هـ)

٥- شرحها العمريّ (ت ١٢٠٤هـ). فرغ منه سنة (١٠٠٩هـ)، بعنوان: «دُرَرُ الفرائد المستحسَنة في شرح منظومة ابن الشِّحنة».

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٠/ ٤، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

(٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٤/ ٥٨١.

٦- شرحها محمّد علّان المكّيّ الصّديقيّ (ت ١٠٥٧هـ)، بعنوان: «شرح منظومة ابن الشّحنة في البلاغة» وهو الكتاب لذي بين أيدينا الآن لتحقيقه ودراسته.

٧- شرح منصور بن علي السُّطوحيّ المحلّي الأزهريّ (ت ١٠٦٦هـ)، بعنوان: «الدُّرر المدروزة في شرح الأرجوزة».

٨- شرح الميرزا محمّد رضا القمّيّ. فرغ منه سنة (١٠٧٤هـ)، بعنوان: «إنجاح المطالب في الفوز بالمآرب».

٩- شرح محمّد بن عيسى بن محمّد بن كنان الكنانيّ (ت ١١٥٣هـ)؛ بعنوان: «لِسان النِّظام في شرح منظومة ابن الشِّحنة الهُمام» خ (برلين - ٢٦٠).

١٠- شرح محمّد بن عيسى بن محمّد بن كنان الكنانيّ (ت ١١٥٣هـ)؛ بعنوان: «زين الرّبيع في عِلم المعاني والبديع» خ (برلين - ٧٢٦١).

١١- شرح الأهدل. فرغ منه (١٢٤٥هـ)، بعنوان: «دَفْع المِحنة عن قارئ منظومة ابنِ الشِّحنة».

١٢- شرح الأديب والقاضي المَكّيّ جعفر بن أبي بكر لبني (ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٥م)، بعنوان: «شرح أرجوزة ابن الشِّحنة في المعاني والبيان»، وغير ذلك..[١].

وهذه المنظومة قائمة على كتاب التَّلخيص للخطيب القزوينيّ، المتوفى عام (٧٣٩هـ) الذي نقح فيه مفتاح العلوم للسكاكي، المتوفى عام (٦٢٦هـ)، وبين وفاة الخطيب القزويني ومولد ابن الشِّحْنةِ سنةَ (٧٤٩هـ) عشرة أعوام، وقد برع ابن الشحنة في نظم علوم البلاغة الثلاثة، وكذا ما يتبعها من الحديث عن السرقات الشعرية، ومواضع التأنق في الكلام، في مائة بيت لم تزد، محسنا الإفادة من تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، فجاء نظمه بارعا، جامعا، ميسور الحفظ، ومن ثم قامت عليه مجموعة من الشروح؛ لتعظم فائدة طلاب العلم منه في مشارق الأرض، ومغاربها، فذاع صيته في كل مكان، وقامت عليه الشروح كما رأينا

---

(١) انظر: إيضاح المكنون ٢/ ٥٨١، وجامع الشّروح والحواشي ٣/ ١٨٩٢، والأعلام ٢/ ١٢٢.

بعضها، ومن أجمع هذه الشروح وأوفاها: هذا الشرح الذي بين أيدينا (وفور الفضل والمنة بشرح منظومة ابن الشحنة) للحافظ بن علان الصديقي المكي الشافعي، المتوفى (١٠٥٧هـ).

الذي يقول عن ناظم هذه المنظومة:

جمع فيها مبادئ الفن، وطرفًا من مسائله، وطرفًا من فنونه، وأوائله، وتلك هي تشهد بهذا الجمع الذي أحاط بمسائل البلاغة في كل علومها، بلطف معنى، ودقة مبنى، في مئة بيت لم تزد، تحدث فيها عن مقدمة البلاغة والفصاحة، وتعريف علم المعاني، كما قال الناظم: (منحصر الأبواب في ثماني)، ثم وقف مع أحوال الإسناد الخبري في ستة من الأبيات جاءت جامعة لفائدتيه، وأضربه، ومبحث المجاز العقلي، وحقيقته. وهذا هو الباب الأول، ثم جاء الباب الثاني في أحوال المسند إليه مجموعة في ثمانية عشر بيتا، تضم أحوال حذفه، وأحوال ذكره، وكذا تعريفه، وتنكيره، ووصفه، وتأكيده، والعطف عليه، وتقديمه في النفي والإثبات، وختام ذلك بالالتفات، ثم يأتي الباب الثالث في أحوال المسند على الترتيب في سبعة من الأبيات، يتبعه الباب الرابع في أحوال المتعلقات، التي تجمعها ثمانية من الأبيات مفصلة أحوالها، وجامعة أطرافها، وهذا هو نصف المنظومة مع بيت واحد، ويتبقى النصف الثاني منها إلا بيتا واحدا، ختم الخمسين الأولى وكان عليها شاهدا، ويبدأ النصف الثاني بالباب الخامس، وهو: (القصر) يجمع أنواعه، وطرقه، وفروقه في ستة من الأبيات، لأموره جامعة، ولأحواله شاهدة، ويأتي الباب السادس، وهو: الإنشاء في عشرة من الأبيات، تتحدث عن الطلبي منه، جامعة كل الأدوات، وما يترتب على أحواله من مستتبعات، حتى الخبر منه يتجلى في موضع الإنشاء، ثم الفصل والوصل الذي وسمت به البلاغة في ثلاثة من الأبيات، وهو سابع الأبواب المرتبات، ويختم علم المعاني بالباب الثامن في أربعة من الأبيات تجمل أنواع الإيجاز، وتومئ إلى بعض أسباب بعض المطولات، ثم يأتي الباب التاسع في علم البيان، موزعا على خمسة بعد عشرة من الأبيات، تذكر تعريفه، وسر الدلالة وما يحويه من تقسيمات، ثم تفصل التشبيه فيما تبقى من العشرة الأبيات، ثم تأتي الخمسة جامعة لأنواع المجاز، ولطائف الكنايات، والباب العاشر لضربي التحسين جامع، بادئا بالتعريف، وخاتما بالتعليق، ومتمما للمائة إلا خمسة، ختمت المنظومة بما يسمى بالسرقات، ومواضع التأنق

في العبارات، وتلك هي على هذا التوزيع شاهدة، وبحمد الله والصلاة على رسوله الذي اصطفاه بادئة:



بسم الله الرحمن الرحيم

منظومة ابن الشحنة

١- الْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ وَصَـلَّـى اللهُ	عَـلَـى رَسُـولِـهِ الَّـذِي اصْـطَـفَـاهُ
٢- مُـحَـمَّـدٍ وَآلِـهِ وَسَـلَّـمَـا	وَبَـعْـدُ قَـدْ أَحْـبَـبْـتُ أَنْ أُنَـظِّـمَـا
٣- فِـي عِـلْـمَـيِ الْـبَـيَـانِ وَالْـمَـعَـانِي	أُرْجُـوزَةً لَـطِـيْـفَـةَ الْـمَـعَـانِي
٤- أَبْـيَـاتُـهَـا عَـنْ مِـائَـةٍ لَـمْ تَـزِدِ	فَـقُـلْـتُ غَـيْـرَ آمِـنٍ مِـنْ حَـسَـدِ
٥- فَـصَـاحَـةُ الْـمُـفْـرَدِ فِـي سَلَامَتِهْ	مِـنْ نَـفْـرَةٍ فِـيْـهِ، وَمِـنْ غَـرَابَـتِـهْ
٦- وَكَـوْنِـهِ مُـخَـالِـفَ الْـقِـيَـاسِ	ثُـمَّ الْـفَـصِـيْـحُ مِـنْ كَـلَامِ الـنَّـاسِ
٧- مَـا كَـانَ مِـنْ تَـنَـافُـرٍ سَلِيْمَا	وَلَـمْ يَـكُـنْ تَـأْلِـيْـفُـهُ سَـقِـيْـمَـا
٨- وَهْـوَ مِـنَ التَّعْقِيْدِ أَيْـضًـا خَالِيْ	وَإِنْ يَـكُـنْ مُـطَـابِـقًـا لِـلْـحَـالِ
٩- فَـهْـوَ الْـبَـلِـيْـغُ وَالَّـذِيْ يُـؤَلِّـفُـهْ	وَبِـالْـفَـصِـيْـحِ مَـنْ يُـعَـبِّـر نَـصِـفُـهْ
١٠- وَالـصِّـدْقُ أَنْ يُـطَابِـقَ الْـوَاقِـعَ مَا	يَـقُـولُـهُ، وَالْـكَـذِبُ أَنْ ذَا يَـعْـدَمَـا

* * *

عِلْمُ الْمَعَانِي

١١- وَعَرَبِيُّ اللَّفْظِ ذُو أَحْوَالِ يَأْتِي بِهَا مُطَابِقًا لِلْحَالِ
١٢- عِرْفَانُهَا عِلْمٌ هُوَ الْمَعَانِيْ مُنْحَصِرُ الأَبْوَابِ فِي ثَمَانِ

الْبَابُ الأَوَّلُ: أَحْوَالُ الإِسْنَادِ الْخَبَرِيِّ

١٣- إِنْ قَصَدَ الْمُخْبِرُ نَفْسَ الْحُكْمِ فَسَمِّ ذَا فَائِدَةً، وَسَمِّ
١٤- إِنْ قَصَدَ الإِعْلَامَ بِالْعِلْمِ بِهِ لَازِمَهَا، وَلِلْمَقَامِ انْتَبِهْ
١٥- إِنِ ابْتِدَائِيًّا فَلَا يُؤَكَّدُ أَوْ طَلَبِيًّا فَهْوَ فِيْهِ يُحْمَدُ
١٦- وَوَاجِبٌ بِحَسَبِ الإِنْكَارِ وَيَحْسُنُ التَّبْدِيْلُ بِالأَغْيَارِ
١٧- وَالْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ إِنْ أسنده لِمَا لَهُ فِيْ ظَاهِرٍ ذَا عِنْدَهُ
١٨- حَقِيْقَةٌ عَقْلِيَّةٌ، وَإِنْ إِلَى غَيْرِ مُلَابِسٍ مَجَازٌ أُوِّلا

الْبَابُ الثَّانِي: أحوال المسند إليه

١٩- الْحَذْفُ: لِلصَّوْنِ وَلِلإِنْكَارِ وَالِاحْتِرَازِ، أَوْ لِلِاخْتِبَارِ
٢٠- وَالذِّكْرُ: لِلتَّعْظِيْمِ، وَالإِهَانَهْ وَالْبَسْطِ، وَالتَّنْبِيْهِ، وَالْقَرِيْنَهْ
٢١- وَإِنْ بِإِضْمَارٍ يَكُنْ مُعَرَّفَا فَلِلْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ فَاعْرِفَا
٢٢- وَالأَصْلُ فِي الخِطَابِ لِلْمُعَيَّنِ وَالتَّرْكُ فِيْهِ، لِلْعُمُوْمِ الْبَيِّنِ
٢٣- وَعَلَمِيَّةٍ فَلِلْإِحْضَارِ وَقَصْدِ تَعْظِيْمٍ، أَوْ احْتِقَارِ
٢٤- وَصِلَةٍ؛ لِلْجَهْلِ، وَالتَّعْظِيْمِ لِلشَّأْنِ، وَالإِيْمَاءِ، وَالتَّفْخِيْمِ
٢٥- وَبِإِشَارَةٍ؛ لِذِي فَهْمٍ بَطِيْ فِي الْقُرْبِ والبُعْدِ أَو التَّوَسُّطِ
٢٦- وَأَلْ؛ لِعَهْدٍ، أَوْ حَقِيْقَةٍ، وَقَدْ يُفِيْدُ الِاسْتِغْرَاقَ، أَوْ لِمَا انْفَرَدْ
٢٧- وَبِإِضَافَةٍ؛ فَلِاخْتِصَارِ نَعَمْ، وَلِلذَّمِّ، أَوِ احْتِقَارِ
٢٨- وَإِنْ مُنَكَّرًا فَلِلتَّحْقِيْرِ وَالضِّدِّ، وَالإِفْرَادِ، وَالتَّكْثِيرِ

٢٩- وَضِدِّهِ، وَالْوَصْفُ؛ لِلتَّبْيِينِ وَالْمَدْحِ، وَالتَّخْصِيصِ، وَالتَّعْيِينِ
٣٠- وَكَوْنُهُ مُؤَكِّدًا فَيَحْصُلُ لِدَفْعِ وَهْمِ كَوْنِهِ لَا يَشْمَلُ
٣١- وَالسَّهْوِ وَالتَّجَوُّزِ الْمُبَاحِ ثُمَّ بَيَانُهُ فَلِلْإِيضَاحِ
٣٢- بِاسْمٍ بِهِ يَخْتَصُّ. وَالإِبْدَالُ يَزِيدُ تَقْرِيرًا لِمَا يُقَالُ
٣٣- وَالْعَطْفُ تَفْصِيلٌ مَعَ اقْتِرَابِ أَوْ رَدُّ سَامِعٍ إِلَى الصَّوَابِ
٣٤- وَالفَصْلُ؛ لِلتَّخْصِيصِ. وَالتَّقْدِيمُ فَلِاهْتِمَامٍ يَحْصُلُ التَّقْسِيمُ
٣٥- كَالأَصْلِ، والتَّمْكِيْنِ، والتَّعَجُّلِ وَقَدْ يُفِيدُ الاخْتِصَاصَ إِنْ وَلِي
٣٦- نَفْيًا. وَقَدْ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ يَأْتِي؛ كَأَوْلَى، وَالْتِفَاتٍ دَائِرِ

الْبَابُ الثَّالِثُ: أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ

٣٧- لِمَا مَضَى التَّرْكُ مَعَ الْقَرِيْنَهْ وَالذِّكْرُ، أَوْ يُفِيدُنَا تَعْيِيْنَه
٣٨- وَكَوْنُهُ فِعْلًا؛ فَلِلتَّقَيُّدِ بِالْوَقْتِ مَعْ إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ
٣٩- وَاسْمًا؛ فَلِانْعِدَامِ ذَا، وَمُفْرَدَا لِأَنَّ نَفْسَ الْحُكْمِ فِيهِ قُصِدَا
٤٠- وَالْفِعْلُ بِالْمَفْعُولِ إِنْ تَقَيَّدَا وَنَحْوِهِ؛ فَلِيُفِيدَ أَزْيَدَا
٤١- وَتَرْكُهُ؛ لِمَانِعٍ مِنْهُ، وَإِنْ بِالشَّرْطِ لِاعْتِبَارِ مَا يَجِيءُ مِنْ
٤٢- أَدَاتِهِ. وَالْجَزْمُ أَصْلٌ فِي إِذَا لَا إِنْ وَلَوْ، وَلَا لِذاك مَنْعُ ذَا
٤٣- وَالْوَصْفُ، وَالتَّعْرِيفُ، والتَّأْخِيرُ وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ وَالتَّنْكِيرُ

الْبَابُ الرَّابِعُ: أَحْوَالُ مُتعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ

٤٤- ثُمَّ مَعَ الْمَفْعُولِ حَالُ الْفِعْلِ كَحَالِهِ مَعْ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِ
٤٥- تَلَبُّسٍ، لَا كَوْنِ ذَاكَ قَدْ جَرَى، وَإِنْ يُرَدْ إِنْ لَم يَكُنْ قَدْ ذُكِرَا
٤٦- النَّفْيُ مُطْلَقًا أَوْ الإِثْبَاتُ لَهْ فَذَاكَ مِثْلُ لَازِمٍ فِي الْمَنْزِلَهْ
٤٧- مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ، وَإِلَّا لَزِما وَالْحَذْفُ؛ لِلْبَيَانِ فِيمَا أُبْهِمَا
٤٨- أَوْ لِمَجِيءِ الذِّكْرِ، أَوْ لِرَدِّ تَوَهُّمِ السَّامِعِ غَيْرَ الْقَصْدِ

٤٩- أَوْ هُوَ لِلتَّعْمِيمِ، أَوْ لِلْفَاصِلَهْ أَوْ هُوَ لِاسْتِهْجَانِكَ الْمُقَابَلَهْ
٥٠- وَقَدِّمِ الْمَفْعُولَ أَوْ شَبِيْهَهُ رَدًّا عَلَى مَنْ لَمْ يُصِبْ تَعْيِيْنَهُ
٥١- وَبَعْضَ مَعْمُولٍ عَلَى بَعْضٍ كَمَا إِذَا اهْتِمَامٌ أَوْ لِأَصْلٍ عُلِمَا

الْبَابُ الْخَامِسُ: الْقَصْرُ

٥٢- الْقَصْرُ نَوْعَانِ: حَقِيْقِيٌّ، وَذَا نَوْعَانِ: وَالثَّانِي الْإِضَافِيُّ كَذَا
٥٣- فَقَصْرُ صِفَةٍ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ الْمَعْرُوفِ
٥٤- طُرُقُهُ: النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَا هُمَا، وَالْعَطْفُ، وَالتَّقْدِيْمُ، ثُمَّ إِنَّمَا
٥٥- دَلَالَةُ التَّقْدِيْمِ بِالْفَحْوَى، وَمَا عَدَاهُ بِالْوَضْعِ، وَأَيْضًا مِثْلَمَا
٥٦- الْقَصْرُ بَيْنَ خَبَرٍ وَمُبْتَدَا يَكُونُ بَيْنَ فَاعِلٍ، وَمَا بَدَا
٥٧- مِنْهُ. وَمَعْلُومٌ، وَقَدْ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْمَجْهُولِ، أَوْ ذَا يُبْدَلُ

الْبَابُ السَّادِسُ: الْإِنْشَاءُ

٥٨- يَسْتَدْعِي الْإِنْشَاءُ إِذَا كَانَ طَلَبْ مَا هُوَ غَيْرُ حَاصِلٍ، وَالْمُنْتَخَبْ
٥٩- مِنْهُ التَّمَنِّي، وَلَهُ الْمَوْضُوعُ لَيْتَ وإِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْوُقُوعُ
٦٠- وَلَوْ وَهَلْ، مِثْلُ لَعَلَّ الدَّاخِلَهْ فِيْهِ، وَالِاسْتِفْهَامُ وَالْمَوْضُوعُ لَهْ
٦١- هَلْ هَمْزَةٌ مَنْ مَا وَأَيُّ أَيْنَا كَمْ كَيْفَ أَيَّانَ مَتَى أَمْ أَنَّى
٦٢- فَهَلْ بِهَا يُطْلَبُ تَصْدِيْقٌ، وَمَا هَمْزًا عدا تَصَوُّرٌ، وَهْيَ هُمَا
٦٣- وَقَدْ لِلِاسْتِبْطَاءِ، وَالتَّقْرِيْرِ وَغَيْرِ ذَا يَكُونُ، وَالتَّحْقِيْرِ
٦٤- وَالْأَمْرُ وَهْوَ طَلَبُ اسْتِعْلَاءِ وَقَدْ لِأَنْوَاعٍ يَكُونُ جَاءِ
٦٥- وَالنَّهْيُ وَهْوَ مِثْلُهُ بِلَا بَدَا وَالشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ، وَالنِّدَا
٦٦- وَقَدْ لِلِاخْتِصَاصِ وَالْإِغْرَاءِ يَجِيْءُ. ثُمَّ مَوْقِعَ الْإِنْشَاءِ
٦٧- قَدْ يَقَعُ الْخَبَرُ لِلتَّفَاؤُلِ وَالْحِرْصِ، أَوْ بِعَكْسِ ذَا تَأَمَّلِ

الْبَابُ السَّابِعُ: الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ

٦٨- إِنْ نُـزِّلَـتْ تَـالِـيَـةٌ مِـنْ مَـاضِـيَـهْ كَـنَـفْـسِـهَـا، أَوْ نُـزِّلَـتْ كَـالْـعَـارِيَـهْ
٦٩- اِفْصِلْ، وَإِنْ تَوَسَّطَتْ فَالْوَصْلُ بِـجَـامِـعٍ أَرْجَـحُ، ثُـمَّ الْـفَـصْـلُ
٧٠- لِلْحَالِ حَيْثُ أَصْلُهَا قَدْ سَلِمَا أَصْـلٌ، وَإِنْ مُـرَجِّـحٌ تَـحَـتَّـمَـا

الْبَابُ الثَّامِنُ: الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ

٧١- تَوْفِيَةُ الْمَقْصُودِ بِالنَّاقِصِ مِنْ لَـفْـظٍ لَـهُ: الْإِيـجَـازُ، وَالْإِطْـنَـابُ إِنْ
٧٢- بِـزَائِـدٍ عَـنْـهُ، وَضَـرْبَـا الْأَوَّلِ قِـصْـرٌ، وَحَـذْفُ جُـمْـلَـةٍ أَوْ جُـمَـلِ
٧٣- أَوْ جُـزْءِ جُـمْـلَـةٍ، وَمَـا يَـدُلُّ عَـلَـيْـهِ أَنْـوَاعٌ وَمِـنْـهَـا الْـعَـقْـلُ
٧٤- وَجَـاءَ لِلـتَّـوْشِـيْـعِ بِـالتَّـفْـصِـيْـلِ ثَـانٍ، وَالاعْـتِـرَاضِ، وَالـتَّـذْيِـيْـلِ

عِلْمُ الْبَيَانِ

٧٥- عِـلْـمُ الْـبَـيَـانِ مَـا بِـهِ يُـعَـرَّفُ إِيْـرَادُ مَـا طُـرُقُـهُ تَـخْـتَـلِـفُ
٧٦- فِـيْ كَـوْنِـهَـا وَاضِـحَـةَ الـدَّلَالَـهْ فَـمَـا بِـهِ لَازِمُ مَـوْضُـوعٍ لَـهْ
٧٧- إِمَّـا مَـجَـازًا مِـنْـهُ اسْـتِـعَـارَهْ تُـنْـبِـئُ عَـنِ الـتَّـشْـبِـيْـهِ أَوْ كِـنَـايَـهْ
٧٨- وَطَـرَفَـا الـتَّـشْـبِـيْـهِ حِـسِّـيَّـانِ وَلَـوْ خَـيَـالِـيًّـا، وَعَـقْـلِـيَّـانِ
٧٩- وَمِـنْـهُ بِـالْـوَهْـمِ، وَبِـالْـوِجْـدَانِ أَوْ فِـيْـهِـمَـا يَـخْـتَـلِـفُ الْـجُـزْآنِ
٨٠- وَوَجْـهُـهُ مَـا اشْـتَـرَكَـا فِـيْـهِ وَجَـا ذَا فِـي حَـقِـيْـقَـتَـيْـهِـمَـا، وَخَـارِجَـا
٨١- وَصْـفًـا فَـحِـسِّـيٌّ، وَعَـقْـلِـيٌّ وَذَا وَاحِـدُ أَوْ فِـي حُـكْـمِـهِ، أَوْ لَا كَـذَا
٨٢- وَ"الْكَافُ»، أَوْ «كَأَنَّ»، أَوْ» كَمِثْلِ" أَدَاتُـهُ، وَقَـدْ بِـذِكْـرِ فِـعْـلِ
٨٣- وَغَـرَضٌ مِـنْـهُ عَـلَـى الْـمُـشَـبَّـهِ يَـعُـودُ، أَوْ عَـلَـى مُـشَـبَّـهٍ بِـهِ
٨٤- فَـبِـاعْـتِـبَـارِ كُـلِّ رُكْـنٍ اقْـسِـمِ أَنْـوَاعَـهُ. ثُـمَّ الْـمَـجَـازُ فَـافْـهَـمِ
٨٥- مُـفْـرَدٌ، أَوْ مُـرَكَّـبٌ، وَتَـارَهْ يَـكُـونُ مُـرْسَـلًا. أَوِ اسْـتِـعَـارَهْ

٨٦- بِجَعْلِ ذَا ذَاكَ ادَّعَاءَ أَوَّلَهْ وَهْيَ إِنِ اسْمُ جِنْسٍ اسْتُعِيْرَ لَهْ

٨٧- أَصْلِيَّةٌ، أَوْ لا فَتَابِعِيَهْ، وَإِنْ تَكُنْ ضِدًّا تَهَكُّمِيَّهْ

٨٨- وَمَا بِهِ لَازِمُ مَعْنَى وَهْوَ لا مُمْتَنِعًا كِنَايَةٌ، فَاقْسِمْ إِلَى

٨٩- إِرَادَةِ النِّسْبَةِ، أَوْ نَفْسِ الصِّفَهْ أَوْ غَيْرِ هَذَيْنِ، اجْتَهِدْ أَنْ تَعْرِفَهْ

عِلْمُ البَدِيْعِ

٩٠- عِلْمُ الْبَدِيْعِ وَهْوَ تَحْسِيْنُ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْمَقَامِ

٩١- ضَرْبَانِ: لَفْظِيٌّ؛ كَتَجْنِيْسٍ، وَرَدّ، وَسَجْعٍ، أوْ قَلْبٍ وَتَشْرِيْعٍ وَرَدْ

٩٢- وَالْمَعْنَوِيُّ وَهْوَ كَالتَّسْهِيْمِ، وَالْجَمْعِ، وَالتَّفْرِيْقِ، وَالتَّقْسِيْمِ

٩٣- وَالْقَوْلِ بِالْمُوجِبِ، وَالتَّجْرِيْدِ وَالْجِدِّ وَالطِّبَاقِ، وَالتَّأْكِيْدِ

٩٤- وَالْعَكْسِ، وَالرُّجُوعِ، وَالإِيْهَامِ وَاللَّفِّ، وَالنَّشْرِ، وَالِاسْتِخْدَامِ

٩٥- وَالسَّوْقِ، وَالتَّوْجِيْهِ، وَالتَّوْفِيْقِ، وَالْبَحْثِ، وَالتَّعْلِيْلِ، وَالتَّعْلِيْقِ

الْخَاتِمَةُ: فِي السَّرِقَاتُ الشِّعْرِيَّةُ

٩٦- السَّرِقَاتُ: ظَاهِرٌ فَالنَّسْخُ يُذَمُّ، لَا إِنِ اسْتُطِيْبَ الْمَسْخُ

٩٧- وَالسَّلْخُ مِثْلُهُ. وَغَيْرُ ظَاهِرٍ كَوَضْعِ مَعْنَى فِيْ مَحَلٍّ آخَرِ

٩٨- أَوْ يَتَشَابَهَانِ، أَوْ ذَا أَشْمَلُ وَمِنْهُ قَلْبٌ، وَاقْتِبَاسٌ يُنْقَلُ

٩٩- وَمِنْهُ تَضْمِيْنٌ، وَتَلْمِيْحٌ، وَحَلّ، وَمِنْهُ عَقْدٌ. وَالتَّأَنُّقْ إِنْ تَسَلْ

١٠٠-بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ، انْتِقَالُ حُسْنُ الْخِتَامِ. انْتَهَى الْمَقَالُ



الفصل الثاني
العلامة ابن علان الصِّديقي
حياته وآثاره

اسمه ونسبه:

اختلفت المصادر في اسمه اختلافا كثيرا، منها ما يأتي:

فقيل: محمد بن علان، وقيل: محمد علي بن علان، وقيل محمد بن علي بن علان، وقيل: غير ذلك[(١)]، فهو محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم بن محمد علان بن عبد الملك بن علي بن الشيخ المحقق الطيبي[(٢)].

البكري: نسبة لأبي بكر الصديق، الصديقي: نسبة للصديق أبي بكر أيضًا، وسبط الإمام الحسن من جهة أمه، والشافعي مذهبا، والمكي مولدا ووفا[(٣)].

مولده ووفاته ونشاته:

ولد بمكة في العشرين من صفر، يوم الجمعة، سنة ٩٩٦هـ، ١٥٨٨م، وتوفي بها نهار الثلاثاء لتسع بقين من ذي الحجة سنة ١٠٥٧هـ، ١٦٤٧م، ودفن بالمعلاة بالقرب من قبر شيخ الإسلام ابن حجر المكي[(٤)].

---

(١) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٤٨٦، ٢/ ٩٥٩، ١١٦٢، ١٢٣٥، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي ١/ ٦٨، ١٧٢.

(٢) انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ١/ ١٨٥.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: مشيخة أبي المواهب الحنبلي لابن عبد الباقي الحنبلي ص٨٢، وخلاصة الأثر ١/ ١٨٥، وكشف الظنون ٢/ ١٥٨٩، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ٢٨٣، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٣.

وقد نشأ ابن علان في بيت علم ودين؛ إذ جده المبارك شاه مجدد عصره، وعمه الشيخ أحمد أحد أعلام مكة في عصره، وعلى يديه تربى ابن علان تربية صوفية، وقد ذكر له كرامات صوفية جرت على يديه[١]، حفظ القرآن بالقراءات، وحفظ عدة متون في كثير من الفنون، ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى تصدر لإقراء البخاري، مما يدل على علو همته، وصفاء ذهنه، ثم باشر الإفتاء وله من السن أربع وعشرون سنة[٢]، وكان سريع البديهة إذا سئل عن مسألة ألف بسرعة رسالة في الجواب عنها، وكان حسن الخط كثير الضبط، وقد كان يكرر إقراء صحيح البخاري، حيث أتم قراءته في ٢٨ من رجب سنة ١٠٣٧هـ، كذلك في العام الذي هدمت فيه الكعبة من السيل ١٠٣٩هـ، حيث ختمه في الكعبة جهة الحطيم، وقد درس التفسير في الحرم الشريف آخر حياته سنة ١٠٥٥هـ[٣].

علمه وثناء العلماء عليه:

يعد ابن علان من نوادر عصره، قال فيه تلميذه أبو المواهب الحنبلي، ومثله قال المحبي: هو واحد الدهر في الفضائل، مفسر كتاب الله تعالى، ومحيي السنة بالديار الحجازية، ومقرئ كتاب صحيح البخاري من أوله إلى آخره في جوف كعبة الله، أحد العلماء المفسرين، والأئمة المحدثين، عالم الربع المعمور، صاحب التصانيف الشهيرة، كان مرجعا لأهل عصره في المسائل المشكلة في جميع الفنون، وكان حسن الخط كثير الضبط[٤]، **وقال المحبي**[٥]: جمع بين الرواية والدراية، والعلم والعمل، وكان إماما ثقة من أفراد أهل زمانه معرفة وحفظا وإتقانا وضبطا لحديث رسول الله ﷺ، وعلما بعلله وصحيحه وأسانيده، وكان شبيها بالجلال السيوطي في معرفة الحديث وضبطه وكثرة مؤلفاته ورسائله، قال الشيخ عبد الرحمن الخياري: إنه سيوطي زمانه، **ووصفه الكتاني**: بالإمام عالم الحجاز في القرن الحادي عشر[٦].

(١) انظر: مقدمة الذخر والعدة في شرح البردة لابن علان ص٤٢.

(٢) انظر: خلاصة الأثر ٤/ ١٨٣، ومشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٢.

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) انظر: مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٢، وخلاصة الأثر ٤/ ١٨٣.

(٥) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٤.

(٦) فهرس الفهارس للكتاني ١/ ٢٧٧.

شيوخه[1]:

تلقى العلامة «ابن علان» العلم على كثير من مشايخ عصره الأجلاء، ومنهم:

١. أحمد بن إبراهيم، عمه شهاب الدين الصديقي المكي الشافعي النقشبندي، المعروف بابن علان، أخذ عنه القراءات والحديث والفقه والتصوف.

٢. حسن بن محمد بن محمد الصفوري الدمشقي، بدر الدين البوريني الشافعي، المتوفى ١٠٢٤هـ، أخذ عنه صحيح البخاري عندما وفد إلى الحجاز.

٣. خالد بن أحمد بن محمد المالكي الجعفري المغربي ثم المكي، المتوفى ١٠٤٣هـ.

٤. عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، أبو الوجاهة العمري، المعروف بالمرشدي الحنفي، شرف الدين، مفتي الحرم المكي، المتوفى ١٠٣٧هـ، لم يذكر أن ابن علان أخذ عنه، والمرجح أنه أخذ عنه، لشهرته، ولأن المترجمين عادة لا يذكرون كل الشيوخ.

٥. عبد الرحمن بن محمد الشربيني العثماني الشافعي جلال الدين، أخذ عنه صحيح البخاري عندما وفد إلى الحجاز.

٦. عبد الله بن محمد النحرواي الحنفي المتوفى ١٠٢٦هـ، أخذ عنه صحيح البخاري عندما وفد إلى الحجاز.

٧. عبد الملك بن جمال العصامي بن صدر الدين بن عصام الدين الإسفراييني المشهور بالملا عصام إمام العربية وعلامها، المتوفى ١٠٣٧هـ، وهو أعظم من أخذ عنه ابن علان في العربية، قرأ عليه شرح قطر الندى وشرح الشذور لابن هشام، كما أخذ عنه علم العروض والمعاني والبيان وعلوم المعقولات، وله شيوخ غيرهم كثيرون.

تلاميذه ومن أخذ عنه:

تلمذ للعلامة ابن علان عدد كبير من الطلاب؛ وذلك لأنه من أهل مكة وأهل الحديث والأثر؛ إذ مكة مهوى قلوب المؤمنين الحاجين، ومنهم:

---

(١) انظر: مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٢، وخلاصة الأثر ١/ ١٨٤.

١. إبراهيم بن حسين مفتي مكة، المتوفى ١٠٩٩هـ. أخذ عنه الحدي[١].

٢. أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علوي، أخو محمد الجمال صاحب التاريخ، المتوفى ١٠٥٧ه[٢].

٣. أحمد بن حسين بن محمد، المتوفى ١٠٥٢[٣].

٤. أحمد بن عبد الله الحضرمي الشافعي، المتوفى ١٠٥٢هـ[٤].

٥. عبد الباقي بن عبد الباقي الحنبلي، المتوفى١٠٧١هـ[٥]، وغيرهم كثير.

مؤلفات ابن علان:

تنوعت موضوعات مؤلفات ابن علان التي يزيد عددها على المئة، فقد ألف في الفقه وأصوله، والتفسير، والحديث وعلومه، وعلم الكلام والعقيدة، والتصوف والمواعظ، وعلوم العربية: في النحو والصرف والبلاغة واللغة، والتاريخ والتراجم والسير.

ويمكن أن تقسم مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام: شرح أو حاشية، وتأليف في موضوع واحد من العلوم، ونظم.

أما شروحه فقد زادت على الخمسة والعشرين شرحا، وأما تآليفه فقد تكون لسد حاجة معاصريه كمؤلفاته في الكعبة: الفقهية والتاريخية، ومؤلفيه في حرمة التدخين، وقد تكون لمناسبة دينية كالعيد أو عاشوراء.

ولما كان مكيا فقد عني بما يخص تلك البلاد المقدسة من أزمان وأماكن، فوصلت مؤلفاته التي تتصل بها إلى تسعة عشر مؤلفًا ما بين تاريخي وفقهي.

---

(١) خلاصة الأثر ١/ ١٨٥.

(٢) السابق١/ ١٩١.

(٣) السابق ١/ ٢١٣.

(٤) السابق ١/ ٢٦٢.

(٥) السابق ٢/ ٢٧٤، وفهرس الفهارس ١/ ٤٥١.

ومن يطالع كتبه يلحظ ولعه بالنظم؛ لذا فقد بلغت منظوماته خمس عشرة منظومة، ومن خلال كتبه المطبوعة يمكننا القول: إن طابع كتبه النقل والجمع.

١. الابتهاج في ختم المنهاج، والمنهاج شرح صحيح مسلم للنووي[١].

٢. إتحاف أهل الإسلام والإيمان ببيان أن المصطفى لا يخلو عنه زمان ولا مكان، منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، في ثماني ورقات عام رقم ٩٢٧٦.

٣. إتحاف الثقات في الموافقات[٢].

٤. إتحاف السائل بمعرفة رجال الشمائل[٣].

٥. إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل، طبع في مكتبة القدسي والبدير، دمشق ١٣٨٤هـ، ثم طبع في دار الكتب العلمية مرتين: الأولى في ١٤٠٧هـ، ت: يسري عبد الغني عبد الله. بعنوان الأفعال المبنية للمجهول. والثانية في ٢٠٠١، ت: إبراهيم شمس الدين.

٦. أسنى المواهب والفتوح بعمارة المقام الإبراهيمي وباب الكعبة وسقفها والسطوح[٤].

٧. إعلام الإخوان بتحريم الدخان[٥].

٨. إعلام الإخوان بأحكام الخصيان في الفقه[٦].

٩. إعلام سائر الأنام بقصة السيل الذي سقط من بيت الله الحرام[٧].

١٠. الأقوال المعرّفة بفضائل أعمال عرفة[٨].

---

(١) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٢، وهدية العارفين ٢/ ٢٨٣.

(٢) كشف الظنون ١/ ٦.

(٣) دليل الفالحين لابن علان ٢/ ١٣٠.

(٤) خلاصة الأثر ١/ ١٨٥.

(٥) كشف الظنون ١/ ٤٨٦، ومشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٤.

(٦) مقدمة الذخر والعدة ص٥٦.

(٧) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٦، وإيضاح المكنون ٣/ ١٠٢.

(٨) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٤.

١١. إيضاح تلخيص بديع المعاني في بيان منع هدم جدار الكعبة اليماني[١].

١٢. إيقاد المصابيح لمشروعية اتخاذ المسابيح، منه نسخة في برنستون رقم٢٠١٠، في ٢٠ ورقة.

١٣. بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني[٢]، ومنه نسخة في جامعة إستانبول رقم ٢٦١٩.

١٤. بغية الظرفاء في معرفة الردفاء، أي الذين أردفهم النبي ﷺ على مركوبه، ولعله تحفة الأشراف بمعرفة الإرداف، ومنه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (١٨مج).

١٥. البيان والإعلام في توجيه فرضية عمارة الساقط من البيت لسلطان الإسلام، منه نسخة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة مجموعة رقم ١٦٤٥/ ٣.

١٦. تحفة ذوي الإدراك في المنع من التنباك[٣]، ومنه نسخة باستانبول بمتحف طوبقبوسراي، مدينة رقم ١٢٢/ ٢.

١٧. تخميس قصيدة أبي مدين المغربي، طبع في القاهرةسنة ١٣٠٥هـ.

١٨. ترجمة البخاري، منه نسخة في الأسد بدمشق ورقمها ٨٩٩٥.

١٩. التلطف في الوصول إلى التعرّف، طبع بمكة ١٣٣٠هـ ناقصًا، وطبع بقيته بالقاهرة بمطبعة البابي الحلبي.

٢٠. تنبيه ذوي النهى والحجر على فضائل أعمال الحجر[٤]، ومنه نسخة في إستانبول عاطف أفندي، مجموعة رقم ٢١٨٣.

٢١. حدائق الألباب في علم قواعد الإعراب منظومة، منه نسخة في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة مجموعة رقم ١٠٠، ومنه نسخ أخرى.

٢٢. حسن النبا في فضل قُبا[٥]، ومنه نسخة بالهند، رامبور، بخط نسخي رقم ٣٦٣٠.

---

(١) مقدمة الذخر والعدة ص٥٦.

(٢) كشف الظنون ٢/ ١١٤٢، وهدية العارفين ٢/ ٢٨٣.

(٣) كشف الظنون ١/ ٤٨٦.

(٤) الأعلام٦/ ٢٩٣.

(٥) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٤.

٢٣. حسن العبارة في نظم رسالة الاستعارة[١]، ومنه نسخة في جامعةأم القرى مجموعة رقم ١٢٩٦.

٢٤. داعي الفلاح لمخبآت الاقتراح للسيوطي، وقد حقق أكثر من تحقيق في رسالة علمية.

٢٥. دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين، وطبع أكثر من طبعة.

٢٦. رشيق الرحيق من شراب الصديق[٢].

٢٧. رفع الاشتباه عن إعراب قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل: ٦٥]، ومنه نسخة خطية بالمكتبة المحمودية.

٢٨. رفع الخصائص عن طلاب الخصائص[٣]، وله أكثر من نسخة خطية في مكتبات العالم.

٢٩. سطوع البدر في فضائل ليلة القدر.

٣٠. شرح الزبد[٤].

٣١. شرح قلائد الجمان في نظم عوامل عالم جرجان، ومنه نسخة في المكتبة المحمودية.

٣٢. شرح منظومة الألغاز النحوية، لملا عصام الدين، وطبع محققا، منه نسخة خطية بجامعة الرياض برقم (١٦٦٢).

٣٣. ضياء السيل إلى معالم التنزيل في تفسير القرآن[٥]. ومنه نسخة خطية بجامعة أم القرى رقم ١١٦٤.

٣٤. الطالع السعيد في فضائل يوم العيد، طبع بتحقيق: بلعمري محمد فيصل الجزائري، في دار الكتب العلمية - ٢٠٠٨م.

٣٥. العلم المفرد في فضل الحجر الأسود[٦].

---

(١) كشف الظنون ١/ ٨٤٥.

(٢) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٤.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) كشف الظنون ٢/ ١٠٩١.

(٦) السابق ٢/ ١١٦٢.

٣٦. فضائل مكة المكرمة[١].

٣٧. قلائد الجمان في نظم عوامل عالم جرجان، ومنه نسخة في المكتبة المحمودية.

٣٨. مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام[٢].

٣٩. منهج من ألف فيما يرسم بالياء ويرسم بالألف[٣]، وله نسخة خطية في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة مجموعة رقم ١٠٠.

٤٠. مورد الصفا في مولد المصطفى[٤]. منه نسخة في استانبول، وهبي أفندي رقم ١١٤٣.

٤١. النبأ العظيم في أخلاق النبي ﷺ. وهو مختصر كتاب أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني. ومنه نسخة في الحرم المكي برقم ١٢٥٠ حديث.

٤٢. نظم أنموذج اللبيب للسيوطي. وله نسخة في دار الكتب المصرية - الخزانة التيمورية رقم ٥٣٩.

٤٣. نظم قطر الندي لابن هشام[٥].

٤٤. الوجه الصحيح في ختم الصحيح[٦]. طبع بتحقيق وتعليق: نور الدين الحميدي الإدريسي........ وغير ذلك كثير



(١) كشف الظنون ٢/ ١٢٧٨.

(٢) هدية العارفين ٢/ ٢٨٣.

(٣) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٤.

(٤) السابق.

(٥) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٤، وخلاصة الأثر ٤/ ١٨٥.

(٦) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ص٨٤، وخلاصة الأثر ٤/ ١٨٦.

منهج ابن علان في شرح
منظومة ابن الشحنة

يتلخص منهج ابن علان في شرحه هذا فيما كتبه هو عن نفسه، في قوله:

أما بعد:

فيقول فقير رحمة مولاه، اللائذ به في سره ونجواه، المتخصص بحكمة الله بإقراء صحيح البخاري، وختمه بجوف كعبة الله: محمد علي بن علان الصديقي خادم السنة النبوية بالحرم المكي، لحظته عيون الأنظار، وحفظته عيون الرعاية الظاهرة مما يخاف: «هذه فوائد لطيفة، وفرائد منيفة على المنظومة السنية، التي نظم دررها في سلكه، وقرب غررها الجاري كل منهما في فلكه، العلامة ذو القدر العلي، والفضل الوفي: ابن الشحنة، العالم العامل، الكامل، الحنفي، جمع فيها مبادئ الفن، وطرفًا من مسائله، وطرفًا من فنونه، وأوائله، مزجتها للتقريب، وأتحفت بها الطالب إتحاف المحب للحبيب، ولم أطل فيها المثال؛ طلبًا لإدخال قارئها في سلك من سار في طريق هذا المقصد السامي البديع المثال، وسميتها: «وفور الفضل والمنة بشرح منظومة ابن الشحنة» وعلى الله الاعتماد لا يعبد غيره وإليه الاستناد». اهـ

معنى هذا:

أنه مزجها بالشرح الموجز الذي يقرب القول فيها للقارئ؛ ليكون حفيا بها، محبا لها، ولذا لم يكثر من شواهدها، ولم يطل في شرح ما ذكره منها، فقد تحلت بالإيجاز، وقد بدأ حديثه عنها بشرح البسملة، ثم مقدمة المنظومة، ثم شرحها على نهج التلخيص الذي جمعت معالمه، وزاد عنه ببيان متعلقات الكلام، وربط بعضه ببعض؛ ليمزج النحو بالبلاغة، فيجمع شرحه بين الإيجاز والبراعة، أضف إلى ذلك وقوفه عند المصطلحات بالبيان، والإيضاح، تاركا ما يمكن أن يصل إليه القارئ بسعة أفقه، وسابق علمه، وهكذا استمر في شرحها بناء على

ترتيبها السابق مع تقسيم أبوابها، وتنسيق بنائها؛ لتكون جامعة لعلوم البلاغة، وملحقاتها، وله فيها لمحات لطيفة، وإشارات خفيفة، إلا أني فصلتها تفصيلا يكاد يغني القارئ فيها عن بحث الموضوع في كتاب سواها، فذكرت أمثلة لما لم يذكر له مثالا، وأضفت البعض لما أوجز في شواهده، وشرحت هذا وذاك بما يفي بحق طالبه، وأضفت المباحث التي لها تتمة يحتاج إليها الباب، كالمقابلة التي هي جزء من الطباق على سبيل المثال؛ حيث درسه، وتركها، مع أنه طباق مفرد، وهي طباق مركب... وهكذا كلما ترك شيئا يتعلق بالمذكور أتيت به؛ إتماما للمعرفة، وإحاطة الطالب بأمورها، فيكتمل له البيان بسهولة، واطمئنان، ووضعت عناوين لكل باب بين معكوفين، وميزت كلمات المنظومة في شرح الشارح، وخرجت جميع الشواهد، وأتبعتها بالتحليل البيّن، ووضعت عناصر، وأرقاما تميز الأقسام، والأنواع؛ ليكون التحليل أيضا بيّنـًا. وهكذا كانت المنظومة مجملة البيان، مفصلة الأبواب، مشفوعة بعد ذلك بشرح ابن علان، ثم شرح الشرح، وإضافة المثال إلى المثال تجلية لنظمها، وتفصيلا لشرحها، وتخريجا لشواهدها على اختلاف أنواعها، ودارسة فرائدها، ودقائقها، وهذا الذي قام به المحقق والدارس بلطف العبارة، وتفصيل الإشارة بحسن قصد، وإخلاص قول، وإتقان عمل، راجيا من الله القبول، وسائلا إياه - سبحانه - أن يجعله عند حسن ظن من يصول في هذا الكتاب، ويجول، ولا حول ولا قوة إلا بالله الذي عليه وحده أتوكل إليه أنيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].



النسخ المعتمدة في التحقيق

وقفت من خلال تتبعي لفهارس المخطوطات على نسختين لهذا العمل النفيس:

• **النسخة الأولى**: نسخة مكتبة عاطف أفندي بتركيا رقم (٢١٩٩)، وهي نسخة نفيسة ضمن مجموع، هي الرسالة الأولى فيه، وتستقل من اللوحة (١-٢٤)، نسخت سنة ١٠٤٦هـ، ورمزت لها بالرمز (أ).

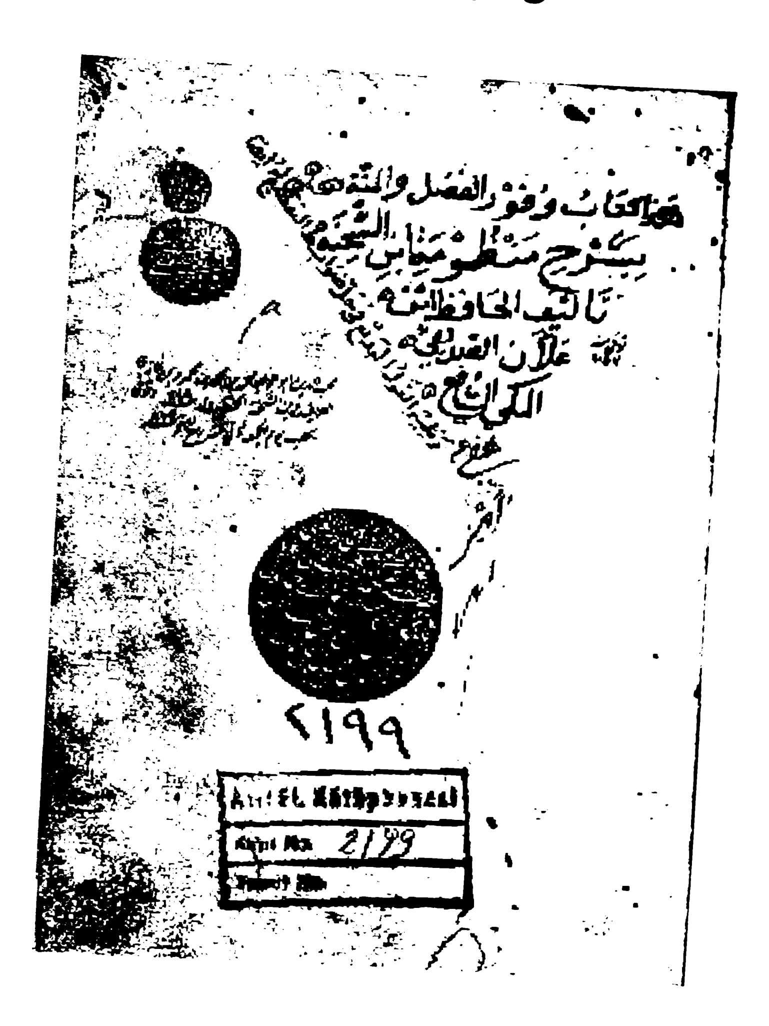
• **النسخة الثانية**: مكتبة الحرم المكي، رقم ٣٤٠٨ - بلاغة، وتقع في (٢٠) ورقة، ويختلف عدد الأسطر فيها من (١٨ - ١٥) سطرا، كتبت بخط نسخ معتاد، ولم يدون بآخرها تاريخ نسخ، ولا اسم ناسخ، ورمزت لها بالرمز (ب).

وفيما يلي نماذج من النسختين:

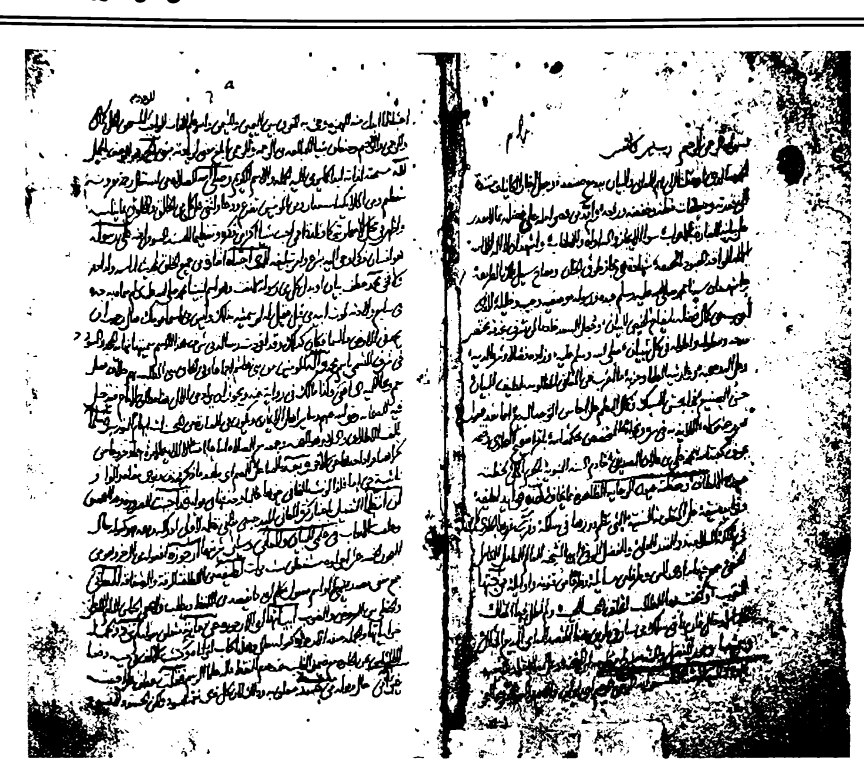




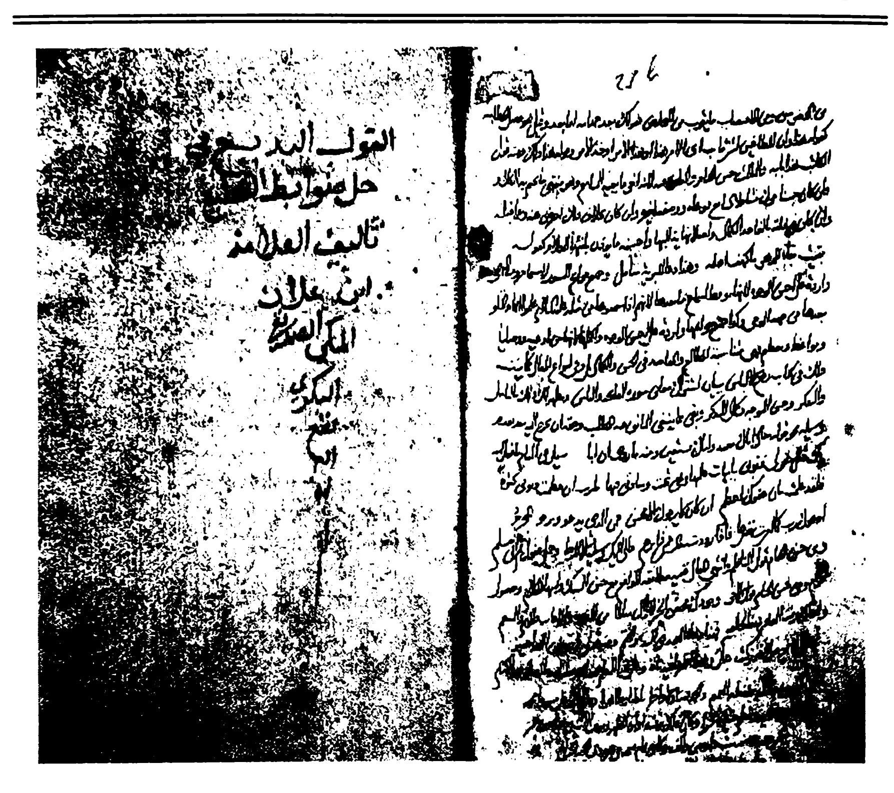
نماذج من صور المخطوط



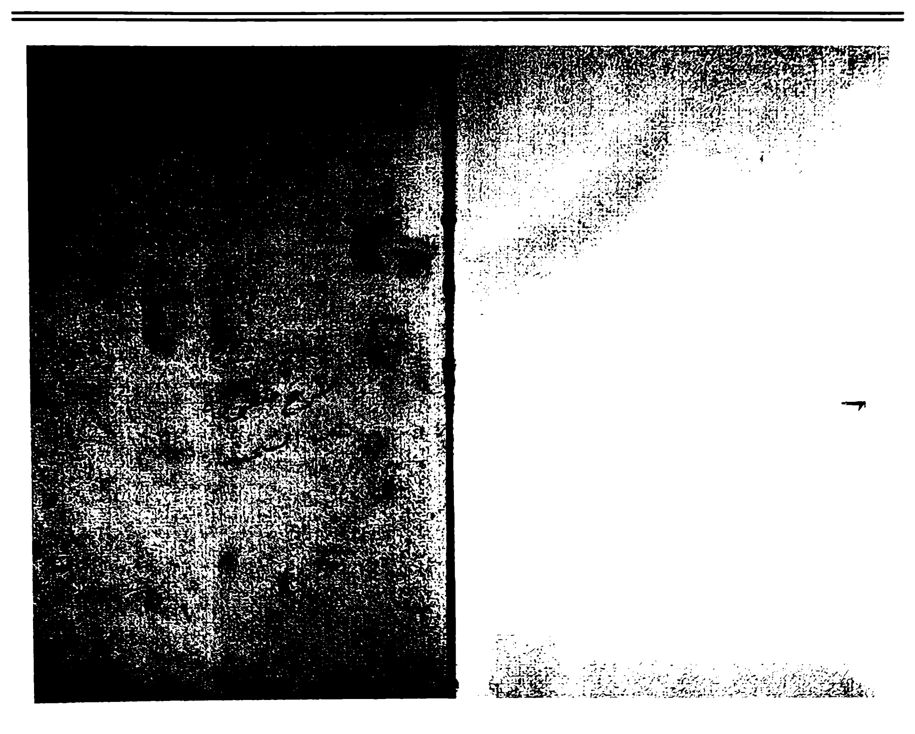
صفحة العنوان من النسخة (أ)



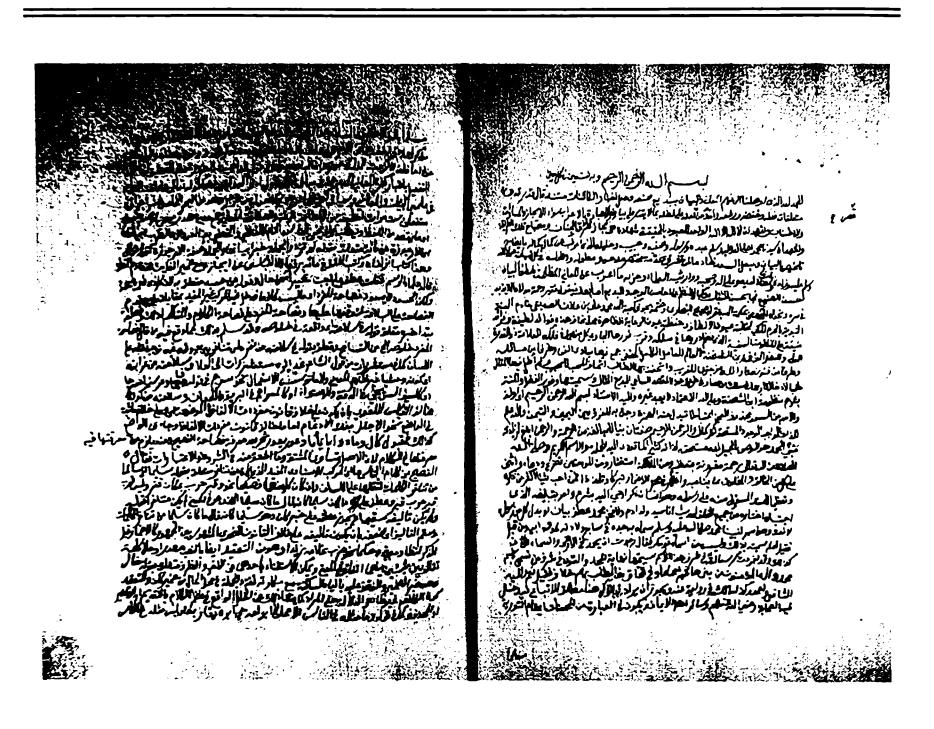
الصفحة الأولى من النسخة (أ)



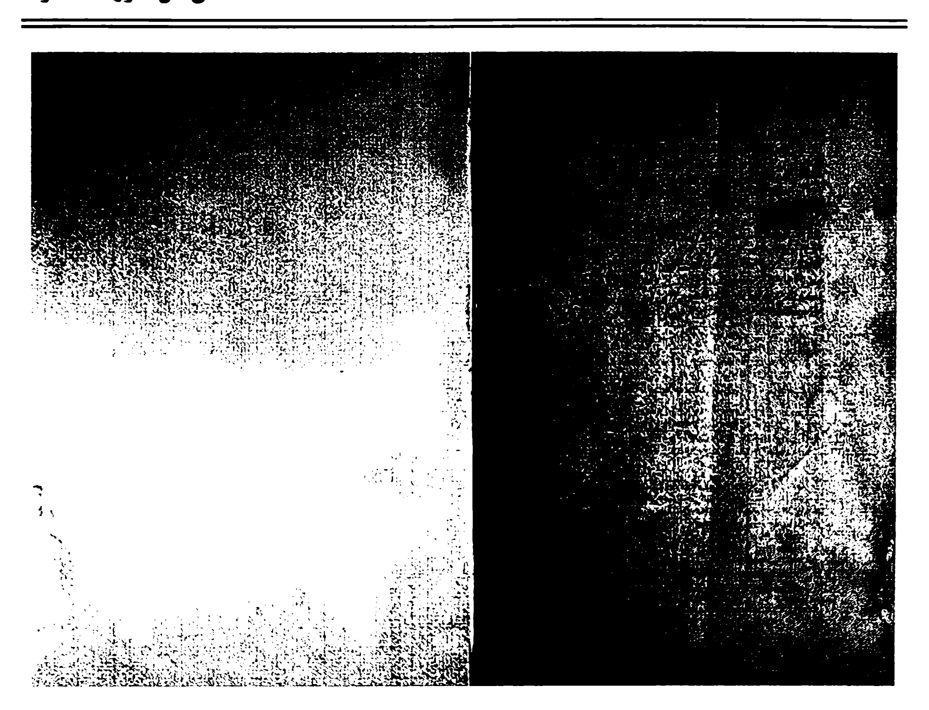
الصفحة الأولى من النسخة (أ)



صفحة العنوان من النسخة (ب)



الصفحة الأولى من النسخة (ب)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)



مقدمة الشارح

[٢أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر(١)

الحمد لله الذي أوصلنا إلى فهم المعاني، والبيان، ببديع صنعه، وجعل أخبار الكائنات مستندة إلى قدرته، ومتعلقات فعله، وخفضه، ورفعه، وأمد من قصر(٢) أمله على فضله، بما لا يقدر على بيانه العبارة بالإعراب، سواء الإيجاز، والمساواة، والإطناب.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد المعبود بالحقيقة، شهادة هي مجاز طرق الجنان، ومصباح تلك الطريقة، وأشهد أن سيدنا محمدًا - ﷺ- عبده ورسوله وصفيه، وحبيبه، وخليله الذي أعرب عن كمال فضله(٣) بإيضاح تلخيص البيان، وجعل السعد(٤) خادمًا لمن

---

(١) في ب: وبه نستعين في كل حين.

(٢) كلمة: قصر. ساقطة من ب

(٣) في ب كمال كماله.

(٤) يقصد سعد الدين التفتازاني؛ لأن مختصره من الركائز التي اتكأ عليها في شرحه، وقد ذكر هنا المختصر، والمطول، والأطول، مع أن السعد له الأول والثاني، أما الأطول فهو لعصام الدين الإسفراييني، والسعد هو: هو سعد الملة والدين أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الغازي التفتازاني السمرقندي الحنفي، الفقيه المتكلم النظار الأصولي النحوي البلاغي المنطقي. ولد بقرية تفتازان من مدينة نسا في خراسان في صفر سنة ٧٢٢هـ في أسرة عريقة في العلم حيث كان أبوه عالمًا وقاضيًا وكذا كان جده ووالد جده من العلماء، كان السعد التفتازاني إماما من أئمة التحقيق والتدقيق فقد انتهت إليه رئاسة العلم في المشرق في زمنه وفاق الأقران، وبرز في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان =

تشرف بخدمة مختصر مدحه، ومطوله، وأطوله في كل تبيان - ﷺ- وزاده شرفًا، وفضلًا لديه، وعلى آله، وصحبه، ووارثيه العلماء، وحزبه ما أعرب عن المعاني المطلوبة(١) بلطف البيان، حسن الصنيع فجاء بحسن السبك، وكمال النظم على أحاسن الوجه البديع.

أما بعد:

فيقول فقير رحمة مولاه، اللائذ به في سره ونجواه، المتخصص بحكمة الله بإقراء صحيح البخاري، وختمه بجوف كعبة الله: محمد علي بن علان الصديقي خادم السنة النبوية بالحرم المكي، لحظته عيون الأنظار، وحفظته عيون الرعاية الظاهرة مما يخاف:

هذه فوائد لطيفة، وفرائد منيفة على المنظومة السنية، التي نظم دررها في سلكه، وقرب غررها الجاري كل منهما في فلكه، العلامة ذو القدر العلي، والفضل(٢) الوفي: ابن الشحنة، العالم العامل، الكامل، الحنفي، جمع فيها مبادئ الفن، وطرفًا من مسائله، وطرفًا من فنونه، وأوائله، مزجتها للتقريب، وأتحفت بها الطالب إتحاف المحب للحبيب، ولم أطل فيها

= والأصول والتفسير وعلم الكلام وغيرها من العلوم، وكان يفتي بالمذهبين الشافعي والحنفي وانتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه.

وفاته: بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي تدريسًا وتإليفًا وإفتاء وبالصبر على شظف العيش وكثرة منغصاته انتقل الإمام السعد التفتازاني إلى رحمة ربه يوم الاثنين الثاني والعشرين من المحرم واختلف في سنة وفاته والمرجح أنها ٧٩١هـ أو ٧٩٢هـ الموافق ١٧ من يناير عام ١٣٩٠م في سمرقند ودفن بها ثم نقل إلى سرخس فدفن بها يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى من نفس السنة. وقد كُتب على صندوق ضريحه: «ألا أيها الزوار زوروا وسلموا على روضة الإمام المحقق والحبر المدقق، سلطان العلماء المصنفين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، معدل ميزان المعقول والمنقول، منقح أغصان الفروع والأصول، خاتم المجتهدين أبي سعيد سعد الحق والدين مسعود القاضي الإمام مقتدى الأنام ابن عمر المولى المعظم أقضى قضاة العالم برهان الملة والدين ابن الإمام الرباني العالم الصمداني مفتي الفريقين الجامعين، سلطان العارفين قطب الواصلين شمس الحق والدين الغازي التفتازاني قدس الله أرواحهم وأنزل في فراديس الجنان أشباحهم». ينظر: الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠، إنباء الغمر ٢/ ٣٧٧، بغية الوعاة ٣٩١.

(١) في ب: المعاني المظلمة.

(٢) في ب: والنظر الوفي.

المثال؛ طلبًا لإدخال قارئها في سلك من سار في طريق هذا المقصد السامي البديع المثال، وسميتها: «**وفور الفضل والمنة بشرح منظومة ابن الشحنة**» وعلى الله الاعتماد لا يعبد غيره وإليه الاستناد(١).



(١) هذه مقدمة فائقة ألمت بأطراف الموضوع وعرفت القارئ بفائدة المنظومة، ومكانتها ومضمونها، وأهمية شرحها، والاسم الذي وضعه لهذا الشرح.



شرح مقدمة المنظومة

بسم الله الرحمن الرحيم

أي أؤلف[1]،..

(١) هذا على اعتبار أن: الباء في البسملة زائدة، واسم مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائدة، والخبر محذوف تقديره، أؤلف أو أفتتح، أو أبتدئ... ونحو ذلك اسما، أو فعلا... ينظر شرح الشافية للرضي ٣/ ٣١٥، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل١/ ٤. وقد يكون الجار والمجرور متعلقا بمحذوف يقدر اسما متأخرا، أي: بسم الله الرحمن الرحيم ابتدائي، أو قراءتي، وهذا عند البصريين، أما الكوفيون فيرون أن الجار والمجرور يتعلق بمحذوف يقدر فعلا متأخرا، أي بسم الله الرحمن الرحيم أبتدئ، أو أقرأ... ينظر: إملاء ما من به الرحمن للعكبري ا/ ٤، ولا ريب أن تقديم اسم الجلالة هو الأولى، والأجدر أن يبتدأ به؛ قصدا إلى التبرك، وإجلالا للوحدانية، أما تقديم المتعلق، وتأخير الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق: ١]». و«﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ [سورة الأعلى: ١]». فقيل: إنه على معنى: افعل القراءة مستهلا باسم ربك، وليس الفعل متعديا إلى مقروء به، ويكون: باسم ربك متعلقا بـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ من قوله تعالى «﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ﴾ [سورة العلق: ٣]». وعليه يكون الجار والمجرور مقدما على المتعلق به كما في البسملة، وقيل: إن: سورة العلق أول سورة نزلت، وكان الأمر بالقراءة هو المقصود الأساس فوجب تقديمه. يراجع كتب الإعراب لمن أراد التوسع... وعلى القول بأن الباء زائدة فإن الحرف الزائد يدل على التأكيد كما ذكره الرضي، وإلا كان عبثًا لا يقع من العرب. وقولهم: الزائد لا معنى له أي غير التأكيد، وللباء في البسملة معان أخرى منها: الاستعانة، أو المصاحبة على وجه التبرُّك، واستؤنس لهذا بحديث: «**بسم الله الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيْءٌ**»، فإن لفظ مع ظاهر في إرادة المصاحبة من الباء، وليس المراد أن المصاحبة معناها التبرك لوضوح بطلانه، إذ لا تبرك في نحو: رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ مما مثلوها به، بل هي مجرد الملابسة، إلا أنها بمعونة المقام تحمل على الملابسة التبركية. فتقديرهم أبدأ متبركًا ليس بيانًا لمتعلق الباء بل تصوير للمعنى، وبيان لصفة تلك الملابسة، والاستعانة أرجح الأقوال تبركا بالاستعانة باسم الله الذي تنقطع البركة عن أي عمل لا يبدأ به.

والاسم: من السمو بحذف(١) العجز(٢) [٢ب] اعتباطًا أبدل(٣) منه الهمزة، وجيء به للفرق بين اليمن، والتيمن.

والله: علم للذات الواجب الوجود المستحق لكل كمال(٤).

والرحمن الرحيم: صفتان بنيا للمبالغة من الرحمة، والرحمن أبلغ؛ لزيادته مبنى(٥).

---

(١) في ب: محذوذ العجز.

(٢) اسم: مشتق من السمو بمعنى الرفعة، على رأي البصريين، حذفت منه اللام، وهي واو، وعليه يكون من الأسماء محذوفة الأعجاز، مثل: يد، ودم، وأخ، أو من الوسم بمعنى العلامة على رأي الكوفيين، وبذلك يكون محذوف الفاء، يقول أبو حيان: البصري يقول: مادته: (س م و)، والكوفي يقول: مادته: (و س م). **ينظر**: تفسير البحر المحيط ١/ ١٤. وحذفت منها الألف لفظا وخطا؛ لأنها لم تثبت في الدرج، ولم تحذف من قوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، و"﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ لكثرة الاستعمال في البسملة، والكثرة تحتاج إلى تخفيف، ولكن عوض عنها ما سمي بإطالة الباء في الكتابة؛ ليقترب من شكل الألف، وإظهار السين، وتدوير الميم. **ينظر**: تفسير النسفي ١/ ٤.

(٣) في ب: تبدل منه الهمزة.

(٤) **أي**: علم لا يطلق إلا على المعبود بحق، مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وقيل مشتق، ومادته: (ل هـ ي)، من لاه يليه، ارتفع، قيل: ولذلك سميت الشمس إلاهه، بكسر الهمزة وفتحها، وقيل: (ل وهـ) من لاه يلوه لوها، احتجب أو استتر، وحذفت الألف الأخيرة من اللّه؛ لئلا يشكل بخط اللاه اسم الفاعل من لها يلهو، وقيل: طرحت تخفيفا، وقيل: هي لغة، فاستعملت في الخط. ينظر البحر المحيط ١/ ١٥.

(٥) **الرحمن**: فعلان من الرحمة، وهو وصف لم يستعمل في غير الله تعالى، كما لم يستعمل اسمه في غيره، وسمعنا مناقبه، قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ووصف غير الله به من تعنت الملحدين، كقول بعض شعراء بني حنيفة في مسيلمة: **(البسيط)**

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا ... وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

فإنما قاله بعد مجيء الإسلام وفي أيام ردة أهل إليمامة، وقد لقبوا مسيلمة يومئذ: رحمان اليمامة، وذلك من غلوهم في الكفر، وإذا قلت الله رحمن، ففي صرفه قولان ليسند أحدهما إلى أصل عام، وهو أن أصل الاسم الصرف، والآخر إلى أصل خاص، وهو أن أصل فعلان المنع لغلبته فيه، **والرَّحِيم**: فعيل محوّل من فاعل للمبالغة. **ينظر**: **البحر المحيط** ١/ ٢٧، **والتحرير والتنوير** ١/ ١٧٠. وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لأن في الرحيم زيادة واحدة، وفي الرحمن زيادتين، وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى؛ ولذا جاء في الدعاء: يا رحمن الدنيا؛ لأنه يعم المؤمن، والكافر، ورحيم الآخرة؛ =

١- الْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ وَصَـلَّـى اللهُ عَـلَـى رَسُـولِـهِ الَّـذِي اصْـطَـفَـاهُ

الحمد: هو الوصف بالجميل(١).

لله: مستحقُّهُ لذاته كثيرًا، كما تؤدي إليه الجملة، والاسم الكريم(٢). **وصلى الله**: الصلاة من الله تعالى رحمة مقرونة بتعظيم، ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين تضرع، ودعاء(٣).

= لأنه يخص المؤمن، وقالوا: الرحمن خاص تسمية؛ لأنه لا يوصف به غيره، وعام معنى؛ لما بينا، والرحيم بعكسه؛ لأنه يوصف به غيره، ويخص المؤمنين، ولذا قدم الرحمن، وإن كان أبلغ، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى. **ينظر تفسير النسفي ١/ ٣.**

(١) وعليه يكون الحمد أعم من الشكر؛ لأنه - كما قال أبو هلال العسكري -: الذكر بالجميل على جهة التعظيم للمنعم، ويصح على النعمة وعلى غير النعمة، ولا يطلق إلا لله تعالى، أما الشكر فهو الاعتراف بالنعمة فقط، ولا يكون على غيرها، وقيل: الحمد يكون باللسان وحده، والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، ومن ثم فالحمد إحدى شعب الشكر، ولذلك قال رسول الله - ﷺ -» **الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده**» وعلى ذلك ففي الحمد خصوص في جانب الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي الشكر عموم بآلاته، وأما الفرق بين الحمد والمدح فالحمد مضمن بالفعل، ولا يكون إلا على إحسان، والله حامد نفسه على إحسانه إلى خلقه، والمدح يكون بالفعل، والصفة مثل أن يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه، وإلى غيره، وأن يمدحه بحسن وجهه، وطول قامته، ويمدحه بصفات التعظيم، ولا يجوز أن يحمده على ذلك، إنما يحمده على إحسان يقع منه فقط. **ينظر**: الفروق اللغوية ٦٠، ٦٢، علق عليه ووضع حواشيه / محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، تفسير النسفي ١/ ٥. والحديث في شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ٩٦.

(٢) أي أن اللام في اسم الجلالة تكون للاستحقاق؛ لوقوعها بين معنى وذات، ومثلها: الملك لله، والأمر لله، ويمكن أن تكون للاختصاص، ويعلل أبو حيان كون هذه اللام للاختصاص بقوله: إذ دلت على أن جميع المحامد مختصة به؛ إذ هو مستحق لها. **ينظر**: البحر المحيط ١/ ١٧ دار الفكر. ومن ثم يجليه الشيخ الطاهر ابن عاشور بقوله: «ولام الاختصاص في قوله: (لله) يستلزم انحصار أفراد الحمد في التعلق باسم الله تعالى؛ لأنه إذا اختص الجنسُ اختصت الأفراد؛ إذ لو تحقق فرد من أفراد الحمد لغير الله تعالى لتحقق الجنس في ضمنه، فلا يتم معنى اختصاص الجنس المستفاد من لام الاختصاص الداخلة على اسم الجلالة، ثم هذا الاختصاص اختصاص ادعائي فهو بمنزلة القصر الادعائي للمبالغة» التحرير والتنوير ١/ ١٦٠.

(٣) هذا إيجاز كاف لمعنى الصلاة، ولكنها من جهة البلاغة: خبر يراد به الدعاء، أي خبر في اللفظ إنشاء في المعنى.

وأثنى على كل من الخالق والمخلوق بما يناسبه، وأظهر في محل الإضمار؛ تبركًا، وتلذذًا، فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره وتعظيمًا للمسند المسؤول منه[١].

على رسوله: وهو إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

الذي اجتباه[٢]: اختاره من جميع الخلق لحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[٣].

٢- مُـحَـمَّـدٍ وَآلِـــهِ وَسَـلَّـمَـا   وَبَـعْـدُ قَـدْ أَحْـبَـبْـتُ أَنْ أُنَـظِّـمَـا

محمد: عطف بيان، أو بدل كل من رسوله، لا نعت، وهو اسم لنبينا محمد - ﷺ - سماه به جده في سابع ولادته لموت أبيه من قبل، فقيل له لم سميته بذلك وليس من أسماء قومك؟.

فقال: رجوت أن يحمد في الأرض، والسماء، فكان كذلك.

وقد أفردت رسالة في شرف هذا الاسم سميتها: «**نهاية المجد والسؤدد في شرف من تسمى باسم محمد**».

وآله: المؤمنون من بني هاشم إجماعًا وفي إلحاق بني المطلب بهم خلاف، فقيل: نعم دعا إليه الشافعي، وأحمد، وكذا مالك في رواية عنه.

ويجوز أن يراد بالآل هنا: مطلق الأتباع، فيدخل فيه الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وسائر أهل الإيمان، ويكون في العبارة من المحسنات: إيهام التورية.

وسلما: بألف الإطلاق، والسلام هو: التحية، وجمعه مع الصلاة: اتباعًا، وامتثالًا للآية الآمرة[٤] بهما، وخروجًا من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر.

---

(١) أظهر في محل الإضمار؛ حيث لم يقل: وصلى على رسوله الذي اصطفاه، وكان هذا مؤديا للمطلوب، ولكنه أعاد ذكر اسم الجلالة؛ تبركا وتلذذا باسم الله، وحبا وتعظيما لرسوله الذي اجتباه.

(٢) في المنظومة: الذي اصطفاه.

(٣) ينظر مسند الإمام أحمد ١٦/ ٥٧٠ والحديث في تخريجه حسن صحيح.

(٤) في ب: لأمر بهما.

وبعد: بالبناء على الضم بعد ما ذكر، فحذف ونوي معناه والواو نائبة عن (أما) فلذا ألزمت الفاء[1] في حيزها غالبًا وحذفها في قوله:

---

(١) وسبب لزوم الفاء بعدها أمران: **أحدهما**: ضعف الشرط فيها بسبب دلالتها عليه بالنيابة، فكان لزوم الفاء تقوية لهذا الضعف، وقرينة واضحة على هذا المعنى، **والآخر**: قيامها مقام الربط لعدم وجوده معها كما وجد مع معظم أدوات الشرط وهذا الرابط هو الجزم، ولم تعمل» أما» الجزم في الشرط لالتزام حذفه، ولما لم تعمل في الشرط لم يعملوها في الجواب لبعده، ولما عدم الربط وهو الجزم أتوا بالفاء لتكون في مقام الربط هنا والتزموا ذلك؛ حتى لا تفقد «أما» الربط بين الشرط المقدر، والجواب المذكور، وقد تحذف الفاء معها للضرورة، ولغيرها، وفي ذلك يقول ابن هشام: فإن قلت قد استغني عنها في قوله: (المتقارب)

فـأمـا الـقـتـال لا قـتـال لـديـكـم

قلت: هو ضرورة كقول عبد الرحمن بن حسان: (البسيط)

مـن يـفـعـل الـحـسـنـات الـلـه يشكرها

فإن قلت: فقد حذفت في التنزيل في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦]، قلت الأصل فيقال لهم أكفرتم فحذف القول استغناء عنه بالمقول فتبعته الفاء في الحذف ورب شيء يصح تبعا ولا يصح استقلالا كالحاج عن غيره يصلي عنه ركعتي الطواف ولو صلى أحد عن غيره ابتداء لم يصح على الصحيح هذا قول الجمهور. وزعم بعض المتأخرين أن فاء جواب أما لا تحذف في غير الضرورة أصلا وأن الجواب في الآية ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ والأصل فيقال لهم ذوقوا فحذف فإن قلت قد استغني عنها في قوله: (**المتقارب**)

فـأمـا الـقـتـالُ لا قـتـال لـديـكـم ولـكـنَّ سـيـرا في عـرَاض الـمـواكـب

قلت: هو ضرورة كقول عبد الرحمن بن حسان: (**البسيط**)

مـن يـفـعـل الـحـسـنـات الـلـهُ يشكرها والـشـر بـالـشـر عـنـد الله مـثـلان

فإن قلت: فقد حذفت في التنزيل في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ قلت الأصل فيقال لهم أكفرتم فحذف القول استغناء عنه بالمقول فتبعته الفاء في الحذف ورب شيء يصح تبعا ولا يصح استقلالا كالحاج عن غيره يصلي عنه ركعتي الطواف ولو صلى أحد عن غيره ابتداء لم يصح على الصحيح هذا قول الجمهور [وهذا هو الحذف من غير ضرورة، بل تبعا لحذف القول أو مشتقاته].

وزعم بعض المتأخرين أن فاء جواب أما لا تحذف في غير الضرورة أصلا وأن الجواب في الآية ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ والأصل فيقال لهم ذوقوا فحذف. مغني اللبيب ١/ ٥٦ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة صبيح.

قد أحببت: للضرورة، وقد: للتحقيق[(١)].

أن أُنَظِّما: التفعيل باعتبار كثرة المعاني المدرجة في مباني نظمه لأولى إدراكه، وفهمه، فهو كقوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [سورة يوسف: ٢٣].

٣- فِـي عِـلْـمَـيِ الْـبَـيَـانِ وَالْـمَـعَـانِـي أُرْجُـــــوزَةً لَـطِـيْـفَـةَ الْـمَـعَـانِـي

في علمي البيان والمعاني: وسيأتي تعريفهما.

أُرجوزة: أفعولة من الرجز، وهو من البحور الخمسة عشر، أجزاؤه: مستفعلن ست مرات.

لطيفة: من اللطافة: الرقة، والشفاقة.

المعاني: جمع معنى، مصدر ميمي، أو اسم مفعول، أي ما يقصد من اللفظ ويطلب، ولا يخفي الجناس التام اللفظي، والخطي بين العروض والضرب.

٤- أَبْـيَـاتُـهَـا عَـنْ مِـائَـةٍ لَـمْ تَـزِدْ فَـقُـلْـتُ غَـيْـرَ آمِـنٍ مِـنْ حَـسَـدْ

أبياتها: أي الأرجوزة.

عن مائة: متعلق بقوله:

لم تزد: والجملة خبر أبياتها، والجملة صفة الأرجوزة كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [سورة الأنعام: ٩٢]. وكتب الألف في مائة؛ رفعًا للالتباس بمن الجارة[(٢)] مع ضمير الغائب عند عدم

---

(١) قد: حرف مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، لا يدخل إلا على الفعل المتصرف، والتحقيق أحد معانيها كما هنا، وكما في قوله تعالى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [سورة الشمس: ٩]، ولها معان أخرى منا: التقليل، أي تقليل وقوع الفعل، كقولهم: قد يجود البخيل، ومن معانيها: التكثير، كقوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤]، ومن معانيها: التوقع مع المضارع، كقولنا: قد يحضر المعلم، ومع الماضي، كقول المؤذن: قد قامت الصلاة؛ لأن الجماعة منتظرون لذلك، والسياق هو الذي يحكم المعاني ويوجهها.

(٢) في ب: عن إيجازه.

النقط[١] قاله علماء الرسم.

فقلت: عطف على أحببت[٢].

غير آمن: حال، وقوله:

من حسد: متعلق به؛ لأن كل ذي نعمة محسود[٣] ولكن الحسود لا يسود.

٥- فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِي سَلَامَتِهْ مِنْ نَفْرَةٍ فِيهِ، وَمِنْ غَرَابَتِهْ

[٣ أ]: **فصاحة المفرد:** أي ما ليس كلامًا فدخل فيه المركب غير المقيد بمقابلته به[٤].

---

(١) في ب: عند عدم النطّ.

(٢) في ب: أجبت، وهو تحريف واضح، لأن النظم: أحببت...

(٣) هذا من حديث صحيح للنبي ﷺ، نصه: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ قَالَ: نا سَعِيدُ بْنُ سَلَّامٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حدثنا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ مُعَاذٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ سَعِيدٌ. المعجم الأوسط للطبراني ٣/ ٥٥.

(٤) أشار الإمام عبد القاهر إلى أن الفصاحة والبلاغة كلمتان مترادفتان يلتقيان في معنى الظهور والإبانة فالبلاغة والفصاحة والبيان والبراعة عنده مما يُعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم، غير أن المتأخرين وجدوا بينهما فروقًا دقيقة تنطلق من المدلول اللغوي لكل منهما لأن الفصاحة في اللغة تعطى معنى الظهور والإبانة يقولون أفصح اللبن إذا زالت رغوته ومنه **«وتحت الرغوة اللبن الفصيح»** وأفصح الصبح إذا ظهر نوره وهذا يوم مفصح لا غيم فيه، وفي القرآن الكريم ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [سورة القصص: ٣٤]، أما البلاغة ففيها معنى الوصول والانتهاء لذا يقال بلغ الشيء غايته ومنتهاه، فهي تنهي المعني المراد إلى قلب السامع، ومِن ثَمَّ قالوا: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ كما سبق.

ويقول أبو هلال: والبلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن». ينظر: دلائل الإعجاز، ص٤٣. تحقيق الشيخ شاكر. وكتاب الصناعتين، ص١٩، تحقيق مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية.

فالفصاحة متعلقة بآلة البيان وتمامها، والبلاغة متعلقة بالمعنى وإنهائه إلى القلب.

والفصاحة: يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم، فيقال كلمة فصيحة وكلام فصيح ومتكلم فصيح أما =

وقدم الفصاحة على البلاغة؛ لتوقفها عليها، وفصاحة المفرد على فصاحة الكلام والمتكلم لذلك، وفصاحة المفرد على فصاحة الكلام، والمتكلم لذلك، وفصاحة: مبتدأ، خبره: متعلق قوله:

[شروط فصاحة المفرد]

في سلامته:[1] أي واقعة في خلوصه، وقد سلم بذلك مما وقع فيه من قال: فصاحة المفرد خلوصه إلخ من التسامح وتعلق بقوله في سلامته.

من نَفرة[2]: أي تنافر بين حروفه.

فيه: توجب ثقله على اللسان كما في: مستشزرات من قول الشاعر: **(الطويل)**

غدائره مستشزرات إلى العلا[3]

وسلامته **من غرابته:** أي كونه وحشيًا غير ظاهر المعنى ولا مأنوس الاستعمال، نحو: مسرج، في قوله: **(الرجز)**

وفـاحـمـا ومـرسـنـا مـسـرجـا[4]

= البلاغة فلا توصف بها الكلمة لأن الكلمة لا تتجلى بلاغتها إلَّا بين سياقها فلا يقال كلمة بليغة، ولكن يقال كلام بليغ ومتكلم بليغ ففيها خصوص وفي الفصاحة عموم، وهي شرط من شروط بلاغة الكلام، لذا عرَّفوا البلاغة تعريفًا اصطلحوا عليه فقالوا: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

(١) ومعناه أن تسلم الكلمة من: تنافر حروفها، ومن الغرابة، والمخالفة للقياس الصرفي.
وهذه الأمور تدعو إلى سهولة النطق وتداول الكلمة على ألسنة البلغاء واتفاقها مع القانون الصرفي.

(٢) في ب: من نفره.

(٣) من قول امرئ القيس يصف شعر محبوبته، والشطر الثاني منه:
تَضِلُّ المدارى في مُثَنًّى وَمُرسَلِ
والغدائر هي: الذوائب، أو الضفائر، **ومستشزرات** بمعنى: مرتفعات، والمدارى: جمع مدرى، وهي: الأمشاط، والمثنى: المفتول، والمرسل ضده.
فالكلمة وإن تقاربت مخارج حروفها إلَّا أنها ثقيلة على اللسان، والسمع أيضًا، وهذا يؤكد أن الذوق هو الذي يستشعر ذلك ويضبطه.

(٤) هذا شطر بيت للعجاج، وهو من قوله: **(الرجز في ديوانه ص ٣٦١)** =

أي كالسيف السريجي في الدقة، والاستواء، أو كالسراج في: البريق واللمعان.

٦- وَكَـوْنِـهِ مُـخَـالِـفَ الْـقِـيَـاسِ

و: سلامته من.

كونه مخالفَ القياس: اللغوي بأن يكون على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة.

أي: وعلى خلاف ما ثبت في ذلك[1] عن الواضع نحو: الأجلل[2] بفك الإدغام.

= أيـام أَبـدَت واضـحًـا مُـفَـلَّـجـا ... أَغَـرَّ بَـرّاقًـا وَطَـرفًـا أَدْعَـجَـا

وَمُـقـلَـةً وَحـاجِـبـا مُـزَجَّـجـا ... وَفـاحِـمًـا وَمَـرسِـنًـا مُـسَـرَّجـا

فكلمة (مسرجا) تحتمل معنيين أي أنفًا يشبه السيف السريجي دقة واستواء أو كالسراج في البريق واللمعان، وهذا نوع من الغرابة يوجب حيرة السامع في فهم المعنى لاحتمال اللفظ معنيين بدون قرينة ترشد إلى واحد منهما.

ومنها نوع آخر بمعنى أن تكون الكلمة غير مأنوسة الاستعمال عند العرب الخلص، وتحتاج إلى التنقيب في معاجم اللغة، ككلمة (اطلخم) بمعنى اشتد، وتمثلوا له أيضًا بقول عيسى بن عمر النحوي، وقد سقط عن دابته، فالتف النَّاس حوله: «**ما لكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة؛ افرنقعوا عني**» بمعنى: اجتمعتم. تفرقوا عني.

(١) (في ذلك) ليست في ب.

(٢) هذه كلمة من بيت لأبي النجم العجلي، يقول فيه: **(الرجز)**

الـحـمـد لـلـه الـعـلـى الأجْـلَـلِ ... الـواهـب الـفـضـلِ الـكـريـم الـمـجـزِل

والقياس (الأجلّ) بالإدغام، وليس هنا ما يسوغ فك الإدغام.

وكذلك جمع (طويل) على (طيال) في قول الشاعر: [**من الطويل**]

تَـبـيَّـن لـي أَنَّ الـقَـمـاءَة ذِلَّـةٌ ... وأَنَّ أَعـزَّاءَ الـرِّجـالِ طيـالُـهـا

والقياس (طوالها) بالتصحيح لأن الواو في (طويل) متحركة وليست معلة ولا شبيهة بالمعل.

وما جاء مخالفًا للقياس وله سبب فلا يدخل في هذا الباب كقول النبي ﷺ في تعويذه للحسن والحسين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامّة**» والقياس ملمة أي: موقعة في اللمم، وهو ما يعترى بعض النَّاس من خبل، ولكنه قال (لامة) لمناسبة الألفاظ السابقة لها (تامة، وهامة)، فإذا سلمت الكلمة من هذه العيوب فهي فصيحة، وإن أصيبت بواحد منها كان ذلك عيبًا مخلًا بفصاحتها.

أما ما خالف قانون مفردات الألفاظ وجاء عن الواضع كذلك، فمقبول كآل وماء، وأبى يأبى[١]، وعور يعور[٢].

[فصاحة الكلام]

٦- .... ثُـمَّ الْـفَـصِـيْـحُ مِـنْ كَـلَامِ الـنَّـاسِ

٧- مَـا كَـانَ مِـنْ تَـنَـافُـرٍ سَلِيْمَا وَلَـمْ يَـكُـنْ تَـإلِـيـفُـهُ سَـقِـيْـمَا

٨- وَهْـوَ مِـنَ التَّعْقِيْدِ أَيْضًا خَالِي

ثم: بعد معرفة فصاحة المفرد:

فصاحة الكلام[٣]

أي ما فيه الإسناد، والإفادة، ولضيق النظم عن الإتيان بها عرف فصاحة الفصيح، ومنه يلزم من معرفتها فيه معرفتها في الكلام؛ لأن الأصل: تساوي المشتق، وما اشتق منه في الشروط والاعتبارات فقال:

الفصيح من كلام الناس ما: أي المركب الإسنادي المفيد الذي **كان من تنافر**: متعلق بقوله:

---

(١) في الأصل: وأبا يأبا هكذا بالألف الممدوة.

(٢) أي أن القانون الصرفي... قد يخالف... وتكون الكلمات فصيحة، وذلك كما في آل، وماء، أصلها: أهل، وموه، أبدلت الهاء فيهما همزة، وإبدال الهمزة من الهاء - وإن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

وكذلك (عور يعور) موافق لما ثبت عن الواضع، مخالف لقانون التصريف إذ القياس: عار يعار بقلب الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فتصبح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع» ينظر حاشية الدسوقي على شروح التلخيص١/ ١٢.

(٣) هذا يعني خلو الكلام من: تنافر الكلمات، ومن ضعف التأليف، ومن التعقيد بنوعيه: اللفظي، والمعنوي.

سليمًا أي: سالمًا من تنافر الكلمات؛ لثقلها على اللسان، وإن كان كل منها فصيحًا[١].

نحو[٢]: (الرجز)

وقبر حرب بمكانٍ قفر وليس قربَ قبر حرب قبر

وعطف على ما كان سليمًا كأنه قال: ما كان سليمًا الذي هو في معنى[٣] لم يكن متنافرًا

قوله:

ولم يكن تأليفه سقيمًا: ويجوز عطفه على خبر كان، وهو (سليمًا)[٤]، كأنه قال: ما كان سليمًا من تنافر الكلمات.

---

(١) أي أن تنافر الكلمات: وصف فيها مجتمعة يوجب ثقلها على اللسان وتنفر من سماعها الآذان، وإن كان كل منها فصيحًا، **وهو على نوعين:**
أ - ما هو متناه في الثقل، ومنشأ ذلك الثقل «التقاء مجموع كلمة من مجموع الأخرى بمعنى أن تلتقي عدة كلمات حروفها التي تكون كلامها واحدة، فيتماثل الصوت والجرس مكررًا - على نحو ما في البيت المذكور هنا. ينظر: مواهب الفتاح ١/ ٩٩ ضمن شروح التلخيص.

(٢) قيل إن قائل هذا البيت جني، صاح على حرب بن أمية في فلاة فمات وواضح ما في الشطر الثاني للبيت من ثقل حتى إنهم قالوا: لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتعتع. مواهب الفتاح١/ ٩٩. وهو موجود في جل كتب البلاغة والنقد دون عزو.
ب - والنوع الآخر دون سابقة في الثقل، ومنشؤه «اجتماع بعض حروف كلمة مع حروف من الأخرى»، كما في قول أبي تمام في قصيدة من الطَّوِيل يمدح بهَا أَبَا الْغَيْث مُوسَى بن إِبْرَاهِيم وَيعْتَذر إِلَيْهِ وأولها:

شهدتُ لقد أقْوتْ مَعالمكم بَعدِي ومحَّتْ كَمَا محَّتْ وشائعُ مِنْ بُرد

وأنجدتُمُ من بعد اتهام داركم فيا دمع أنجدني على سَاكِني نجدِ

ديوانه ٢/ ١١٦، وأخبار أبي تمّام ص ٢٠٤، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي ١/ ٣٥. **ومن الطويل أيضا:**

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

وليس الثقل الذي وصل بالبيت إلى أن صار معيبًا ناشئا عن اجتماع الحاء والهاء في «امدحه» لأن مثل ذلك وقع في القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [الإنسان: ٢٦] وإنما منشأ الثقل من التكرار على التوالي.

(٣) في ب: في المعنى.

(٤) أي أن (سليما) خبر كان.

وسقم التأليف أي: ضعفه؛ بأن يكون تأليفه على خلاف القانون النحوي المشهور بين الجمهور، كالإضمار قبل الذكر لفظًا، ومعنى، وحكمًا، نحو: ضرب غلامه زيدًا[١].

وهو من التعقيد أيضًا: بالنصب مصدر، أو حال، كلمة[٢] تقال بين شيئين بينهما اتفاق في المعنى، ويمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، والظرف متعلق بقوله:

خالي: وهو[٣] خبر الضمير، والوقوف عليه بالياء الساكنة - مع نكارته - لغة، والجملة

---

(١) فضعف التأليف هنا جلي من عود الضمير على متأخر، وجوزه بعض النحاة، وبعض اللغويين: كابن مالك وابن جني، مستدلين بقول الشاعر: (الطويل)

جــزى ربُّــه عــني عــدي بــن حــاتــم ... جــزاء الـكـلاب الـعـاويـات وقـد فعل

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر جزى، كما في قوله تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [سورة المائدة: ٨]». أي العدل. **ينظر**: شروح التلخيص ١/ ٩٨. والبيت منسوب لأبي الأسود الدُّؤَلي في ديوانه ص ٤٠١، وللنَّابغة في الخصائص لابن جني ١/ ٢٩٥، يدعو الشاعر على عدي بأن يجزيه شرًّا كجزاء الكلاب العاويات التي تضرب وترمى بالحجارة، ثم يقول الشاعر. بل قد حصل هذا الجزاء فعلًا وأصبح حقيقة لا دعاء.

والشاهد في البيت قوله: «جزى ربه عني عدي بن حاتم»، فقد رجع الضمير إلى المفعول المتأخر في اللفظ كما هو متأخر في الرتبة. **ومثل هذا البيت قول سليط بن سعد: (البسيط)**

جــزى بـنـوه أبـا الـغـيـلان عـن كبر ... وحـسـن فـعـل كـمـا يـجـزى سـنـمـار

ومثله: (الطويل)

ألا لـيـت شـعـري هـل يـلـومـن قـومـه ... زهـيـرا عـلـى مـا جـرّ مـن كـل جانب

وفي معنى البيت قول النابغة: (الطويل)

جـزى الـلـه عـبـسًـا عـبـس آل بغيض ... جـزاء الـكـلاب الـعـاويـات وقـد فعل

ومن ضعف التإليف: (الطويل)

فـلـو أن مـجـدًا أخـلـد الـدهـر واحـدًا ... من الناس أبقى مجده الدهر «مطعما».

ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ١/ ٢٩

وكذلك إذا جاء الضمير متصلًا بعد (إلّا) كقول المتنبى: **(الخفيف)**

لَـيـسَ إِلَّاكَ يـا عَـلِـيُّ هُـمـامٌ ... سَـيـفُـهُ دونَ عِـرضِـهِ مَـسـلـولُ

والمشهور عند النحاة أنها لا يليها إلّا الضمير المنفصل.

(٢) يقصد كلمة: أيضا.

(٣) الضمير يعود على قوله: خالي.

في محل الحال من ضمير كان.

والتعقيد: كون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد[(١)]، كما ينشأ ذلك عن الخلل الواقع في نظم الكلام بالتقديم، [٣ب] أو التأخير، أو الحذف؛ كما في قوله[(٢)]:

---

(١) فالتعقيد: يفهم من لفظه أنه الكلام الذي يلتوى به المعنى ويغمض به القصد، ولذلك عرفه البلاغيون بقولهم: (**ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه**) وينقسم قسمين لفظي ومعنوي، وبيانهما كما يأتي:

- **التعقيد اللفظي**: عيب يخل بفصاحة الكلام، ويجعله غير واضح الدلالة على المعنى المراد بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني، كالشاهد الذي ذكره الشارح هنا.

(٢) أي الفرزدق يمدح إبراهيم المخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك (الطويل):

ومَا مِثْلُهُ في النَّاسِ إلا مُمَلَّكًا ... أبُو أمِّهِ حيٌّ أبُوه يُقاربه

يريد أن يقول: إن ممدوحه قد بلغ من الفضائل مبلغًا لم يلحقه فيه أحد من الأحياء إلَّا حيٌّ واحد له صلة بهذا الممدوح، فهو ابن أخته، وهو ملك أيضًا، فالذي يماثل المخزومي في الفضائل ابن أخته والترتيب الصحيح للبيت: وما مثله في النَّاس حيّ يقاربه إلَّا مملكًا أبو أمه أبوه.

نلحظ هنا أنه:

١- فصل بين المبتدأ (أبو أمه) وخبره (أبوه) بأجنبي وهو كلمة (حي).

٢- فصل بين (حي) والجملة الواقعة نعتًا لها وهي (يقاربه) بكلمة أبوه.

٣- قدم المستثنى (مملكا) على المستثنى منه (حي) ولهذا نصب وجوبًا، وكل واحد من هذه الأمور جائز لدى جمهور النحاة، ولكن اجتماعها على هذا النحو أحدث لبسًا والتواءً تنأى عنه البلاغة.

وكذلك قول الفرزدق أيضًا يمدح الوليد بن عبد الملك: (الطويل)

إلى مَلِكٍ ما أمُّه مِن مُحَارِبٍ ... أبُوه وَلا كانَتْ كُلَيْبٌ تُصاهِرُهْ

يريد إلى ملك أبوه من محارب وليست أمه، فأبهم المعنى بسبب التقديم والتأخير.

ويلاحظ هنا أن الشارح اكتفى بالتعقيد اللفظي، ولم يلتفت إلى التعقيد المعنوي، وهو: خلل يتعلق بالمعنى وهو: ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرًا، وتمثلوا له بقول العباس بن الأحنف: (الطويل)

سأطلبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكم، لتقربُوا ... وتَسْكُبُ عينايَ الدُّموعَ لتجمُدا

عبر أولًا بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن فأصاب وأحسن لأن البكاء أمارة الحزن عادة، ثم عبر ثانيًا بقوله (لتجمدا) وأراد به الكناية عن السرور والبهجة فأخطأ؛ لأن جمود العين بخلها =

[وَمَا مِثْلُهُ في الناسِ إلا مُمَلَّكًا أبُـو أمِّـهِ حـيٌّ أبـوه يُقاربه]

أي ليس مثله في الناس[1] حيّ يقاربه إلا مملك أبو أم المملك أبو الممدوح.

ولما كان التعقيد إنما حصل، ولو احتمالًا من مجموع التقديم، والتأخير، والفصل الواقع في البيت، لم يبق فيه ضعف التأليف عن قيد الخلو عن التعقيد؛ لجواز حصول التعقيد من مجموع أمور، وإن كان منها جاريًا على القانون النحوي.

وبقي على النظم من شروط فصاحة الكلام فصاحة مفرداته، ولكنه لضيق النظم ومزيد الاختصار ترك قيودًا؛ اعتمادًا على توفيق الاستناد على ذلك.

[البلاغة]

٨- .... وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ

٩- فَهُوَ الْبَلِيْغُ وَالَّذِيْ يُؤَلِّفُهْ وَبِالْفَصِيْحِ مَنْ يُعَبِّرْ نَصِفُهْ

وإن يكن أي: الكلام الفصيح المجتمعة شروط فصاحته[2].

= بالدمع وقت الحاجة، كما **قالت الخنساء: (المتقارب)**

أَعَيْنَيَّ جُودا وَلا تَجْمُدا أَلا تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَدى

فإذا خلت الأساليب من هذه العيوب فهي فصيحة، وإلَّا اختلت فصاحتها.

(١) من أول البيت إلى هنا متروك من (أ) وفي بداية الصفحة طمس على جزء من الكلام..

(٢) أي الذي سبقت شروط فصاحته، إن كان مطابقا للحال يسمى بليغا، وقائله بليغ كذلك.

ويلاحظ هنا: أنه تحدث عن فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام، وترك فصاحة المتكلم، واستكمالا للبيان يجب التعريف بفصاحة المتكلم، وهي: ملكة يقتدرُ بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح كما قال البلاغيون.

وهذه الملكة هي الموهبة التي يستطيعها الإنسان بالممارسة للأساليب العربية والمعايشة لها حتى يتمكن من تأليف كلام يخلو من هذه العيوب.

وقد رأينا بذلك أن الفصاحة تصلح وصفًا للكلمة والكلام والمتكلم، بخلاف البلاغة فلا تكون إلَّا للكلام والمتكلم أما الكلمة المفردة فلا توصف بالبلاغة إلَّا إذا أريد بها القصيدة أو الخطبة أو المقولة كما نقول تكلم فلان في هذه المناسبة كلمة بليغة...

مطابقًا للحال: وهو[١] الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام المؤدى به أصل المراد خصوصية مّا.

وهي: مقتضى الحال[٢].

مثلًا كون المخاطب منكرًا: حال يقتضي تأكيد الحكم.

والتأكيد: مقتضى الحال، وقوله: إن زيدًا في الدار، مؤكدًابأنّ[٣]: كلام مطابق لمقتضى الحال[٤].

ولا يخفي الجناس المصحف[٥] بين العروض والضرب[٦]، ولا يغير فيه اختلافهما تعريفًا وتنكيرًا.

---

(١) أي الحال، فهذا تعريفه.

(٢) في هذا التعريف ثلاثة أشياء: وهي: الحال، ومقتضى الحال، والمطابقة لمقتضى الحال.
فالحال: هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، **ومقتضى الحال**: هو تلك الخصوصية، **والمطابقة لمقتضى الحال**: إيراد الكلام مشتملًا على تلك الخصوصية. ينظر: شروح التلخيص ١/ ١٢٢.

(٣) في (ب) فإنه كلام.

(٤) أي أن الإنكار حال، وهذه الحال «الإنكار» تستدعي التوكيد المناسب لإنكاره وهذا التوكيد هو مقتضى الحال، وإيرادك الكلام مشتملًا على التوكيد هو المطابقة لمقتضى الحال، والمطابقة تعني المطابقة لحال النفس والشعور، والحال هو الذي يدعو المتكلم إلى أن يعتبر في كلامه خصوصية ما.
ومقتضى الحال - كما قال الخطيب - مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الإطناب والمساواة وكذلك خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام.

(٥) التصحيف: هو زيادة نقاط، أو حذف نقاط من الكلمة أثناء الكتابة، ومنهم من يسميه جناس الخط، وهو: ما تماثل ركناه خطًّا واختلفا لفظًا، والمقدم في هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الشعراء: ٧٩-٨٠].

(٦) أي عروض بيت الناظم، وضربه، وهو:

٨- وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ   وَهْوَ مِنَ التَّعْقِيْدِ أَيْضًا خَالي

ومن الجناس المصحف: قوله - ﷺ -[١] «ارفع إزارك فإنه أتقى، وأبقى[٢]، وأنقى» وقول لسان حالنا في قصور هيآتنا في معانينا، وبياننا: على قدري غلا قدري[٣].

وجواب إن يكن:

فهو - الكلام - **البليغ**: والنظم البليغ:

الذي يؤلفه؛ أي مركب الكلام البليغ المتقدم مع ما يعتبر[٤] لبلاغته.

وفي التعبير به إيماء إلى حصول الملكة حتى يقدر بها على تأليف ذلك متى أراد[٥].

أما من حفظ كلامًا بليغًا أو نظمه إنطاقًا من غير حصول ملكة له به فلا يسمى بليغًا، ولا توصف الكلمة بالبلاغة وكذا لم يذكره النظم[٦].

وصف المتكلم:

وبالفصيح من: أي ذا ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح مفردًا، أو كلامًا، وهو مراده بقوله:

يعبر: به أنه أي نائبًا عنها فيقتدر به على ذلك أي وقت أراد، وقوله:

نصفْهُ[٧]: مفسر للعامل في (من)، ويجوز إعراب (من) مبتدأ، والجملة الطلبية خبرها،

---

(١) قيل: قوله لعلي بن أبي طالب -كرم الله وجهه - ، ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ١/ ٨٦، والحديث في شعب الإيمان للبيهقي ٨/ ٢٢٨، ومصنف ابن أبي شيبة ٥/ ١٦٦ لغير علي بن أبي طالب.

(٢) قوله: (وأبقى) محذوفة من (ب)

(٣) الجناس هنا بين: علا، وغلا. كما سبق.

(٤) في (ب) مع يعتبر لبلاغته.

(٥) بلاغة المتكلم: ملكة يستطيع بها أن يعبر عما في نفسه تعبيرًا بليغًا ينهي المعنى إلى قلب السامع في أي وقت شاء وأي معنى أراد.

(٦) يقصد في منظومته، وقد سبق بيان أن الكلمة لا توصف بالبلاغة إلا إذا قصد بها الكلام، نحو قولنا: كلمة بليغة، والمقصود خطبة مثلا...

(٧) في (ب) نصف.

والأصل: صفهُ، بضم الضمير فنقل إلى التاء للضرورة، وقريب منه في نقل حركة الضمير لما قبله قول العرب بالفضل ذو[١] فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله به، أي بها، نقلت حركة الهاء إلى الباء، ثم حذفت الألف لملاقاة الهاء الساكن، وهي ساكنة، وقول الشاعر: (الطويل)

ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعْله[٢]

بفتح اللام أصله: أفعلها ففعل به كما ذكر.

*** تنبيه:**

أكد: (يعبرن)[٣] بالنون الخفيفة مع عدم وقوعه في طلب، ولا جواب قسم، ولا شرط تامًا، ولعله لداعي الضرورة إليه.

[انحصار الخبر في: الصدق والكذب]

١٠- وَالصِّدْقُ أَنْ يُطَابِقَ الْوَاقِعَ مَا يَقُولُهُ، وَالْكَذِبُ أَنْ ذَا يَعْدَمَا

والصدق: الذي هو من أوصاف الخبر المعرف بأنه ما احتمل التصديق والتكذيب لذاته.

أن يطابق: أي يوافق.

الواقع: مفعول مقدم وهو الخارج الذي يكون لنسبة الكلام الخبري. والفاعل:

ما يقوله: أي مقوله، ويجوز كونه موصولًا اسميًا حذف منه عائده والمراد منه الخبر.

---

(١) في (ب) ذوا.

(٢) في (ب): ونهنهت نفس ما كادت أفعله، وهو منسوب في الكتاب لسيبويه لعمرو بن جوين الطائي، والشطر الأول منه: فلم أرَ مِثْلَها خُبَاسَةَ واحدٍ، فحملوه على أ (نْ)؛ لأنّ الشعراءَ قد يَستعملون أَنْ ههنا مضطَّرين كثيرًا، ونهنهت بمعنى: كففت، والشاهد فيه: نصب (أفعله) بتقدير أن قبله. ينظر الكتاب والهامش ١/ ٣٠٧ تحقيق: عبد السلام هارون.

(٣) يقصد قوله في المنظومة: من يعبر صفه.

والكذب: الذي هو ضده.

خلافه: فهو عدم مطابقته الواقع، ولكون تعريفهما المذكورين هو الراجح عند القوم أكد ذلك الناظم بقوله:

اعلما: والألف فيه بدل من نون التوكيد الخفيفة[١].



(١) **لخص الخطيب هذه المسألة فقال**: اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ثم اختلفوا:

١ - فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، هذا هو المشهور وعليه التعويل.

٢ - وقال بعض الناس: صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر، صوابًا كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له.. الإيضاح ١/ ٦١..

[علم المعاني]

١١- وَعَـرَبِـيُّ الـلَّـفْـظِ ذُو أَحْـوَالِ   يَـأْتِـي بِـهَـا مُـطَـابِـقًـا لِـلْـحَـالِ
١٢- عِـرْفَـانُـهَـا عِـلْـمٌ هُـوَ الْـمَـعَـانِيْ   مُـنْـحَـصِـرُ الأَبْـوَابِ فِـي ثَـمَـانِ

وعربي اللفظ: [٤ أ] من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي واللفظ العربي.

ذو: أي صاحب.

أحوال:[1] وبمعناها: المقامات، إلا أن التغاير بينهما بحسب الاعتبار، وهو أنه يتوهم في المحال كونه زمانًا لورود الكلام، وفي المقام كونه محلًا له.

يأتي: اللفظ العربي.

بها: بسببها أو بمصاحبتها.

مطابقًا للحال: فيكون اللفظ حينئذٍ بليغًا.

عرفانها: أي معرفة تلك الأحوال.

علم: من العلوم والتنوين فيه للتعظيم بدليل وصفه بجملة.

---

(١) هذا مستنبط من قول علماء البلاغة: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال.
ومباحثه قائمة على مباحث نحوية، ولكن دراسته لها تناولت الكلام من جهات جماله وأسرار تعبيره بخلاف علم النحو الذي يدرس الجواز والوجوب والامتناع، **ومن ثَمَّ قالوا**: البلاغة تدرس معاني النحو.
كما ذكروا أيضا: أنه قُدِّم على علم البيان؛ لكونه بمنزلة المفرد من المركب؛ لأن رعاية المطابقة معتبرة في علم البيان، مع زيادة شيء، وهو إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة. يراجع الإيضاح.

هو المعاني: أي علمه، فعلم المعاني:

علم أي: ملكة يعرف بها أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، أي يستنبط به إدراكات جزئية، أي معرفة كل فرد من جزئيات الأحوال التي يطابق بها اللفظ مقتضى الحال.

وخرج بذلك: معرفة الأحوال التي يعرف بها الصحة، والإعلال، أو الإعراب، والبناء بما لا بد منه في تأدية أصل المعنى، وكذا المحسنات البديعية مما يكون بعد مراعاة المطابقة.

منحصر الأبواب: خبر ثان للضمير، أو صفة علم، ويجوز قراءته منصوبًا حالًا مما قبله، ويتعلق بالوصف[١]،

قوله: **في ثمان**: أي ثمانية أبواب، وحذف التاء لحذف المعدود كما في الحديث: (من صام رمضان وأتبعه ستًّا من شوال)[٢]، وهي:

١. أحوال الإسناد الخبري.
٢. أحوال المسند إليه.
٣. أحوال المسند.
٤. أحوال متعلقات الفعل[٣].
٥. الإنشاء.
٦. القصر
٧. الفصل الوصل.
٨. الإيجاز والإطناب والمساواة.

---

(١) على الهامش الأيمن: أو صفة علم، والعبارة في الصلب في نسخة (ب).

(٢) الحديث في المسانيد، والجمع بين الصحيحين ١/ ٤٢٢

(٣) في (ب) الفعل العرضي.

ووجه الحصر فيها:

أن الكلام إما[1] خبر، و[وإما] إنشاء؛ لأنه إن كان للنسبة خارج يطابقه، أو لا يطابقه فخبر، وإلا فإنشاء.

والخبر لا بد له من: مسند، ومسند إليه، وإسناد، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلًا، أو ما في معناه، وكل من الإسناد، والتعليق إما بالقصر، وبغير قصر وكل جملة قرنت بأخرى معطوفة، أو غير معطوفة، والكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة، أو غير زائد[2].



(١) (إما) محذوفة من (ب). وهو الأصوب؛ لأنه كان يجب تكرار إما فيقول: إما خبر، وإما إنشاء.

(٢) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٣٨ فهذه هي الأبواب الثمانية والهدف من دراسة هذه الأبواب ومعرفتها بيان خصائص كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والسر الذي من أجله صار القرآن معجزًا مع أنه كلام كالكلام تألف من نفس الحروف التي تركب منها كل كلام.

[الباب الأول:
أحوال الإسناد الخبري][1]

١٣- إِنْ قَصَدَ الْمُخْبِرُ نَفْسَ الْحُكْمِ فَسَمِّ ذَا فَائِدَةً، وَسَمِّ

١٤- إِنْ قَصَدَ الإِعْلَامَ بِالْعِلْمِ بِهِ لَازِمَهَا،................

---

(١) يلاحظ أنه بدأ في ذكر أحوال الإسناد دون أن يعرف القارئ به، وللإحاطة بمعرفته تيسيرا لفهمه أبين ذلك من خلال كلام العلماء، وذلك كما يأتي:

أحوال الإسناد الخبري

١ - أغراض الخبر.

٢ - أضرب الخبر.

٣- التجوز في الإسناد.

لا ريب أن الأديب لا يصل إلى غرضه من الكلمة الواحدة بل من ضم الكلمات بعضها إلى بعض وارتباط ثان منها بأول ارتباطًا يجنى منه غرضه ويصل من خلاله إلى بغيته، ومِن ثَمَّ فقبل أن نقف عند أحوال الإسناد يجب أن نعرف ما الإسناد؟

الإسناد: ضم كلمة أو ما يجرى مجراها إلى أخرى أو ما يجري مجراها بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه.

ومن هنا تتجلى قيمة الإسناد في اللغة عامة، والبلاغة خاصة حيث يبين الصلات والأواصر بين الكلمات والعبارات، ذاك الذي يكشف عن خوالج النفوس، ويفصح عن مطاوي العقول والقلوب.

فالمسند يضم للمسند إليه فيعطي معنى كقولنا: مثلًا محمد مجتهد بإسناد الاجتهاد إلى محمد، وعليّ ليس بخيلًا، بإسناد البخل المنفي إلى عليّ ولذا كان التعريف شاملًا للمثبت والمنفي.

ويقصدون بقولهم: أو ما يجري مجراها، الجملة التي تحل محل المفرد، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا ﴾ [سورة العنكبوت: ٥١]، أي إنزالنا فهي جملة في محل رفع فاعل يكفهم حيث أسند الفعل إلى المصدر المنسبك من «أن» وما دخلت عليه، وكذلك عليّ حضر فالفعل والفاعل في محل رفع خبر.

[أغراض الخبر: الفائدة - لازم الفائدة]

إن قصد المخبر: أي من قصد الإخبار.

نفس الحكم: أو إفادته لمخاطبه.

فسَمّ ذا: أي الحكم المقصود إفادته.

فائدة: أي فائدة الخبر.

وسم: أيها الصالح للخطاب، وياؤه للوصل، وكذا واوه لا يكتبان عند علماء الوصل بخلاف ألفه والجملة دليل جواب.

إن قصد الإعلام: لمخاطبه.

بالعلم: أي علم المتكلم.

به: أي بالحكم، أي حصول صورته في ذهنه.

لازمها: ثاني مفعولي الفعل(١) الواقع في جواب الشرط، أي: فسمه لازمها، أي لازم فائدة الخبر؛ لأنه كلما أفاد الحكم أفاد أنه عالم، ولا عكس؛ لجواز كون الحكم معلومًا للسامع قبل الإخبار، كقولك لمن حفظ التوراة: حفظت التوراة.

وتسمية مثل ذلك فائدة الخبر بمعنى: أن من شأنه أن يقصد بالخبر ويستفاد منه(٢).

---

(١) كلمة: الفعل ساقطة من (ب).

(٢) بيان ذلك: لا شك أن قصد المخبر بخبره إمَّا الحكم، وإمَّا كونه عالمًا به، فالأول يسمى: الفائدة، والثاني يسمى: لازم الفائدة.
فإذا قلت لسامعك نجح محمد وهو لا يعلم فقد أفدته حكمًا لا يعلمه وهذا هو الأول وإذا كان يعلم ولكنك أردت إخباره بأنك تعلم ذلك كان هذا هو الثاني (لازم الفائدة).
وهذان هما الغرضان الأصليان للخبر، وله أغراض أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، ومعرفتها مهمة، منها: =

وسم جملة معترضة بين العاطف والمعطوف على: فسَمّه، وترك الفاء من جواب الثانية أي: فسمه لداعي النظم لذلك.

[أضرب الخبر]

١٤- .... وَلِلْمَقَامِ انتبِهْ
١٥- إنِ ابْتِدَائِيًّا فَلَا يُؤَكَّدُ أَوْ طَلَبِيًّا فَهْوَ فِيْهِ يُحْمَدُ
١٦- وَوَاجِبٌ بِحَسَبِ الإِنْكَارِ وَيَحْسُنَ التَّبْدِيْلُ بِالأَغْيَارِ

وللمقام انتبه: الواو استئنافية، وقدم الظرف؛ اهتمامًا به، أي: تنبه لمناسبة.

إن: كان.

ابتدائيًا: فإن كان المخاطب خالي الذهن [٤ ب] عن[1] الحكم والتردد فيه.

فلا يؤكد: لتمكن[2] الحكم في الذهن؛ حيث وجده خإليا[3].

= ١- التحسر على شيء محبوب، كقول الشاعر يتحسر على فقد الشباب: (الكامل)

ذَهَبَ الشَّبابُ فَما لَهُ مِن عَودَةٍ وَأَتى المَشيبُ فَأَينَ مِنهُ المَهرَبُ

٢- إظهار الضعف والتخشع كقوله تعالى حكاية عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [سورة مريم: ٤].

وكذلك قول الشاعر: (الوافر)

إلهي عبدُك العَاصِي أَتَاكَ مُقِرًا بالذُّنُوبِ وقد دعَاكَا

٣- التحذير نحو: **أبغض الحلال إلى الله الطلاق**».

٤- الفخر: «**إن الله اصطفاني من قريش**»

٥- الاسترحام والاستعطاف «**إني فقير إلى عفو ربي**».

وغير ذلك كثير توحي به المقاصد كالمدح والذم والسخرية والحث والإرشاد والوصف...

(١) في (ب) من الحكم.

(٢) في (ب) فلا يؤكد على الحكم.

(٣) الابتدائي هو الضرب الأول من أضرب الخبر، وأضرب الخبر من حيث التوكيد وعدمه يقصد بها مراعاة حال المخاطب، فإذا كان خالي الذهن من جهة ما يلقى عليه، أي ليس لديه شيء من العلم =

أو: كان بالمقام.

طلبيًا: بأن تردد المخاطب فيه؛ طلبًا له، كأن وقع في ذهنه طرف الحكم، وتردد في أن الحكم بينهما وقوع النسبة، أو انتزاعها.

فهو: أي التأكيد.

فيه: أي الكلام.

يحمد: ويحسن ليزيل المؤكد ذلك التردد، ويتمكن الحكم(١).

وقيد الجرجاني في دلائل الإعجاز: حسن التأكيد بحال ظن المخاطب بخلاف حكم المتكلم(٢).

= بطرفي الخبر: (المسند والمسند إليه) وكذا من التردد في الحكم الملقى إليه، وهذا يلقى إليه الكلام خاليا من التوكيد؛ لأنه والحالة هذه لا يحتاج إلى تأكيد، كقولنا نجح محمد وجاء عليّ، لمن لا علم له بالأمر، ويسمى هذا الضرب ابتدائيًّا.

والبلاغيون يستأنسون لهذه الحالة بقول الشاعر: (الطويل)

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليا فتمكّنا

وهذا شاهد معنى.

(١) وهذا هو الضرب الثاني من أضرب الخبر، ويسمى: طلبيا، لأنه متصور لطرفي الإسناد، متردد في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالب له؛ لذا حسن تقويته بمؤكد، كقولنا: إن محمدًا ناجح، ومن ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة يوسف: ٩٦].

(٢) وذلك في قوله: فإذا كان الخبرُ بأمْرٍ ليس للمخاطَبِ ظنٌّ في خِلافهِ البتَّةَ، ولا يكونُ قد عقد في نفسه أنَّ الذي تزعُم أنه كائنٌ غيرُ كائنٍ، وأنَّ الذي تزعُم أنه لم يكنْ كائنٌ فأنتَ لا تحتاجُ هناك إلى «إنَّ»، وإنما تحتاجُ إليها إذا كَان له ظَنٌّ في الخلاف، وعقد قلب على نفي ما ثبت أو إثبات ما ننفي. ولذلك تَراها تزدادُ حُسْنًا إذا كان الخبرُ بأمرٍ يَبْعُدُ مثْلُه في الظنِّ، وبشيءٍ قد جرتْ عادةُ الناسِ بخلافِهِ، كقول أبي نُوَاس: (الرجز)

عليكَ باليأسِ منَ الناسِ ... إنَّ غِنى نَفسِك في اليأسِ

فقد تَرى حُسْنَ موقعِها، وكيف قبولُ النفسِ لها، وليسَ ذلك إلَّا لأنَّ الغالِبَ على الناس أنهم لا يَحمِلون أنفسَهم على إليأس، ولا يدَعُونَ الرجاءَ والطمَعَ، ولا يعترفُ كلُّ أحدٍ ولا يُسلِّمُ أنَّ الغِنى في اليأس. =

وواجب: تأكيده.

بحسب الإنكار: قوة وضعفًا: إن كان المخاطب منكرًا للحكم، نحو قوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ[١] كُذبوا في **المرة الأولى**: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [سورة يس: ١٤]. مؤكدًا بإن واسمية الجملة، **وفي الثانية** ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [سورة يس: ١٦]، مؤكدًا بالقسم، وإن، واللام، واسمية الجملة؛ لمبالغة المخاطبين في الإنكار؛ حيث قالوا ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾ [سورة يس: ١٥]، **ويسمى هذا الثالث** إنكاريًا[٢].

***

= فلمَّا كان كذلك، كان الموضعُ مَوْضعَ فقرٍ إلى التأكيدِ، فلذلك كان من حُسْنها ما تَرى. دلائل الإعجاز ص٣٢٥ تحقيق شاكر.

(١) في (ب) لما كذبوا.

(٢) وهذا هو الضرب الثالث من أضرب الخبر، وبيانه مع الشاهد الذي ذكره: أنه إن كان منكرًا للخبر وحاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب حالة الإنكار ليثبت المعنى في نفسه، وخير شاهد ساقه البلاغيون على ذلك قوله تعالى ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [سورة يس: ١٣-١٦]. تأمل ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ في قول الرسل للمنكرين تراه مؤكدًا بإن وإسمية الجملة، وقد رد عليهم المنكرون بقولهم: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا...﴾ (لزعمهم أن الرسول لا يكون بشرًا وطال عنادهم وجحدهم وتكذيبهم كما حكته الآيات فكان رد الرسل مناسبًا لقدر هذا الإنكار فقالوا: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ مؤكدين بـ إن واسمية الجملة واللام فضلًا عن تصديرها بما يوحي بالقسم ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾.

ومِن ثَمَّ نلحظ أن عناصر التوكيد تزداد بقدر الإنكار، وهذا هو معنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكل هذا إخراج للكلام على ظاهر الحال الذي له ثبوت في الواقع فيلقى له الكلام بحسب هذه الحالة فإن كنت تبتدئ المعنى في نفسه فلا تأكيد وإن كنت تواجه ترددًا احتجت إلى مؤكد استحسانًا وإن كنت تواجه إنكارًا جاء التأكيد على قدر الإنكار.

[مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر][١]

ويحسن التبديل بالأغيار: فينزل الشيء منزلة غيره، ويعامل معاملته.

[تنزيل غير المنكر منزلة المنكر]

فينزل العالم غير العامل[٢] منزلة الجاهل، فيلقى إليه الخبر، وإن كان عالمًا بفائدته، ويقال للعالم التارك للصلاة: الصلاة الواجبة، فإن من لا يجري على مقتضى حال علمه هو والجاهل سواء[٣].

[تنزيل السائل والمنكر منزلة غيرهما]

وينزل السائل والمنكر منزلة غيرهما، فيستغنى عن التأكيد، ولا يجب، فمثاله في السائل: قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ﴾ [سورة آل عمران: ٣٧].

ومثال جعل المنكر كغيره قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [سورة البقرة: ٢]، وذلك لأن معه من معالم إعجاز القرآن ما لو تأمّله لارتدع عن الإنكار، فنزل التأكيد لذلك[٤].

---

(١) قد يجري الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب بمعنى أن المتكلم لا يعتد بواقعه الظاهر، وإنما يجري على أمور يعتبرها؛ يساعد عليها السياق، والمقام، وجرى ذلك في كلامهم على المسائل المذكورة.

(٢) (غير العامل) محذوفة من (ب).

(٣) معنى ذلك: أن ينزل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار ومن شواهد البلاغيين في ذلك: قول حجلة بن نضلة الباهلي: (السريع)

جاء شقيق عارضًا رمحه ... إن بني عمك فيهم رماح

فهو لم ينكر رماح بني عمه، ولكن هيأته في وضع رمحه عرضًا غير مكترث بهم تجعله في منزلة المنكر الذي لا يبالي بغيره، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحج: ٧]، فهذه أمور غير منكرة ولكن واقع المسلمين وتصرفاتهم تجاه هذه الأمور تجعلهم كأنهم منكرين لها لعدم العمل لمقتضاها.

(٤) أي أن تنزيل المنكر منزلة غيره تتأتى إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار كما يقال لمنكر الإسلام: =

وقد نزل غير السائل منزلة السائل، وغير المنكر منزلة المنكر.

فالأول: إذا قدم له ما يلوّح بالخبر، فيستشرف غير السائل بخصوص حكم الخبر استشراف المتردد الطالب، فيحسن تقويته بمؤكد نحو قوله تعالى ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة هود: ٣٧]؛ لأن قوله ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ ملوح مع قوله قبله ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ بالخبر تلويحًا، ويشعر بأنهم حق عليهم العذاب، والإغراق لما كان نوعًا مخصوصًا من العذاب، ورد أنهم مغرقون مؤكدًا كما يرى.

والثاني: إذا لاح عليه شيء من علامات الإنكار كقوله: (السريع)

جاء شقيق عارضًا رمحه إن بني عمك فيهم رماح

وهو لا ينكر أن فيهم رماحًا، لكن مجيئه واضعًا رمحه على العرض من غير التفات إليهم: أمارة اعتقاد أنهم عزل، فخوطب خطاب الالتفات بقوله: إن بني عمك فيهم رماح.

[الحقيقة العقلية والمجاز العقلي]

١٧- وَالْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ مِنْ أَسْنَدَه لِمَا لَهُ فِيْ ظَاهِرٍ ذَا عِنْدَهُ

١٨- حَقِيْقَةٌ عَقْلِيَّةٌ، وَإِنْ إِلَى غَيْرِ مُلَابِسٍ مَجَازٌ أُوِّلا

والفعل: مطلقًا.

= **(الإسلام حق)** بدون تأكيد، مع أنه منكر؛ لأنه أمر أجلى من أن يحتاج إلى تأكيد، وكذا قوله تعالى في شأن القرآن الكريم: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ لأنه إنكار لا قيمة له، ولا يعتد به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٥- ١٦]». أكد الحق - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إثبات الموت تأكيدين - وإن كان مما لا ينكر، لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت؛ لتماديهم في الغفلة، والإعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل (ميتون) دون (تموتون) ليفيد ثبوت الموت، وأكد إثبات البعث تأكيدًا واحدًا - وإن كان مما ينكر - لأنه لما كانت أدلته ظاهرة؛ كان جديرًا بألا ينكر، بل إما أن يعترف به، أو يتردد فيه، فنَزّل المخاطبين منزلة المترددين تنبيهًا لهم على ظهور أدلته، وحثًا على النظر فيها، ولهذا جاء (تبعثون) جملة فعلية ليفيد التجدد والحدوث. ينظر بغية الإيضاح ١/ ٤٢...

أو معناه: من مصدر، أو اسم فاعل، أو مفعول، أو صفة مشبّهة، أو اسم تفضيل، أو ظرف، والفعل مبتدأ.

من(١): اسم موصول مبتدأ ثان على تقدير مضاف أي إسناد من.

أسنده: أفرد الضمير لأن العطف بـ"أو» وهي لأحد الشيئين، والجملة صلة من.

لما: أي لشيء من الفاعل والمفعول.

له: أي إلى الفاعل الذي هو أي: المذكور من الفعل، أو الوصف له كالفاعل في: ضرب زيد عمرا، والمفعول به في: ضرب عمرو، والضاربية لزيد والمضروبية لعمرو.

في ظاهر: من كلام المتكلم بأن نصب قرينة دالة على خلافه، وإن كان في الباطن غير معتقد له.

ذا: أي كونه في ظاهر.

عنده: [٥ أ] أي عند المتكلم وقوله:

حقيقة: خبر المبتدأ.

عقلية:(٢) صفة الخبر، **ودخل بقولنا عند المتكلم**:

---

(١) الرواية - كما في المنظومة - إن أسنده.

(٢) معنى ذلك أنه إذا أُسند الفعل أو معناه إلى فاعله الحقيقي كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الروم: ١٩]، فإنَّه يسمى حقيقة عقلية، وكما أن المجاز العقلي له مسميات - ما سيأتي - فكذلك الحقيقة العقلية، ذكر ذلك الساكي، وأوجز بيانها بقوله: وأما الحقيقة العقلية، وتسمى حكمية أيضا، وإثباتية، فهي: الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه، كقولك: أنبت الله البقل، وشفي الله المريض، وكسا خدم الخليفة الكعبة، وهزم عسكر الأمير الجند، وبنى عملة الوزير القصر.
وإنما قلت: ما عند المتكلم من الحكم فيه دون أن أقول ما في العقل من الحكم فيه: ليتناول كلام الدهري إذا قال أنبت الربيع البقل رائيا إنبات البقل من الربيع، وكلام الجاهل إذا قال شفي الطبيب المريض رائيا شفاء المريض من الطبيب؛ حيث عدا منهما حقيقتين مع كونهما غير مفيدين لما في العقل من الحكم فيهما. مفتاح العلوم ٣٩٩ تحقيق وتعليق: نعيم زرزور.

ما يطابق الاعتقاد دون الواقع.

وبقوله في ظاهر: ما لا يطابق الاعتقاد.

[أقسام الحقيقة العقلية]

وأقسام الحقيقة العقلية أربعة على ما يشمله تعريفها:[١]

الأول: ما يطابق الاعتقاد والواقع معا: كقول المؤمن أنبت الله البقل.

الثاني: ما يطابق الاعتقاد فقط: كقول الجاهل: أنبت الربيع البقل.

الثالث: ما يطابق الواقع فقط كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله: خلق الله الأفعال كلها.

الرابع: ما لا يطابقهما: كقولك: جاء زيد، وأنت تعلم دون مخاطبك أنه لم يجئ.

أما مع علم المخاطب ذلك فيجوز كونه حقيقة، أو مجازًا عقليًّا، جعل علم المخاطب بذلك قرينة أنه لم يرد ظاهره.

[المجاز العقلي]

وإن: وقع إسناد ما ذكر.

إلى غير: بالتنوين أي غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر، أي غير الفاعل في المبني للفاعل، وغير المفعول به في المبني للمفعول، سواء كان غيرًا في نفس الأمر، أو عند المتكلم في الظاهر.

ملابس: لمن الفعل، ومعناه متعلق به، سواء كان بواسطة حرف جر، أم بدونها فلا يشكل نحو: هو الأسلوب الحكيم[٢].

---

(١) عبارة: وأقسام الحقيقة العقلية أربعة ساقطة من (ب)

(٢) في (ب) الحكم.

إذ الأصل: هو الحكيم في أسلوبه فيكون مما بني للفاعل، وأسند للمفعول به، بواسطته حرف الجر.

وملابس بالجر صفة غير.

مجاز: خبر محذوف مع الفاء، أي فالإسناد حينئذٍ مجاز(١).

أَوّلا: بالبناء للمفعول، أي مجاز بالتأويل.

[مسميات المجاز العقلي]

ويقال له: مجاز عقلي، ومجاز حكمي، ومجاز في الإثبات، وإسناد مجازي(٢).

---

(١) أي أن المجاز العقلي هو: «إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي».
الإيضاح للخطيب القزويني ٩٨، أي: أن التجوز هنا تجوز في الإسناد أي في حكم يجرى على الكلمة وهي متروكة على ظاهرها، ومعناها مقصود في نفسه، فالمجاز ليس فيها، بل في الإسناد إليها، ولو كان فيها لكان مجازًا لغويًا كما سيأتيك في علم البيان - إن شاء الله تعالى - .

(٢) وقد أطلق العلماء على هذا المجاز أسماء كثيرة منها المجاز في الإسناد، وذلك لكثرة وروده في النسب الإسنادية، التي بين الفاعلين والأفعال، والتي بين المبتدأ والخبر.
ويسميه بعضهم: «المجاز الحكمي»، وقالوا في جه هذه التسمية: إنها نسبة إلى حكم العقل، أو نسبة إلى الحكم الذي هو أشرف أفراده - وأفراد المجاز طرفان ونسبة، والنسبة أشرف من الطرفين كما قالوا.
ويسميه بعضهم المجاز النسبي أي الواقع في النسبة.
ويسميه بعضهم المجاز في الإثبات، ولوحظ الإثبات وحده مع أنه يقع في النفي كقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [سورة البقرة: ١٦]؛ لأن النفي فرع الإثبات كما قال عبد الحكيم، ويسميه بعضهم المجاز في الجملة أو المجاز التركيبي؛ لأن موضعه التعلقات التي هي أساس التراكيب.
وأشهر أسمائه المجاز العقلي، ووجه هذه التسمية هي أن التصرف فيه يكون في أمر عقلي أي أنك حين تقول: حمتهم سيوفنا لا تكون متجوزًا في كلمة حمتهم؛ لأنها مستعملة في معناها الحقيقي، ولا تكون متجوزًا في كملة السيوف وإنما تجوزت في أن أسندت الحماية إلى السيوف، وهذا تصرف المتكلم وعقله، ويمكن أن يكون أحد الطرفين أو كلاهما مجازيا، ولكنك لم تدخله هذا الباب إلا للتصرف الذي وقع في الإسناد وهو تصرف عقلي. خصائص التراكيب أ د: محمد أبو موسى ١١٦.

[علاقات المجاز العقلي]

والملابسات: الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والمكان، والسبب.

نحو: عيشة راضية، فالوصف مبني للفاعل، مسند إلى المفعول به؛ إذ العيشة مرضية(١).

وعكسه سيل مفعَم، أي مملوء، مع أنه مالئ(٢).

---

(١) وهذا ما يسمى عند البلاغيين بعلاقة: المفعولية: بمعنى: إسناد ما بنى للفاعل إلى المفعول كما في الشاهد الذي ذكره، وهو من قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحاقة: ٢١].، فـ ﴿رَاضِيَةٍ﴾: اسم فاعل، وقد جاء في هذا التعبير القرآني إسناد الرّضا في كلمة «راضية» إلى العيشة، مع أنّ الراضي هو صاحبُ العيشة، إذْ يَرْضَى عن عيشته الحسنة، فالعيشة في الحقيقة مرضيّة.
والعلاقة الّتي صحَّحَت استخدام هذا المجاز العقلي كون العيشة محيطة بحياة صاحِبِها، ورضاهُ بها يُشيع الرّضا في كلّ ما يحيط به، والتحليل النفسيّ لهذا يكْشِفُ أنّ من كان سعيدًا فإنّه يرى الدنيا كلّها من حوله سعيدة، ومن كان حزينًا فإنّه يرى الدُّنيا كلَّها من حوله حزينة، وهكذا. البلاغة العربية ١/ ١٩٨ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفي: ١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ط: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
ومن شواهد ذلك قوله تعالى حكاية عن نوح وولده: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ﴾ [سورة هود: ٤٣] فـ ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى معصوم ولكنه أسند اسم الفاعل (وهو وصف يشبه الفعل) إلى ضمير اسم المفعول أي لا معصوم إلَّا من - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وكذا قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة الطارق: ٥-٦]. والماء لا يكون دافقًا إنما يكون مدفوقًا، فقد أسند اسم الفاعل إلى ضمير اسم المفعول، ومنه في الشعر قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر: (البسيط)

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لِبُغيَتِها ... وَاقعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطاعِمُ الكاسي

أي أنت المطعوم المكسو فلست أهلًا لطلب المكارم، فقد أسند اسم الفاعل إلى ضمير المفعول.

(٢) ويكون ذلك بإسناد المبنى للمفعول إلى الفاعل، فاسناد مفعم في شاهده هذا - وهو مبني للمفعول - إلى ضمير السيل، وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية، والسيل يفعم المكان أي يملؤه، والمكان هو الذي يفعم بفتح العين، ولكنهم تجوزوا في الإسناد فجعلوا السيل مفعمًا، ومثله: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ [سورة مريم: ٦١]، فقوله: مأتيا مبني للمفعول، ومسند إلى ضمير الوعد الذي هو فاعل في الحقيقة؛ لأن الوعد يأتي ولا يؤتى، ولكنهم تجوزوا وأسندوا اسم المفعول إلى ضمير الفاعل =

وجدّ جدّه(١).

ونهاره صائم(٢).

ونهر جار(٣)،

= للملابسة بين الفاعل الذي هو الوعد، والمأتي الذي هو معنى الفعل، وتسمى هذه علاقة الفاعلية أي أن المرفوع باسم المفعول فاعل لهذا الحدث، وله دلالاته، وكأن الوعد يأتيه الناس الذين يسيرون إلى قدر الله فيهم. ينظر جواهر البلاغة للهاشمي ص٤٩ وخصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسى ١٠٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الإسراء: ٤٥]، (فمستور) وصف مشبه للفعل لأنه اسم مفعول والحجاب لا يكون مستورًا وإنما يكون ساترًا فقد أسند اسم المفعول إلى ضمير الفاعل أي استعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل.

وكذا الشأن في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٥].

بإسناد المسؤولية إلى العهد وهي لصاحبه مبالغة في وجوب الالتزام به، وكأن العهد لشدة وثاقته بصاحبه صار مسئولًا والمسؤول هو صاحبه.

(١) هذا ما يسمى بعلاقة المصدرية وتكون بإسناد الفعل إلى مصدره، كقول الشاعر: (الطويل)

سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم ... وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

أسند الفعل جَدَّ بمعنى اجتهد إلى مصدره (جدهم) وليس هو الفاعل الحقيقي؛ لأن الفاعل الحقيقي يصدر من القوم الجادين، ولكنه أسند إلى المصدر من حيث المشابهة لتعلق الفعل بهما.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحاقة: ١٣].

أسند الفعل (نُفِخَ) المبنى للمجهول إلى مصدره (نفخة).

(٢) وتسمى العلاقة هنا: الزمانية، وذلك بإسناد الفعل إلى زمانه، كما تقول: نهاره صائم وليله قائم، وقول الشاعر: (الرجز)

فنام ليلي وتجلّى همّي

وكما في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة المزمل: ١٧] حيث أسند الجعل إلى اليوم (زمانه) والفاعل الحقيقي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لوجود مشابهة بينهما من جهة تعلق الفعل بهما، وسر التجوز هنا هو المبالغة في مدخلية اليوم وكأنه الفاعل الحقيقي، **وكذا قول الشاعر:** (البسيط)

هيَ الأمور - كما شاهدتَها - دوَلٌ ... مَن سرَّه زمنٌ ساءته أزمانُ

والزمن لا يسر ولا يسيء بنفسه ولكن بما يحدث فيه من أمور.

(٣) وتسمى العلاقة هنا: المكانية: وتكون بإسناد الفعل إلى مكان حدوثه كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا =

وبنى الأمير المدينة[١].

وإنما لم يذكر في الملابسات نحو الحال، ولا المفعول معه؛ لما علم من الإعراب من أن الفعل لا يسند إليهما.

[المجاز في النسب الإنشائية]

وهذا المجازي في الإنشائيات[٢] أيضًا، كقوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة غافر: ٣٦]، أي قصرًا، نسب إلى هامان البناء؛ لكونه سببًا آمرًا به، ولتصم نهاري، ولتجد جدك[٣].

[قرينة المجاز العقلي]

ولابد للمجاز العقلي من قرينة صارفة عن إرادة ظاهره؛ لأن المتبادر عند انتفائها هو الحقيقة[٤].

= ﴿ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ [سورة الأنعام: ٦]. فقد أسند الجري إلى الأنهار مع أنها مكان الجري والجاري هو ماؤها، **وكذا قوله تعالى:** ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ [سورة الزلزلة: ٢]، بإسناد الإخراج إلى الأرض للمشابهة بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي من جهة تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالحقيقي من جهة صدوره منه وبالمجازي من جهة وقوعه فيه.

(١) وتسمى العلاقة هنا السببية: ومعناها إسناد الفعل إلى سببه، فالأمير سبب في البناء فقط، وإنما يبني العمال، ومن شواهدها قوله تعالى في شأن المنافقين: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦]، فقد أسند الربح إلى التجارة لأنها سببه، والمجاز ليس في التجارة وحدها ولا في الربح وحده وإنما في إسناد الربح إلى التجارة وكذلك الشأن في قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة غافر: ٣٦]. وقول الشاعر: (البسيط)

إِنَّـا لَـمِـنْ مَـعْـشَـرٍ أَفْـنَـى أَوَائِـلَـهُـمْ ... قِـيـلُ الـكُـمـاة أَلا أَيْـنَ الـمُـحَـامُـونـا!

فقد نسب الإفناء إلى قول الشجعان والقول ما هو إلَّا سبب فقط.

(٢) في (ب) في الإنشاء.

(٣) أي أنه يكون في الأساليب الإنشائية كما يكون في الأساليب الخبرية، كما هو جلي من شواهده.

(٤) **والقرينة هي**: الأمر الذي ينقل الذهن من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي وهي إمَّا عقلية =

[أنواع القرينة]

والقرينة: إما لفظية، كقول أبي النجم[١]: (الرجز)

أفْنَـاهُ قِيلُ اللهِ للشَّمْسِ اطْلُعِي[٢]

بعد قوله: (الرجز)

مَـيَّـزَ[٣] عَـنْـه قُـنْـزُعًـا عَـنْ قُـنْـزُعِ ... جَـذْبُ اللَّيَالي[٤] أبطئ أوْ أسْـرعي[٥]

= وإما لفظية. ينظر شروح التلخيص ٤/ ٢٥.

(١) وَأَبُو النَّجْم اسْمه الْفضل بن قدامَة بن عبيد الله الْعجلِيّ وَهُوَ من رجاز الْإِسْلَام والفحول الْمُتَقَدِّمين فِي الطَّبَقَة الأولى مِنْهُم.

(٢) هَذِه الأبيات لأبي النَّجْم الْعجلِيّ من قصيدة من الرجز أَولهَا:

قـدْ أَصبَـحـت أم الْـخِـيَـار تَـدّعِـي ... عَـلـيّ ذَنـبـا كُـلـه لـم أصـنـع

مـن أَن رَأَتْ رَأسِـي كـرأس الأصلع

والشطر الثاني منه:

حَـتَّـى إِذَا وَاراكِ أفُـقٌ فـارجعي

(٣) ميز هنا بمعنى: أزال، ولذلك استعمل (عن) ولم يقل: من، كقوله تعالى: ليميز الخبيث من الطيب».

(٤) وَالشَّاهِد فِيهَا هُوَ أَن حمل إِسْنَاد تَمْيِيز الشّعْر إِلَى جذب اللَّيَالِي مجَاز بِقَرِينَة قَوْله أفناه إِلَى آخِره.

(٥) والقنزعة: الْخصْلَة من الشّعْر تتْرك على رَأس الصَّبِي، أَو هِيَ مَا ارْتَفع من الشّعْر وَطَالَ، أَو الشّعْر حوالي الرَّأس، وَجَمعهَا قنازع وقنزعات، وجذب اللَّيَالِي: هُوَ مضيها واختلافها، وَيُقَال جذب الشَّهْر إِذا مضى عامته، وأبطئ أَو أسرعي صفة اللَّيَالِي، أَي الْمَقُول فِيهَا: أبطيء أَو أسرعي، وَقيل: حَال مِنْهَا، أَي اللَّيَالِي مقولًا فِيهَا أبطئ أَو أسرعي، والصلع انحسار شعر مقدم الرَّأْس لنُقْصَان مَادَّة الشّعْر فِي تِلْكَ الْبقْعَة وقصورها عَنهُ واستيلاء الْجفَاف عَلَيْهَا ولتطامن الدِّمَاغ عَمَّا يماسه من القحف فَلَا يسْقِيه سقيه إِيَّاه وَهُوَ ملاق لَهُ والمواراة السّتْر. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي ١/ ١٧عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: عالم الكتب - بيروت.

وَمعنى الأبيات: أَن هَذِه الحبيبة يَعْنِي أم الْخِيَار زَوجته أَصبَحت تَدعِي عَليّ ذنوبًا لم أرتكب شَيْئا مِنْهَا لرؤيتها رَأسِي كرأس الأصلع لكبري وشيخوختي ميز وَفصل مر الأَيَّام ومضي اللَّيَالِي=

أو معنوية، كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور عقلًا نحو: محبتك جاءت بي إليك[١]..

أو عادة: كـهزم الأمير الجند[٢].

ثم معرفة حقيقة المجاز العقلي إذا أسند إليها الفعل، أو معناه كان حقيقة، إما ظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦]. أي: فما ربحوا فيها، وإما خفية لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل، كما في قوله:

سرتني رؤيتك، أي: سرني الله عندها[٣].

= الشَّعْر الَّذِي بَقِي حوالى الرَّأْس وجوانبه ثمَّ قَالَ أفناه قيل الله وَأمره للشمس بالطلوع والغروب.

(١) **الأصل**: جاءت بي نفسي إليك؛ لمحبتك، أي جئت لمحبتك، ووجد المجيء إليك من نفسي لمحبتك، وإياك والظن بأقدمني بلدك حق لي على فلان، وبمحبتك جاءت بي إليك كونهما حقيقيتين، فالفعلان فيهما مسندان كما ترى إلى مجرد الداعي، والعقل لا يقبل الداعي فاعلا، وإنما يقبله محركا للفاعل أعني للمتصف بالقدرة، وتمام تحقيق هذا المعنى يستدعي نوعا من العلوم غير نوع علم البيان فليقتنع بهذا القدر، وإذا ارتضى في: (مجزوء الوافر)

وصيرني هواك وبي ... لحيني يضرب المثل

صحة استناد صير على الله تعالى على معنى أهلكني الله ابتلاء بسبب اتباعي هواك وإذا ارتضى في: (مجزوء الوافر)

يزيدك وجهه حسنا ... إذا ما زدته نظرا

صحة استناد يزيد على الله عَزَّوَجَلَّ على معنى يزيدك الله حسنا في وجهه لما أودعه من دقائق الحسن والجمال بكمال قدرته متى تأملت وتأنقت فقل فاعل أقدمني ذلك وفاعل صيرني ويزيد هذا. مفتاح العلوم ٣٩٨.

(٢) المجاز هنا بالقرينة العادية، والحقيقة أن الهازم عسكره، ونحو قولك: قتل الأمير اللص، والقاتل هو غيره. ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣/ ١٤٣ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ

(٣) لكنه يوغل في كون الرؤية لها مدخل في السرور، والوجه له مدخل في زيادة العلم بالحسن، ففرض سرور وازدياد من فاعل متوهم، ثم نقلًا عنه، وأسندا للفاعل المجازي وهو الوجه والرؤية المبالغة =

= في ملابسة الفاعل المجازي للفعل. ينظر الإيضاح ١/ ٩٦.
وهنا عنصران في غاية الأهمية:
الأول: مفاده هل لكل مجاز حقيقة؟ وجوابه من خلال بيان الشيخ عبد القاهر: ليس بواجب في المجاز العقلي أن يكون للمسند فاعل حقيقي أسند إليه أو لا إسنادا معتدا به في العرف والاستعمال قبل إسناده إلى الفاعل المجازي، بل: تارة: يكون له مسند إليه حقيقي أسند إليه أولا إسنادا معتدا به عرفا واستعمالا، ثم نقل إلى المسند إليه المجازي كما في قولهم: شفي الطبيب المريض فإن المسند هنا فاعلا حقيقيا هو «الله تعالى:، وقد أسند إلى الفعل إسنادا جرى به العرف والاستعمال قبل إسناده إلى الفاعل المجازي الذي هو الطبيب، فقيل: «شفي الله المريض بسبب الطبيب»، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٦]، فإن للمسند فاعلا حقيقيا هو «التجار» وقد أسند إليه الفعل أولا إسنادا جرى به عرف أهل اللغة، فقالوا: فما ربح التجار في تجارتهم، ثم نقل وأسند إلى الفاعل المجازي وهو «التجارة».
وتارة: لا يكون للمسند فاعل حقيقي جرى العرف والاستعمال بإسناده إليه، فيسند من أول الأمر إلى الفاعل المجازي كقولهم: سرتني رؤيتك، ويزيدك وجهه حسنا، وأقدمني بلدك حق لي عليك، فليس لهذه الأفعال فاعل حقيقي جرى الاستعمال العربي بإسنادها إليه إذ هي أمور اعتبارية لا وجود لها في الخارج، فلا يكون لها فاعل حقيقي، بل فاعلها متوهم مفروض، ولا يعتبر الإسناد إليه؛ لأنه بمنزلة العدم، ولم يجر الاستعمال أن يقال: سرني الله عند رؤيتك، ويزيدك الله حسنا في وجهه، وأقدمني الله بلدك لحق لي عليك كما جرى الاستعمال العربي بإسناد الشفاء إلى الله فقيل: شفي الله المريض وبإسناد الربح للتجار فقيل: فما ربح التجار في تجارتهم، لهذا كانت هذه الأسانيد بمثابة المجاز الذي لا حقيقة له. **يراجع دلائل الإعجاز ٢٩٥**، والمنهاج الواضح في البلاغة للشيخ حامد عوني ٤/ ٥٤.
والعنصر الثاني: في بلاغة المجاز العقلي: هو فن من فنون التعبير البليغ قال عنه الإمام عبد القاهر: (وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المُفلِق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان. وأن تجيء بالكلام مطبوعًا مصنوعًا، وأن يضعه بعيد المرام، قريبًا من الأفهام. ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يقول: «أتى بي الشوق إلى لقائك، وسار بي الحنين إلى رؤيتك، وأقدمني بلدك حقٌّ لي على إنسان» وأشباه ذلك مما تجده لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل أمرها، فليس هو كذلك أبدًا، بل يدقُّ ويلْطُفُ حتى يمتنع مثله إلا على الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها، والنادرة تأنق لها) دلائل الإعجاز ٢٩٥، **ويكفيك أن تقرأ هذه العبارة وتتفرس معالم بلاغتها لتصل من ذلك إلى قيمة هذا الأسلوب وسر براعته.**

الباب الثاني:
أحوال المسند إليه

المسند إليه: هذه ترجمة أحواله العارضة له، وعلى البليغ مراعاتها، وقدمت على أحوال المسند؛ لأنه [٥ ب] الركن الأعظم[١].

[أغراض حذف المسند إليه]

١٩- الْـحَـذْفُ: لِـلـصَّـوْنِ وَلِـلْإِنْـكَـارِ وَالِاحْـتِـرَازِ، أَوْ لِـلِاخْـتِـبَـارِ

[أولا]: الحذف):[٢]

---

(١) المسند إليه، والمسند، هما ركنا الجملة الأساسيان، وتقدم المسند إليه؛ لأنه الأصل وهو المحكوم عليه، ولا بد من تحققه قبل المحكوم، فقصدوا أن يكون في الذكر أيضًا مقدمًا. ينظر الإيضاح ٢/ ٥٠.
وأقلُّ مَا تتألف منه الجملة عنصران، يُعَبَّرُ عَنْهُما باللفظ، وهما:
(١) **مُسْنَدٌ إليه**، ويُسَمَّى محكومًا عليه، ويُسمّى عند علماء المنطق موضوعًا.
(٢) **ومُسْنَدٌ**، ويُسمَّى محكومًا به، ويُسمَّى عند علماء المنطق محمولًا.
ويلاحظ بين المسند إليه، والْمُسْنَدِ شيءٌ ثالثٌ هو: الإسنادُ، وهو الرابط المعنويُّ بينهما، ويتمّ ربط العلاقة بينهما بإسناد أحدهما إلى الآخر في الجملة الكلامية، وهذه هي أدنى النِّسَبِ الّتي يُعَبَّرُ عنْها بالكلام.
والمسند: هو الخبر أو ما يَسُدّ مَسَدَّه في الجمل الاسمية، والفعل في الجمل الفعلية، أو ما يَعْمَلُ عَمَلَه.
والمسند إليه: هو المبتدأ في الجمل الاسمية، أو ما أصله المبتدأ، والفاعل أو ما ينوب عنه في الجمل الفعلية. ينظر البلاغة العربية للميداني ١/ ٤٠، ٥٥.

(٢) عن بلاغة الحذف بصفة عامة يقول الإمام عبد القاهر: هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِّكْر، أَفْصَحَ من الذكرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تبن. دلائل الإعجاز ١٤٦. تحقيق الشيخ شاكر.

وهو: ترك ذكره فيما يجوز فيه تركه، وإنما يحذف مع قرينة[١].

وتقديم الحذف؛ لأنه عبارة عن عدم الإتيان به، وعدم الحادث سابق على وجوده[٢].

[الغرض الأول من أغراض حذف المسند إليه][٣]

للصون: له عن لسانك؛ تعظيمًا له، أو إيهام صون لسانك عنه؛ تحقيرا له[٤].

---

(١) لأن ذكره مع وجود القرينة الدالة على حذفه يعد ضربا من العبث تنأى البلاغة عنه.

(٢) قيل: إنما قدم أغراض الحذف على أغراض الذكر؛ لأن الأولى أهم في البلاغة من الثانية، والذكر الذي يُبحث عن أغراضه هو الذي يصح الاستغناء عنه لوجود القرينة، فوجودها شرط في الذكر كما هو شرط في الحذف؛ لأنه مع فقدها يتعين الذكر، وإنما يُبحث في هذا العلم عن الأغراض المرجحة كما سبق. وقد اعتُرض على هذا الغرض بأنه مع وجود القرينة يكون مقتضى الحذف موجودا، ويكون الأصل الحذف، لا الذكر، وأجيب بأنه يريد لا مقتضى الحذف في قصد المتكلم وإن كان موجودا في نفسه. وإني أرى أنه متى وجدت القرينة يتعين الحذف بلاغة، ولا يصح الذكر لمثل هذا الغرض؛ فالأولى الاقتصار على ما بعده. وقيل: إن مراده أن الذكر هو الأصل عند فقد القرينة؛ ويكون ما بعده من الأغراض عند وجودها، ولا يخفي ضعف هذا الجواب أيضا. بغية الإيضاح ١/ ٧٢..

(٣) **معلومة مهمة عن أحوال حذف المسند إليه، ومقاماته الداعية إلى ذلك:**
من الواضح أنه ليس من الممكن أبدًا أن تستقصي؛ لأن الدواعي أحوال تنبعث في دواخل النفوس، ولا يمكن التعرض لحصرها، وإنما نتناول منها صورا تهدينا إلى طريقة النظر في هذا الباب. ينظر خصائص التراكيب د محمد أبو موسى١٦١

(٤) وهنا يكون الحذف إشعارا أنّ في تركه تطهيرًا له عن لسانك، أو تطهيرًا للسانك عنه، مثال الأول: (مُقررٌ للشرائع، موضحٌ للدّلائل) تريد صاحب الشريعة - ﷺ- ومثال الثاني: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨] أي: هم، وقد حذف تحقيرا لهم، وتنزيها للسان عن ذكرهم. ينظر: جواهر البلاغة للهاشمي ١٠٤.
ومن شواهد الأول في الشعر: قول عبد الله بن الزبير، وتروى لعمرو بن كميل: (الطويل)

سأَشْكرَ عَمْرًا إنْ تَراخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وإنْ هي جَلَّتِ

فتًى غيرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عن صديقه ... ولا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِي مِن حيث يَخْفي مَكانُها ... فكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حتَّى تَجَلَّت

أي هو فتى، وحذف المسند إليه تعظيما له، وصونا عن لسان من أدنى منه، ونسبها السبكي في عروس الأفراح لأبي الأسود الدؤلي يمدح عمرو بن سعيد بن العاص، ونسبها أبو الفرج الأصفهاني =

و: يأتي:

للإنكار: عند الحاجة[1] نحو: فاسق، فاجر، عند قيام القرينة (على) أنه: زيد، فحذفه؛ لتيسير أن يقول: ما أردته، بل أردت غيره، وأعاد الجار لرعاية الوزن إليه.

والاحتراز: عن العبث بناء على الظاهر؛ لعلم السامع به؛ وإن كان في الواقع عمدة الكلام[2].

أو: الواو، وأو هنا: للتقسيم، والتعبير بكل في النفي فيه.

للاختبار: بالموحدة أي امتحان المتكلم تنبه السامع، هل ينتبه عند القرينة، أولا، وامتحانه مقدار تنبهه[3].

= إلى عبد الله بن الزبير الأسدي يقولها في عمرو بن عثمان بن عفان حينما أتاه فرأى تحت ثيابه ثوبا رثا، فدعا وكيله، قال: اقترض لنا مالا، فقال: هيهات مايعطينا التجار شيئا، قال: فأربحهم ماشاءوا فاقترض له أولا ثمانية آلاف درهم وثانيا عشرة آلاف، ووجه بها إليه مع تخت ثيابه، فقال فيه الأبيات. «الأغاني ٢٣: ١٣». وينظر عروس الأفراح ١/ ٢٧٨.

(١) المقصود تيسيره للمتكلم عند الحاجة إلى الإنكار، فيحذف ليجد لنفسه مخرجا عند إرادة عدم التصريح.

(٢) وشاهدهم المشهور في ذلك: قول الشاعر «من الخفيف»:

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليل سهر دائم وحزن طويل

والبيت لا يعرف قائله، حذف فيه المسند إليه، والتقدير: أنا عليل؛ لوجود ما يدل عليه في ظاهر الكلام، وقال التفتازاني، لم يقل أنا عليل للاحتراز أو التخييل المذكورين، ويصلح أن يكون مثالا لضيق المقام أيضا، ومنه في كلام رب العزة، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١٠-١١] والتقدير: هي نار حامية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ [يوسف: ١٨]. أي فأمرى صبر جميل، وحذف لوضوح الأمر فيه، ومن حذف المسند إليه أيضا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ۝٣٥﴾ [يوسف: ٣٥]؛ لأن التقدير فيه ثم بدا لهم أمر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] أي هو هدى في أحد وجوهه. ينظر الطراز للعلوي ٣/ ١٤٤

(٣) اختبار تنبه السامع أو مقدار تنبهه أحد أغراض ذلك الحذف، كما يقولون: نوره مستمد من نور الشمس، يقصدون القمر، فكان حذف المسند إليه لقياس التنبه، أو مقداره.

هل هو حاصل بأدنى قرينة؟ أو يحتاج إلى أزيد منه.

أو لتخيل العدول إلى أقوى الدليلين: العقل، واللفظ[١]، وهو العقل فإن الدال في الذكر: اللفظ، وفي الحذف: اللفظ المدلول عليه بالعقل، وهو أقوى.

وعبر بـ (تخيل)؛ لأن الدال عند الحذف في الحقيقة: اللفظ المدلول عليه بالعقل، ومثّل لكل من الأربعة الأخيرة بقوله:

قـال لـي كيف أنـت قلت عليل[٢]

[أغراض ذكر المسند إليه]

٢٠- وَالـذِّكْـرُ: لِلتَّعْظِيْمِ، وَالإِهَـانَـهْ وَالْـبَـسْـطِ، وَالـتَّـنْـبِـيْـهِ، وَالْـقَـرِيْـنَـهْ

والذكر: للمسند إليه أي: كونه مذكورًا.

للأصل: أي لكون الذكر الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه كما، مر في نكات الحذف[٣].

---

(١) معنى تخييل العدول إلى أقوى الدليلين: اللفظ والعقل أي: أن يقصد المتكلم أن يخيل للسامع أنه عدل إلى أقوى الدليلين، وهو العقل.
بيان ذلك: أن الدال على المسند إليه عند حذفه هو «العقل»، وأن الدال عليه عند ذكره هو «اللفظ» غير أن العقل أقوى دلالة من اللفظ؛ لأن العقل ليس بحاجة دائما إلى اللفظ في الدلالة، بل كثيرا ما يستقل بها كما في المعقولات الصرفة، وكما في دلالة الأثر على المؤثر؛ بخلاف اللفظ فإنه دائما مفتقر إلى العقل في الدلالة، إذ لا يمكن أن يفهم منه شيء بدون معونة العقل، فالعقل آلة الإدراك، ولكن الحقيقة أن العقل أيضا غير مستقل في الدلالة عند الحذف، وإنما يدل بمعونة اللفظ المقدر المدلول عليه بالقرائن، فكلاهما ردء للآخر، وحينئذ لم يتحقق العدول إلى أقوى الدليلين، من أجل هذا جعلوا النكتة في الحذف قصد العدول المتخيل لا المتحقق، مثال ذلك قولك في المثال السابق: «حضر» تريد الأمير فقد حذف المسند إليه؛ لأن المتكلم يريد أن يدخل في روع السامع، وفي خياله أنه عدل عن أضعف الدليلين إلى أقواهما وهو «العقل» كما بين. المنهاج الواضح في البلاغة للشيخ حامد عوني ٤/ ٧٣.

(٢) سبق بيانه في الهامش، وهو يقصد أنه يصلح شاهدا للاحتراز عن العبث، واختبار تنبه السامع، ومقدار تنبهه، وتخيل العدول إلى أقوى الدليلين وهو العقل دون اللفظ.

(٣) أي أن ذكره هو الأصل إذا لم تقم قرينة تدل على حذفه، كما أنه هو المحكوم عليه.

وللتنويه: بتعظيمه؛ لكون اسمه مما يدل على العظمة، نحو: أمير المؤمنين حاضر[١].

والبسط: للكلام حيث الاستماع من السامع مطلوب للمتكلم؛ لعظمته، وشرفه، نحو: [قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾؛ ولذا يطال الكلام مع الأحباب، ألا ترى أنه زاد موسى لذلك على قدر الجواب، فقال: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾» الآية[٢].

والضعف: أي ضعف التعويل، والاعتماد على القرينة إن كانت ضعيفة[٣].

و للتنبيه: للحاضرين على غباوة السامع بأنه ممن لا تنفعه القرائن[٤]، وهذا كله مع قيام القرينة الدالة على المسند إليه لو حذف، وإلا لكان واجب الذكر، وفي نسخة[٥]:

والذكر للتعظيم والإهانة والبسط والتنبيه والقرينة[٦]

فالتعظيم كما في قولنا: أمير المؤمنين حاضر[٧]، والإهانة؛ لكونه يدل عليهما كما في: السارق، أو اللئيم حاضر.

---

(١) وقد يذكر للتحقير أيضا إذا كان اللفظ مما يفيد معنى التحقير، كأن يقال: هل جاء فلان؟ فتقول جاء البخيل، أو الجبان.

(٢) كان من الممكن أن يقتصر على بيان أنها عصاه، دون أن يشرح أعماله فيها بقوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [سورة طه: ١٨]. وكان من الممكن أن يقول الله عَزَّوَجَلَّ له: ﴿قَالَ أَلْقِهَا﴾ [سورة طه: ١٩] دون أن يناديَهُ ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾، لكن دعَا إلى بسط الكلام وإطالةِ الحديث رغبةُ الإيناسِ مِنَ الرَّبّ عَزَّوَجَلَّ، ورغبةُ التشرّف والاستئناس والتلذّذ بطول المحادثة من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. البلاغة العربية للميداني ١/ ٣٢٠ .

(٣) هذا عند خفاء القرينة؛ كما تقول: «من حضر ومن سافر؟» فيقال: «الذي حضر زيد، والذي سافر عمرو»، ولا يقال: زيد وعمرو؛ لأن السامع قد يجهل تعيين ذلك من السؤال. بغية الإيضاح ١/ ٧٢.

(٤) هذا عند ظهور القرينة، كما تقول: من حضر؟ فيقال: «الذي حضر زيد». بغية الإيضاح ١/ ٧٢.

(٥) أي في نسخة من المنظومة.

(٦) أي بدل قوله: والذكر للأصل والتنويه والبسط... أي آخر ما ذكر من أغراض، وهذه وتلك على الروايتين أغراض تصلح لذكر المسند إليه.

(٧) ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [سورة الحشر: ٢٤].

وقوله والقرينة أي: ولضعف القرينة المعول عليها[١] عند حذفه[٢].

[أغراض تعريف المسند إليه بالإضمار]

٢١- وَإِنْ بِإِضْمَارٍ يَكُنْ مُعَرَّفَا فَلِلْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ فَاعْرِفَا

٢٢- وَالأَصْلُ فِي الخِطَابِ لِلْمُعَيَّنِ وَالتَّرْكُ فِيهِ، لِلْعُمُومِ الْبَيِّنِ

وإن: شرط.

بإضمار: متعلق بخبر.

يكن: بياء الخطاب فعل الشرط.

معرفًا: للمسند إليه.

فللمقامات الثلاث: وحذف التاء[٣] للضرورة.

فاعرفا بالألف المبدلة من نون التأكيد الخفيفة لوقوعها بعد فتحة[٤].

---

(١) كقوله تعالى: «﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾» [سورة الزلزلة: ٢].

(٢) هذه بعض أغراض ذكر المسند إليه؛ لأنه لا يمكن حصرها فكل سياق يحدد الغرض المناسب للذكر إن كان مذكورا، وللحذف إن كان محذوفا، وهناك أغراض كثيرة للذكر كتبها البلاغيون غير ما ذكر، نذكر بعضها تنشيطا للفهم، وإتماما للفائدة: زيادة الإيضاح والتقرير كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الروم: ٤٠]، ومنها: التنبيه على فضله وعظم منزلته كقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، ومنها: الرّد على المُخاطب: نحو: الله واحدٌ، ردا على من قال: الله ثالث ثلاثة، ومنها: التّلذذُ نحو: الله ربي، الله حسبي، ومنها: التسجيل على السامع، حتّى لا يتأتى له الإنكار - كما إذا قال الحاكم لشاهد - هل اقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد نعم زيد هذا أقر بأنّ عليه كذا، ومنها: التعجب - إذا كان الحكم غريبًا، نحو: عليٌّ يقاوم الأسد في جواب من قال: هل عليٌّ يقاوم الأسد؟ ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣/ ١٤٤، وجواهر البلاغة للهاشمي ١٠١.

(٣) أي الثلاثة

(٤) أي أن الأصل: فاعرفن، فالألف فيه منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة.

وهي: **أي المقامات الثلاثة:**

التكلم: نحو أنا ضربته[١].

والخطاب: نحو أنت ضربته[٢].

والغيبة: نحو ضربه؛ لتقدم ذكره:

لفظًا: تحقيقًا، كضرب زيد غلامه.

أو تقديرًا: نحو: ضرب غلامه زيد.

ومعنى لدلالة اللفظ عليه نحو: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٨]. فالفعل متضمن للمصدر.

أو لدلالة قرينة حال، نحو: لأبويه؛ أي الموروثة؛ لكون سياق الكلام في الميراث[٣].

---

(١) هذا إذا كان المتكلم يتحدث عن نفسه، كقول الله سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [سورة طه: ١٤]، وكقول النبي ﷺ» **أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**».

(٢) ومن شواهد الخطاب أيضا في الغزل: قول ابن الدمينة للخثعمية وجوابها له: (الطويل)

وأنــتِ الَّـتي كلَّفتِني دلَــجَ السُّـرَى ... وجــونُ القـطَـا بـالجَـلْهـتيـنِ جـثـومُ

وأنــتِ الَّـتي قـطَّـعتِ قـلـبِي حـزازةً ... وفـرَّقـتِ قـرحَ الـقـلـبِ فـهـوَ كليمُ

وأنــتِ الَّـتي أحفظتِ قـومِي فكلُّهمْ ... بـعـيـدُ الـرِّضـا دانِـي الـصُّـدودِ كـتـومُ

وكتبت إليه: (الطويل)

وأنــتَ الَّـذي أخلفْتَني ما وعدْتَنِي ... وأشـمـتَّ بِـي مَـن كـانَ فيـكَ يـلـومُ

وأبـرزْتَـنِـي لـلـنَّـاسِ ثـمَّ تـركْـتَـنِي ... لـهـمْ غـرَضًـا أُرمَـى وأنــتَ سـليـمُ

فـلـوْ أنَّ قـولًا يكـلِـمُ الجسمَ قـدْ بـدا ... بـجـسـمـيَ مِـنْ قـولِ الـوُشـاةِ كـلـومُ

فالخطاب هنا جلي، وكتبت الشاهد كله؛ ليكون مناطا للتأمل في خطاب ينبع من القلب ويحكي الواقع بين طرفين، والأبيات في الأغاني، والبيان والتبيين، ومعاهد التنصيص، وغيرها لمن أراد الاستزادة.

(٣) الحديث في مقام الغيبة لا بد أن يتقدم له مذكور يدل عليه، إما لفظا، كقول الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ [سورة يونس: ١٠٩]، فالضمير سبقه اسم الجلالة.

وإما معنى، كقوله تعالى: «﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٨]، أي الرجوع، =

أو إما حكمًا بأن لا يكون شيء من سياق الكلام، أو سياقه معا لذكره نحو: [قوله تعالى] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [سورة القدر: ١]».(١).

والأصل: أي الغالب في القاعدة.

في الخطاب: كونه.

للمعين: واحدًا كان، أو أكثر؛ لأنه توجيه الكلام إلى حاضر. **والترك**: لهذا الأصل(٢).

فيه: أي الخطاب، والترك مبتدأ، والخبر قوله:

للعموم البين: أي وليعم الخطاب كل [٦ أ] مخاطب على سبيل البدل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الآية [السجدة: ١٢].

= ومنه شاهده الذي ذكره في قوله تعالى: «﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي العدل. وإما أن يكون في الكلام قرينة حال تدل عليه، كقوله تعالى: «﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [سورة النساء: ١١]، أي الميت. ينظر جواهر البلاغة للمرحوم أحمد الهاشمي دار التراث العربي ١٢٦.

(١) قوله «وإما حكما» بمعنى أنه يمكن أن يخرج عن هذا الأصل الذي هو المشاهد المعين، فيخاطب غير المشاهد كما في قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]، وذلك لحضوره في القلب، وكذلك» ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، كما يمكن أن يكون الخطاب مطلقا يشمل كل مخاطب كقول المتنبي: (الطويل)

إِذَا أَنْـتَ أَكْـرَمْـتَ الـكَـرِيـمَ مَـلَـكْـتَـهُ وَإِنْ أَنْـتَ أَكْـرَمْـتَ الـلَّـئِـيـمَ تَـمَـرَّدَا

واستدلوا عليه أيضا بقول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة السجدة: ١٢]. أخرج في صورة الخطاب لما أريد العموم، يريد أن حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء، بل كل من أمكن منه الرؤية داخل في ذلك الخطاب. ينظر عروس الأفراح للسبكي ١/ ٢٩١ ضمن شروح التلخيص.

(٢) أي أن الأصل في الخطاب أن يكون للمشاهد المعين، ولكنه لا يقتصر على ذلك فتصلح مخاطبة غير المشاهد، كما سبق في مثل قوله تعالى حكاية عن يونس - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [**سورة الأنبياء**: ٨٧]. كما تصلح المخاطبة لغير المعين، أي على وجه العموم، كمخاطبة كل من ينطبق عليه الخطاب، كقوله تعالى مثلا» ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص: ١]» و«﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [سورة الناس: ١]». وهكذا. بالإضافة إلى الشواهد التي ذكرها الشارح.

المخاطب بالفعل: كل صالح له قصدًا إلى تفظيع[1] حال المجرمين، أي تناهت حالهم في الظهور لأهل المحشر، بحيث لا يمتنع خفاؤها، فلا يختص بها راء دون آخر، وإذا كانت كذلك، فلا يختص الخطاب بمخاطب دون آخر، بل كل من تتأتى منه الرؤية له مدخل في الخطاب.

[تعريف المسند إليه بالعلمية]

٢٣- وَعَلَمِيَّةٍ فَلِلْإِحْضَارِ، وَقَصْدِ تَعْظِيمٍ، أَوْ احْتِقَارِ

وعلميّة: بالجر أي وإن يكن معرفًا له بالعلمية.

فللإحضار: للمسند إليه بعينه، أي شخصه في ذهن السامع باسم مختص به بحيث لا يطلق على غيره نحو: [قوله تعالى] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [سورة الإخلاص: ١][2]، والله علم لذات الوجود بحسب الوضع، أو بالغلبة[3].

واحترزت بقولي: مختص به عن إحضاره بضمير المتكلم، أو المخاطب، أو اسم إشارة، أو موصول، أو معرف بلام، أو إضافة[4].

وقصد تعظيم: للمسند إليه[5].

أو احتقار: له كما في الألقاب الصالحة لذلك، كركب علي، وهرب بكر[6].

---

(١) في (ب) تقطيع حال.

(٢) هذا على اعتبار اسم الجلالة مبتدأ ثانيا لا خبرا عن الضمير.

(٣) وكقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ②﴾ [سورة آل عمران: ٢].

(٤) أي لا يجوز أن يكون مضمرا، ولا بإحدى طرق الخطاب الماضية (التكلم - الخطاب - الغيبة كقولنا: الله ربنا، وكقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ⑫⑦﴾ [سورة البقرة: ١٢٧].

(٥) كقولنا: قال محمد رسول الله، ونحو جاء سيف الله المسلول، وحضر صلاح الدين...

(٦) يقصد بالمثال الأول: لتعظيم، وبالثاني: التحقير.

[تعريف المسند إليه بالصلة]

٢٤- وَصِلَـةٍ؛ لِلْجَهْلِ، وَالتَّعْظِيْمِ لِلشَّأْنِ، وَالإِيْمَاءِ، وَالتَّفْخِيْمِ

وصلةٌ: أي وإن تعرفه بذي صلة، أي بإيراده موصولًا.

وقدم على اسم الإشارة الأعرف منه عند سيبويه[١]، وعليه الجمهور؛ لأن المحكوم عليه في الموصول معلوم للمخاطب قبل إعلام المتكلم ضرورة علمه بالصلة[٢].

وبعد الإعلام بها يحصل التنبيه فيزداد المعرفة بخلاف اسم الإشارة، ولعل هذا أوجه من قال بأعرفيّته.

للجهل: أي جهل المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة المذكورة، نحو: الذي كان معنا بالأمس رجل صالح[٣].

والتعظيم للشأن: إما لشأن المسند فيؤتى به موصولًا، لا ذريعة إلى التعريض بذلك. نحو[٤]: (الكامل)

---

(١) ينظر: الكتاب ٢/ ٧٨

(٢) وكان الأنسبُ أن يقدِّم عليه ذِكْرَ اسمِ الإشارةِ؛ لكونه أعرفَ؛ لأنّ المخاطَب يعرف مدلولَه بالقلب والعين، بخلاف الموصول، ثم الموصول، وذو، واللام سواء في الرتبة. المطوّل: ٧٤ وبهامشه حاشية السيد الشريف، نشر المكتبة الأزهرية.

(٣) لأن الصلة يجب أن تكون معلومة لدى المخاطب، ويكون هو عالما بها، وقد ذكر في ذلك الشيخ عبد القاهر فصلا في« الذي» بين فيه أنه اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، وأن فيه علما كثيرا، وأسرارا جمة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين، فهذا لا يقال إلا إذا كان قد سبق من السامع علم به، وكما قال عبد القاهر: معنى قولهم: إنه اجتلب ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمل، انه جيء به ليُفصَل بين أن يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع له، وبين ألا يكون الأمر كذلك.... ينظر دلائل الإعجاز ١٩٩.

(٤) البيت من شعر الفرزدق في قصيدة يفتخر بها على جرير، وسمك بمعنى: رفع، والتعبير بالموصول، =

إن الـذي سمـك السـماء بنـى لنا بيـتًـا دعـائـمـه أعـز وأطـول

أو لشـأن غيـره[1] نحو [قولـه تعالـى] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾ [سورة الأعراف: ٩٢].

ففي بناء: كانوا هم الخاسرين على الذين كذبوا: تعظيم لشأن شعيب، ومصدقيه، وذلك غير المسند.

أو لشأن القصة نحو قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝٧٨﴾ [سورة طه: ٧٨] أي: لا يعلم كنه ما أصابهم من البحر إلا الله تعالى[2]. والإيماء: أي التنبيه على خطأ في اعتقاده

= والصلة (سمك السَّمَاء)» يشير إلى أن الخبر من جنس البناء والرفعة، ولكن مقام الفخر الذي فيه الشعر يعرض بتعظيم منزله لأن الذي بناه هو من بنى السماء.

وقال العباسي: وَالشَّاهِد فِيهِ جعل الْإِيمَاء إِلَى وَجه الْخَبَر وَسِيلَة إِلَى التَّعْرِيض بالتعظيم لشأنه وَذَلِكَ لقَوْله: (إِن الَّذِي سمك السَّمَاء) فَفِيهِ إِيمَاء إِلَى أَن الْخَبَر الْمَبْنِيّ عَلَيْهِ أَمر من جنس الرّفْعَة وَالْبناء بِخِلَاف مَا لَو قيل إِن الله أَو الرَّحْمَن أَو غير ذَلِك ثمَّ فِيهِ تَعْرِيض بتعظيم بِنَاء بَيته لكَونه فعل من رفع السَّمَاء الَّتِي لَا بِنَاء أرفع مِنْهَا وَلَا أعظم. معاهد التنصيص ١/ ١٠٤

(١) أي شأن غير التعريض بالتعظيم، بل التعريض بالخيبة، والخسران، والهلاك، بدليل الخبر» ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ﴾ [سورة الأعراف: ٩٢]». أي كأن لم تسبق لهم فيها إقامة، وهذا دليل هلاكهم، وبقية الآية دالة على هذا الخسران، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾ كما فيه تعريض بهلاكهم وانمحاء آثارهم، وخسرانهم، وفيه تعريض بانتصار شعيب عليهم، أو المراد تعظيم غير الخبر، وهو شعيب هنا، ويصلح أن يكون شاهدا للإيماء إلى وجه بناء الخبر.

(٢) وزاد الميداني المعنى إيضاحا بقوله: أي: فَغَشِيَى فرعَوْنَ وجُنُودَه من الْيمّ مَا غَشِيَهُمْ منْ أمْرٍ مَهُولٍ جدًّا، فدَلَّ الإبهام في الموصول وصلته عَلى عِظَم الأمر المهول الذي غشيهُمْ.

* ونظيره قول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة النجم: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [سورة النجم: ٥٣-٥٤]. المؤتفكة: أي: المنقلبة، وهي قُرَى قوم لوط.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾: أي: فنزل عليها من فوقها شيءٌ مهولٌ عظيم سترها كلّها فدمّرها تدميرًا شاملًا، فدلّ الإبهام في الموصول وصلته على عِظَم الأمر المهول الذي غشّى قرى قوم لوط المنقلبة عاليها سافلها. =

نحو[١]: (الكامل)

إن الذين ترونهم إخوانكم   يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

والتفخيم:[٢] والمراد بيان الأسباب التي يلاحظها المتكلم من مقتضيات إيراد المسند إليه موصولًا.

[تعريف المسند إليه باسم الإشارة]

٢٥- وَبِإِشَارَةٍ؛ لِذِي فَهْمٍ بَطِيْ   فِي الْقُرْبِ والبُعْدِ أَو التَّوَسُّطِ

و: إن يكن معرفًا:

بإشارة: أي تعريفه بها، فتمييزه، وتعيينه، بحيث يقارب المحسوس دفعًا للالتباس[٣].

= * وقول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة (النجم) أيضًا بشأن تفيخم وتَعْظِيم ما يَغْشَى سِدْرَةَ المنتَهَى، فوق السماوات السّبع: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [سورة النجم: ١٣-١٦].

أي: إذْ يَغْشَى السّدْرة شيءٌ فخم عظيم لا تستطيع الأوهام أن تتخيّله. البلاغة العربية ١/ ٤٣٢

(١) البيت لعَبَدَة بن الطّبيب يَعِظ بَنيه في ديوانه ص ٤٨، ومعاهد التّنصيص ١/ ١٠٠، والمخاطب هنا وقع في حسن الظن بهؤلاء، وهذا التعبير بالموصول وصلته يكشف خطأ هذا الظن.

(٢) في (ب) زيادة وهي: لشأن الأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ من البحر إلا الله، وهي على الهامش الأيمن في (أ).

(٣) هذه بعض أغراض تعريف المسند إليه باسم الإشارة، وأولها تمييزه أكمل تمييز، وشاهد البلاغيين المشهور في ذلك: قول ابن الرومي مادحًا أبا الصقر الشيباني: **(البسيط)**

هـذَا أَبُـو الصَّـقْرِ فَـرْدًا في مَحَاسِنِه   مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ والسَّلَمِ

الضّال: شجر السّدر، وهو من شجر البوادي، **السَّلَم:** شجر ذو شوك، وهو من شجر البوادي أيضًا.

لمّا أراد ابن الرّومي وصف أبي الصقر بأنّه فردٌ في محاسنه ذكره باسم الإشارة ليميّزه أكمل تمييز، وَذَلِكَ فِي قَوْله هَذَا أَبُو الصَّقْر لصِحَّة إِحْضَاره فِي ذهن السَّامع بِوَاسِطَة الْإِشَارَة حسا. ينظر: البلاغة العربية ١/ ٤٢٠، ومعاهد التنصيص ١/ ١٠٧، وَمثله قَول المتنبي: (الطويل)

أولـئـكَ قَـوْم إن بَـنَـوا أَحْـسَـنـوا البِنا   وَإِن عاهَـدوا أَوْفَـوْا وَإِن عَـقَـدوا شَـدُّوا

ومن أبرز الأقوال في ذلك: سأل رجلٌ من أهل الشام هشام بن عبد الملك عن عليّ بنِ الْحُسَيْنِ: =

لذي: أي صاحب.

فهم: هو أخذ المعنى من لفظ المخاطب.

بطي: فيؤتى بالمسند إليه اسم إشارة دفعا للالتباس على المخاطب البطيء الفهم[1].

ويجوز كون الذال مهملة، أي به كذلك عند ذوي فهم بطيء كما ذكر، أو تعريضًا لغباوته، وأنه لا يتميز عنده الشيء إلا بالحس كقول الفرزدق[2]: (الطويل)

أولـئـك آبـائـي فـجئـني بمثلهم ... إذا جمعتنا يـا جـريـر المجامع

أو لبيان مراتب[3] حال المشار إليه في: القرب، والبعد، أو التوسط: كقولك هذا، أوذلك،

= مَنْ هو؟ وكان ذا هيئةٍ ونضارة، فتجاهله هشام، خشية أنْ يفتَتِنَ به أَهْلُ الشّام، فقال الفرزذق مستخدمًا اسم الإشارة في شعره، يمدح عَلِيّ بْنَ الْحُسَيْن: (البسيط)

هَـذَا ابْـنُ خَـيْـرِ عِـبَـادِ الـلـهِ كُـلِّـهِـمِ ... هَـذَا الـتَّـقِـيُّ الـنَّـقِـيُّ الـطَّـاهِـرُ الْـعَـلَـمُ
هـذَا الَّـذِي تَـعْـرِفُ الْـبَـطْـحَـاءُ وَطْـأَتَـهُ ... والْـبَـيْـتُ يَـعْـرِفُـهُ والْـحِـلُّ والْـحَـرَمُ
إِذَا رَأَتْــهُ قُــرَيْــشٌ قَــالَ قَـائِـلُـهَـا ... إلـى مَـكَـارِمِ هَـذَا يَـنْـتَـهِـي الْـكَـرَمُ
يَـكَـادُ يُـمْـسِـكُـهُ عِـرْفَـانَ رَاحَـتِـهِ ... رُكْـنُ الْـحَـطِـيـمِ إِذَا مَـا جَـاءَ يَـسْـتَـلِـمُ
يُـغْـضِـي حَـيَـاءً وَيُـغْـضَـى مِـنْ مَـهَـابَـتِـهِ ... فَـمَـا يُـكَـلَّـمُ إِلَّا حِـيـنَ يَـبْـتَـسِـمُ

لقد حَسُنَ في ذوق الفرزدق أنْ يُكَرِّر استعمال اسم الإشارة للدّلَالة على ممدوحه وتمييزه أكمل تمييز، وفي هذا التمييز ردٌّ ضِمْنِيٌّ على تجاهل هشام بن عبد الملك له. البلاغة العربية ١/ ٤٢٠.

(١) هذه العبارة من أول: فيؤتى.. ساقطة من (ب)

(٢) الْبَيْت للفرزدق من قصيدة من الطَّويل يفتخر بهَا على جرير أولهَا:

مِـنَّـا الَّــذِي اخـتـيـرَ الـرِّجَـالَ سـماحَـةً ... وَخـيـرًا إِذَا هَـبَّ الـرِّيَـاحُ الـزعـازع
وَمـنـا الَّــذِي أعْـطَـى الـرَّسُـولُ عَـطِـيَّـةً ... أُسَــارَى تَـمِـيـم والـعُـيـون دَوَامُـع
وَمـنـا الَّـذِي يُعطي المِئِينَ وَيـشْـتَـري ... الـغَـوالـي ويـعَـلـو فـضْـلـهُ مَـنْ يُـدافِـعُ

واستمر في عرض هذه المفاخر حتى قال هذا البيت موطن الشاهد.

وَالشَّاهِد فِيهِ إِيرَاد الْمسند إِلَيْهِ اسْم إِشَارَة؛ للتعريض بغباوة السَّامع حَتَّى كَأَنَّهُ لَا يدْرك غير المحسوس وَذَلِكَ ظَاهر فِي الْبَيْت. معاهد التنصيص ١/ ١١٩ والبيت في ديوان الفرزدق٥١٧

(٣) كلمة: مراتب ساقطة من (ب).

أو ذاك زيد[١]، أو لتحقيره بالقرب نحو: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦][٢] أو تعظيمه بالبعد نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ [البقرة: ٢][٣].، أو تحقيره بالبعد نحو: ذلك اللعين فعل، أو الإيماء بتعقيب المشار إليه بأوصاف [٦ب] على أنه جدير بما يرد بعدها نحو [قوله تعالى]: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة: ٥][٤].

[تعريف المسند إليه بأل]

٢٦- وَأَلْ؛ لِعَهْدٍ، أَوْ حَقِيْقَةٍ، وَقَدْ يُفِيْدُ الِاسْتِغْرَاقَ، أَوْ لِمَا انْفَرَدْ

و: إن يكن معرفًا.

بـ: **أل** على قول الخليل، واللام عند سيبويه إما:

لعهد: أي للإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطبك مذكور[٥]، ....

---

(١) فهذا للقريب، وذلك للبعيد، وذاك للمتوسط، يقول بهاء الدين السبكي: وهذا تفريع على أن رتب اسم الإشارة ثلاث، وأما من جعل المتوسط والبعيد سواء، فهو لا يجعل اسم الإشارة تمييزا للمتوسط عن البعيد، ولا عكسه. عروس الأفراح ١/ ١٧٥ تحقيق الدكتور: عبد الحميد هنداوي.

(٢) الآية شاهد على كونه قريبا بغرض التحقير، قال الخطيب القزويني: وربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٤]، الإيضاح ٢/ ١٩.

(٣) التعريف باسم الإشارة للبعيد هنا يفيد التعظيم، والسياق والمقام حكم في كل ذلك، وفيه يقول الخطيب أيضا: وربما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ١-٢] ذهابًا إلى بعد درجته، ونحوه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ [سورة الزخرف: ٧٢]، ولذا قالت: فذلكن الذي لمتنني فيه ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [سورة يوسف: ٣٢].، لم تقل «فهذا» - وهو حاضر - رفعا لمنزلته في الحسن وتمهيدًا للعذر في الافتتان به. وقد يجعل ذريعة إلى التحقير كما يقال: ذلك اللعين فعل كذا. الإيضاح ١/ ١٩٢

(٤) تعريف المسند إليه هنا يفيد زيادة التقرير والإيضاح كما هو معلوم لدى البلاغيين، والتعريف باسم الإشارة وتكرارها يفيد غاية التعظيم، وكمال العناية.

(٥) مذكور: صفة لعهد.

تحقيقًا، أو تقديرًا[1]، نحو [قوله تعالى]: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦]. أي: ليس الذي طلبت مريم كالتي وهبت.

فـ «أل» في الأنثى لمعهود مذكور مقدر تحقيقًا في قولها ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا﴾ [سورة آل عمران: ٣٦][2]..

---

(١) أل) قد تكون عهدية، وقد تكون جنسية، والعهدية تدخل على المسند إليه المعهود، والجنسية تدخل على المسند إليه للإشارة إلى الحقيقة، والجنس.

(٢) معنى هذا أن الآية فيها شاهد للتعريف بأل تحقيقا، وذلك في (الأنثى) فالمعهود هنا مذكور مقدر تحقيقا في قولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ فلما جاء بعدها: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦]. دل على أن اللام للعهد الحقيقي.

والذي تقدم ذكره صريحا له أحوال، فقد يكون أحدهما معرفة، والآخر نكرة، وقد يكونا معرفتين، أو نكرتين... ومعرفة ذلك مهم لدارس البلاغة، وبيانه كما يأتي للإحاطة والمعرفة: - فالعهد الصريح كقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة المزمل: ١٥-١٦]». اللام في «الرسول» للعهد الذكري؛ أي المذكور آنفا؛ لأن النكرة إذا أعيدت معرفة باللام كانت عين الأول.

ومسألة التعريف والتنكير هنا جديرة بأن يحيط بها القارئ، وبيانها كما يأتي: إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال؛ لأنه إما أن يكونا: معرفتين، أو نكرتين، أو الأول نكرة والثاني معرفة، أو بالعكس:

١ - **فإن كانا معرفتين** فالثاني هو الأول غالبا دلالة على المعهود الذي هو في الأصل في اللام أو الإضافة نحو قوله تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفاتحة: ٦-٧]».، وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [سورة الزمر: ٢-٣].، وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[سورة الصافات: ١٥٨]، وقوله تعالى «﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة غافر: ٩].، وقوله تعالى «لعلي أبلغ الأسباب ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [سورة غافر: ٣٦-٣٧].

٢ - وإن **كانا نكرتين** فالثاني غير الأول غالبا وإلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودا سابقا نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [سورة الروم: ٥٤]». فإن المراد بالضعف الأول النطفة وبالثاني الطفولية، وبالثالث الشيخوخة، وقال ابن الحاجب في قوله تعالى ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سورة سبأ: ١٢].

« **الفائدة في إعادة لفظ الشهر**: الإعلام بمقدار زمن الغدو، وزمن الرواح، والألفاظ التي تأتي مبينة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار، ولو أضمر فالضمير إنما يكون لما تقدم باعتبار خصوصيته، فإذا =

وفي «الذكر» لمعهود تقديرًا، في قولها: ﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [سورة آل عمران: ٣٥]؛ لأن التحرير خدمة بيت المقدس، وما كان في شرعهم إلا للغلمان فقط[١].

أو: إما لـ:

حقيقة: للإشارة إلى الماهية، ويعبر عنها بالجنس تارة، وبالماهية أخرى، فقولك: الرجل خير من المرأة، أي هذا الجنس خير من هذا الجنس.

وقد: للتحقيق.

تفيد أل:

الاستغراق: لأفراد مدخولها؛ حيث امتنع حمله على غيرها، أو على فرد منها دفعًا

= لم يكن له وجب العدول عن المضمر إلى الظاهر.

وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [سورة الشرح: ٥-٦]» فالعسر الثاني هو الأول، واليسر الثاني غير الأول، ولهذا قال في الآية لن يغلب عسر يسرين.

٣- **وإن كان الأول نكرة والثاني معرفة** فالثاني هو الأول حملا على العهد نحو قوله تعالى ﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [سورة المزمل: ١٥-١٦]، عصى فرعون الرسول» وقوله تعالى: ﴿مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ﴾ [سورة النور: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ [سورة الشورى: ٤١-٤٢]».

٤- وإن كان الأول معرفة والثاني نكرة فلا يطلق القول بل يتوقف على القرائن فتارة تقوم قرينة على التغاير نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [سورة الروم: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة النساء: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۝ هُدًى﴾ [سورة غافر: ٥٣-٥٤].» قال الزمخشري: المراد جميع ما أتاه من الدين والمعجزات والشرائع، وهدى: إرشادا، وتارة تقوم قرينة على الاتحاد نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزمر: ٢٧-٢٨]. ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٥٦١.

(١) أي أن (الذّكر) تقدم هنا بطريق الكناية، مشارا إليه بـ (ما) وذلك في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [سورة آل عمران: ٣٥]؛ لأن الذي يتحرر عندهم لخدمة بيت المقدس لا بد أن يكون ذكرا، والمقصود في الآية: ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها، وعليه فاللام فيه للعهد المقدر، أي التقديري، وليس التحقيقي كما في الأنثى.

لترجيح أحد المتساويين على الآخر، وصح إقامة لفظ كل نحو [قوله تعالى]: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ٢][(١)].

والاستغراق ضربان:

حقيقي[(٢)]: نحو [قوله تعالى]: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣][(٣)].

وعرفي[(٤)]: نحو: جمع الأمير الصاغة، أي صاغة بلده، وأطراف مملكته. واستغراق الفرد أشمل من استغراق الجمع لصدق: لا رجال في الدار إذا كان فيها رجل واحد، أو رجلًا، دون لا رجل[(٥)].

أو: يقصد الجنس.

---

(١) لأن المعنى أن كل إنسان متقلب في خسارة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة العصر: ٣]، فإنهم على خلاف ذلك، ويصدّق استغراقه ورود الاستثناء منه، وهو لا يصح إلا في مستغرق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، أي كل سارق وسارقة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [سورة طه: ٦٩]. أي كل ساحر فهو غير مفلح في سحره. الطراز للعلوي ٣/ ١٤٧، فالاستغراق هنا بمعونة القرينة اللفظية.

(٢) **الاستغراق الحقيقي هو**: ما يشمل جميع الأفراد التي تدل عليها الألفاظ بحسب اللغة.

(٣) الاستغراق في الآية حقيقي يتناول كل غيب وكل شهادة بمعونة القرينة الحالية.

ولكن لماذا عطف الشهادة على الغيب، وعلم الغيب يدل على الشهادة من باب الأولى؟ قيل: لأنه سبحانه لما تمدح بعلم الغيب، وعلم أن التمدح بذلك على انفراده لا يحصل به كمال التمدح، فقال: «والشهادة» لأن علم الغيب بالنسبة إلينا علم كلي، وعلم الشهادة بالنسبة إلينا علم بالجزئيات، والاقتصار على علم الغيب يوهم بعض الضعفاء أنه لا يعلم من المشاهدات ما يعلمه، فكان التمدح بعلم الشهادة أبلغ. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الإصبع ١٣٣.

(٤) الاستغراق العرفي هو: الذي يشمل جميع الأفراد التي تدل عليها الألفاظ باعتبار العرف.

(٥) هذا ما ذهب إليه علماء البلاغة، قالوا: «استغراقَ المفرد أشملُ من استغراق الجمع»؛ لأنه يتناول كلَّ واحدٍ واحدٍ من الأفراد، واستغراقُ المثنّى إنّما يتناولُ كلَّ اثنينِ اثنينِ ولا يُنافي خروجَ الواحدِ، واستغراقُ الجمعِ إنّما يتناولُ كلَّ جماعةٍ جماعةٍ ولا يُنافي خروجَ الواحدِ والاثنين؛ بدليلِ صحّةِ: (لا رجالَ في الدّارِ) إذا كانَ فيها رَجلٌ أو رَجلان، دونَ: (لا رَجُلَ). انظر: التّلخيص ص ٢٨، والإيضاح ٢/ ٢٦، وكذا في المطول والمختصر.

لما انفرد: أي مفرد باعتبار عهديته في الذهن، كقولك: ادخل السوق، ولا عهد بينك وبين مخاطبك في سوق، فهو أمر بإيجاد الدخول في ماهية السوق، ووجود الماهية المطلقة في الخارج محال؛ لأن ما هو موجود في الخارج مصون باللواحق الخارجية ضرورة، فيكون وجودها في ضمن جزء، أي جزء كان فيكون الأمر بالحقيقة بناء على أن هذا أمر بواحد غير معين موجود في الذهن[1].

[تعريف المسند إليه بالإضافة]

٢٧- وَبِإِضَافَةٍ؛ فَلِاخْتِصَارِ نَعَمْ، وَلِلذَّمِّ، أَوِ احْتِقَارِ

و: إن يكن معرفًا[2].

بإضافة: ....

(١) خلاصة ذلك: أن المعرف بلام الحقيقة يأتي لواحد من الأفراد باعتبار عهديته في الذهن، نحو: ادخل السوق؛ حيث لا عهد في الخارج.
وعليه فلام التعريف على قسمين:
١- لام العهد الخارجي وتحتها أقسام ثلاثة: صريح بأن تقدم له ذكر صراحة - وكنائي بأن تقدم له ذكر كناية - وعلمي بأن لم يتقدم له ذكر أصلًا لكنه معلوم عند الخاطب سواء كان حاضرًا أو لا، ويسميها النحويون إذا كان مدخولها معلومًا حاضرًا لام العهد الحضوري، وإن كان غير حاضر لام العهد الذهني.
٢- لام الحقيقة وتشمل أربعة أقسام: لام الحقيقة من حيث هي وتسمى بلام الجنس - ولام العهد الذهني - ولام الاستغراق الحقيقي - ولام الاستغراق العرفي.
فإن أشير بها للحقيقة من حيث هي فهي لام الحقيقة أو الجنس، وإن أشير بها إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم فهي لام العهد الذهني، وإن أشير بها إلى الحقيقة في ضمن جميع الأفراد فهي للاستغراق؛ **فأقسام اللام سبعة**. وقيل لام الحقيقة أصل ولام العهد الخارجي أصل آخر، وقيل الأصل لام العهد الخارجي، وقيل لام الاستغراق، وقيل الجميع أصول. هامش الإيضاح للخطيب ٢/ ٢١ تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

(٢) يتحدث هنا عن تعريف المسند إليه بالإضافة، ويذكر أنه يكون كذلك لغرض الاختصار، والاحتقار، ولم يلتفت لقول الناظم: نعم، وللذم، على اعتبار أن الذم، والتحقير غرض واحد، وأن قوله نعم، زيادة تحقيق لغرض الاختصار في الكلام؛ لأن الإضافة أوجز طريق إلى ذهن السامع.

مكسبة للتعريف[١].

فلاختصار: أي أنها أخصر طريق من طرق التعريف[٢]، نحو قوله: (الطويل)

هــواي مع الركــب اليمانين مصعد[٣]

---

(١) المعرف بالإضافة هو الاسم النكرة الذي اكتسب التعريف بالإضافة إلى أحد المعارف كالضمير، واسم الإشارة، واسم الموصول.

(٢) الاختصار الذي يقتضيه المقام هو أوجز طريق لإحضار المعنى في ذهن السامع.

(٣) البيت منسوب في كتب البلاغة لجعفر بن عُلْبَة الحارثي، وجعفر بن علبة هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحرث بن كعب ويكني أبا عارم وعارم ابن له وقد ذكره في شعره وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية شاعر مقل غزل فارس مذكور في فوارس قومه وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعرا أيضا ومات جعفر هذا مقتولا في قصاص، وقد كان سجينا في مكة، فزارته التي يهواها، ثم سافرت مع الركب المتجهين مُصْعِدِين إلى جهة اليمن، والأبيات التي جاء في سياقها شاهدة على ذلك حيث يقول: (الطويل)

هَـوَايَ مَـعَ الـرَّكْـبِ الـيَمَانِينَ مُصْعِدُ ... جَـنِـيـبٌ وَجُـثْـمَـانِـي بِـمَـكَّـةَ مُـوثَـقُ

عَـجِبْتُ لِـمَسْرَاهَا وَأَنَّـى تَخَلَّصَتْ ... إِلَـيَّ وَبَـابُ الـسِّـجْنِ دُونِـيَ مُـغْـلَـقُ

أَلَـمَّـتْ فَحَـيَّتْ ثُـمَّ قَامَتْ فَـوَدَّعَـتْ ... فَـلَـمَّـا تَـوَلَّـتْ كَـادَتِ الـنَّـفْسُ تَـزْهَـقُ

ومعنى البيت: هواي راحلة مبعدة مع ركبان الإبل القاصدين نحو اليمن وبدني مقيد بمكة، ومُصْعِد: من «أَصْعَدَ» إذا ارْتقى في أرضٍ آخذةٍ في العلوّ والارتفاع، والْجَنِيب: ما يقادُ إلى الجنب من الخيل وغيرها، والمسرى: مصدر ميمي بمعنى السرى والضمير لخيال الحبيبة وهي مؤنثة وهي وإن لم يجر لها ذكر لكنها معلومة من المقام. وأنى معناه كيف أو من أين وتخلصت: توصلت، يقول: تعجبت من سير هذه الخيال ومن توصلها إلي مع هذه الحال وهو أن باب السجن مغلق عليّ، حيث شبّه هواه الصاعد مع الركب بالدابة التي تُقَاد إلى جَنْبِ من مقودها، فتكون مرافقة للرّكب، وقصده مَنْ يهوى، فهي هواه، قالوا: وحسَّنَ هذا الاختصار أنّ الشاعر ضائق وسجين، كادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ: أي: تخرج من جسده، **والشاهد الذي استشهد به البلاغيون قولُه «هَوَايَ»** أي: التي أهواها، أو مهويّ، فأطلق عليها أنّها هي الهوى، وأضاف الهوى إلى ياء المتكلم، فقال: هَوَايَ مع الركب اليمانين مُصْعِد، وهو أخصر من قولهم الذي أهواه أو غير ذلك والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة لكونه في السجن وحبيبه على الرحيل. ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ـ تـ ٩٦٣هـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١/ ١٣٠، وخزانة الأدب =

وقصد تعظيم لشأن المضاف إليه[1]، كقولك: عبدي حضر، أو المضاف: كقولك عبد الخليفة ركب، أو غيرهما نحو: عبد السلطان عندي.

أو: قصد:

احتقار: للمضاف، نحو: ولد الحجام حضر، أو المضاف إليه، نحو: غلام العالم سارق، أو غيرهما، نحو: ولد الحجام عند فلان.

[تنكير المسند إليه]

٢٨- وَإِنْ مُنَكَّرًا فَلِلتَّحْقِيْرِ وَالضِّدِّ، وَالإِفْرَادِ، والتكثير

٢٩- وَضِدِّهِ.................

وإن: يكن المسند إليه.

منكرًا: أي يجيء نكرة[2].

فللتحقير: أي انحطاط شأنه إلى حد يوهم أنه لا يمكن أن يعرف.

والضد: أي التعظيم له، ....

= ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي المتوفي ١٠٩٣هـ تحقيق: محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب= ١٠/ ٣٣٠، دار الكتب العلمية ١٩٩٨م، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ١/ ٣٤٩.

(١) تعظيم المضاف إليه من أغراض التعريف بالإضافة، كالشواهد التي ذكرها، ومنه قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [سورة الإسراء: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [سورة الجن: ١٩]. فالإضافة في« عبده، وعبد الله» لتعظيم المضاف إليه، وقد تكون لتعظيم المضاف، كشاهده المذكور، وكقول من يفرح بمؤلفاته مثلا: هذه مؤلفاتي...

(٢) التنكير هو الأصل؛ لأن كل تعريف يندرج تحته، حيث يدل التنكير على غير معين كرجل وفرس، ويدل على النوعية أو الإفراد، فتدخل عليه علامة التعريف فتعينه، والمسند إليه يأتي نكرة لأغراض بلاغية غير النوعية، أو الإفراد، كالتعظيم، والتحقير، والتكثير، والتقليل ونحو ذلك كما سيأتي خلال الشواهد.

ومثالهما قوله[(١)]: (الطويل)

لــه حــاجــب عــن كــل أمــر يشينه　　　وليس له عن طالب العرف حاجب

فالأول: للتعظيم، أي حاجب عظيم في كل أمر يُعنيه.

والثاني: للتحقير، أي: وليس له حاجب صغير عن طالب العطاء.

قال صاحب المصباح: انظر كيف تجد الفهم والذوق يقتضيان كمال ارتفاع شأن حاجب الأول وكمال انحطاط حاجب الثاني؟

والإفراد: أي التوحيد، أي إيراده واحدا نحو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [سورة القصص: ٢٠][(٢)].

---

(١) اجتمع في البيت الغرضان، وهو في زهر الآداب للحصري منسوب لأبي السمط بن أبي حفصة، وفي معاهد التنصيص لابن أبي السمط، والشاهد فيه تنكير الحاجب الأول للتعظيم والثاني للتحقير أي ليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم، وفي عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي منسوب لابن أبي السمط وهو مروان بن أبي حفصة، وفيه يقول السبكي: أي له حاجب عظيم، وليس له حاجب حقير، ويجوز أن يقال: نفي الحاجب الحقير فهم من عموم النكرة في سياق النفي، ويجاب بأن جعل النفي للتحقير لينفي غيره من باب الأولى أنسب.. ويحسن التمثيل لاجتماع تنكيري التعظيم والتحقير ببيت على روي هذا البيت وهو قوله: (الطويل)

ولــلــه مــنــي جــانــب لا أضــيــعــه　　　ولــلــهــو مــنــي والــخــلاعــة جــانــب

معاهد التنصيص ١/ ١٢٧، وعروس الأفراح١/ ٣٥٠ ضمن شروح التلخيص. وتنكير (جانب) الأولى للتعظيم، والثانية للتحقير.

وعليه فالكلمة في سياق واحد، ولكنها أفادت التعظيم في الحاجب الذي يحول بينه وبين الخلال البغيضة، فلا يمكن أن يصنع منها شيئا، وأفادت التحقير الذي لا يكاد يكون بينه وبين ذوي الحاجات.

(٢) جاء المسند إليه (رجل) نكرة؛ لأن الغرض إثبات الحكم لفرد واحد، وليس المراد تعينه؛ فإن ذلك لا يجدي، وقُدم (رجل) هنا؛ لأن المراد: جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاوزا لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فلما كانت العبرة هنا بالحديث عن الرجل قدمه، بخلاف آية سورة يس: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة يس: ٢٠]، فكان المقصود تبكيت القوم بأن الجائي من أقصى المدينة؛ لذا قدم قوله« من أقصى المدينة» =

والتكثير: نحو إن له بلا وإن له لغنما، أي كثيرًا منهما[(١)].

وضده: وهو التقليل، نحو قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة التوبة: ٧٢]، أي: قدر يسير من الرضوان خير مما قبله كله؛ إذ رضاه سبب كل فلاح[(٢)].

[تقييد المسند إليه بالوصف]

٢٩- ...... وَالْـوَصْــفُ؛ لِلتَّبْيِيْنِ، وَالْـمَــدْحِ، وَالتَّخْصِيْصِ، وَالتَّعْيِيْنِ

[٧أ] **والوصف**: أي جعل المسند إليه موصوفًا[(٣)].

للتبيين: للموصوف بالوصف؛ لكونه كاشفًا عن معناه، كقولك: الجسم الطويل

= على الرجل. ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز. للإسكافي ٢٨٠.

وقد يكون يجتمع في التنكير النوعية والإفراد نحو: [قوله تعالى] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [سورة النور: ٤٥]، فتنكير (دابة) في الآية الكريمة؛ لاختلاف أنواع الدواب، واختلاف ماء كل نوع، وقال الخطيب: يحتمل التنكير هنا: الإفراد، والنوعية؛ أي خلق كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه. ينظر بغية الإيضاح ١/ ١٠٢.

(١) من أغراض التنكير (التكثير) وهو يختلف عن التعظيم؛ لأن العبرة هنا بالكثرة في العدد، لذلك استدل بالمثال السابق؛ أي إبلا كثيرة، قال بهاء الدين السبكي: بمعنى أن ذلك الشيء كثير حتى إنه لا يحتاج لتعريف، وحمل الزمخشري التنكير في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [سورة الأعراف: ١١٣] عليه. عروس الأفراح ١/ ٢٠٤، وبغية الإيضاح١/ ٩٤.

وقد اجتمع التعظيم والتكثير في [قوله تعالى]: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ [سورة فاطر: ٤]. وذلك لكثرة الرسل الذين كانوا قبله، ولبيان مكانتهم، ورفعة شأنهم..

(٢) أي القليل من رضوان الله أكبر من كل رضوان، وهذا هو القليل الذي لا يقال له قليل، كما قال أبو نصر أحمد الميكالي: (الوافر)

قَلِيلٌ مِنكَ يَكْفِينِي ولكنْ قَلِيلُكَ لا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ

(٣) لأنه يحتاج إلى ما يوضح معناه، والوصف تفسير للمعنى وكشف للمراد، وذلك قد يكون مدحا، أو تخصيصا، أو تعيينا.

العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله.

والمدح: نحو: بسم الله الرحمن الرحيم، أو الذم نحو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والتخصيص: أي تقليل الاشتراك نحو زيد الفاجر عندنا.

والتعيين: نحو جاء زيد العالم، أو الجاهل حيث يتعين ويتميز المراد فيه.

[أغراض تأكيد المسند إليه]

٣٠- وَكَوْنُهُ مُؤَكَّدًا فَيَحْصُلُ ... لِدَفْعِ وَهْمِ كَوْنِهِ لَا يَشْمَلُ

٣١- وَالسَّهْوِ وَالتَّجَوُّزِ الْمُبَاحِ ... .

وكونه مؤكدًا[١]: المسند إليه المنعوت نحو مضى أمس الدابر[٢]، ويجوز أن يكون مراده: وكون المسند إليه مؤكدا.

ويحصل: التوكيد[٣].

لدفع[٤]**وهم كونه**: أي المسند إليه قبل التوكيد.

لا يشمل: الأفراد ويعمها، وأنه يجوز بالمعظم عن الكل نحو: [قوله تعالى] ﴿ فَسَجَدَ

(١) أي تقرير المسند إليه أي تحقيق مفهومه ومدلوله، أي جعله ثابتًا محققًا مستقرًّا بحيث لا يظن به غيره، نحو جاءني زيد زيد إذا ظن المتكلم غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه أو عن حمله على معناه. هامش الإيضاح ٢/ ٤٣ بتحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

(٢) فالدابر: تأكيد؛ لأن لفظ الأمس يدل على الدبور، وكذلك قوله تعالى: ﴿ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحاقة: ١٣]، فكل من: الدابر، وواحدة نعت غرضه التأكيد.

(٣) هنا يشرع في ذكر أغراض التوكيد، وقد أجملها العلوي على أحسن الوجوه وأوجزها، فقال: فأما بيانه بالتوكيد، فقد يكون لإزالة الشكّ، والوهم الواقع في ذهن السامع، في نحو قولك: جاء زيد نفسه، إزالة لأن يكون الجائي كتابه أو رسوله، قال تعالى: كُنْتَ ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]، وقد يفيد تقرير الشيء في نفسه في مثل قولك: جاء زيد نفسه، وقد يفيد الشمول والإحاطة في نحو قولك: جاء الرجال كلهم، والرجلان كلاهما، إلى غير ذلك من الأمور المؤكدة. الطراز ٣/ ١٤٨.

(٤) في (ب) أو رفع وهم.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحجر: ٣٠]، فجيء بالتأكيد؛ لدفع ذلك الوهم؛ وإن كان الكلام لا يعطيه اللفظ من العموم، والشمول[١].

و: لدفع المباح[٢] أي الذي يمكن التجوز به عنه، أما ما لا يباح[٣] التجوز عنه كالدفع[٤] عن زيد في: جاء زيد بالدار، مثلًا فذلك غلط لا يلتفت إليه.

للسهو[٥]: في نحو جاء الملك نفسه، وأن السامع يجوز لبيان المتكلم، وأن الجائي غيره فندفعه بالتأكيد.

و: لدفع توهم.

التجوز نحو: جاء زيد، فإنه يتوهم أنه جاء خبره، أو كتابه، وتجوز عن ذلك بما ذكر بقوله: نفسه.

المباح:[٦] أي الذي يمكن التجوز عنه[٧]، أما ما لا يباح التجوز عنه به، كالدار تجوز عن زيد، في: جاء زيد بالدار مثلا، فذلك غلط لا يلتفت إليه.

❋ ❋ ❋

(١) وفيه يقول عصام الدين الإسفراييني: فإن قلت: قد يوجد دفع توهم عدم الشمول مع التجوز فلا نعني دفع توهم التجوز عنه، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ شامل لإبليس تجوزا، فإن الأصح أنه كان جنيا مغمورا في الملائكة فلذا أدخل فيها وتأكيد الملائكة بـ ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يفيد شمول الحكم لما قصد بالملائكة تجوزا ولا يدفع التجوز، قلت: يحتمل الإسناد التجوز بأن إسناد السجدة إلى الكل تجوزا فهذا التأكيد المفيد للشمول يدفع توهم هذا التجوز. الأطول١/ ٣٤٨.

(٢) في (ب) ولدفع توهم المباح.

(٣) في (ب) ما لا يحتاج.

(٤) في (ب) كالبروح عن زيد.

(٥) أي دفع توهم السهو.

(٦) أي التكلم بالمجاز، والمجاز هنا مراد به ما هو أعم من العقلي واللغوي - نحو زارني الأمير الأمير، أو نفسه أو عينه، لئلا يتوهم أن إسناد الزيارة إلى الأمير مجاز وأن الزائر رسوله مثلًا. هامش الإيضاح٢/ ٤٤

(٧) في (ب) بما ذكر فدفعه بقوله تعينه المباح

[أغراض تأكيد المسند إليه بعطف البيان]

٣١- .... ثُـــمَّ بَـيَـــانُـــهُ فَـلِــلْإِيْــضَـــاحِ

٣٢- بِـاسْـمٍ بِـهِ يَـخْـتَـصُّ............

ثم بيانه، أي بيان المسند إليه بعطف البيان، وهو: تابع جامد موضح للمتبوع وكاشف عن إجماله ومهذب لخفائه[١].

فللإيضاح: أي لإيضاح المسند إليه.

باسم يختص به[٢]: نحو قدم صديقك خالد.

وخرّج بقولنا باسم به يختص: الوصف التوضيحي، فإنه وإن كان موضحًا لكنه ليس باسم مختص.

وهذا وقد شرط بعض النحويين: كون عطف البيان أوضح من متبوعه؛ ليحصل به الإيضاح، ولم يشترطه بعضهم؛ لجواز أن يحصل من الإيضاح بالاجتماع ما لا يحصل بالانفراد[٣].

---

(١) عطف البيان كما قال: تابع شبيه بالصفة في إيضاحه لمتبوعه إذا كان معرفة، وتخصيصه إذا كان نكرة، ولكنه يفارق النعت بأنّ النعت مشتقٌّ أَوْ مُؤَوّلٌ بمشتق، أمّا عطف البيان فجامدٌ دومًا إذًا كان غير جملة، وقد يكون جملة، ويُلاحَظُ أَنَّ عَطْف البيان يكونُ في اللَّقب بعد الاسم العلم، مثل «جَاءَ عليٌّ زيْنُ العابدين». وفي الاسم العلم بعد الكنية، مثل: «أَقْسَمَ بالله أبو حفصٍ عُمَر»، وفي المحلَّى بـ"أل» بعد اسم الإشارة، مثل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ٢]، وفي الموصوف بَعْدَ الصِّفَة، مثل: «**بعثَ اللهُ الكليمَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْن وَمَلَئِه**» وَفي التفسير بَعْدَ الْمُفَسَّر، مثل: «الْعَسْجَدُ الذَّهَبُ تَجِبُ فِيه الزَّكاة» ينظر: البلاغة العربية ١/ ٤٦٣،٤٦٤.

(٢) في المنظومة: به يختص.

(٣) **قيل**: ولا يلزم أن يكون الثاني أوضح من الأول كما يدل عليه كلام سيبويه لجواز أن يحصل الإيضاح من اجتماعهما. وقد يكون عطف البيان بغير اسم مختص به كقوله: (البسيط)

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند

فالواو للقسم، والمؤمن: هو الله تعالى من الأمان، والطير: عطف بيان للعائذات، والغيل =

ألا ترى أن: جاء أبو عبد الله زيد أوضح من جاء زيد؟ وإن كان الاسم أظهر وأوضح من الكنية.

[تقييد المسند إليه بالبدل][(١)]

٣٢- .... والإبـــــــدال يَــــزِيْـــدُ تَــقْـــرِيْـــرًا لِـمَـــا يُـقَـــالُ

والإبدال: منه.

يزيد تقريرًا: أي لزيادة تقرير[(٢)].

= والسند: موضعان في جانب الحرم، فيهما الماء، والعائذات مفعول «مؤمن» أو مضاف إليه. وجواب القسم في البيت التالي وهو: (البسيط)

مــا إن أتـيـت بـشـيء أنــت تـكـرهــه إذن فــلا رفـعـت سـوطـا إلــيّ يـدي

فالطير عطف بيان للعائذات مع أنه ليس اسمًا يختص بها. هذا وقد يجيء عطف البيان لغير الإيضاح كالمدح في قوله تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة المائدة: ٩٧]، فالبيت الحرام عطف بيان للكعبة جيء به للمدح لا للإيضاح كما تجيء الصفة لذلك.

ينظر بغية الإيضاح١/ ١٠٤، وهامش الإيضاح للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ٢/ ٤٥.

(١) **الفرق بين البدل وعطف البيان من أربعة أوجه:**

أحدها: أن البدل قد يكون هو المبدل منه بعينه، وقد يكون اسما مصاحبا له، وقد يكون حدثا من أحداثه، وعطف البيان هو المعطوف عليه أبدا.

والثاني: أن البدل يكون بالمعارف والنكرات، وعطف البيان لا يكون إلا بالأسماء المعرفة الظاهرة.

والثالث: أن البدل تقدر معه إعادة العامل، فكأنه من جملة أخرى، وعطف البيان لا يقدر فيه ذلك، بل هو في هذا الوجه كالنعت.

الرابع: أن البدل يجيء منه ما يراد به الغلط، وعطف البيان لا غلط فيه. ويروى: **يا نصرُ نصرًا نصرًا**، يعطفهما على الموضع، **ويجوز رفعهما** جميعًا على اللفظ، في غير هذا الشعر، **ويجوز نصب الأول على الموضع، ورفع الثاني على اللفظ، ويجوز نصبهما جميعًا** على المصدر، كأنه قال: «**يا نصر انصرني نصرًا نصرًا**»، وكرر للتوكيد. إيضاح شواهد الإيضاح (لأبي علي الفارسي) ١/ ٣٣٩ تأليف: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان - ط: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

(٢) هذا وقوله لزيادة التقرير يومئ إلى أن الغرض من البدل هو أن يكون مقصودًا بالنسبة - والمبدل =

لما يقال: أي المقول أي المسند إليه؛ لأنه على نية تكراره، وذكر المسند إليه توطئة ذكره مرة أخرى؛ لزيادة التقرير في تعين السامع؛ نحو: جاء زيد أخوك، وجاء القوم أكثرهم، وسلب عمرو ثوبه.

وبدل الغلط: لما لم يصدر عن رؤية، وفكر، لم يكن فيه معنى الإبدال من زيادة التقرير على أنه لا يكون في كلام البلغاء[(١)].

[تقييد المسند إليه بعطف النسق]

٣٣- وَالْعَطْفُ تَفْصِيلٌ مَعَ اقْتِرَابِ أَوْ رَدُّ سَامِعٍ إِلَى الصَّوَابِ

والعطف: عليه عطف نسق[(٢)].

تفصيل: للمسند إليه.

مع اقتراب: أي قرب ذكره؛ للاختصار بحذف الفعل من المعطوف نحو: جاء زيد وعمرو، أو تفصيل المسند إليه مع اقتراب، نحو: جاء زيد فعمرو، أو جاء القوم حتى خالد.

أورد سامع: عن الخطأ في الحكم.

= منه وصلة للبدل، فالبدل هو الذي تتم به فائدة الكلام فصار كأنه المقصود حقيقة لا أنه هو المقصود بالذات حتى يكون الأول مقررًا له بل هو المقرر للأول، والتقرير زيادة تحصل تبعًا وضمنًا بحسب أصل الكلام. أما التأكيد فالغرض منه نفس التقرير والتحقيق، ولذا عبر هنا «بزيادة التقرير» وفي التأكيد «بالتقرير. هامش الإيضاح ٢/ ٤٥

(١) بدل الغلط لا يكون في قرآن ولا كلام فصيح، وهو: أن يريد أن يلفظ بشيء فيسبق لسانه إلى غيره، فيقول: لقيت زيدا عمرا، فعمرو هو المقصود، وزيد وقع في لسانه غلط به، فأتى بالذي قصده، وأبدله من المغلوط به، والأجود في مثل هذا أن يستعمل «بل» فيقول: بل عمرا. ينظر أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ٢٦٥.

(٢) النسق، بالفتح: اسم مصدر، يقال: كلام نسق إذا جاء على نظام واحد، وفي اصطلاح النحاة: تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف، والأصل في عطف النسق: المغايرة بين المتعاطفين، فلا يصح عطف الشيء على نفسه، وأجاز بعضهم ذلك إذا اختلف اللفظان لغرض بلاغي، أو لقصد التفسير والتوضيح، ومنه قول الشاعر: وألفي قولها كذبا ومينا. ينظر: ضياء السالك: ٣/ ٢٠١.

إلى الصواب: نحو جاء زيد لا عمرو، في اعتقاده أن عمرًا جاءك لا زيد، أو أنهما جاءاك معًا، أو صرف الحكم إلى آخر، نحو جاء زيد بل عمرو، أو ما جاء زيد بل عمرو.

[تقييد المسند إليه بضمير الفصل][1]

٣٤- وَالفَصْلُ؛ لِلتَّخْصِيصِ..........

والفصل: أي الإتيان بضمير الفصل عقب المسند إليه[2].

للتخصيص: للمسند إليه بالمسند[3]، وهو صفة مرفوع منفصل مطابق للمبتدأ، والأصح أنه: حرف لا إعراب لمحله.

وسمي ضميرًا؛ لأنه على صورته، وضمير فصل لأنه؛ يفصل لكون مدخوله خبرًا أو نعتا.

***

(١) ضمير الفصل هو ضمير منفصل من ضمائر الرفع، يُؤتَى به لغرض الفصل بين ما هو خبر وما هو تابع، ويقع فصلًا بين المبتدأ والخبر، مثل: المتنبي هو شاعر العربيَّة المبدع»، ويقع فصلًا بين ما أصله مبتدأ وخبر ممّا دخل عليه أحَدُ النواسِخ، مثل: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢]. ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] و﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة القصص: ٥٨] ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [سورة المزمل: ٢٠].

(٢) وَإِنَّمَا جُعِلَ تعقيب المسند إليه بضمير الفصل مِنْ أَحْوَالِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَرِنُ بِهِ أَوَّلاً، وَلِأَنَّهُ فِي الْمَعْنَى: عِبَارَةٌ عِنْهُ، وَفِي اللَّفْظِ: مُطَابِقٌ لَهُ. ينظر المطول٢٥٠، والمختصر ٤٥. والمقصود به قصر المسند على المسند إليه.

(٣) أي: التخصيص، بقصر المسند على المسند إليه، مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٤].
وتأكيد التخصيص، إذا كان في الجملة مُخَصِّصٌ آخر، كما في المثال الثاني من الآية السابقة، وكما هو قول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الذاريات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الذاريات: ٥٨]، فالتخصيص مستفاد من تعريف طرفي الإسناد، وجاء ضمير الفصل مؤكّدًا له.
وتمييز الخبر عن الصفة، مثل قولنا: «الْفَصِيحُ هو مُوضِح البيان طَلْقُ اللِّسان»، إلى غير ذلك من أغراض بلاغية يمكن استنباطها أو تصيُّدها. البلاغة العربية ١/ ٤٥٣

[تقديم المسند إليه][1]

٣٤- [................ وَالتَّقْدِيْمُ فَلِاهْتِمامٍ يَحْصُلُ التَّقْسِيْمُ

٣٥- كَالْأَصْلِ، والتَّمْكِيْنِ، والتَّعَجُّلِ وَقَدْ يُفِيْدُ الِاخْتِصَاصَ إنْ وَلِي]

٣٦- نَفْيًا........................

والتقديم: المسند إليه [٧ب] قال فيه، وفي كثير مما مر: نائبة مناب المضاف إليه الضمير، كما هو مذهب الكوفيين.

فلاهتمام: بالمسند إليه واعتنائه لاعتبارات مختلفة.

يحصل التقسيم: لأنواع الاهتمام المقتضية لتقديمه، وبين بعض ذلك بقوله: **كالأصل**: أي تقديمه، وهو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه.

والتمكين[2]: للخبر في ذهن السامع، إذا ورد عليه، لما في تقديم المسند إليه من التشويق إلى الحجة نحو[3]: (الخفيف)

---

(١) الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم المسند إليه على المسند، فالتقديم هنا باعتبار الأصل، وهذا هو قول الناظم، الشارح هنا: كالأصل: أي تقديمه، وهو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه. ومع ذلك لا يكون إلا لأغراض بلاغية، والأصل غرض رئيس تنبلج منه أغراض بلاغية يقتضيها السياق والمقام، كما سيأتي.

(٢) سبب هذا التمكين الذي عطفه على لأصل: أن في المبتدأ تشويقًا إليه، كالشاهد المذكور في شرح الشارح.

(٣) قوله: والذي يقصد به: البعث، والبرية هم الخلائق، البيت من قصيدة في الرثاء لأبي العلاء المعري، ومطلعها: (الخفيف)

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلَّتِي واعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ ولا تَرَنُّمُ شَادِ

وختامها:

بَانَ أمْرُ الإلهِ واخْتَلَفَ النَّـ ـاسُ فَدَاعٍ إلى ضَلالٍ وهَادِ

والَّذي حَارَتِ البَرِيَّةُ فيه حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِن جَمادِ =

والـــذي حـــارَتِ الــبَــرِيَّــةُ فيه   حَــيَــوانٌ مُــسْــتَــحْــدَثٌ مِــن جَــمــادِ

والتعجيل: للمسرة نحو: سعد بن مساعد في دارك، أو لتعجيل المساءة نحو: السفاح في دار صديقك، أو لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر نحو[1]: (الوافر)

أمــيــة أعــرضــت خــوف الــمــلام   وضــنــت بــالــتــحــيــة والــســلام

أو أنه يستلذه المتكلم به[2].

قال في المفتاح: أو لإنبائه عن التعظيم، والمقام يقتضيه نحو: أمير المؤمنين يوسم

= والــلــبــيــب الــلــبــيــب مــن لــيــس يغتر   ر بــكــون مــصــيــرُه لــلــفــســاد

ومعنى البيت: تحيرت البرية في المعاد الجسماني، والنشور الذي ليس بنفساني، وفي أن أبدان الأموات كيف تحيا من الرفات، وبعضهم يقول به وبعضهم ينكره، وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا ناقة صالح، ولا ثعبان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ لا يناسب السياق، وقال الإمام أبو محمد بن السيد البطليوسي حين شرح سقط الزند في هذا البيت: يريد أن الجسم موات بطبعه وإنما يصير حساسا متحركا باتصال النفس به، فإذا فارقته عند الموت عاد إلى طبعه، فالحياة للنفس جوهرية، وللجسم عرضية، فلذلك يعدم الجسم الحياة إذا فارقته النفس، ولا تعدمها النفس والشاهد فيه تقديم المسند إليه (اسم الموصول) على المسند (حيوان) لتمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدإ تشويقا إليه.

وأبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي من أهل معرة النعمان العالم المشهور صاحب التصانيف المشهورة ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وجدر في السنة الثالثة من عمره فعمى منه وكان يقول لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأني ألبست في الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر لا أعقل غير ذلك. ينظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/ ١٣٥.

(١) لم أستدل عليه في دواوين الشعر، أو كتب اللغة، والبلاغة، ومنه كقول جميل: (الطويل)

بــثــيــنــة مــا فــيــهــا إذا مــا تــبــصــرت   مــعــاب ولا فــيــهــا إذا نُــســبــتْ أشــب

وتقديم المسند إليه فيهما: أمية، وبثينة، دليل على تورد كل منهما على الخاطر في كل وقت، إلا أنه عبر بكلمة: إيهام - كما يقول الدسوقي -: لأن عدم زواله عن الخاطر أمر غير ممكن بحسب العادة؛ لأنه يزول في بعض الأوقات كوقت النوم. حاشيته على مختصر السعد ٦٣٠.

(٢) كقول المحب لله ورسوله: الله ربي، الله حسبي، ومحمد شفيعي.

بلدتي؛ تعظيمًا لشأن بلد الموسوم، أو لأن التقديم يفيد زيادة تخصيص الخبر بالمبتدأ كقوله: (الوافر)

رزان في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم خفوف

أي هم مخصوصون بالجود دون غيرهم[١].

[تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في النفي]

وقد يفيد: تقديم المسند إليه على المسند. **(الاختصاص)**: له بالخبر الفعلي.

إن ولي: أي وقع المسند إليه المقدم.

نفيًا: أي وقع بعد حرف النفي، مظهرًا كان، أو مضمرًا، معرفًا كان، أو منكرًا[٢] نحو: ما أنا قلت هذا، أي لم أقل، مع أنه مقول لغيري.

ولهذا لم يصح: ما أنا قلت، ولا غيري، ولا: ما أنا رأيت أحدًا من الناس، ولا: ما أنا

(١) والبيت في مفتاح العلوم للسكاكي ١٩٦، وعروس الأفراح للسبكي ١/ ٢٤٣ ولا يعرف قائله.

(٢) تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي أهم مباحث باب التقديم، ويأتي في النفي، والإثبات، والنكرة، والمعرفة، وبيان ذلك يتجلى في الفرق بين قولهم: ما فعلت هذا، وما أنا فعلت هذا، فتقديم الفعل يدل على عدم ثبوته؛ أي أنه نفي عن نفسه فعلا لم يثبت أنه مفعول، وفي هذه الحالة يصح أن يكون المنفي عاما، نحو ما قلت شعرا قط، ويصح العطف عليه، فيجوز أن تقول: ما فعلت هذا ولا فعله أحد من الناس؛ لأن الكلام عن فعل لم يثبت وجوده، فلك أن تنفيه عن غيرك أيضا، ويصح القصر فتقول: ما ضربت إلا زيدا؛ لأنك نفيت عن نفسك ضرب غيره، ولم تتعرض لغيرك. ولا يصح شيء من ذلك إذا قدمت الاسم فقلت: ما أنا فعلت هذا؛ لأن تقديم الاسم دليل على وقوع الفعل، وأنه ينفيه عن نفسه فقط، ومن ثم لا يصلح هنا أن يكون المنفي عاما، فلا تقول: ما أنا قلت شعرا قط؛ لأنه يقتضي المحال وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، ونفيت أن تكونه، ومعنى هذا أنه ثابت لغيرك على الوجه الذي نفي به عنك، وهذا محال؛ لأنه مأخوذ من وقوع النكرة في سياق النفي، وهي بذلك تفيد العموم، وكذلك لا يصح العطف -كما في تقديم الفعل- فلا يصح ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس؛ لأنه يترتب عليه وجود فعل من غير فاعل، وهذا محال، وكذلك لا يصح القصر، فلا تقول: ما أنا ضربت إلا زيدا، لما فيه من تناقض، وبهذا تبين أن تقديم الفعل يختلف عن تقديم الاسم في باب النفي.

رأيت زيدًا؛ لاقتضاء العرف في الأخيرين، وجود غيرك، أي كل أحد وضرب كل من عدا زيدا، وإنه لمحال.

وجاز من غير استهجان: ما رأيت أحدًا من الناس، وما ضربت إلا زيدًا؛ لأن العرف عند ترك المسند إليه حينئذٍ لا يقتضي ثبوت النفي لغيره، كما يقتضيه حال ذكره له عقب أداة النفي.

[تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في الإثبات][1]

وإن لم يل المسند إليه المقدم حرف نفي، فيكون لتقوي الحكم نحو: هو يعطي وأنت لا تكذب، فهو أشد من:

يعطي هو، ولا تكذب أنت؛ لتأكيد المحكوم عليه في هذين، بخلافه في الأولين فهو لتأكيد الحكم، وتقويته.

وقد يفيد تخصيص الخبر الفعلي بالمسند إليه، ونفيه عن غيره، نحو أنا سعيت في حاجتك، ردًا على من زعم انفراد غيره بها، أو مشاركته فيها.

ويؤكد على الأول بنحو: لا غيري، وعلى الثاني بنحو: وحدي.

أما لو كان المسند غير خبر فعلي كاسمي الفاعل والمفعول فلا تقوّي؛ لأن التقوّي يتفرع على الإسناد مرتين.

والإسناد بالحقيقة في الفعل، وفي غيره بالتبعية، الذي كان في حيز الانتفاء وهذا كله في بناء الخبر الفعلي على معرف، مظهر أو مضمر.

[التقديم في النكرة]

فإن بني الخبر الفعلي على منكر أفاد البناء: تخصيص الجنس، أو الواحد به دون التقوّي

---

(١) أما تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في باب الإثبات فيفيد شيئين أحدهما: القصر، والثاني: تقوية الحكم وتوكيده، والسياق والمقام هما الحكم في ذلك.

نحو: رجل جاءني، أي لا امرأة، ولا رجلان[١].

ووافقه السكاكي إلا أنه قال: التقديم يفيد الاختصاص، إن جاز كونه مؤخرًا في الأصل على أنه فاعل معنى فقط نحو: أنا قمت، وقدّر وإلا فلا تفيد إلا تقوي الحكم سواء جاز التقديم كما ذكر، إلا أنه لم يقدر، أو لم يجز نحو زيد قام.

ولصاحب التلخيص[٢] فيه نظر، ذكره فيه، ثم جميع ما مر من الأحوال المقتضية لاختلاف أحكام المسند إليه مقتضي الظاهر[٣].

[تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر][٤]

٣٦- ...... وَقَدْ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ يَأْتِي؛ كَأَوْلَى، وَالْتِفَاتٍ دَائِرِ

وقد على خلاف [٨أ] مقتضى:

الظاهر يأتي: الكلام فيوضع: **الضمير موضع الظاهر**.

[يأتي ذلك في: باب نعم وبئس، وضمير الشأن والقصة].

---

(١) تقديم النكرة على الفعل، أو تقديم الفعل عليها فيقصد به العدد أو الجنس، ففي باب الاستفهام المقدم هو المسؤول عنه، فإذا قدمت النكرة وقلت: أرجل جاءك، كان السؤال عن الجنس، أرجل هو أم امرأة، وإذا قلت: أجاءك رجل، كان السؤال عن العدد رجل أم رجلان؟ وكذلك الشأن في الكلام الخبري فرجل جاءني يقصد به بيان الجنس، وجاءني رجل يقصد به بيان العدد، ينظر في كل ذلك دلائل الإعجاز (باب التقديم والتأخير في النفي والإثبات).

(٢) في (ب) وأورد صاحب التلخيص فيه نظرا.

(٣) مفتاح العلوم ٨٣، وينظر في ذلك عروس الأفراح ١/ ٢٣٩، حاشية الدسوقي ٦٤٦.

(٤) لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضمر وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحوله، فألحقوها به، كما لحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، وألحقوا به أسلوب الحكيم؛ لأنه ضرب من المخالفة. خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسى١٨٧.

نحو: نعم رجلًا مكان: نعم الرجل(١).

ونحو زيد عالم، أو هي هند كريمة، مكان الشأن، أو القصة؛ ليتمكن ما يعقبه في ذهن السامع؛ لأنه إذا لم يفهم معنى انتظر ما يعقبه فيقر عنده(٢).

[وضع الظاهر موضع الضمير]

وقد يعكس نحو [قوله تعالى]: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٥](٣)

[قوله: (كأولى) يقصد بها: الأسلوب الحكيم].

---

(١) فإن مقتضى الظاهر في هذا المقام هو الإظهار دون الإضمار، لعدم تقدم ذكر المسند إليه وعدم قرينة تدل عليه. وهذا الضمير عائد إلى شيء معقول معهود في الذهن، وهذا أحد قولين في الضمير، والقول الثاني أنه للجنس، والقولان يأتيان في «أل» من قولنا «نعم الرجل زيد»، فقد قيل إنها للعهد وقيل إنها للجنس - هذا وقد التزم تفسير الضمير بنكرة ليعلم جنس المتعقل. هامش الإيضاح٢/ ٨١.
ويكون هذا من وضع المضمر موضع المظهر على رأي من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، أما من يجعل المخصوص المبتدأ، والجملة قبله خبر فلا شاهد فيه؛ لأن الضمير حينئذ عائد على المخصوص، وهو وإن تأخر لفظا فهو متقدم رتبة.

(٢) يريد ضمير الشأن مثل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [سورة الإخلاص: ١] أصله الشأن الله أحد.

(٣) هذا الشاهد في غير باب المسند إليه، ولكن وراء التعبير بالظاهر دلالة لا تتجلى إلا به، وفيها يقول الدكتور محمد أبو موسى: فإنه من الواضح أنه لو قيل: وبه نزل لكان الضمير عائدا على الحق، ومؤديا معناه من حيث الدلالة النحوية أو الدلالة المنطقية، ولكن يبقى لكلمة الحق من القدرة على إثارة قدر كبير من الخواطر لا ينهض الضمير بشيء منها.
وليس ذلك خاصا بكلمة الحق ودلالتها الإنسانية الخصبة، وإنما يجري في كثير من الكلمات التي لها في سياق الحديث مكان خاص، انظر إلى قول النابغة: (الرجز)

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمته الكر والإقداما

نجده لم يقل: نفس عصام سودته، وإن كان الضمير عائدا على عصام من غير لبس؛ لأنه أراد أن تقع السيادة من نفس عصام على عصام هكذا بلفظه، **قال عبد القاهر**: «لا يخفي على من له ذوق حسن هذا الإظهار، وأن له موقعا في النفس، وباعثًا للأريحية لا يكون إذا قيل: نفس عصام سودته شيء منه البتة». خصائص التراكيب ١٩٣.

كأولي: أي كإتيانه على خلاف الظاهر مثل إتيانه في الأوْلى على مقتضاه[١].

[أسلوب الالتفات]

كالتفات[٢] **دائر** بين أقسام الكلام الآتية وهو من خلاف مقتضى الظاهر نحو: (الوافر)

إلـهـي عـبـدك الـعـاصـي أتـــاك[٣]

مكان أنا آتيك.

والالتفات عند السكاكي: انتقال من كل من التكلم، والخطاب، والغيبة، إلى آخر،

---

(١) أي تلقي المخاطب، أو السائل بغير ما يترقب على اعتبار أنه الأولى والأهم له، فهذان نوعان:
أولهما: تلقي المتكلم المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيها على أنه الأولى بالقصد، كقول القبعثرى للحجاج - وقد قال له متوعدا -: لأحملنك على الأدهم يعني: القيد: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، هذا مقول قول القبعثرى، فأبرز الوعيد في معرض الوعد.
النوع الثاني: تلقى السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله كقوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩]. سؤالهم عن مراحل نمو الهلال، فأجابهم بما هو أنفع لهم، ثم بعد ذلك في سياق آخر بيّن لهم الحكمة العلمية من هذه المراحل التي كانوا يسألون عنها، فقال: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة يس: ٣٩]، أو على أنه المهم له مثل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٥]، والسبب في هذا تنبيه السائل على أنه كان الأحرى به، أو الأهم، سألوا عن بيان ما ينفقون، وأجيبوا ببيان المصارف.

(٢) هكذا كتبها (كالتفات) وهي في نص المنظومة: والتفات دائر.

(٣) هذا البيت أصلا شاهد على وضع الظاهر (عبدك) موضع المضمر؛ حيث لم يقل: أتيتك، ولكن آثر قوله: عبدك؛ لأن في كلمة عبد معنى التذلل والخضوع، ثم في هذه الإضافة ما يرشح الرجاء؛ لأن فيه أنني عبدك الذي هو مضاف إليك، وكل هذا مما يحسن به سياق الضراعة والدعاء. ينظر: خصائص التراكيب١٩٠، وهو التفات عند السكاكي؛ لأنه نقل الكلام من التكلم إلى الظاهر، كما سيأتي في بيان الالتفات عنده.
والبيت من شعر إبراهيم بن أدهم، والشطر الثاني منه: مقرا بالذنوب وقد دعاكا، **والبيت الذي يليه**: (الوافر)

فـــإنْ تـغـفـرْ فـأنـتَ لِـــذاكَ أهـلٌ   وَإنْ تـطـرُدْ فـمـنْ يَـرْحَـمْ سواكـا

سواء كان مسندًا إليه، أوغيره[١].

وعند الجمهور: إنه التعبير عن معنى بطريق من الثلاث بعد التعبير عنه بآخر منهن[٢].

[الالتفات من التكلم إلى الخطاب]

وهذا أخص من تعريف السكاكي نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يس: ٢٢][٣].

---

(١) نص كلام الساكي هنا مهم لبيان الموضوع، وهو: واعلم أن هذا النوع: أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر، بل الحكاية، والخطاب، والغيبة، ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه، وهم أحرياء بذلك، أليس قرى الأضياف سجيتهم، ونحر العشار للضيف دأبهم، وهجيراهم لا مزقت أيدي الأدوار لهم أديما، ولا أباحت لهم حريما، أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون، وطعم وطعم، ولا يحسنون قرى الأرواح، فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب، وإيراد وإيراد، فإن الكلام المفيد عند الإنسان لكن بالمعنى لا بالصورة أشهى غذاء لروحه، وأطيب قرى لها. قال ربيعة بن مقروم: (البسيط)

بانت سعاد فأمسى القلب معمودا وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا

فالتفت كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني. مفتاح العلوم ١٩٩ تعليق: نعيم زرزور.

(٢) وهذا أخص من تفسير السكاكي؛ لأنه أراد بالنقل: أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها، فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس، أي أن الالتفات عند السكاكي يتحقق بتغيير واحد، فهو لا يشترط تقدم التعبير، والجمهور يشترطونه، فكل التفات عندهم التفات عنده، ولا عكس، فالسكاكي يوافق الجمهور في تسمية ما تقدم التعبير عنه بطريق آخر من الطرق الثلاثة التفاتًا، ويخالفهم في جعل ما لم يتقدم التعبير عنه بطريق آخر مما كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيرها منها من باب الالتفات. ينظر الإيضاح وهامشه بتحقيق الدكتور خفاجي ٢/ ٨٦.، ٨٧

(٣) هنا التفات من التكلم في قوله: ﴿وَمَا لِيَ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ وفي ذلك شدة تحذير لهم، وتنبيه إلى أنهم صائرون إلى الله، فالالتفات إلى الخطاب فيه: مواجهتهم بمن سيصيرون إليه، ويقفون بين يديه، ومثله قوله تعالى «﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٤].، وكان الظاهر أن يقول: ولا أكونن، ولكنه انصرف إلى الخطاب تعريضا بهم؛ ليعودوا إلى رشدهم، ويسلموا لله رب العالمين.

[الالتفات من التكلم إلى الغيبة]

ونحو قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [سورة الكوثر: ١-٢][1].

[الالتفات من الغيبة إلى الخطاب]

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة: ٢] إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة: ٥][2].

[الالتفات من الخطاب إلى التكلم]

وقول الشاعر[3]: (الطويل)

طحا بك قلبٌ في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفني ليلى وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب[4]

---

(١) الانتقال هنا من التكلم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿لِرَبِّكَ﴾، وكان الظاهر: فصل لنا، ولكن جاءت المخالفة؛ إشارة إلى الحث على الصلاة، وأنها للذي رباه ورعاه، ونحوه قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ الزمر ٥٣.

(٢) أي الانتقال من الغيبة في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة: ٢]، إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، فلم يقل: إياه نعبد، ولكن جاء بالخطاب «إياك»؛ لأن المعاني السابقة من: الحمد، والثناء، وذكر الربوبية ترقى بصاحبها إلى إعلان الخطاب بغاية العبودية والاستسلام لرب العالمين دون سواه فهذا ترق في الإحساس.

(٣) أي: علقمة بن عبدة الفحل من قصيدة من الطويل يمدح بها الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلب فكه، وهما في ديوانه أيضا. ينظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/ ١٧٣.

(٤) التفت من الخطاب في قوله طحا بك، إلى التكلم في قول: يكلفني، وكان الظاهر: يكلفك، ولكنه عدل؛ لأن هذا التكليف مقطع مهم من مقاطع المعنى، وطريق التكلم يدل على وقوعه على نفسه وقوعا =

= واضحا يشتد به أسر الكلام وتقوى به حبكة المعنى.

ويتبقى ههنا طريقان من طرق الالتفات لم يمثل لهما، وهما:

١ - من الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ [سورة فاطر: ٩]، ففي الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى التكلم في قوله سبحانه ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾، وكان الظاهر: فساقه، وفي هذا العدول إيقاظ وتنبيه، إلى أن سوق السحاب إلى الأرض الميتة، فتحيا ضرب من قسمة الأرزاق، وضمير التكلم يعطي هذه الخصوصية، ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [سورة فصلت: ١١-١٢]. الكلام في صدر النصّ جارٍ وفق أسلوب الحديث عن الغائب كما هو ظاهر، وبعد ذلك انتقل إلى أسلوب التكلّم، فقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ﴾ **وفائدة هذا الالتفاتِ**: إيقاظُ الأذْهانِ للتفكُّر في مِنَّةِ اللهِ على عبادِه الذي يُقَدِّر أَسْباب رِزْقِهِم ويَسُوقُها لهم، وللتفكُّرِ في مظهر من مظاهر قدرته، وبعد ذلك انتقل النَّصُّ أيضًا إلى أسلوب الحديث عن الغائب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ توطئةً لذكر اسْمَيْنِ من أَسْمَاءِ الله الحسنى الملائمة لدقَّةِ التقدير العظيم وإحكامه (فُصِّلت١١-١٢) ينظر البلاغة العربية للميداني ١/ ٤٩٠.

٢ - من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: ٢٢]، ولم يقل: وجرين بكم ليستمر السياق على نمط واحد؛ لأن المخاطبين هم الذين نجاهم الله من هول البحر، وموجه، بغوا في الأرض بغير الحق، وانتقال الحديث إلى الغيبة فيه تشهير بهم، بالإضافة إلى أنهم لما كانوا في الفلك خوطبوا، ولما ذهبت بهم الريح ذهبوا بعيدا عن الخطاب فصاروا في مقام الغيبة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ [سورة الروم: ٣٩]، فقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ هو من المواجهة بالخطاب، ويلائمه بحسب الظاهر أن يقال: (فَأَنْتُمُ المضعفون) الخطاب إلى الغيبة، فقال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾.

والغرض البلاغيّ الخاصّ في النَّصّ التنبيه باسم الإشارة الذي هو في قُوّةِ ضَمِيرِ الغائب على ارتفاع منزلتهم عند الله، إذْ أُشِيرَ إليهم باسم الإشارة الخاصّ بالمشار إليه البعيد. البلاغة العربية ١/ ٤٩٧

وأوجز الزمخشري بلاغة الالتفات في قوله: لأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد. ومما اختص به هذا الموضع [يقصد سورةالفاتحة]: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى =



= عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أنّ العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به. الكشاف ١/ ١٤، وزاد ابن الأثير: أن تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها، ليقاس عليها غيرها... المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢/ ١٣٦. تحقيق الدكتور: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة

[الباب الثالث:
أحوالُ المسنَدِ]

٣٧- لِـمَـا مَـضَـى الـتَّـرْكُ مَـعَ الْـقَـرِيْـنَـهْ

[حذف المسند]

أحوال المسند: هذه ترجمة للمسند.

لما مضى: من مقتضيات الحذف(١).

الترك مع القرينة: لقيامها في أحوال المسند إليه مقامه(٢).

وعبر هنا بالترك عن الحذف؛ تفننا في التعبير، وإيماء إلى قوة الحاجة إلى المسند إليه(٣) فإذا لم يُذكر فكأنه ذكر ذلك ثم حذف، ولا كذلك المسند.

فالترك له كقوله(٤): (الطويل)

---

(١) أي التي سبق ذكرها في حذف المسند إليه، نحو: الاحتراز عن العبث، وضيق المقام، ومحافظة الوزن، والاختصار، واتباع الاستعمال...

(٢) أي لا بدّ للحذف من قرينة، كوقوع الكلام جوابًا لسؤال محقق مثل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة لقمان: ٢٥].، أي: خلقهن الله.

(٣) من أول قوله: وعبر بالترك إلى هنا محذوف من (ب)

(٤) أي ضابئ بن الْحَارِث البرجمي وَهُوَ من قصيدة من الطَّوِيل قَالَهَا وَهُوَ مَحْبُوس فِي الْمَدِينَة المنورة فِي زمن عُثْمَان بن عفَّان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَهِي: (**من الطَّوِيل. معاهد التنصيص١/ ١٨٦.**)

وَمَـن يَـكُ أَمْـسـى بِـالـمَـدِيـنَـةِ رَحـلُـهُ ... فَـإِنِّـي وَقَـيَّـارٌ بِـهَـا لَـغَـرِيـبُ

ورُبَّ أُمُـورٍ لَا تَـضِـيـرُكَ ضَـيْـرَةً ... ولِـلْـقَـلـبِ مِـن مَـخْـشَـاتِـهِـنّ وَجِـيـبُ =

فـإنـي وقـيـار بـهـا لـغـريـب[١]

أي: وقيار غريب.

فالمسند إلى قيار محذوف للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، حذف من الثاني بدلالة الأول عليه لأن الأول بدلالة اللام[٢].

= وَمَا عاجلاتُ الطيرُ تُدني من الْفَتى — نجاحًا وَلَا عَن رَيْثِهِنَّ يخيب
وَلَا خَيرَ فِيمن لَا يُوَطن نَفسهُ — على نائبات الدَّهرِ حِين تنَوب
وَفِي الشَّك تَفْريط وَفِي الحزْم فَتْرَة — ويُخطئُ فِي الْحَدْس الْفَتى ويُصيب
ولَسْتَ بمستبْقٍ صَديقًا وَلَا أَخا — إِذا لم تُعِدَّ الشيءَ وَهُوَ مُريب

(١) الرحل: المنزل. قيار: اسم فرس أو جمل للشاعر. ولفظ البيت خبر، ومعناه التحسر والتوجع. فالمسند إلى «قيار» محذوف لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التوجع والمحافظة على الوزن، ولا يجوز أن يكون «قيار» عطفًا على محل اسم إن و«غريب» خبر عنهما، لامتناع العطف على محل اسم إن قبل مضى الخبر لفظًا أو تقديرًا، وذلك لما يلزم عليه من توجه العاملين - المبتدأ، وأن - إلى معمول واحد هو الخبر. وأما إذا قدرنا «لقيار» خبرًا محذوفًا فيجوز أن يكون هو عطفًا على محل اسم إن؛ لأن الخبر مقدم تقديرًا، فلا يكون مثل «إن زيدًا وعمرًا ذاهبان» بل مثل «إن زيدًا وعمرو لذاهب» وهو جائز. ويجوز أن يكون مبتدأ والمحذوف خبره والجملة بأسرها عطف على جملة أن مع اسمها وخبرها. هامش الإيضاح ٢/ ١٠٣.

(٢) هذا شاهد لحذف المسند احترازا عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام، وقد يأتي الحذف من غي ضيق المقام، ذكره الخطيب القزويني في قوله: وأما بدون الضيق، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة: ٦٢]. على وجه، أي والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، ويجوز أن يكون جملة واحدة، وتوحيد الضمير؛ لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله، فكانا في حكم مرضي واحد، كقولنا: إحسان زيد وإجماله تعشني وجبر مني وكقولك «زيد منطلق وعمرو»، أي عمرو كذلك، وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [سورة الطلاق: ٤].، أي واللائي لم يحضن. الإيضاح٢/ ١٠٣، وقد يكون الحذف المذكور للمحافظة على وزن الشعر، ومثل قول ابن الحارث قول الشاعر: (المنسرح)

نحن بما عندنا وأنت بما — عندك راض والرأي مختلف

يقول كلانا قانع برأيه: راض به «وإن كنا على خلاف» فكل يرى ما يتفق مع حاله، فرب حسن عند دنيء الهمة قبيح عند عاليها، وقوله «راض» خبر أنت، وأما المسند إلى «نحن» فمحذوف، تقديره: «نحن =

[ذكر المسند]

٣٧- .... وَالــذِّكْــرُ، أَوْ يُـفِـيْـدُنَـا تَـعْـيِـيْـنَـه

و: كما مضى ثمت من مقتضيات الذكر(١).

الذكر: للمسند كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزخرف: ٩]، فذكر المسند؛ لكونه هو الأصل، ومع عدم المقتضي للعدول، ولضعف التعويل على القرينة، والاحتياط(٢).

= راضون» وهو محل الشاهد إذا قد حذف لضيق المقام بسبب تألم الشاعر.

وقد يكون الحذف لاتباع الاستعمال كما في قول الشاعر: (المنسرح)

إنّ مَحلا وإنّ مرتحلا وإن في السفر إذ مضوا مهلا

يقول: إن لنا في الدنيا حلولا إلى حين، وإن لنا عنها إلى الأخرى ارتحالا، وإن الراحلين عنها أوغلوا في غيبتهم، فلم يعودوا، أي وهكذا نحن على الأثر، سنبقى إلى أمد، ثم نفنى فلا نعود، والشاهد فيه حذف المسند الذي هو خبر «إن» اتباعًا للاستعمال الوارد على حذف الخبر عند تكرار «إن» وتعدد اسمها...

وهذه من شواهد البلاغيين في هذا الباب، وكل سياق يحدد غرض الحذف، وحسبي أن دللتك على الطريق.

(١) أي أحوال ذكر المسند مثل ما مضى من أحوال ذكر المسند إليه، كالأغراض التي ذكرها الشارح عالية.

(٢) ذكر المسند في الآية احتياطا لضعف التعويل على القرينة الموجودة في السؤال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ وزيادة التقرير هنا أقوى من ضعف التعويل؛ لأن القرينة واضحة.

وقد يذكر للتلذذ به، كما نقول -مثلا- محمد ﷺ خاتم الأنبياء، جوابا لمن سأل: هل محمد خاتم الأنبياء؟

وقد يذكر لزيادة بسط الكلام كقوله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ٩٧-٩٩].، فهذا من البسط الذي يعمق المعنى ويقرره في النفوس.

وقد يذكر للتنبيه على غباوة السامع كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٦٦-٦٧]، =

أو: ذكره.

يفيدنا: أي المخاطبين.

تعينه: أي المسند[١]، ويرفع احتمال إرادة غيره نحو: قام زيد في جواب ما فعل؟

[مجيء المسند فعلا]

٣٨- وَكَوْنُهُ فِعْلاً؛ فَلِلتَّقَيُّدِ   بِالْوَقْتِ مَعْ إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ

وكونه: أي المسند.

فعلا فللتقيُّد: له.

بالوقت: أي بأحد أزمنته الثلاثة على أخصر وجه، نحو: ضرب زيد، فإنه أخصر من: ليضرب في الزمن الماضي، بخلاف اسم الفاعل فإنه يحل في الزمان ولا يفيد التقييد بأحدهما، إلا إن قيد بأمس، أو الآن، أو غدًا، فلا يقيد بالزمن على أخصر طريق.

مع: بسكون العين.

إفادة التجدد[٢]: قيل لا حاجة لهذا القيد لأنه يفهم [٨ب] من تقييده بأحد الأزمنة[٣].

وأجيب: بأنه لم يذكر قيدا لما قبله، بل لإفادة ما لا يفارق الفعل في إفادة التجدد، أو أن التقييد بأحد الأزمنة[٤]

[غير][٥] قاصر على القول، ....

= ذكر المسند (فَعَله) تعريضا بغباوتهم؛ حيث يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر... وهكذا.

(١) أي تعينه من جهة الاسمية؛ ليفيد الثبوت، والفعلية؛ ليفيد التجدد كما سيأتي؛ لأن دلالة كل منهما تباين الأخرى.

(٢) لفظ: إفادة ساقط من (ب).

(٣) أي أن موضوع الفعل على أنه يقتضي التجدد شيئا بعد شيء بخلاف الاسم، فإنه يدل على الثبوت.

(٤) هذه العبارة من أول: وأجيب ساقطة من (ب).

(٥) كلمة: غير ساقطة من (أ) ومكتوبة في (ب) ذكرتها لأن استقامة السياق بها.

بل يكون باسم الفعل، فأخرجه بذلك؛ لأنه لا يفيد التجدد[1].

[مجيء المسند اسما]

٣٩- وَاسْـمًـا؛ فَـلِانْـعِـدَامِ ذَا،......

و: كونه:

اسما فلانعدام ذا: للذكر من التقييد بأحد الأزمنة، مع إفادة التجدد معنى لإفادة الدوام، والثبات، لغرض يتعلق به ذلك، كقولك: (البسيط)

---

(١) ومن شواهد تقيّد المسند بالفعل قوله: (الكامل)

أوَ كـلّـمـا وردت عـكـاظ قبيلة ... بـعـثـوا إلـيّ عـريـفـهـم يـتـوسـم

البيت منسوب لتميم بن طريف العنبري في البيان والتبيين للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي، وشرح أدب الكاتب للجواليقي، وبعده: (الكامل)

فـتـوسّـمـونـي، إنّـنـي أنَـا ذلَـكُـمْ ... شـاكِـي سـلاحِـي في الـحـوادثِ معلمُ

تـحْـتي الأغـرُّ، وفـوقَ جـلـدِي نـثـرةٌ ... زعـفٌ تـردُّ الـسّـيـفَ وهـوَ مـثـلّـمُ

حـولِـي أسـيّـدٌ والـهـجـيـمُ ومـازنٌ ... وإذَا حـلـلـتُ فـحـولَ بـيـتِي خـضَّـمُ

قال ابن حبيب كانت سوق عكاظ يتوافون بها من كل أوب ولا يتوافي بها أحد إلا تبرقع وأعتم على برقعه خشية أن يؤسر فيكثر فداؤه فكان أول عربي استفتح ذلك وكشف القناع طريف بن عمرو بن تميم العنبري لما رآهم يتطلعون في وجهه ويتفرسون في شمائله قال قبح الله من وطن نفسه على الأسر وأنشأ يقول: أو كلما... الأبيات، وعكاظ قريبة من عرفات، وهي من أعظم أسواق العرب، وكانت تقوم في النصف من ذي القعدة فلا يبرحون حتى يروا هلال ذي الحجة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انقشعت، وقوله يتوسم أي يتعرف، وشاكي السلاح الذي لسلاحه شوكة؛ أي حد، وهو من الشوك ثم يقلب، والمعلم الذي يجعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها. شرح أدب الكاتب للجواليقي ١٤١.

والشاهد فيه مجي المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حال، وهو هنا يتوسم؛ أي يتفرس الوجوه ويتصفحها، يحدث منه ذلك شيئا فشيئا، ولحظة فلحظة، ينظر معاهد التنصيص ١/ ٢٠٤.

وفيه يقول **الإمام عبد القاهر**: «وذلك لأن المعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالا فحالا، وتصَفُّح منه الوجوه واحدا بعد واحد، ولو قال: «بعثوا إليّ عريفهم متوسما» لم يفد ذلك حق الإفادة. دلائل الإعجاز ١٧٧.

لكـن يمـر عليهـا وهـو منطلـق[١]

أي أن الانطلاق ثابت دائم له من غير اعتبار تجدد فيه.

[مجيء المسند اسما مفردا]

٣٩- .... وَمُـفْـرَدَا؛ لِأَنَّ نَفْسَ الْحُكْمِ فِيْهِ قُصِدَا

و: كونه اسمًا.

مفردًا: أي غير الجملة.

لأن نفس الحكم فيه: أي في المسند.

---

(١) الشطر الأول منه:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا ....

وهو للنضر بن جؤية أو جؤية بن النضر من أبيات من البسيط وقبله:

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرق

إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت إلى طرق المعروف تستبق

وبعدهما البيت (موطن الشاهد) وبعده:

حتى يصير إلى نذل يخلده يكاد من صره إياه ينمزق

ونسبة صاحب المغرب لملك إفريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي، **والشاهد فيه:** مجيء المسند اسما لإفادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجدد، يعني أن الانطلاق ثابت له من غير اعتبار تجدد، معاهد التنصيص ١/ ٢٠٧.

وفيه يقول الإمام عبد القاهر: «هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل: «لكن يمر عليها وهو ينطلق» لم يحسن. دلائل الإعجاز ١٧٥. ومن ثم فالسياق والمقام هما الحكم في بناء الأساليب.

التقييد ضد الإطلاق؛ لأن القيد يربط الحكم بجهة معينة، وقد يكون القصد منه مجرد الإخبار، أو التخصيص، لكن لا على سبيل الحصر، **قال عبد القاهر:** ألا ترى أنك إذا قلت: هو يعطي الدنانير كان المعنى على أنك قصدت أن تعلم السامع أن الدنانير تدخل في عطائه، أو أنه يعطيها خصوصا دون غيرها وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء لا الإعطاء في نفسه. ولم يكن كلامك مع من نفي أن يكون كان منه إعطاء بوجه من الوجوه بل مع من أثبت له إعطاء. إلا أنه لم يثبت إعطاء الدنانير فاعرف ذلك، فإنه أصل كبير عظيم النفع. دلائل الإعجاز ١٥٥.

قُصدًا: نحو زيد منطلق، وأخرج بقوله: لأن نفس الحكم: السببي[١]، فلا يكون لذلك، نحو: زيد أبوه منطلق.

قال في المفتاح: والمراد بالسببي ما يكون جاريًا على الغير، منسوبًا إلى متعلق المسند إليه.

وهو ما يكون مفهومه: أعني منطلقًا، مع الحكم عليه بالثبوت لما هو، أي المسند إليه مبني عليه[٢].

[تقييد المسند بالمفاعيل ونحوها وترك تقييده]

٤٠- وَالْفِعْلُ بِالْمَفْعُولِ إِنْ تَقَيَّدَا، وَنَحْوِهِ؛ فَلِيُفِيدَ أَزْيَدَا

٤١- وَتَرْكُهُ؛ لِمَانِعٍ مِنْهُ،....

و: المسند.

الفعل: وما أشبهه من اسم الفاعل والمفعول ونحوهما[٣].

بالمفعول: من المفاعيل الخمسة.

إن تقيدا: الألف للإطلاق[٤].

---

(١) لأن المراد بالسببي: الضمير الرابط، وهذا لا يكون في المفرد، ومن ثم يكون المسند مفردا إذا كان المقام لا يحتاج توكيدا، مثل قولنا لخالي الذهن: محمد مجتهد، **قال الدسوقي**: «سمي الضمير سببيا تشبيها له بالسبب اللغوي الذي هو الحبل؛ لأن الضمير تربط به الصلات، والصفات، كما أن الأمتعة تربط بالحبل» حاشيته على شروح التلخيص٢/ ٢٠. وعليه فالسببي يكون جملة يقصد بها تقوية الحكم وتوكيده.

(٢) ينظر مفتاح العلوم ٢٠٨ تحقيق نعيم زرزور، ونصه: وأما الحالة المقتضية لإفراد المسند فهي إذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوي الحكم وأعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك: أبو زيد منطلق... والموضوع فيه نقاش متسع في المطول وعروس الأفراح بما لا يحتاج المقام إليه.

(٣) من المفعول المطلق، أو به، أو فيه، أو له، أو معه، وحال، وتمييز، واستثناء.

(٤) التقييد ضد الإطلاق؛ لأن القيد يربط الحكم بجهة معينة، وقد يكون القصد منه مجرد الإخبار، =

ونحوه: أي من الحال، والتمييز، والاستثناء.

فليُفيدَ: فائدة.

أَزْيَدَا[(١)]: بألف الإطلاق من فائدته، عبر بذلك ليزيد بذلك[(٢)] فائدة الخبر عن الحكم أو لازمه؛ لأنه بالتقييد يزداد الحكم بعدا عن الاحتمال، فيقرب من المعنى، ولأن الحكم كلما زاد خصوصًا زاد غرابة، وكلما زاد غرابة زاد فائدة.

وتركه: أي التقييد مما ذكر.

لمانع[(٣)]: قريب نحو انقضاء الفرصة، أو عدم العلم بالمقيدات، أو عدم الاحتياج إليها،

= أو التخصيص، لكن لا على سبيل الحصر.

قال عبد القاهر: ألا ترى أنك إذا قلت: هو يعطي الدنانير كان المعنى على أنك قصدت أن تعلم السامع أن الدنانير تدخل في عطائه، أو أنه يعطيها خصوصا دون غيرها وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء، لا الإعطاء في نفسه. ولم يكن كلامك مع من نفي أن يكون كان منه إعطاء بوجه من الوجوه بل مع من أثبت له إعطاء. إلا أنه لم يثبت إعطاء الدنانير فاعرف ذلك، فإنه أصل كبير عظيم النفع. دلائل الإعجاز ١٥.

(١) المقصود بقوله: أزيدا: تربية الفائدة أي زيادتها؛ لأن الجملة كلما زادت قيدا زادت فائدتها، ولا يتعارض هذا مع مزايا الحذف؛ لأن الحذف له أغراضه، والذكر له أغراضه، وكل منهما في موطنه بليغ مطابق، والمعاني تتغير بتغير الجمل، كما أن تربية الفائدة تعني تقرير المعنى وتأكيده، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٤]». فقيد الفعل بقوله «بأفواهكم» ولو حذف لفهم معناه؛ لأن القول لا يكون إلا بالفم، ولكن لما كان هذا القول فيه افتراء على الله شدد على قائله لتقرير الوعيد في النفس، وبثه في أنحائها حتى تنزجر عن هذا القول الزور. ينظر خصائص التراكيب د محمد أبو موسى ٢٥٤.

(٢) هذا نصه: عبر بذلك ليزيد بذلك، وكان الأولى التعبير بالضمير، فيقول: عبر بذلك ليزيد به...

(٣) أي لمانع من تربية الفائدة؛ حيث لا يتسع لها المجال ثمة... **قال الدسوقي**: وهو وجود مانع من تربية الفائدة وعدم العلم بما يتخصص به من وصف أو إضافة وكقصد الإخفاء على السامعين ونحو ذلك فتقول مثلا: هذا غلام، عند ظهور أمارة كون المشار إليه غلاما من غير أن تقول: غلام فلان، أو غلام بنى فلان؛ لعدم العلم بمن ينسب إليه، أو للإخفاء على السامعين؛ لئلا يهان بتلك النسبة أو يكرم مثلا. حاشيته على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩٢هـ) [ومختصر السعد هو شرح =

أو بعده بتوهمه أن المخاطب يتصور منه أنه مكثار، أو قادر على التكلم فيتولد منه العداوة.

[تقييد الفعل بالشرط]

٤١- وَإِنْ.................. بِالشَّرْطِ بِاعْتِبَارِ مَا يَجِيْءُ مِنْ

٤٢- أَدَاتِهِ. وَالْجَزْمُ أَصْلٌ فِيْ «إِذَا» لَا «إِنْ» وَ«لَوْ»، وَلَا لِذَاكَ مَنْعُ ذَا

وإن: قيد الفعل.

بالشرط: أي بأداته.

باعتبار ما: أي الذي.

يجيء من أداته: أي أدواته؛ لأنه مفرد مضاف، فيعم أي القطع بوقوع الشرط في اعتقاد المتكلم يكون.

[التقييد بإذا]

في إذا: والجزم بوقوع الشرط مستلزم لعدم الجزم بلا وقوعه[١]، وذلك نحو: [قوله تعالى] «فإذا ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ﴾، أي: قوم موسى ﴿ٱلۡحَسَنَةُ﴾ [الأعراف: ١٣١][٢] كالخصب والرخاء، جيء في جانب الحسنة بلفظ الماضي مع إذا؛ لأن المراد: الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به، لا المقيدة ولذا عرف تعريف الجنس أي الحقيقة لا الاستغراق[٣].

= تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] ١١٩، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.

(١) أي أن القطع بوقوع الشرط في المستقبل أصل في استعمال"إذا»، وعدم القطع بوقوعه أصل في استعمال «إن».

(٢) الآية الكريمة هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١]

(٣) أفاض الزمخشري في معناها فقال: وبيان التعبير بـ (إذا) مع الحسنة، وبـ (إن) مع السيئة فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ من الخصب والرخاء قالُوا لَنا هذِهِ أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها، ولم نزل =

وتجويز السكاكي[١] كونها فيه للعهد حمله في المطول[٢] على معنى كونها معهودة أنها عبارة عن خصلة معينة من الحسنة، وهي: الخصب والرخاء، فلا ينافي كونها مطلقة بمعنى أن المراد بها: مطلق الخصب، والرخاء، من غير تعيين بعض انتهى.

[التقييد بإن ولو]

لا «إنْ»: الشرطية فليست للتعظيم بوقوع الشرط في اعتقاد المتكلم بل بخلافه نحو: أكرمك إن تكرمني.

ومنه: [قوله تعالى] «﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ «[الأعراف: ١٣١] ولذا نكره[٣]؛ ليدل تنكيرها على تقليلها، أن لا تقع إلا في ندرة، أو لا يقع شيء منها، ولا تقع «أن» على أصلها من المسلوك في وقوعه في كلام الله تعالى على الأصل إلا حكاية، أو على ضرب من التأويل، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٣]. خطابًا للمرتابين

= في النعمة والرفاهية، واللام مثلها في قولك. الجل للفرس ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ من ضيقة وجدب ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ وَمَنْ مَعَهُ، يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا: هذه بشؤمهم، ولولا مكانهم لما أصابتنا، كما قالت الكفرة لرسول الله ﷺ هذه من عندك. فإن قلت: كيف. قيل: فإذا جاءتهم الحسنة بـ (إذا) وتعريف الحسنة، وإن تصبهم سيئة بـ (إنّ) وتنكير السيئة؟ قلت: لأنّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه، وأمّا السيئة فلا تقع إلا في الندرة، ولا يقع إلا شيء منها. ومنه قول بعضهم: قد عددت أيام البلاء، فهل عددت أيام الرخاء طائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ أي سبب خيرهم وشرهم عند اللّه، وهو حكمه ومشيئته. ينظر الكشاف في بيان الآية.

(١) ونصه أنه عُبر: بلفظ «إذا» في جانب الحسنة حيث أريدت الحسنة المطلقة، لا نوع منها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٧٨]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٧٣]، لكون حصول الحسنة المطلقة مقطوعا به كثرة وقوع واتساعا، ولذلك عرفت ذهابا على كونها معهودة أو تعريف جنس، والأول أفضى لحق البلاغة وبلفظ إن في جانب السيئة مع تنكير السيئة، إذ لا تقع إلا في الندرة بالنسبة على الحسنة المطلقة ولا يقع إلا شيء منها. مفتاح العلوم بتحقيق نعيم زرزور ٢٤١.

(٢) ينظر المطول على شرح تلخيص المفتاح ٥٤ نشر المكتبة الأزهرية وبهامشه حاشية السيد الشريف.

(٣) سبق بيان هذا في نفس الآية عند الحديث عن اجتماع: إن، وإذا، وتوضيح الزمخشري له.

فيه توبيخًا لهم؛ لأن العاقل لا يرتاب فيه، وإلا كان له سبب آخر يحال عليه فلا يستعمل في المجزوم بوقوعه، بل مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء لتعليقه على ما هو مقطوع الانتفاء(١).

ولا لذاك: أي مثل إن في منع الشرط.

منع ذا: الشرط الواقع بعد «لو» فهو مقطوع بامتناعه وانتفائه(٢).

---

(١) ويذكر السكاكي فيه وجهين، أحدهما: التوبيخ على الريبة، كما ذكره الشارح هنا، والثاني: التغليب، قال: وإما لتغليب غير المرتابين ممن خوطبوا على مرتابيهم وباب التغليب باب واسع يجري في كل فن. قال تعالى حكاية عن قوم شعيب ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [سورة الأعراف: ٨٨]، أدخل شعيب في لتعودن في ملتنا بحكم التغليب وإلا فما كان شعيب في ملتهم كافرا مثلهم فإن الأنبياء معصومون أن يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما بال الكفر. مفتاح العلوم٢٤٢.

(٢) أي أن الأصل في «لو»: الجزم بعدم وقوع الشرط، ويلزم منه انتفاء الجزاء، فالجزاء كان ممكن الوقوع عند وقوع الشرط، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]، إنما سيق ليستدل بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة دون العكس، واستحسن المتأخرون رأي ابن الحاجب حتى كادوا أن يجمعوا على أنها لامتناع الأول لامتناع الثاني، إما لما ذكره، وإما؛ لأن الأول ملزوم والثاني لازم، وانتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم من غير عكس لجواز أن يكون اللازم أعم.

وأقول: منشأ هذا الاعتراض قلة التأمل؛ لأنه ليس معنى قولهم: «لو لامتناع الثاني لامتناع الأول» أنه يستدل بامتناع الأول على امتناع الثاني، حتى يرد عليه أن انتفاء السبب أو الملزوم لا يوجب انتفاء المسبب أو اللازم، بل معناه أنها للدلالة على أن انتفاء الثاني في الخارج إنما هو بسبب انتفاء الأول، فمعنى «ولو شاء لهداكم» أن انتفاء الهداية إنما هو بسبب انتفاء المشيئة يعني أنها تستعمل للدلالة على أن علة انتفاء مضمون الجزاء في الخارج هي انتفاء مضمون الشرط من غير التفات إلى أن علة العلم بانتفاء الجزاء ما هي، ألا ترى أن قولهم لولا لامتناع الثاني لوجود الأول نحو «لولا علي لهلك عمر» معناه أن وجود علي سبب لعدم هلاك عمر لا أن وجوده دليل على أن عمر لم يهلك، ولهذا صح مثل قولنا «لو جئتني لأكرمتك لكنك لم تجئ» أعني عدم الإكرام بسبب عدم المجيء، قال الحماسي: (المتقارب)

ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر

يعني أن عدم طيران تلك الفرس بسبب أنه لم يطر ذو حافر قبلها، وقال أبو العلاء المعري: (الطويل)=

[بقية أحوال المسند]

٤٣- وَالْوَصْفُ، وَالتَّعْرِيْفُ، والتَّأْخِيْرُ وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ وَالتَّنْكِيْرُ

والوصف: للمسند أي وصفه[1].

= ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم رعايا ولكن ما لهن دوام

هامش الإيضاح ٢/ ١٢٥.

(١) التخصيص بالوصف نحو: زيد كاتب مجيد، **وتمام الفائدة في ذلك**: أن المعنى كلما ازداد فيه الخصوص ازداد تمامه، وكماله، وفيه يقول الخطيب: وأما وصفه: فلكون الوصف تفسيرًا له كاشفًا عن معناه كقولك «الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله، ونحوه في الكشف قول أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة: (المنسرح)

الألمعيُّ الذي يظن بك الـ ظن كأن قد رأي وقد سمعا

حكي أن «الأصمعي» سئل عن «الألمعي» فأنشده ولم يزد.

والشاهد قوله في البيت الثاني: «الذي يظن بك الظن إلخ» فهو وصف كاشف عن حقيقة الألمعي، وموضح لمعناه أيما وضوح، غير أن الموصوف هنا ليس مسندا إليه إذ هو خبر «إن» في البيت قبله، وهو قوله: (المنسرح)

إن الذي جمع السماحةوالنْـ نجدة والبر والتقى جمعا

أو منصوب صفة لاسم «إن»، أو بتقدير أعني، والخبر حينئذ هو قوله بعد: (المنسرح)

أودى فلا تنفع الإشاحة من أمر لمرء يحاول البدعا

وأول هذه المرثية ذلك البيت المشهور وهو قوله: (المنسرح)

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة المعارج: ١٩-٢١]، قال الزمخشري: «الهلع: سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير، من قولهم: ناقة هلوع»: سريعة السير، وعن أحمد بن يحيى «ثعلب»: قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهلع؟ قلت: قد فسره الله تعالى... انتهى كلام الزمخشري.

أو لكونه مخصصًا له نحو «زيد التاجر عندنا»، وقد يكون غرض الوصف: بيان المقصود من المسند إليه أي: إفراده وتمييزه من غيره، بأن يكون محتملا لمعنيين فيؤتى بالوصف لبيان المراد منهما. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]، وصف =

والتعريف: أي الإتيان به معرفة[1].

والتأخير: عن المسند إليه[2]، ويعرف، [٩أ] ذلك أيضًا.

والتنكير.

= المسند إليه الأول وهو ﴿دَآبَّةٍ﴾ بما يخص الجنس، وهو ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ ووصف المسند إليه الثاني، وهو ﴿طَٰٓئِرٖ﴾ بما يخص الجنس أيضا وهو «يطير بجناحيه» لبيان المقصود منهما، وهو أن المراد - كما قال صاحب الكشاف - زيادة التعميم والإحاطة، وكأنه قيل: وما من دابة قط في جميع الأرضين، وما من طائر في جو السماء من كل ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، تراعى شئونها، ولا يهمل أمرها.
بيان ذلك، كما في الكشاف: أن كلا من «دابة وطائر» نكرة وقعت في سياق النفي، والنكرة الواقعة في سياقه تفيد الاستغراق. ينظر الإيضاح ٢/ ٣٩، ومنهاج البلاغة ٤/ ١٣٧...

(١) تعريف المسند يقتضي تعريف المسند إليه، فليس في كلام العرب مسند إليه نكرة مع مسند معرفة.
وفيه يقول الإمام عبد القاهر: إذا قلت: زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف أن انطلاقًا كان إما من زيد وإما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد ودون غيره. والنكتة: أنك تثبت فعلًا قد علم السامع أنه كان، ولكنه لم يعلمه لزيد، فأفدته ذلك. ينظر دلائل الإعجاز ١٧٧.
وقد يفيد تعريف المسند القصر، يعني: قصر المسند على المسند إليه لقصد المبالغة، نحو: زيد الجواد، وعمرو الشجاع، وذلك يفيد قصر جنس الجود على زيد، وجنس الشجاعة على عمرو، وهذا ليس قصرا حقيقيا، وإنما قصدا للمبالغة فقط، دون نفي ذلك عن غيرهما، وهذا لا يجوز فيه العطف، فلا تقول: زيد الجواد وعمرو، وإذا أردت الإشراك قلت: زيد وعمرو الجوادان.

(٢) ويكون ذلك لكون المسند إليه هو الأصل، ولما له من أهمية، وقد يكون لأغراض أخرى منها ماذكره الخطيب: وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله: (الطويل)

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝٢٤﴾ [الأعراف: ٢٤].
وإما للتفاؤل، وإما للتشويق إلى ذكر المسندإليه كقوله: (البسيط)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر.

وقوله: (الوافر)

وكالنار الحياة فمن رماد ... أواخرها وأولها دخان

قال السكاكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند وإلا لم يحسن ذلك الحسن. الإيضاح ٢/ ١٣٥.

بوصْفه للتوضيحِ، أو التخصيص(١).

وتقديمه(٢): لقصر المسند على المسند إليه قصرًا إضافيًا، فقولك قام زيد، يفهم أنه مقصور على القيام، لا يتجاوزه إلى المقصور، ومنه قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون: ٦].

وبعض الأحكام تخص المسند إليه كضمير الفصل.



(١) لإفادة عدم الحصر، والعهد المفهومين من التعريف مثل: زيد كاتب وعمرو شاعر، وكذا حكاية المنكر، أو التفخيم مثلقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة: ٢]، على قول من جعله خبرًا، فـ ﴿هُدًى﴾ جاء نكرة للدلالة على تفخيم هداية الكتاب وكمالها، أو التحقير مثل: ما زيد شيئًا.

(٢) سبق توضيحه في الحديث عن تعريف المسند هنا في الحاشية.

[الباب الرابع:
أحوال متعلقات الفعل]

٤٤- ثُمَّ مَعَ الْمَفْعُولِ حَالُ الْفِعْلِ كَحَالِهِ مَعْ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِ

٤٥- تَلَبُّسٍ، لَا كَوْنِ ذَاكَ قَدْ جَرَى، وَإِنْ يُرَدْ إِنْ لَم يَكُنْ قَدْ ذُكِرَا

٤٦- النَّفْيُ مُطْلَقًا أَوْ الْإِثْبَاتُ لَهْ فَذَاكَ مِثْلُ لَازِمٍ فِي الْمَنْزِلَهْ

٤٧- مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ، وَإِلَّا لَزِمَا وَالْحَذْفُ؛ لِلْبَيَانِ فِيمَا أُبْهِمَا

متعلقات الفعل: أي أحوالها: حذف المفعول، وتقديمه على الفعل، وتقديم بعض المعمولات على بعض[١].

ثم مع المفعول حال الفعل كحاله: أي الفعل[٢]

مع فاعل.

من: تعليقه أي لـ.

أجل تلبس: الفعل مع كل منهما بكل واحد منهما؛ لأجل إفادة[٣].

لا كون ذاك: الفعل مطلقًا.

---

(١) هذا النظم تقدمة لأحوال متعلقات الفعل من: حذف المفعول، وتقديمه على الفعل، وتقديم بعض المعمولات على بعض.

(٢) أي حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل، فالفعل متلبس بالفاعل لوقوعه منه، والمفعول متلبس بالفعل من جهة وقوعه عليه، أي على المفعول، وهذا معنى تعلق الفعل بكل من الفاعل والمفعول.

(٣) أي أن الغرض من ذكر الفاعل، أو المفعول مع الفعل، إفادة تلبسه بكل منهما، من جهة وقوعه منه، أو عليه.

قد جرى[1]: أي وقوع الفعل مطلقًا أي مع قطع النظر في نهي الفاعل والمفعول به.

فإن يرُد: أي الفعل.

إن لم يكن قد ذكر النفي مطلقًا أوالإثبات له: بأن لم يتعلق الغرض بنفيه ولا إثباته.

فذاك: أي الفعل.

مثل: فعلي.

لازم في المنزلة: فلم يكن له مفعول مذكور.

من غير تقدير: لذلك وذلك لأن المقدر كالمذكور، مثال ذلك: قول الناس فلان يأمر وينهى مرادًا به له نهي وأمر.

وإن لا: أي وإن لا يكن الغرض من إثبات الفعل لفاعله، أو نفيه عنه مطلقًا، بل القصد ذلك مع تعلقه بمفعول.

لزما: بألف الإطلاق، أي: لزم تقدير المفعول حينئذٍ بحسب القرائن الحالية والغالبة.

[أغراض حذف المفعول]

والحذف: للمفعول إما.

[١ - البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة بعد الشرط]

للبيان فيما أبهما[2]: أي بعد الإبهام كما في فعل المشيئة ما لم يكن تعلقه به غريبًا نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩]،........................

---

(١) جرى هنا بمعنى: وقع، أَيْ: لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِهِ مَعَ الْفِعْلِ إِفَادَةَ وُقُوْعِ الْفِعْلِ وَثُبُوْتِهِ فِيْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ أَنْ يُعْلَمَ مِمَّنْ وَقَعَ، وَعَلَى مَنْ وَقَعَ؛ إِذْ لَوْ كَانَ الْغَرَضُ ذَلِكَ كَانَ ذِكْرُ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُوْلِ مَعَهُ عَبَثًا، بَلِ الْعِبَارَةُ - حِيْنَئِذٍ - أَنْ يُقَالَ: (وَقَعَ الضَّرْبُ، أَوْ وُجِدَ، أَوْ ثَبَتَ)، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى مُجَرَّدِ وُجُوْدِ الْفِعْلِ ينظر: درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة ١/ ٢٤٦

(٢) أي أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول، فيجب تقديره بحسب القرائن الدالة عليه.

أي لو شاء هدايتكم[1].

بخلاف نحو[2]: (الطويل)

ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيت[3]

---

(١) أي لو شاء هدايتكم لهداكم، لكنه حذف لما كان سياق الكلام دالا عليه، ولم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة، فإنه إذا سمع السامع فلو شاء تعلقت نفسه بشئ أبهم عليه، لا يدري ما هو فلما ذكر الجواب استبان بعد إبهامه.

وهكذا قوله تعالى: (وما عملت أيديهم) - في قراءة حمزة والكسائي وشعبة - أي: عملته، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [سورة القصص: ٦٨]، والتقدير: ما كان لهم الخيرة فيه، ينظر: الإيضاح٢/ ١٥٤ والطراز٣/ ١٦٧، وعروس الأفراح ١/ ٣٧٤.

(٢) نسبه صاحب بغية الإيضاح للخريمي وذكر بأن ذلك في البيان والتبيين، ونهاية الأرب، ولم أجده فيهما، والخريمي هو: إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب الخريمي (تـ ٢١٢هـ - ٨٢٧م) وهو شاعر مطبوع، وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين. خراساني الأصل من أبناء السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد، واتصل بخريم (الناعم) فنسب إليه، أو كان اتصاله بابنه عثمان بن خريم. ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة. ومدحه. ورثاه بعد موته. وأدركه الجاحظ وسمع منه، وعمي قبل وفاته، وهو صاحب (الرائية) في وصف الفتنة بين الامين والمأمون، يقول فيها: (المنسرح)

يا بؤس بغداد دار مملكة ... دارت على أهلها دوائرها

وهي في ١٣٥ بيتا أوردها (الطبري) في تاريخه، كلها. وجمع معاصرانا علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد، ما ظفرا به من الشعر الخريمي. الأعلام للزركلي ١/ ٢٩٤

(٣) **والشطر الثاني منه:**

.... عليه ولكنْ ساحةُ الصبرِ أوْسَعُ.

فلما كان بكاء الدم من الأمور الغريبة بني الكلام على ذكر المفعول من باب الاستئناس والتلطف في الخبر، قال الخطيب القزويني: فإن كان في تعليق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره في نفس السامع وتؤنسه به، يقول الرجل يخبره عن عزه: لو شئت أن أرد على الأمير رددت وإن شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته وعليه قول الشاعر:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

بغية الإيضاح١/ ٢٢٠، فذكر المفعول (دما) لغرابة تعلق فعل المشيئة به، **وقال ابن الأثير**: فلما كان مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر. المثل السائر ٢/ ٩٣.

[فوجب ذكر المفعول هنا لغرابته وهذا اختلال شرط الحذف][(١)]

٤٨- أَوْ لِمَجِيْءِ الذِّكْرِ، أَوْ لِرَدِّ ... تَوَهُّمِ السَّامِعِ غَيْرَ الْقَصْدِ

٤٩- أَوْ هُوَ لِلتَّعْمِيْمِ، أَوْ لِلْفَاصِلَهْ ... أَوْ هُوَ لِاسْتِهْجَانِكَ الْمُقَابَلَهْ

[٢- يحذف المفعول لوجود ما يدل عليه في الثاني]

أو لمجيء الذكر[(٢)]: لإظهار كمال العناية به؛ لوقوع الفعل على صريح لفظه حتى كأنه لا يرضى بوقوعه على ضميره، وإن كان كناية عنه، نحو[(٣)]: (الخفيف)

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ ... دد والمجد والمكارم مثلا

أي قد طلبنا لك مثلًا، وإنما حذف؛ لأنه لو ذكر لكان حق الكلام: فلم نجده، وفيه تقريب بالغرض وهذا إيقاع النفي الواحد على صريح لفظ المثل لكمال العناية بعدم وجدان المثْل[(٤)].

---

(١) ومثله قول الشاعر: (الطويل)

فلم يُبق مني الشوق غير تفكّري ... فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا

الشوق: نزاع النفس وحركة الهوى، والشاهد فيه: ذكر مفعول المشيئة مع أنه ليس مستغربا؛ لأن السياق ليس فيه ما يدل عليه، ولو حذفه لقال: فلو شئت بكيت تفكرا، وهذا يدل على أنه كلما شاء بكاء التفكر بكى تفكرا، والشاعر لم يرد هذا، وإنما أراد أن الشوق لم يبق له دموعا فإذا أراد البكاء بكى التفكر.

وفيه يقول العباسي: إن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول، لأن المراد بالبكاء الأول في البيت البكاء الحقيقي، لا الفكري، فكأنه يقول: أفناني الشوق فلم يبق مني غير التفكر، فلو شئت البكاء وعصرت عيني ليسيل دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكر، فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير معدي إلى الفكر البتة، والبكاء الثاني مقيد معدي إلى التفكر فلا يصلح تفسيرًا للأول وبيانًا. معاهد التنصيص ١/ ٨٧

(٢) أي يحذف المفعول لمجيء ذكره ثانيا، على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه دون ضميره.

(٣) قول البحتري. **ينظر**: ديوانه

(٤) زاد الإمام عبد القاهر القول إيضاحا بقوله: المعنى: قد طَلَبْنا لك مِثْلاً، ثم حذَفَ، لأنَّ ذكْرَه في الثاني يدلُّ عليه، ثم إنَّ للمجيءِ به كذلك مِن الحُسْن والمَزيَّة والرَّوعة ما لا يَخْفي، ولو أنه قال: «قد طلبْنا لكَ في السؤددِ والمجدِ والمكارمِ مَثَلًا فلم نَجِدْه»، لم تَرَ مِنْ هذا الحُسْن الذي تَراه شيئًا، وسببُ ذلك: =

أو: حذفه.

[٣- يحذف المفعول لدفع توهم السامع غير المقصود]

لرد توهم السامع غير القصد[١]: ....

= أنَّ الذي هو الأَصْلُ في المدح والغرض بالحقيقة، هو نَفْي الوجودِ عنِ «المثل»، فأَمَّا «الطلبُ»، فكالشيءِ يُذكر ليُبنى عليه الغَرَضُ ويُؤَكَّد به أَمْرُه. وإذا كان هذا كذلك، فلو أنه قالَ: «قد طلبْنا لكَ في السؤددِ والمجدِ والمكارمِ مِثْلًا فلم نَجِدْه»، لكان يكونُ قد تركَ أن يُوقِعَ نفْيَ الوجودِ على صريحِ لفظِ «المِثْل»، وأَوْقَعَه على ضَميرِه، ولن تبلغَ الكنايةُ مبلغَ التصريح أبدًا. دلائل الإعجاز١٦٨، **على أن الشيخ ابن يعقوب المغربي في مواهب الفتاح** قد أورد على هذا الحذف ما يمكن أن يكون تخطئة له؛ إذ يبين أنه لو ذكر المفعول لأفاد أيضًا تسليط نفي الوجود على المثل، ثم رد على ذلك القول «بأنه لو قيل كذلك لزم فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، والحذف المقيد لهذا المعنى أسهل من تلك الإقامة؛ لعدم الحاجة إليها، مع أنه لو قيل كذلك لتوهم أن المثل الثاني خلاف الأول؛ لأن تكرار الفكرة ظاهر في إفادة التغاير، وهذا فاسد».

وقد قال ذلك القول أيضًا الشيخ الدسوقي في حاشيته.

ومن العلماء من قال: إن الغرض من حذف مفعول (طلبنا) في هذا البيت هو التأدب مع الممدوح؛ لأن ذكره يشعر بغير المراد، فلو قال: طلبنا لك مثلا فلم نجد لأوهم أن له مثلا، ولكنه لم يجده. ينظر: مواهب الفتاح جـ٢ صـ١٣٩ وحاشية الدسوقي جـ٢ صـ١٣٨ وعروس الأفراح جـ٣ صـ١٣٩.

وقد يحذف المفعول لدلالة الحال عليه، كقول البحتري: (الخفيف)

شجو حساده وغيظ عداه ... أن يرى مبصر ويسمع واع

حُذف المفعول لدلالة الحال عليه، وبذلك يكون الفعل متعلقا بمفعول مخصوص، **وفيه يقول الشيخ عبد القاهر:** «المعنى: لا محالة أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع واع أخباره وأوصافه، ولكنك تعلم على ذلك أنه كأنه يسرق علم ذلك من نفسه، ويدفع صورته عن وهمه، ليحصل له معنى شريف وغرض خاص، وذاك أنه يمدح خليفة، وهو المعتز، ويعرض بخليفة وهو المستعين. فأراد أن يقول: إن محاسن المعتز وفضائله، والمحاسن والفضائل يكفي فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع، حتى يعلم أنه المستحق للخلافة، والفرد الوحيد الذي ليس لأحد أن ينازعه مرتبتها، فأنت ترى حساده وليس شيء أشجى لهم، وأغيظ من علمهم بأن هاهنا مبصرًا يرى، وسامعًا يعي، حتى ليتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يعي معها، كي يخفي مكان استحقاقه لشرف الإمامة، فيجدوا بذلك سبيلًا إلى منازعته إياها». دلائل الإعجاز ١٥٦

(١) أي من أغراض حذف المفعول: دفع توهم السامع بداية إرادة شيء غير المراد.

والمراد للمتكلم ابتداء. كقوله(١): (**الطويل**)

وكم ذدت عيني من تحامل حادث وسـورة أيـام حـززن إلى العظم(٢)

---

(١) أي البحتري يمدح أبا صقر الشيباني، ويقر بأنه دفع عنه طغيان الدهر الذي بلغ به الغاية في القسوة، والبحتري: (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ = ٨٢١ - ٨٩٨م)الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره» سلاسل الذهب»، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. له» ديوان شعر - ط» وكتاب» الحماسة - ط» على مثال حماسة أبي تمام. وللآمدي» الموازنة بين أبي تمام والبحتري - ط» وللمعري» عبث الوليد - ط» الأعلام للزركلي ٨/ ١٢١.

(٢) يخاطب الشاعر ممدوحه قائلاً: إنك كثيرًا ما دفعت عني خطوب الدهر وصولة الأيام التي أكلت جسمي.

ونلاحظ أن الشاعر حذف مفعول الفعل (حززن) وهو اللحم لدفع توهم السامع من أول الأمر أن الحز والقطع لم يصل إلى العظام، كما قال الشارح.

وأورد ابن يعقوب المغربي: إشكالًا على هذا الحذف بقوله: «إن هذا التوهم يمكن دفعه بتقديم الجار والمجرور (إلى العظم) على المفعول وهو (اللحم)» مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص جـ٢ صـ١٣٧.

لكن الشيخ عبد المتعال الصعيدي يرد على ذلك بأن: «تأخير المفعول لا يجعل لذكره فائدة». بغية الإيضاح جـ١ صـ٢٥٨.

وخلاصة القول: أن حذف المفعول هنا دفع وهما، وقُصد به الوصول إلى الغاية دفعة واحدة، لذلك لم يقل حززن اللحم إلى العظم.

وأبرع تعبير قرأته في بيان ذلك: قول الإمام عبد القاهر، ولابد أن يقرأه القاريء ارتقاء للفكر ليس إلا، وهو: الأَصْلُ لا محالةَ: حززْنَ اللَّحْمَ إلى العظم، إلَّا أنَّ في مجيئِهِ به محذوفًا، وإسقاطِهِ له مِنْ النُّطْق، وتَرْكِهِ في الضمير، مزَّيةً عجيبةً وفائدةً جليلةً، وذاك أنَّ مِنْ حِذْق الشاعرِ أَنْ يُوقِعَ المعنى في نَفْس السامعِ إيقاعًا يَمنعُه به مِنْ أنْ يتوَهَّم في بدءِ الأمر شيئًا غيرَالمرادِ، ثم ينصرفُ إلى المرادِ، ومعلومٌ أنه لو أظْهَر المفعولَ فقال: «وسَوْرة أيامٍ حززنَ اللَّحم إلى العظم»، لجاز أن يقعَ في وَهْم السامع إلى أنْ يجيءَ إلى قولِه: «إلى العظم»، أنَّ، هذا الحزَّ كان في بعضِ اللحم دُونَ كلِّه، وأنه قطَعَ ما يَلي الجِلْدَ ولم يَنْتَهِ إلى ما يلي العظم. فلما كان كذلك، وترك ذِكْر «اللحم» وأَسْقَطَه من اللفظ، ليُبْرِئَ السامعَ من =

الأصل: حززن اللحم، فحذف؛ لدفع توهم أن العظم لم يجاوز اللحم، بل انتهى إليه، فحذف المفعول؛ لئلا ينافي خلاف مراده في صحيفة خاطر السامع من أول الأمر.

٤٩- أَوْ هُـوَ لِلتَّعْمِيـمِ، أَوْ لِلْفَاصِلَـهْ أَوْ هُـوَ لِاسْتِـهْـجَـانِـكَ الْـمُـقَـابَـلَـهْ

أو هو: أي حذف المفعول حينئذٍ.

[٤- يحذف المفعول للتعميم]

للتعميم: مع الاختصار.

نحو: قد كان منك ما يؤلم، أي يؤلمني، فحذف أي كل أحد، وكل إنسان[١].

قال في المفتاح: وإنه أحد أنواع سحر الكلام؛ حيث يوصل تقليل اللفظ إلى تكثير المعنى[٢]، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]. أي كل أحد[٣].

[٥- يحذف المفعول لرعاية الفاصلة]

أو للفاصلة: وهي في غير النظم كالقافية فيه نحو [قوله تعالى]: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [سورة الضحى: ٣]، إذ لو ذكر وقيل: ما قلاك لفاتت[٤] المناسبة بينهما[٥]، أو ينزل ما قبلها.

= هذا الوهم، ويَجعلَهُ بحيثُ يَقعُ المعنى منه في أُنُفِ الفَهْم [أي مقدمة الفهم]، ويَتصوَّرُ في نفسه من أولِ الأمْر أنَّ الحزَّ مضى في اللحمِ حتى لم يَردَّه إلَّا العَظْمُ، أفيكونُ دليلٌ أوضحَ من هذا وأَبْيَنَ وأَجْلى في صحة ما ذكرتُ لك، مِنْ أنك قد ترى ترك الذكر أَفْصَحَ من الذكْرِ، والامتناعَ من أن يَبْرزَ اللفظ من الضمير، أحسن للتصوير؟ دلائل الإعجاز ١٧١.

(١) الحذف بقرينة المقام الدال على المبالغة، وقد يوجد التعميم مع ذكر المفعول، لكن الاختصار يفوت. ينظر المطول١٩٥.

(٢) مفتاح العلوم ٢٢٨. تعليق نعيم زرزور.

(٣) أي يدعو جميع المخلوقين وهي دعوة عامة وليست خاصة.

(٤) كلمة: لفاتت، ساقطة من (ب).

(٥) أي ما قلاك فحذف المفعول به وهو الضمير العائد على رسول الله - ﷺ - لرعاية الفواصل، ولكن =

أو هو: أي الحذف.

[ب٦] - يحذف المفعول لاستهجان ذكره لدى السامع].

لاستهجانك المقابلة: للمخاطب بذكره، وقول عائشة [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] «**ما رأيت منه ولا رآه مني**» **يعني العورة**[1].

= رعاية الفواصل وحدها في القرآن العظيم لا تكفي؛ ولذلك يذكر الدسوقي في حاشيته أن الزمخشري في كشافه يجعل علة الحذف هي الاختصار، ويعلق على هذا الرأي بأنه لا تزاحم في الالتفات ثم يذكر رأيًا آخر للسيد الصفوي مستحسنًا إياه ومفضّلًا له على رأي الكشاف وهو: «ترك مواجهته - ﷺ- بإيقاع «قلى» الذي معناه أبغض على ضميره» وقد ذكر ذلك الرأي صاحب مواهب الفتاح بصيغة التحريض قيل، وهذا الرأي استحسنه وأضم إليه العلل الأخرى التي ذكرت آنفًا، حيث لا تدافع في النكات البلاغية، فيكون الحذف لرعاية الفاصلة والاختصار وعدم مواجهة النبي - ﷺ - بما يؤذي. ينظر شروح التلخيص جـ٢ صـ١٤٣، مواهب الفتاح، حاشية الدسوقي. والأطول ١/ ٥٢٤

(١) وقد حذف فيه مفعول الفعل (رأي) استهجانًا له، بيد أن كتب الحديث لم تذكر هذا الحديث إلا وفيه المفعول به مذكورا لا مقدرا كما في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه والمعجم الصغير للطبراني' وبرغم ذلك كله فإن هذا الحديث منكر لا يصح الاستشهاد به. ينظر إيضاح الإيضاح جـ١ صـ٦٧٦. والحديث في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه والمعجم الصغير للطبراني، وهو ضعيف راجع آداب الزفاف للشيخ الألبانى ص ٣٤.

وقد يحذف المفعول:

لمجرد الاختصار: كما يقول: أصغيت إليه، أي: أذني، فحذف ذلك المفعول لمجرد الاختصار، وقرينة الحذف أنه لا يستعمل الإصغاء إلا في الأذن، وكقوله - تعالى - على لسان موسى - ﷺ -: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]،. حيث حذف المفعول به وهو «ذاتك» اختصارًا لكن من العلماء من يجعل علة الحذف هي التعظيم، ولا تدافع في ذلك.

وقوله - تعالى -: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ [سورة القصص: ٢٣]، فقد ورد في الآية الكريمة مفعولان محذوفان للفعلين: يسقون، وتـذودان، أي يسقون مواشيهم، وتـذودان غنمهما، وعلة الحذف هنا هي الاختصار كما يراها السكاكي، أما الشيخ عبد القاهر فيرى أن الحذف هنا لإثبات الفعل للفاعل دون تعلق بمفعول، وهو ظاهر قول الزمخشري أيضًا.

وقد ذكر الإمام عبد القاهر لحذف المفعول غرضا لا يمكن الاستغناء عن معرفته لدارس البلاغة، وهو قوله: حذف المفعول، لإثبات معنى الفعل، لا غير: ومثالُ ذلك قولُ الناس: «فلانٌ يحُلُّ ويَعْقِدُ، ويأمر

[تقديم المفعول به وما يشبهه على الفعل]

٥٠- وَقَــدِّمَ الْـمَـفْـعُـولَ أَوْ شَـبِـيْـهَـهُ رَدًّا عَـلَـى مَــنْ لَـمْ يُـصِـبْ تَـعْـيِـيْـنَـهُ

وقَدّم المفعولَ: على الفعل جوازًا أو وجوبًا.

أو شبيهَهُ: من الحال أو التميز؛ **دالًّا عليهما**، وذا مفعول أو الظرف قدم(١):

[الغرض الأول: الرد على الخطأ في تعيينه وهو قوله:]

ردًّا على: أي الذي لها.

من لم يصب: بعد كالمقدم مما ذكر، كقولك: [٩ب] زيدًا عرفت، وما راكبا جاء زيد، وفي الدارزيد، لمن اعتقد أن ذلك من عمر دون زيد، وتوكيد ذلك بقولك في الأول والآخر:

وينهى، ويضر وينفع»، وكقولهم: «هي يُعْطي ويُجْزِلُ، ويَقْري ويُضيفُ»، المعنى في جميع ذلك على إثباتِ المعنى في نفسهِ للشيءِ على الإطلاقِ وعلى الجملة، من غيرِ أن يتعرَّضَ لحديثِ المفعولِ، حتى كأنك قلتَ: «صار إليه الحَلُّ والعَقْدُ، وصار بحيثُ يكون مِنه حَلٌّ وعقْدٌ، وأمرٌ ونَهْيٌ، وضَرٌّ ونَفْعٌ»، وعلى هذا القياس.

وعلى ذلك قولُه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٩]، المعنى: هل يَسْتَوي مَنْ له عِلْم ومَنْ لا علمَ له؟ من غَيْرِ أن يقصدَ النصُ على معلوم.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [سورة غافر: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ [سورة النجم: ٤٣-٤٤]، وقوله ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ [سورة النجم: ٤٨].، المعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والغناء والإقناءُ. وهكذا كلُّ موضعٍ كان القصدُ فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلًا للشيء، وأن تخبر بأنَّ مِن شأنِه أن يكونَ منه، أوْ لا يكونُ إلَّا منه، أوْ لا يكونُ منه، فإنَّ الفعلَ لا يُعدَّى هناك، لأنَّ تعديته تَنْقُضُ الغرضَ وتُغيِّر المعنى. ألا ترى أنكَ إذا قلتَ: «هو يُعطي الدنانيرَ»، كان المعنى على أنك قصدْتَ أن تُعْلمَ السامعَ أنَّ الدنانيرَ تَدْخلُ في عطائِه، أو أنه يُعْطيها خصوصًا دونَ غيرها، وكان غَرَضُك على الجملة بيانَ جنسِ ما تناولَه الإعطاءُ، لا الإعطاءُ في نفسِه، ولم يكن كلامُك معَ مَنْ نَفي أن يكونَ كان منه إعطاءٌ بوجهٍ من الوجوه، بل مع مَن أَثْبَتَ له إعطاءً، إلا لم يُثبت إعطاءَ الدنانير. فاعرفْ ذلك، فإنه أَصْلٌ كبيرٌ عظيمُ النفعِ. دلائل الإعجاز ١٥٥.

(١) أي وكذا الظرف والجار والمجرور.

لا غيره، وفي الثاني بقولك: لا غير.

وأما زيد ضربته فتأكيد لمن قدر الفعل المفسر قبل المنصوب، وإلا فيخصص، وكذلك قولك: بزيد مررت.

[الغرض الثاني: التخصيص]

والتخصيص لازم التقديم غالبًا، ولذا يقال في [قوله تعالى] «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]. معناه: نخصك بالعبادة(١)، وفي [قوله تعالى]: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٥٨]. معناه إليه لا إلى غيره تحشرون، وتعبدون، أو بالتخصيص؛ اهتمامًا بالمقدم.

[تقديم بعض المعمولات على بعض]

٥١- وَبَعْضَ مَعْمُولٍ عَلَى بَعْضٍ كَمَا إِذَا اهْتِمَامٌ أَوْ لِأَصْلٍ عُلِمَا

و: قدم.

بعض معمول على بعض: آخر

كما إذا اهتمامٌ:(٢) أي لأن ذكر المقدم لفظًا، المؤخر مرتبة أهم؛ لرعاية الحاجة إليه؛

---

(١) والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم، ولذلك يقال في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، معناه نخصك بالعبادة، لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة، لا نستعين غيرك، وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]. معناه إن كنتم تخصونه بالعبادة، وفي قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، أخرت صلة الشهادة في الأول، وقدمت في الثاني؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهيدًا عليهم. الإيضاح٢/ ١٦٤، ويقول المحقق: الدكتور محمد عند المنعم خفاجي: وإنما قال: «غالبًا»؛ لأن اللزوم الكلي غير متحقق إذا التقديم قد يكون لأغراض أخر: كمجرد الاهتمام، وللتبرك، والاستلذاذ، وموافقة كلام السامع، وضرورة الشعر، والفاصلة، ورعاية السجع، إلى غير ذلك مما لا يحسن فيه اعتبار التخصيص عند من له معرفة بأساليب الكلام.

(٢) أي يقدم لأن ذكره أهم، وفيه يقول الإمام عبد القاهر: لا يكفي أن يقال: قُدم للعناية والاهتمام، بل لا بد من بيان سبب ذلك. وهذا درس في التقديم، يراجع في دلائل الإعجاز لمن أراد لاستزاد.

لكونه خاطرًا في بالك لا يفارق خاطرك[١].

أو لأصل عُلمًا:[٢] أي لأن تقديمه على الأصل، كتقديم الفاعل على المفعول به نحو: ضرب زيد عمرًا.

والمفعول الأول[٣] في نحو: أعطيت زيدًا درهمًا، فإن الأصل تقديمها على الخبر، والحال، وسائر المفاعيل[٤].

---

(١) من شواهد هذا الاهتمام: بمعنى أن يكون ذكر المقدم هو المقصود، والأهم لأن تعلق الفعل به هو المراد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾ [سورة الإسراء: ٣١]، ففي آية الأنعام قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾»؛ لأن الخطاب هنا للفقراء فأراد الحق تعالى أن يطمئنوا على أرزاقهم؛ لأن ذلك هو الذي يشغل بالهم، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم.
أما في آية الإسراء فالخطاب للأغنياء لذا قال الله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ فالمقصود طمأنة أولئك الآباء على أولادهم، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم؛ لأن رزق أولادهم هو المطلوب، لذا قدم الأهم في كل. ينظر بغية الإيضاح ١/ ٢٣١.

(٢) أي يقد لكونه الأصل، كما سبق في باب المسند إليه، والمسند.

(٣) أي تقديم المفعول الأول.

(٤) الأصل في الكلام أن يقدم فيه ما هو عمدة على الفضلة، فالفاعل يقدم على المفعول حيث لا مقتضى للعدول عنه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [سورة القدر: ١]،، وكقولك: منحت المجد جائزة، كذلك يقدم المفعول الأول على الثاني، إما لأن أصله المبتدأ، وهو حسب الأصل متقدم على الخبر، كما في قولك علمت الكتاب صديقًا، أو لأنه بمعنى الفاعلية وذلك في الأفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، وقد مثل سعد الدين التفتازاني لذلك بقوله: «أعطيت زيدًا درهمًا» وقال: إن الترتيب في المفاعيل، قيل إن الأصل فيه تقديم المفعول المطلق، ثم المفعول به، بدون واسطة، أو بها، ثم المفعول فيه، زمانًا، ثم مكانًا ثم المفعول له، ثم المفعول معه، ثم بين أن الأصل في الحال: أن يأتي عقب صاحبها، والتابع عقب المتبوع، والمقصود بالتوابع: النعت، والتوكيد، والبدل، والعطف، فإذا اجتمعت فإن الأصل أن يقدم النعت، ثم التأكيد، ثم البدل، ثم البيان. ينظر المطول ٢٠١.
هذه العلة الأولى في تقديم بعض المعمولات على بعضها، حيث إن الأصل تقديمها ولا مقتضى للعدول عنها، فإذا جاء ما يقتضي العدول عن هذا الأصل أقر ما يستحق التقديم كما في قوله تعالى: =

أو لكون الآخر يؤدي إلى إخلال في المعنى المقصود نحو: [قوله تعالى]: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨]، فإنه لو أخر ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ يختل الكلام[١]، **أو لأن في التأخير رعاية الفواصل**، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة طه: ٦٧]، إذ لو قُدّم الفاعل فيه لفاتت الملاءمة بين العوامل[٢].

= ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤]، فتقديم المفعول ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ على الفاعل (﴿رَبُّهُۥ﴾ لا مندوحة منه؛ لأن هناك ما يقتضي ذلك التقديم فتأخير الفاعل واجب حتى لا يرجع الضمير على متأخر لفظًا ورتبة؛ إذ لو تقدم لعاد الضمير وهو «هاء الغيبة» على ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ وهو متأخر في اللفظ والرتبة وهذا ممتنع عند جمهور النحويين.

(١) قدم الجار والمجرور ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ على الجملة التي بعده ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾؛ لأن في تأخيره إخلالًا بالمعنى المراد؛ حيث يتوهم في حالة التأخير أن الجار والمجرور متعلق بالفعل ﴿يَكْتُمُ﴾ فلم يُفهم أن الرجل من آل فرعون، فقُدم لدفع اللبس، ومنع الخلل.
وقد بين سعد الدين التفتازاني أن تقديم ﴿مُّؤْمِنٌ﴾ على ما بعدها من الأوصاف، لأن الإيمان أشرف الأوصاف. ينظر المطول ٢٠٢، وبغية الإيضاح ١/ ٢٣٢

(٢) فقد تقدم الجار والمجرور ﴿نَفْسِهِۦ﴾ والمفعول له ﴿خِيفَةً﴾ على الفاعل ﴿مُّوسَىٰ﴾، حفاظًا على الفاصلة، كما قال الشارح، **وفيه يقول عصام الدين الاسفراييني**: فإن فواصل الآي على الألف، فقدم الجار والمجرور، والمفعول على الفاعل لذلك، وقدم الجار والمجرور على المفعول؛ ليتصل الفاعل بالمفعول، ولم يتعرض للتقديم الذي يكون المتكلم ملجأ إليه مضطرا، كما في: وجه الحبيب أتمنى، حيث قدم فيه المفعول على الفاعل؛ لأن تقديمه عليه يلجئ إليه، لأنه لا مدخل له في البلاغة. الأطول على التلخيص للقزويني ١/ ٥٣٣ تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي.
ومن شواهد المحافظة على رعاية الفاصلة والوزن الشعري أيضا:
قوله – تعالى –: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحاقة: ٣٠-٣٢] حيث روعيت الفاصلة الهائية، ويرى الزمخشري: أن التقديم في هذه الآيات للاختصاص. ينظر الكشاف ٤/ ١٣٦.
وليس هناك ما يمنع من وجود هذه اللطائف البلاغية، فهو كثير في الشعر كما في قولِ الأُقَيْشر في ابْنِ عَمٍّ له موسرٍ، سألَهُ فمنعَه وقال: كَمْ أعطيكَ مالي وأنتَ تنفقه فيما لا يغنيك؟ والله لا أعطيتك، فتكره حتى اجتمعَ القومُ في ناديهم وَهوَ فيهم، فشَكاهُ إلى القوم وذمَّه، فوثَبَ إليه ابنُ عمه فلطمه، فأنشأ يقول: (الطويل)

سَريعٌ إلى ابْنِ العَمِّ يلْطِمُ وَجهَهُ ... وليسَ إلى داعي النَّدى بِسَريعِ =



= حَريصٌ على الدُّنيا، مُضِيعٌ لِدِينِهِ ولَيْسَ لِمَا في بَيْتِهِ بِمُضِيعِ

حيث ترى الشاعر قدم الجار والمجرور «إلى داعي الندى» على «سريع» حتى يحافظ على وزن البيت، وفيه كذلك الاهتمام بالمقدم؛ لأن الشاعر يهدف إلى بيان انتقاص المخاطب وتقريعه على ما فيه من جحود ونكران، حيث إنه سريع إلى الأذى وليس سريعًا إلى الجود والندى. ينظر دلائل الإعجاز ١/ ١٥٠.

وقد يأتي تقديم بعض المتعلقات على بعض لأمور أخرى، منها:

تقديم السبب على المسبب كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الفرقان: ٤٨-٤٩]، ففي هذه الآية قدم ما هو سبب في وجود المتأخر، فحياة الأرض فيها حياة للأنعام والبشر، وحياة الأنعام في حياة للبشر كذلك، أي أن المتقدم كان سببًا في وجود ما بعده، هكذا قال ابن الأثير. ينظر المثل السائر ٢/ ٢٩.

وقد يأتي التقديم مراعًى فيه الكثرة والقلة في الترتيب كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة فاطر: ٣٢]، ففي هذه الآية الكريمة قدم: الظالم لنفسه؛ لأنه الأكثر عددًا مما بعده، ثم تلاه المقتصد، وهو أقل وجودًا من سابقه، ثم ختم الآية بالسابق بالخيرات، وهو أقل عددًا من الصنفين السابقين.

وغير ذلك كثير حسب السياقات والمقامات، والأحوال...

الباب الخامس
أسلوب القصر

٥٢- الْقَصْرُ نَوْعَانِ: حَقِيْقِيٌّ، وَذَا نَوْعَانِ: وَالثَّانِي الإِضَافِيُّ كَذَا

[أولا: تعريف القصر]

القصر: هو تخصيص أحد الطرفين بالآخر وحصره فيه(١).

---

(١) هذا التعريف للقصر في اصطلاح البلاغيين، وسنعود إلى بيانه، أما القصر في اللغة فهو: الحبس، قال ابن منظور: وقصر الشيء، يَقْصُرُه قصرًا حبسه، ومنه مقصورة الجامع، قال أبو داود يصف فرسًا: (الخفيف)

فَقُصِرْنَ الشِّتَاءَ بَعْدُ عَلَيهِ وَهْوَ لِلذَّوْدِ أَنْ يُقَسَّمْنَ جَارُ

أي: حبس عليه يشرب ألبانها في شدة الشتاء.

وفي حديث أسماء الأشهلية: «**إنا معشر النساء محصورات مقصورات**».

وفي حديث عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، «**فإذا هم ركب قد قَصَرَ بهم الليلُ**» أي: حبسهم...، وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الرحمن: ٧٢]، أي محبوسات في خيام من الدُّر مخدرات على أزواجهن في الجنات، وقال تعالى ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة ص: ٥٢].

قال الفراء: قاصرات الطرف حور قد قصرن أنفسهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، ومنه قول امرئ القيس: (الطويل)

من القاصراتِ الطرف لو دبَّ مُحْوِلٌ مِن الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأَثَّرَا

وهكذا نجد الدلالة اللغوية لهذه المادة تعطى معنى الحبس والتخصيص. ينظر لسان العرب (قصر) وغيره من المعاجم.

أما قول الشارح: هو تخصيص أحد الطرفين بالآخر وحصره فيه. فهو التعريف الاصطلاحي، **ومنه تتحدد أركان القصر**، وهي: المقصور، والمقصور عليه، مع ملاحظة أنه لم يقل - كما قال البلاغيون - «بطريق معهود» وهي بقية التعريف التي يفهم منها: الطرق المؤدية للقصر، وهذا ترتيبها

في التعريف، ولا يتجلى ذلك إلَّا في جملة واحدة تتضمن إثباتًا ونفيًا ويربطها طريق من تلك الطرق المعهودة لدى البلاغيين - كما سيأتي إن شاء الله تعالى -.

ولا ريب أن هذه الجملة التي تتضمن إثباتًا ونفيًا في قوة جملتين أو تطوي جملتين إحداهما تفيد حكم الإيجاب والأخرى تفيد حكم السلب، فإذا قلنا مثلًا: يفوز المجِدُّ، أثبتنا له صفة الفوز، وهذا حكم إيجابي وإذا قلنا: لا يفوز المهمل، نفينا عنه تلك الصفة وهذا حكم سلبي.

و اللغة فيها متسع لجمع شمل الجملتين وبيان دلالتهما في جملة واحدة كأن نقول مثلًا: لا يفوز إلَّا المجِدُّ، فقد أثبتت الفوز للمجد وقصرته عليه ونفته عن المهمل في الوقت ذاته وهذا ضرب من الإيجاز في القول والبلاغة في التعبير، ذلك ما يسمى بالقصر، وبعضهم يسمه الاختصاص، وفرَّق بينهما بعض المدققين من أهل العلم فقال السيوطي في الإتقان ٢/ ٦٨: «ويفهم كثير من النَّاس من الاختصاص الحصر، وليس كذلك وإنما الاختصاص شيء والحصر شيء آخر والفضلا لم يذكروا في ذلك لفظة الحصر وإنما عبروا بالاختصاص.

والفرق بينهما: أن الحصر نفى غير المذكور وإثبات المذكور، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه. **فإذا قلت**: ضربت زيدًا، أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص، ونلحظ هنا أننا لم نتعرض لغيره بنفى ولا إثبات هذا بخلاف القصر ففيه معنى زائد وهو نفى ما عدا المذكور، وإنما جاء في هذا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]. للعلم بأن قائليه لا يعبدون غير الله - تعالى -، ولذا لم يطرد في بقية الآيات، فإن قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٣]. لو جعل في معنى ما يبغون إلَّا غير دين الله وهمزة الإنكار داخلة عليه لزم أن يكون المنكر الحصر لا مجرد بغيهم غير دين الله وليس هو المراد وكذلك ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة الصافات: ٨٦]. المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر».

المهم أن التخصيص لا يوجب نفى ما عداه كالقصر، والاختصاص قد يكون مفاد طريق من طرق القصر في بعض شواهده وهو: (التقديم) وإن لم يكن المعنى البارز فيه.

ونلحظ أنهم قالوا في التعريف: تخصيص شيء بشيء... دون أن يقولوا قصر شيء على شيء، لأن التخصيص يكاد يكون أبرز معاني القصر، قصرت الفوز على المُجِدِّ، بمعنى اختصصته به وحبسته عليه دون المهمل... فهو إمَّا أن يكون تخصيص موصوف بصفة أو صفة بموصوف كما سيأتي:

وقالوا: «بطريق مخصوص أو معهود»، لأن هناك أساليب تفيد معنى القصر بمنطوق العبارة كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ١٠٥]، ومثل محمد مقصور على الكتابة وعلى مقصور على الشعر. =

[ثانيا: أنواع القصر باعتبار غرض المتكلم]

القصر: من حيث هو:

نوعان: بالاستقراء وبالفعل.

حقيقي: وهو: أن لا يكون التخصيص باعتبار صفة أو موصوف معين[١].

وذا: أي القصر الحقيقي[٢].

= أو بفحواها كقول الشاعر: (الوافر)

أروني أمةً بلغتْ مناها ... بغيرِ العلم أو حدِّ اليَمَاني

فمثل هذا لا يدخل في القصر الاصطلاحي على حد تعريفهم السابق (بطريق معهود).

ورأى بعض العلماء أن هذه الأساليب وما شابهها تدخل في باب القصر إذا قيل في تعريفه: إنه دلالة جملة واحدة على اختصاص أمر بآخر سواء أكان منشأ تلك الدلالة الوضع أم العقل أم الذوق - (ينظر مذكرات الشيخ سليمان نوار في القصر).

وبهذا تتشعب دلالة الأسلوب (القصر) ولا تنضبط طرقه؛ ولذلك حده البلاغيون بهذه الطرق المعهودة؛ لما لها من اعتبارات، ودقائق بلاغية لا تتوافر لمثل هذه الأساليب الأخرى، وقد أرادوا بذلك تحديد مسار دراسته.

(١) بمعنى أن المقصور يختص بالمقصور عليه بحيث لا يتجاوزه إلى غيره أصلا، لا إلى معين، وأن هذا المعين يكون في الإضافي، وسأتناول هذا بالتفصيل في التعليق.

(٢) يعني القصر الحقيقي ضربان، ولابد أن أعرف القاريء به وببعض شواهده قبل الحديث عن ضربيه، من الحقيقي التحقيقي، والحقيقي الادعائي.

أما الحديث عنه فيتجلى فيما يأتي: سبق أن ذكرنا أن جملة القصر تتضمن إثباتًا ونفيًا بطريق مخصوص والنفي هو أساس هذا التقسيم لأنه إمَّا أن يكون عامًا لكل ما عدا المذكور، وإمَّا أن يكون خاصًا بمعين كما يأتي، وعلى ذلك:

فالقصر الحقيقي: هو تخصيص شيء بشيء، بمعنى إثباته له ونفيه عن كل ما عداه، فإذا قلنا: «لا يعلم الغيب إلا الله» أفاد ذلك إثبات علم الغيب له عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونفيه عن كل ما سواه، فعلم الغيب صفة ثابتة لله سبحانه لا تبرحه إلى سواه أبدًا، وكذلك الشأن في قوله سبحانه ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩] ففيها من طرق القصر التقديم في قوله سبحانه ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ حيث تقدم المسند فأفاد أن مفاتح الغيب خاصة بالحق سبحانه لا تتجاوزه إلى غيره أصلًا، والنفي والاستثناء في قوله ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ حيث قصر علم الغيب عليه سبحانه ونفاه عن=

= كل ما عداه... والجملة الثانية هذه تؤكد الأولى وتزيل كل وهْمٍ يتسرب إلى هذه الحقيقة (علم الغيب) وكذلك قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك: ١]، فالتقديم هنا أفاد أن الملك مختص به سبحانه، منفيٌّ عن كل ما عداه في الحقيقة والواقع.

وشواهد ذلك كثيرة منها قولنا: ما خاتم الأنبياء والرسل إلا محمد ﷺ، وقوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة الحجر: ٨]. حيث قصر تنزيل الملائكة على كونه بالحق ونفاه عن كل ما عداه...

ومنه قول دريد بن الصِّمة: (الطويل)

وهل أنا إلَّا مِنْ غزيَّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غزيَّةُ أرْشُدِ

قصر نفسه على كونه من هذه القبيلة بما فيه من طبع وخلق، ومن شدة تلاحمه بها والتزامه بنهجها يقول: إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد.

أما الحديث عن ضربيه فكما يأتي:

كل من الحقيقي والإضافي ينقسم قسمين، فما يشهد له الواقع ويؤيده هو الحقيقي، وما ينقضه ويرفضه هو الذي يكون على سبيل الادعاء أو المبالغة وعلى ذلك:

فالقصر الحقيقي التحقيقي: هو ما توجه فيه النفي إلى جميع ما عدا المقصور عليه في حقيقة الأمر وواقع الحال بمعنى أن تتطابق النسبتان الكلامية والخارجية تطابقًا تامًا كأن تقول: ما حصل على تقدير ممتاز إلَّا محمد، إذا كانت الحقيقة والواقع يشهدان بذلك.

ومنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٩٩]، حيث قصر الكفر بالآيات على الفاسقين، فهم الذين يتصفون بتلك الصفة، لأنهم خرجوا عن الحق، وتوجه النفي حينئذٍ إلى جميع ما عدا المقصور عليه والحقيقة والواقع يشهدان بذلك وكقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

أما الحقيقي الادعائي: فهو ما توجه فيه النفي إلى جميع ما عدا المقصور عليه على سبيل الادعاء والمبالغة وهنا لا تتطابق النسبتان.

ويسمى القصر المجازي في البلاغة القرآنية تحاشيًا من وصف القرآن الكريم بالادعاء والمبالغة وإنما يقال على سبيل التجوز أو الاتساع. ومن ذلك قول الله - تعالى -﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر: ٢٨]. نجد أن خشية الله مقصورة على العلماء قصر صفة على موصوف، والمراد هاهنا نفيها عن كل ما عدا العلماء.. ولكن إذا نظرنا إلى الواقع رأينا كثيرًا من غير العلماء يخشون الله، بل =

ضربان: أي نوعان، والتعبير به معنى في المعبر.

والثاني: من نوعي القصر المطلق:

الإضافي: وهو بخلاف الحقيقي: ما يكون التخصيص فيه باعتبار أحدهما.

= إن كثيرًا من العلماء لا يخشون الله وهناك من العوام من هم أشد لله خشية منهم...

فهذا قصر حقيقي على سبيل المجاز، ولكن - كما قال شيخنا الأستاذ الدكتور أبو موسى - جاءت الآية في سياق الحث على رؤية السنن الكونية والقوانين العلمية المحكمة فلم تعتد بخشية غير العلماء ولم تلتفت إليها وكأنها ليست واقعة، لأن العلم يزيد العالم المهتدي به بصيرة في أمر اعتقاده ويقينًا في أمر دينه فتقع خشيته لله على بصيرة ودراية.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٢٤-٢٥]. فقد أثبت ملكيته لنفسه وأخيه حيث قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ﴾ [سورة المائدة: ٢٥]. ونفاها عن كل ما عدا ذلك وكأنه لا يعتد بالرجلين اللذين نص السياق عليهما مع أنهما كانا مخلصين بدليل وصف القرآن لهما بالخوف من الله ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المائدة: ٢٢-٢٣].، ولكنه لم يعتد بهما ولم يثق بحالهما وجوز أن يكونا منقلبين مع بني إسرائيل.

فهو من القصر الحقيقي غير التحقيقي لأنه «ليس كشفًا للواقع الخارج عن النفس والحس وإنما هو كشف وبيان للواقع كما تحسه نفس المتكلم - صلوات الله وسلامه عليه - وقد طالما قاساه وعاناه من تقلب بني إسرائيل فلم يثق في غير هارون وكان نبيًّا معصوما· دلالات التراكيب، د. محمد أبو موسى ص٥٠.

ومن المشهور في ذلك قول الشاعر: (الرجز)

لا سيفَ إلا ذُو الفقَار ولا فَتَى إلَّا علِيّ

نطق الشاعر بذلك اعتزازًا بسيف سيدنا على وفتوته وكأنه لم يكن في الوجود سواهما وهذا وإن كان مطابقًا لحسه وذات نفسه غير أن الواقع يشهد بغير ذلك فهناك سيوف كثيرة توصف أيضًا بما يوصف به سيف سيدنا عليّ، كما أن هناك كثيرًا ممن تتوفر لديهم صفات الفتوة كذلك، ومنه قول الشاعر: (الطويل)

وما البأس إلا حمل نفسٍ على السُّرى وما العجزُ إلاَّ نومةٌ وتشمسُ

كذا: أي كالحقيقي في انقسامه لقسمين[1].

---

(١) أي أن الإضافي ينقسم نفس القسمين كالحقيقي، وبيان ذلك كما يأتي:
أولا: تعريف الإضافي، هو: ما كان النفي فيه موجهًا لبعض ما عدا المقصور عليه بمعنى أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالإضافة إلى شيء آخر معين، فإذا قلنا مثلًا: البارودى شاعر لا خطيب، كان المقصود تخصيصه بالشاعرية وقصره عليها بحيث لا يتعداها إلى صفة معينة وهي (الخطابة) وهذا لا ينافي أن له صفات أخرى لذا كان النفي موجهًا إلى شيء مخصوص وهذا هو القصر الإضافي، ومن شواهده أيضًا:
قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]... «حيث قُصر النبي ﷺ على صفة الرسالة، بحيث لا يتعداها إلى صفة معينة وهي التبري من الهلاك وهذا لا يمنع أن له صفات أخرى.
ومنه قول الشاعر: (الطويل)

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أرى الأرض تبقى والإخلاء تذهب

يلاحظ أن طريق القصر هنا هو: تقديم الجار والمجرور والمقصور هو قوله (أشكو) والمقصور عليه (لفظ الجلالة) فقد قصر صفة الشكوى على الحق سبحانه بحيث لا تتعداه إلى معين من البشر مثلًا...
وقول الشاعر: (البسيط)

عُمْرُ الفتَى ذِكْرُهُ لا طُولُ مُدَّتِه ... ومَوتُهُ خِزْيُهُ لا يَوْمُه الدَّانِي

ثانيا: أقسام الإضافي: ينقسم الإضافي أيضًا إلى: تحقيقي وادعائي:
فالإضافي التحقيقي: هو ما كان النفي فيه موجهًا إلى بعض ما عدا المقصور عليه في الحقيقة والواقع.
كقولنا مثلًا: ما زهير إلَّا شاعر، فقد قصرناه على صفة الشاعرية بحيث لا يتعداها إلى صفة أخرى معينة وهي كونه كاتبًا، والواقع الخارجي، يشهد بذلك ويؤيده، ولا يمنع أن يكون له صفات أخرى.
أما الإضافي الادعائي: فهو ما كان النفي فيه موجهًا إلى بعض ما عدا المقصور عليه على سبيل الادعاء والمبالغة كقولنا: ما عبد القاهر إلَّا بليغ، فقد قصرناه على صفة البلاغة ونفينا عنه صفة معينة وهي النحو مثلًا، والواقع الخارجي يخالف ذلك فقد كان عبد القاهر نحويًا قبل أن يكون بلاغيًا ولكنه لما شهر بكونه بلاغيًا فقد قصرنا عليه تلك الصفة على سبيل الادعاء والمبالغة.
وتبقى كلمة في غاية الأهمية، وهي:
العموم والخصوص في النفي
نرى المتأخرين في ذلك يخالفون ما ذهب إليه شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني حيث بين أن النفي ليس على عمومه وإنما يكون في إطار جنس المثبت وما له به علاقة، وهم يرونه على الإطلاق بحيث لا يتجاوزه إلى غيره أصلًا في الحقيقي، أو بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر بحيث =

[ثالثا: أقسام القصر باعتبار الطرفين]

وأشار إلى القسمين المنقسم إليهما كل من الحقيقي والإضافي[(١)] في قوله:

= لا يتجاوزه إليه في الإضافي، وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر: «واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخر نحو: «ما زيد إلَّا قائم» أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه، فإنما نعنى أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام، نحو أن يكون: جالسًا أو مضطجعًا أو متكئًا أو ما شاكل ذلك، ولم ترد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل إذ لسنا ننفى عنه بقولنا «ما هو إلَّا قائم» أن يكون أسود أو أبيض، أو طويلًا أوقصيرًا أو عالمًا أو جاهلًا، كما أنا إذا قلنا: «ما قائم إلَّا زيد» لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه، وإنما نعنى ما قائم حيث نحن وبحضرتنا وما أشبه ذلك. دلائل الإعجاز ٣٤٦.

ويفهم من هذا أن النفي يكون في محيط جنس المذكور، وليس بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلًا، وإنما بحيث لا يتعداه إلى غيره مما هو من جنسه أو يدور في بوتقته، على خلاف ما ذهبوا إليه كما مضى؛ ولذا **قال سعد الدين التفتازاني في سر تسمية الأول حقيقيًّا والآخر إضافيًّا**: «...؛ لأن تخصيص الشيء بالشيء إمَّا أن يكون بحسب الحقيقة ونفس الأمر بألا يتجاوزه إلى غيره أصلًا وهو الحقيقي أو بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر بألَّا يتجاوزه إليه وهو غير حقيقي بل إضافي لأن تخصيصه بالمذكور ليس على الإطلاق بل بالإضافة إلى معين آخر..» المطول ٤٠٢.

(١) معلوم أن طرفي القصر هما المقصور والمقصور عليه، وكل منهما ينقسم إلى قصر موصوف على صفة، وصفة على موصوف، وذلك لأن مفهوم أحد الطرفين لا بد أن يكون ذاتًا يصلح لأن يتعلق به غيره، ومفهوم الآخر لا بد أن يكون صفة تقوم بتلك الذات وتتعلق بها، ولا يصح أن يكونا ذاتين أو صفتين إلَّا بتأوّل. فإذا قلنا: ما محمد إلَّا أسد، فقد نظرنا إلى معنى الشجاعة.

وكذلك جاء الطرفان على صورة صفتين في قول المفضل بن المهلب بن أبي صفرة: (الطويل)

هـل الـجـودُ إلَّا أن تـجـودَ بـأنـفـسٍ ... عـلـى كـل مـاضـي الـشَّـفْـرَتَـيْـنِ صقيلِ

فالجود في الطرفين صفة وحينئذٍ لا بد من التأويل والأقرب إلى ذلك هو ما بعد إلا لأنه مقيد بالجار والمجرور (بأنفس) وهو أقرب إلى الوصفية فيكون الجود موصوفًا ومقصورًا على الجود بالنفس وهو صفة: وهو إضافي لأنه نفى معينًا، وهو أن يكون الجود بالمال أو الجاه... ومِن ثَمَّ يكون المراد بالصفة: الصفة المعنوية.

<u>**والصفة المعنوية**</u>: أي المعنى القائم بالغير، سواء أكان فعلًا كقولنا: ما فعل هذا إلَّا محمد، فإن قولك (فعَل) فعل، وتقول إنه صفة لأنه يدل على معنى هو الفعل، وهذا المعنى يقوم بالغير، أي يتصف به الغير وهو الفاعل، أي المقصور عليه، أو كان وصفًا كقولك: إنما الخالق الله، وإنما الشاعر أبو الطيب، =

٥٣- فَقَصْرُ صِفَةٍ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ الْمَعْرُوفِ

فقصرك الوصف على الموصوف(١)، نحو: ما في الدار إلا زيد، **قصرًا حقيقيًا** إن لم يكن فيها سواه(٢).

وإضافيًا إن كان فيها غيره ممن لا يعتد به معه، فكأنه منفرد بذلك الوصف(٣).

وعكسه: أي قصر الموصوف على الصفة(٤) **فيهما كما قال**:

= فقد قصر صفة الخلق على الله، والشاعرية على أبي الطيب، قصر صفة على موصوف.

وكذلك لا يلزم أن يكون الموصوف ذاتًا، يقوم بها الوصف وإنما يكون معنى أيضًا كقولك: إنما هداك إلى هذا فضل أدبك، فقد قصرت صفة الهداية على فضل الأدب وهو موصوف وليس ذاتًا، وإنما هو معنى يقوم به الغير.

المهم أن الصفة في جملة القصر هي المعنى الذي يقوم بغيره في هذه الجملة والموصوف هو الذي يتصف بهذا المعنى، وليست الصفة النحوية التي هي تابع يدل على معنى في متبوعه غير الشمول كالعالم في قولك: جاءني زيد العالم، فقد دل العالم على معنى هو العلم في متبوعه وهو زيد. راجع: شروح التلخيص ٢/ ١٦٩، ودلالات التراكيب ٧٨.

(١) **قصر الصفة على الموصوف**: يعني أن هذه الصفة لاتتجاوز هذا الموصوف إلى موصوف آخر أصلاً في القصر الحقيقي، ولا إلى موصوف آخر معين في القصر الإضافي.

(٢) ومنه قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، فقد قصرت صفة الألوهية على ضمير الحق سبحانه لا تتجاوزه إلى غيره أصلًا، قصر صفة على موصوف ولا ريب أن هذه الصفة منفية عن كل ما عداه فهو قصر حقيقي تحقيقي، وكذلك الشأن في قوله تعالى ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩]، ويمكنك أن تدرك ذلك من خلال الشواهد التي سبقت مع ملاحظة أنه لا يمنع أن يكون لذلك الموصوف صفات أخرى.

(٣) ومنه: ما شاعر إلَّا شوقي، قصرنا صفة الشاعرية على شوقي بحيث لا تتعداه إلى معين ممن كانوا بحضرته مثلًا، ولا يمنع أن يكون له صفات أخرى، ويصلح أن يكون حقيقيًا ادعائيًا بادعاء كمال الشاعرية فيه وتنزيلها في غيره منزلة العدم.

(٤) **قصر الموصوف على الصفة**: يعني ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى أصلاً في القصر الحقيقي ولا إلى صفة أخرى معينة في القصر الإضافي.

من نوعه المعروف: الحقيقي، والإضافي[١]، **وقصر الموصوف قصرا حقيقيا**، نحو: ما زيد إلا كاتب[٢].

قال في التلخيص: وهذا النوع لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء جميعها؛ ليمكن من إثبات صفة، ونفي ما عداها[٣].

---

(١) **ومثاله في القصر الحقيقي قولنا مثلا**: ما شوقى إلَّا شاعر، فقد قصرناه على صفة الشاعرية بحيث لا يتعداها إلى صفة معينة كالخطابة مثلًا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾ [سورة فاطر: ٢٢-٢٣]. قصر - ﷺ- على صفة الإنذار بحيث لا يتعداه إلى معين وهو إكراه الكفار على الإيمان بعد أن شبههم بالمقبورين، أو كونه يملك إسماع الصم أو هداية العمى وهو في هذا الباب طويل الباع.

كما أنه كذلك فيما يسمى بالحقيقي الادعائي أو على سبيل التجوز والاتساع كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ [سورة المائدة: ٩٠]، قصر هذه الأربعة (الخمر - الميسر - الأنصاب - الأزلام) على كونها رجسًا من عمل الشيطان وكأنه لم يكن هناك رجس من عمل الشيطان جدير بالاجتناب وداعٍ إلى الفلاح سوى ذلك مما هو من جنسه وهو على هذا قصر حقيقي على سبيل التوسع، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٤]، قصرها على ذلك مع ما فيها من أمور كثيرة أخرى تتصف بها ولكن لما كان اللهو واللعب هما أساس الفساد فيها قصرها عليهما، **ومن ذلك قول شوقى**: (البسيط)

فـإنـمـا الأُمَــمُ الأخــلاقُ مـا بَقِيَـتْ فَــإنْ هُـمُ ذَهَـبَـتْ أخـلاقُـهـم ذَهَـبُـوا

أراد قصر الأمم وأحوالها التي تدخل في تحديد أقدارها وفي استمرار وجودها على الأخلاق، ونفى أن يكون هناك شيء غير الأخلاق تعد به الأمم وتذكر فهو قصر حقيقي ادعائى لأن هناك ما يدخل في تحديد أقدار الأمم سوى ذلك نحو الكثرة والقلة والتقدم والتخلف، والقوة والضعف ونحو ذلك ولكن الشاعر جعل ذلك ونحوه في حكم العدم...

هذا في قصر الموصوف على الصفة قصرًا إضافيًّا وحقيقيًّا ادعائيًّا.

(٢) بعدها عبارة غير واضحة في (أ)، وفي (ب) يقول: أي لا يتصور من ألقابه.

(٣) يقصد بهذا النوع الذي لا يكاد يوجد: الحقيقي التحقيقي من قصر الموصوف على الصفة، قالوا: أما الحقيقي التحقيقي منه: فإنه لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء، حتى يمكن إثبات شيء منها، ونفى ما عداه بالكلية.

أو أن لكل واحدة من الصفات المنفية نقيضًا، وهو من الصفات التي لا يمكن نفيها ضرورة امتناع =

[رابعا: أقسام القصر باعتبار حال المخاطب][١]

وفي قصر الموصوف على الصفة قصرًا إضافيًا نحو: قوله [تعالى]: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٣]، مع أن له صفات أخر، كالخلة، والمحبة؛ لأنها ترد إنكارذلك، وادعاءهم فيه خلافه[٢].

ونحو: ما زيد إلا شاعر لمن اعتقده مفحمًا. والمخاطب بالأول من اعتقد أن في الدار غير زيد، أو هو ومعه غيره.

وفي الثاني: من اعتقد زيدًا منجمًا، أو شاعرًا، ومنجمًا.

ويسمى الأول منهما: قصر قلب؛ لقلبه حكم المخاطب حيث أتت صفة أخرى، وموصوفًا آخر[٣].

والثاني يسمى: قصر إفراد؛..

= ارتفاع النقيضين، **مثلًا إذا قلنا:** ما زيد إلَّا كاتب، وأردنا أنه لا يتصف بغيره لزم أنه لا يتصف بالقيام ولا بنقيضه وهو محال. المختصر على الشروح ٢/ ١٧٢.

ولكن لو تأملنا نص الإمام عبد القاهر الذي أوردناه من قبل في العموم والخصوص في النفي **وهو قوله:** «واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخر نحو «ما زيد إلَّا قائم» أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه فإنما نعنى أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام، نحو أن يكون جالسًا أو مضجعًا أو متكئًا... ولم ترد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل... الخ وارجع إليه في دلائل الإعجاز؛ لتكون على ذكر منه.

فإذا تأملنا ذلك وجدنا أن قولنا مثلًا: «ما زيد إلَّا كاتب» يقصد به نفى ما هو من الكتابة بسبيل، نحو: الشاعرية والخطابة، وكونه نحويًا لا بلاغيًا، وما شابه ذلك، وليس المقصود نفى أن يكون أبيض أو أسود أو طويل أو قصير... إلخ فالنفي يكون بما له صلة بالمذكور، وإذا أنعمنا النظر في هذه الحقيقة زال اللبس الذي ذكره المتأخرون تجاه ذلك.

ولا ريب أن السياق والدلائل هي التي تحدد هذا المقصود، ولا داعي للإسهاب في هذه المسألة.

(١) هذا التقسيم يكون في القصر الإضافي فقط، وينقسم بهذا الاعتبار إلى: إفراد وقلب وتعيين.

(٢) سبق بيان شواهد الإضافي في الهامش مع شواهد الحقيقي غير التحقيقي.

(٣) فقصر القلب: يقصد به الرد على من يعتقد عكس الحكم.

لقطع القصر الشركة[١] بين الموصوف في الأول والوصفين في الثاني[٢].

وزاد صاحب التلخيص: قصر التعيين[٣]، وهو فيما إذا خاطب بقوله: ما زيد إلا في

---

(١) كلمة الشركة ساقطة من (ب).

(٢) فقصر الإفراد: هو قصر يقصد به الرد على من يعتقد الشركة.

(٣) **وقصر التعيين**: يقصد به تعيين مبهم عند المخاطب وتخصيصه بواحد أي الرد على من يتردد بين الصفتين ولا يستطيع إثبات واحدة منها.

وبيان ذلك: كما عرفنا أن القصر الإضافي هو ما توجه فيه النفي لبعض ما عدا المقصور عليه بمعنى أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالإضافة إلى معين، أي: أن المقصور لا يكون لهذا المعين وإن صح أن يكون لغيره وإذا كان هذا شأنه فإن حال المخاطب حينئذٍ يختلف فقد يكون معتقدًا الشركة وقد يكون مترددًا وقد يكون معتقدًا العكس؛ **وبذلك تكون أقسام القصر الإضافي ثلاثة**: (إفراد – تعيين – قلب) فإذا قلت: النابغة شاعر لا كاتب، فإذا كنت تخاطب من يعتقد ثبوت الصفتين (الشاعرية والكتابة) له كان قصر إفراد، وإذا كنت تخاطب من يتردد بين الشاعرية والكتابة كان قصر تعيين وإذا كنت تخاطب من يعتقد أنه كاتب لا شاعر كان قصر قلب.

وبذلك تعلم أن: مردّ هذا التقسيم هو النظر إلى موقف المخاطب وعليه تكون في الأول أفردته بالشاعرية، وفي الثاني أثبت له الشاعرية دون الكتابة، وفي الثالث قلبت حكم من يعتقد عكس الأولى له، والنفي في جميعها موجه إلى معين ومِن ثَمَّ كان التقسيم خاصًا بالقصر الإضافي.

العلاقة بين هذه الأقسام الثلاثة

من خلال الأمثلة السابقة يتبين أن بعض شواهد قصر القلب لا تصلح أن تكون مثالًا لقصر الإفراد، ولكن كل صورة قلب أو إفراد تصلح أن تكون شاهدًا لقصر التعيين مع اختلاف المخاطب وإن كانت الصورة الأولى هي الغالبة على المعنى المراد.

وقد صرح الخطيب بأن قصر التعيين أعم وأن كل ما يصلح أن يكون مثالًا لقصر الإفراد أو القلب يصلح لقصر التعيين من غير عكس.

موقف القصر الحقيقي من هذا التقسيم

قلنا إن هذا يكون باعتبار حال المخاطب ولا يكون ذلك في القصر الحقيقي لأن القصر فيه بالنسبة إلى ما عدا المقصور عليه على الإطلاق ولا يتصور فيه تردد أو عكس أو شركة وإنما يتصور ذلك فيما كان بالإضافة إلى معين وهذا هو الإضافي، وشواهد ذلك جليلة وكثيرة منها مثلًا: قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٣]، ولا ريب أن قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ =

الدار، ساوى عنده كون زيد، أو غيره فيها، وبقوله: ما زيد إلا شاعر، من استوى عنده كونه شاعرًا، أو منجمًا.

ولم يذكره صاحب المفتاح؛ لأنه داخل في قصر الإفراد، والقلب؛ لأن إثبات صفة معينة من [١٠أ] صفتين أعم من أن يثبتهما لمخاطب موصوف لتردده، أو أعم من أن يثبت المخاطب صفة أخرى للموصوف، أو لا.

❊ ❊ ❊

= إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ يخاطب به من يعتقد الشركة فالمثبت هنا أن الله واحد لا شريك له والمنفى قولهم إن الله ثالث ثلاثة. ومنه قول الفرزدق: (الطويل)

أنـا الـذائِـدُ الـحامي الـذِّمار وَإنَّـما ... يُـدافِـعُ عَـن أَحسابِـهِـم أنـا أَو مِثلي

وقول عمرو بن معديكرب: (السريع)

قـد عـلـمـتْ سَـلْـمَـى وجـاراتُـهـا ... مـا قـطَّـرَ الـفـارسَ إلَّا أَنَـا

وإن كان يريد اختصاص نفسه بذلك. ومن قصر القلب قول أبي تمام: (البسيط)

بِيضُ الصَّفائِحُ لا سُودُ الصَّحائِفِ في ... مُـتُـونِـهِـنَّ جـلاءُ الـشَّـكِّ والـرِّيَـبِ

يريد بذلك أن جلاء الشك والريب إنما يكون في السيوف «بيض الصفائح» وليس في كتب المنجمين «سود الصحائف» فكأن المخاطب كان يزعم أنه في سود الصحائف فقلب عليه زعمه والمقصور عليه هو المقابل لما بعد «لا» وسيأتي في طرق القصر. وكذلك قوله: (البسيط)

والـعِـلـمُ فـي شُـهُـبِ الأرْمـاحِ لامـعـةً ... بينَ الخَميسَيْن لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

فقصر العلم على كونه في شهب الأرماح ونفى أن يكون في السبعة الشهب أي النجوم التي يستنبئها المنجمون.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [سورة البقرة: ٨-٩].

فقوله سبحانه ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ قلبٌ لزعمهم أنهم يخدعون الله والذين آمنوا، حين يقولوا آمنا بألسنتهم ولم تعتقد قلوبهم.

وقول الشاعر: (البسيط)

لـيـس الـيـتـيـمُ الـذي قـد مـاتَ والـدُه ... بـلِ الـيـتـيـمُ يـتـيـمُ الـعـلـمِ والأدَبِ

وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يصلح في قصر الموصوف على الصفة أو عكسه، ولا يخرج أسلوب من أساليب القصر من أن يكون كذلك.

[الاشتراط في أقسام القصر الإضافي]

ثم شرط قصر الموصوف إفرادًا: عدم تنافي الوصفين، وقلبًا تحقيق تنافيهما، وقصر التعيين أعم[١].

[خامسا: طرق القصر]

٥٤- طُرُقُهُ: النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَا هُمَا، وَالْعَطْفُ، وَالتَّقْدِيمُ، ثُمَّ إِنَّمَا

طرقه: أي الحصر أربع[٢].

النفي ....

(١) اشترط الخطيب القزويني في قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: عدم تنافي الصفتين؛ ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما في الموصوف حتى تكون الصفة المنفية في قولنا: ما زيد إلَّا شاعر، كونه كاتبًا أو منجمًا، لا كونه مفحمًا، أي غير شاعر؛ لأن الإفحام صفة تنافي الشاعرية.
وشرط قصر الموصوف على الصفة قلبًا: تحقق تنافيهما، أي تنافي الوصفين حتى يكون المنفى في قولنا: ما زيد إلَّا قائم، كونه قاعدًا أو مضطجعًا أو نحو ذلك مما ينافي القيام.
وفي هذا الاشتراط نظر: أهمله السكاكي وأيده السعد وغيره من المتأخرين، وعلل السعد ذلك بقوله لأن قولنا: ما زيد إلَّا شاعر، لمن اعتقد أنه كاتب وليس بشاعر قصر قلب... مع عدم تنافي الشعر والكتابة، ومثل هذا خارج عن أقسام القصر على ما ذكره المصنف، بمعنى أنه لا يصح اعتباره قصر قلب لعدم تنافي الوصفين، ولا يصح اعتباره إفرادًا لأن المخاطب لا يعتقد الشركة ولا قصر التعيين لعدم تردد المخاطب بين أمرين، وبذلك يكون هذا الاشتراط - كما قالوا - ضائعًا.
ولا يسلم أنه يقصد بهذا الاشتراط الاستحسان لأنه ليس في كلامه ما يدل على ذلك وإنما يتجلى منه أنه شرط صحة لأنه نقد السكاكي في عدم اشتراطه ذلك. يراجع الإيضاح، وشروح التلخيص، والمطول على التلخيص، والأطول على تلخيص المفتاح للقزويني... وغيرها.

(٢) بالنظر في بناء الكلام وسياقاته تتجلى للقصر طرق كثيرة غير أن البلاغيين اهتموا بأربعة منها فحسب ليس تحديدًا لسير البحث فقط، بل لأنها أقوى من غيرها في تحديد المعنى، وكشف المراد بما يتناسب تمام التناسب مع معنى القصر وخصوصياته، كما سبق في الفرق بينه وبين الاختصاص، وهذه الطرق المشهورة هي: (النفي والاستثناء - إنما- العطف بـ «لا - وبل - ولكن» - والتقديم) وفي نهاية الدرس لنا وقفة عند الطرق الأخرى.

والاستثناء[١]: أي قصروا إفادته القصر أن النفي في الاستثناء المفرغ[٢] يتوجه إلى مقدر، وهو

---

(١) لا ريب أنه أقوى هذه الطرق بوضعه بين كلام يحتاج إلى فضل تقوية وتوكيد.
وبيان وجه ذلك لا يدرك إلَّا بالتعرف الواعي الفطن على طبيعة المعنى ومجرى السياق، فلا تلقاك هذه الأداة إلَّا حيث تلقاك النبرة العالية والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد، ثم إن النفي فيه عام يشمل كل أدوات النفي فكما يكون بـ (ما) يكون بـ (لن - ليس - إن) وكذا الاستثناء يكون بـ (إلَّا) أو إحدى أخواتها. ينظر: حاشية الدسوقي ٢/ ١٩١، ودلالات التراكيب ١٠٤.
ولكونه أقوى هذه الطرق كان في مقدمتها، وكذلك؛ لأنه الطريق الأم فيها، ولا يكون تأويل إلَّا إليه، فهو الذي يوضح معنى القصر في كل طرقه ولذا كان جديرًا بأن يقدم، غير أن المتأخرين قدموا العطف على هذه الطرق للتصريح فيه بالمثبت والمنفى. يراجع: الإيضاح، وشروح التلخيص.

(٢) المفرغ: هو ما حذف فيه المستثنى منه، وتخصيص المفرغ بالذكر؛ لأن التام ليس من طريق الحصر بل بمنزلة إفادة الحصر بغير أداة. ينظر: هامش الإيضاح ٣/ ٤٢.
يسلط النفي فيه على مستثنى منه عام بشرط أن يكون مناسبًا للمستثنى في جنسه وصفته إذا قيل: ما فعل زيد إلَّا هذا يكون تقديره: ما فعل زيد شيئًا من الأشياء إلَّا هذا وتسليط النفي على المستثنى منه العام يعني نفيه فإذا جئت بأداة الاستثناء وأخرجت المستثنى من هذا النفي العام تكون قد جعلت الشيء الذي نفيته عن غيره له، ففعل زيد المنفي عن كل شيء ثابت له، وهذا هو القصر لأنه أثبت الشيء للمذكور ونفاه عن غيره.
وإذا قلنا: ما محمد إلَّا شاعر، نجد أن النفي مسلط على (محمد) وليس القصد إليه لأنه ذات والذوات لا تنفى بل القصد إلى نفى الصفات وهنا لا بد من تقدير عام يناسب ما بعد الإثبات، فإذا قلنا: إلَّا شاعر، كنا قد أثبتنا له هذه الصفة ونفينا عنه ما هو منها بسبيل.
معنى ذلك: أنهم لا يجعلون الاستثناء التام؛ منفيًّا كان أو موجبًا من باب القصر خلافًا لبعضهم كالسبكي فقال: إنه مفيد للقصر على تلك الحالتين ولكن لم يُسلم له ذلك، لأن ما بعد إلَّا يؤكِّد الحكم الثابت قبلها، فالاستثناء من الإيجاب ليس القصد فيه إلى الحصر بل إلى تصحيح الحكم الإيجابي فهو بمنزلة تقييد طرف الحكم، فكما أن: جاءني الرجال العلماء، ليس قصرًا، كذلك جاءني الرجال إلَّا الجهال، ليس قصرًا وهذا بخلاف الاستثناء من النفي فإن المقصود من نحو: ما جاءني إلَّا زيد، قصر الحكم على زيد لا تحصيل الحكم وإلَّا قيل جاءني زيد (الأطول) وكذلك الشأن في الاستثناء التام المنفي نحو «ما نجح الطلاب إلَّا خالد» فمراده نفي النجاح عن الطلاب، والاستثناء هنا كما قلنا تقوية وتصحيح لذلك لحكم المفاد قبل إلَّا، وليس هذا شأن الاستثناء في القصر الاصطلاحي ولكن دوره ثمة أن يتفاعل مع النفي في تكوين الحكم، والقصر الاصطلاحي - كما قالوا - تأكيد على تأكيد فوظيفته تكوين جملة القصر لا تقويتها وتصحيحها.

مستثنى منه، مناسب للمستنى في جنسه، وصفته.

فقولك في قصر الموصوف على الصفة **إفرادًا**: ما زيد إلا شاعر لمن اعتقد أنه شاعر وكاتب.

وقلبًا: ما زيد إلا قاعدًا، لمن اعتقد أنه قائم.

وفي قصرها عليه إفرادًا: ما قائم إلا زيد، لمن اعتقده وعمرًا قائمين.

وقلبا: لمن اعتقده عمرًا دونه.

هما: أي مجموعهما من أدواته لا كل منهما بانفراده[١].

والعطف[٢]: بقولك في قصر الموصوف على الصفة: زيد كاتب لا شاعر لمن اعتقد

---

(١) أي أن: القصر ينشأ منهما معًا في جملة واحدة كما سبق يتصدرها النفي ويلحق به الإثبات، ولذلك قيل: إن هذا الطريق يدل على النفي بالمنطوق، وعلى المثبت بالمفهوم يعني أن النص فيه على المنفى وليس على المثبت، خلافًا للجمهور الذين قالوا: إنه يتضمن الإثبات القصدى، والنفي التبعى، فالإثبات هو العنصر الأول في تكوين تلك الجملة.
ومن شواهد النفي والاستثناء على اختلاف طرقه ما يأتي: قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]، وهذا بيان وتنبيه للقوم أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى البراءة من الهلاك فالنفي هنا يتناول براءته من الهلاك لأنهم كانوا يستعظمون موته كأنهم حسبوه رسولًا ولا يموت، فقصرته الآية على الرسالة دون الموت لذلك عنفهم القرآن تعنيفًا شديدًا على زعمهم هذا فقال: ﴿أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤].
وإذا نظرت في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٥].
وقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [سورة آل عمران: ١١١].
وقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٧].
وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥].
وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن: ٦٠]. الخ. لوجدت هذا الطريق على اختلاف أدواته يحقق المطلوب في سياقه، وهو التقرير والتوكيد الذي يقطع شكًا، أو يثبت حكمًا.

(٢) طريق العطف يكون بـ(لا – بل – لكن): =

اتصافه بها(١).

= اقتصر البلاغيون على الأدوات الثلاث دون غيرها من حروف العطف؛ لأنها هي التي تحقق ما يستلزمه القصر من نفى وإثبات، ثم إنها تدل على القصر بالوضع كغيرها من الطرق التي تفيد ذلك. ولكنه استشهد هنا ب (لا) و(بل) والمقام يستدعي بيان كل أداة من هذه الدوات، وشرط العطف بها، وذلك يتجلى فيما يأتي:

(١) العطف بـ لا:

(لا) تكون عاطفة تشرك ما بعدها في إعراب ما قبلها، هذا عند النحاة، أما عند البلاغيين فتفيد النفي؛ لذلك **قال الإمام عبد القاهر**: «ثم اعلم أن قولنا في (لا) العاطفة: إنها تنفي عن الثاني ما وجب للأول، ليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل، بل إنها تنفي أن يكون الفعل الذي قلت إنه كان من الأول قد كان من الثاني، دون الأول، ألا ترى أن ليس المعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو أنه لم يكن من عمرو مجيء إليك مثل ما كان من زيد... بل المعنى أن الجائي هو زيد لا عمرو... أي أنها تنفي عن الثاني ما ثبت للأول وهذا معنى كونها عاطفة عند البلاغيين

شروط العطف بها:

١ - أن يتقدمها إثبات كجاء زيد لا عمرو، أو أمر كاضرب زيدًا لا عمرًا، قال سيبويه أو نداء نحو: يا ابن أخي لا ابن عمي.

٢ - أن لا تقترن بعاطف، فإذا قيل (جاءني زيد لا بل عمرو) فالعاطف (بل) و(لا) ردّ لما قبلها وليست عاطفة وإذا قلت: «ما جاءني زيد ولا عمرو»، فالعاطف الواو و(لا) توكيد للنفي. وهنا مانع آخر من العطف بـ (لا) وهو تقدم النفي، وقد اجتمعا أيضًا في قول الله – تعالى -: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [سورة الفاتحة: ٧]، فقد فُقِد الشرطان فلا يصلح القصر.

٣ - أن يكون معطوفها مفردًا، والعطف بها يصلح للقصر الحقيقي والإضافي موصوفًا على صفة وصفة على موصوف فمن الإضافي قول ابن الرومي في المدح: (البسيط)

مَعْرُوفُه في جميعِ النَّاسِ مُقْتَسَمٌ ... فَحَمْدُه في جميعِ النَّاسِ لا العُصَبِ

وقال: (البسيط)

يَهْتَزُّ عِطْفَاهُ عندَ الحمدِ يَسْمَعُهُ ... مِنْ هِزَّةِ المجدِ لا مِنْ هِزَّةِ الطَّرَبِ

فهذا قصر صفة على موصوف فيهما حيث بين في الأول أن معروفه عام لجميع النَّاس، فقصره على النَّاس ولم يجعله خاصًا بطوائف معينة، بل نفى أن يكون كذلك: لا العصب والمقصور عليه هو المقابل لما بعدها (جميع النَّاس) وفي الثاني قصر ميل جانبيه يمينًا ويسارًا على أنه اهتزاز مجد ونفي أن يكون طربًا، ومنه قول أبي تمام: (البسيط)

بيضُ الصَّفائحِ لا سودُ الصحائفِ في ... مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّكِ والرِّيَبِ

وقوله: (البسيط) =

وقلبا لمن اعتقد اتصافه بالشاعرية دون الكاتبية، وفي قصرها كذلك: زيد شاعر لا عمرو، وما عمرو شاعر بل زيد[١].

= والعلمُ في شُهُبِ الأرماحِ لامِعَةً ... بين الخميسين لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

وسبق بيانها، ومنه قوله أيضًا: (البسيط)

بِسُنَّةِ السَّيفِ والخطِّيِّ من دمِهِ ... لا سنةِ الدينِ والإسلامِ مُخْتَضِبِ

وهذا من قصر القلب، فهو مختضب بسنة السيف وليس مختضبًا بسنة الإسلام، والمراد: الفرسان الذين صرعهم المعتصم بالله (محمد بن هارون الرشيد)، في عمورية، والمقصور عليه (سنة السيف)، ويمكن أن يقال في الحقيقي: شوقي أمير الشعراء لا غيره، تريد نفي الإمارة عمن عداه، وأيضًا محمد ﷺ خاتم الأنبياء لا غيره، وهذا واضح، هذا وقد نص صاحب الأطول بأن طريق العطف مخصوص بغير الحقيقي، لا يجرى فيه قصر حقيقي، ولكنه كما سبق من شواهد كثير في الإضافي قليل في الحقيقي.

وقصرها الإمام عبد القاهر على القصر الإضافي للقلب فقط كما يفهم من نصه السابق هنا .

ويجب أن تتنبه إلى أنه إذا اختل واحد من شروطها لا تصلح للقصر كما سبق وكما في قوله تعالى ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨]، فهي هنا لا تفيد القصر حيث اقترنت بالواو العاطفة وجاء بعدها جملة وسبقت بنفي.

(١) سبق بيان أنه لم يستشهد من حروف العطف إلا بـ (لا، وبل) ووضحت ما يتعلق بـ (لا) أما: بل فبيانها كما يأتي:

العطف بـ (بل):

وشرط العطف بها أن يتقدمها نفي أو نهي وأن يليها مفرد لأنها حينئذٍ تقرر حكم ما قبلها وتثبت ضده لما بعدها حيث تتضمن النفي والإثبات نحو: ما حضر محمدٌ رهبةً بل رغبةً، نفينا أن يكون حضوره رهبة وأثبتنا أنه رغبة وبذلك تجد النفي والإثبات الذي هو لب القصر.

وكذلك ما جاء زيد بل عمرو نفيناه عن زيد وأثبتناه لعمرو فإذا حذفت النفي لم يتحقق معنى القصر لأنه يؤدي جانب الإثبات فقط ولا يتحقق القصر إلَّا بنفي وإثبات.

- ويلاحظ أن (بل) لا تصلح إلَّا للقصر الإضافي بأنواعه الثلاثة (الإفراد - القلب - التعيين) ولا تصلح للحقيقي لأن النفي معها دائمًا يكون أمرًا خاصًا.

- والمقصور عليه معها هو المعطوف بها أي الواقع بعدها مثلًا ما حضر محمد بل عليّ، يكون المقصور عليه هو عليّ أي أن الحضور منفي عن محمد وثابت ومقصور على عليّ، ومن شواهدها قول الشاعر:

ليس اليتيم الذي قد مات والده ... بل اليتيم يتيم العلم والأدبِ =

= فقد قصر صفة اليتم على من فقد العلم والأدب، ونفاها عمن قد مات والده.
ومنه قول شوقي في مدح الرسول ﷺ: (الكامل)

ما جئتُ بابَكَ مادِحًا بلْ داعيًا ومِنَ المَديحِ تَضَرُّعٌ ودُعاءُ

وقول المتنبي: (الكامل)

ليس التعجُّبُ من مواهِبِ مَالِهِ بل من سَلاَمَتِها إلى أوْقَاتِهَا

نفى أن يكون التعجب من كثرة هباته، وأثبت أنه يكون من بقاء أمواله وسلامتها من التفريق إلى أوقات بذلها لأنه ليس من عاداته أن يمسك شيئًا بل كان معطاءً...
- فإن فقدت واحدًا من شروطها السابقة لم تفد قصرًا، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦]، وقوله: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٢-٦٣]، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الأعلى: ١٤-١٦]. فهي هنا حرف ابتداء وليست عاطفة.
وتبقى (لكن) التي لم يتحدث عنها، ولكن استكمالا لمعرفة أحوال الباب يجب بيانها، وموقف العلماء من هذا الطريق بأدواته الثلاث.
أولا: الحديث عن (لكن): العطف بـ (لكنْ)
يقصد بها الساكنة النون المخففة بأصل الوضع وتأخذ حكم (بل) في القصر بها، إذ يشترط أن يتقدمها نفي أو نهي وأن يكون ما بعدها مفردًا، وألا تقترن بالواو العاطفة والمقصور عليه هو ما بعدها أيضًا.
فإذا قلنا ما نجح الكسلان لكن المجتهد، فقد نفينا النجاح عن الكسلان وأثبتناه للمجتهد أي قصرنا النجاح عليه فما بعدها هو المقصور عليه.
ولا يتحقق القصر معها إلَّا في الإضافي بأنواعه أيضًا لأن المنفي معها دائمًا يكون أمرًا خاصًا.
وهي تختلف عن (لا) في أن «لا» لنفي الحكم عن التابع بعد إيجابه للمتبوع، و(لكن) لإيجابه للتابع بعد نفيه عن المتبوع غير أن مجيء (لكن) في الكلام العربي بهذه الشروط السابقة نادر جدًا.
و الكثير هو مجيئها بعد الواو أو إثبات الجملة بعدها وعلى هذا وذاك لا تفيد القصر طبقًا للشروط السابقة، ولذلك لم يشترط ابن عصفور وابن كيسان عدم اقترانها بالواو، بل جعل الواو معها زائدة و(لكن) هي العاطفة، ويأتي المفرد بعدها كثيرًا وهي مقترنة بالواو واعتبرها بعضهم مفيدة للقصر ما دامت مسبوقة بنفي كـ (بل).
ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].، فالمقصور هو محمد ﷺ والمقصور عليه هو الرسالة وختم النبوة ونفى عنه =

= أن يكون أبًا لأحد من المخاطبين وهو قصر قلب لأنهم كانوا يعتقدون الأبوة ونفي الرسالة.. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة يونس: ٣٧]، و﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

وكذلك يكثر مجيء الجملة بعدها ولكنها لا تفيد القصر لأنها تكون حرف ابتداء لا عاطفة. ومنه قول الشاعر: (الطويل)

وما شابَ رأسِي من سنينَ تتَابَعتْ   عليَّ ولكنْ شيَّبَتْني الوقائعُ

و قول النضر بن جؤيَّة: (البسيط)

لا يألفُ الدِّرهم المضروبُ صُرَّتَنا   لكنْ يَمَرُّ عَلَيْهَا وهوَ مُنْطَلِقُ

والقصر في ذلك أتى من جملتين لا من جملة واحدة وبذلك اختل شرط الباب كله.

ثانيا: موقف بعض العلماء من طريق العطف كله:

الخلاف في إفادة هذه الأدوات القصر:

فى حديث المتأخرين عن طرق القصر نلحظ أنهم قدموا طريق العطف معللين ذلك بأنه أقوى هذه الطرق للتصريح فيه بالنفي والإثبات ولكن نلحظ أن هذا النص على المثبت والمنفى يتنافى مع مراد القصر وهو الإيجاز، ويتنافى مع كون النفي مؤكدًا للإثبات، أضف إلى ذلك الشروط التي اشترطوها في إفادة كل أداة منها للقصر، وندرة ذلك في التراث العربي شعره ونثره؛ لذلك رأينا من العلماء من يقتلع طريق العطف من باب القصر.

فهذا هو بهاء الدين السبكي يقول: أما العطف بـ (لا) فأي قصر فيه؟ إنما فيه نفي وإثبات، فقولك: زيد شاعر لا كاتب لا تعرض فيه لنفى صفة ثالثة، والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبت، إمَّا حقيقة أو مجازًا، وليس هو خاصًا بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب. عروس الأفراح ٢/ ١٨٧..

وأما العطف بـ (بل) فأبعد، فإن قولك: ما زيد قائمًا بل قاعد لا قصر فيه، وهو أبعد من القصر عما قبله لأن في (لا) جمعًا بين نفي وإثبات، وذلك لا يستمر في (بل) إذا جوزنا عطفها على المثبت، مثل زيد شاعر بل كاتب، ثم إن إطلاق (بل) العاطفة للقصر لا يصح لأنه يقتضي أن قولك: ليس زيد قائمًا بل قاعد لا قصر فيه، فإنها ليست عاطفة، لأن (بل) لا تعطف إلَّا المفرد كما صرح به النحاة. ينظر: عروس الأفراح ٢/ ١٨٧. وشروح التلخيص..

ولقي هذا الكلام قبولًا من بعض العلماء، ونوافقهم عليه؛ لأن الدقة البلاغية التي يحتاج فيها الأسلوب إلى كشف وتنقيب مفقودة ههنا ومِن ثَمَّ تقل البراعة فيها ويذهب الإبداع البلاغي في كثير من =

والتقديم: لما حقه التأخير[1]، كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادا، أو قلبا: تميمي أنا، وفي قصر الصفة على الموصوف كذلك: أنا كفيت مهمك.

فإن كان المخاطب معتقدًا أنك غير تميمي في الأول، وإن كان في مهمه عندك في الثاني كان قصر قلب، وأن يقال عن التميمية، وأثبت لذلك: القيسية في الأول، وإن كان الشاعر في مهمه غيرك كان قصر إفراد[2].

= جوانبها...؛ لأن الجانب الدلالى في شواهدها ظاهر مكشوف لا دقة فيه ولا وجازة ولا إيماض.

(١) يقصد به تقديم ما حقُّه التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ، والمعمولات على الفعل كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادًا: شاعر هو، لمن يعتقده شاعرًا وكاتبا، **وقلبًا**: قائم هو لمن يعتقده قاعدًا، وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادًا: أنا كفيت مهمك بمعنى وحدي، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمه وقلبًا - أنا كفيت مهمك - بمعنى لا غيري، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك.
ويلاحظ أن التخصيص لازم للتقديم غالبًا، وهو صالح للقصر بنوعيه الحقيقي والإضافي وما يتفرع عن ذلك.

(٢) تقديم المسند على المسند إليه يفيد الاختصاص بمعونة السياق تقول: له العتبى، وله الشكر، وعنده الحاجة، فيصلح ذلك كله للاختصاص ولمجرد الاهتمام. فقوله تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الغاشية: ٢٥-٢٦]. تقديم المسند فيه يفيد الاختصاص أى: أن إيابهم لا يكون إلّا لله، وأن حسابهم لا يكون إلّا عليه، أما قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحجرات: ٧]، فليس التقديم فيه مفيدًا للاختصاص وإنما هو للاهتمام وهو توبيخ للقوم على ما فرط منهم ورسول الله بينهم لذلك قدم الخبر لأنه مناط التوبيخ ومحل الزجر. ينظر دلالات التراكيب ١٧٢.
ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٩-٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون: ٦]، ولا يمنع أن يكون لأمته فهو إضافي، وقوله سبحانه: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الصافات: ٤٧]، بقصر نفي الغول عن خمر الآخرة قصر صفة على موصوف، أو قصر الغول على عدم حصوله في خمر الجنة موصوف على صفة.
وهكذا نجد أن تقديم المسند يفيد حصر المسند إليه عليه وتخصيصه به ويكون المسند إليه عند تقديم المسند هو المقصور والمسند هو المقصور عليه.
ومن الحقيقي أيضًا قوله تعالى: ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٣]، فتقديم المسند (له) يفيد الحصر، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس: ٤].

وقد يتقدم المسند في حيز الإثبات أيضًا ولكنه لا يفيد القصر والذي يحدد ذلك هو السياق والقصد، فإذا تأملنا قول الشاعر: (الطويل)

لَـهُ هِـمَـمٌ لا مُـنْـتَـهَـى لِـكِـبَـارِهَـا وهِـمَّـتُـهُ الـصُّـغْـرَى أجـلُّ مـن الـدَّهْـرِ

نجد أن تقديم (له) على (همم) لا يفيد القصر هنا وإنما يفيد أن (له) خبر عن (همم)، ولو تأخر (له) لأوهم أنه صفة للمسند إليه (همم) وأن جملة لا منتهى لكبارها هي الخبر، وذلك لا يتلاءم مع السياق والقصد لأنه يقصد مدح النبي ﷺ لا مدح همه.

أما تقديم المسند في حيز النفي فعند الجمهور يفيد القصر في كل سياق كما سبق في ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [سورة الصافات: ٤٧]، ونظائره وهذا بخلاف تأخير المسند في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة: ٢].

فقدم الظرف هناك لأنه يفرق بين خمر الجنة وخمر الدنيا فقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ دليل على أن هناك خمرًا أخرى استقر فيها ذلك أما الكتاب فهو واحد فرد لا يقارن غيره به، فليس المقصور نفي الريب، وإثباته لغيره، وأنه لما استقر في زعم الكفار وجود الريب فيه أولاه حرف النفي فكان سلبًا مطلقًا لإيجابهم.

أما تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في حيز الإثبات فقد يفيد القصر وقد لا يفيده والسياق هو الذي يحدد ذلك أيضًا، فمما أفاد القصر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝١٠١﴾ [سورة التوبة: ١٠١].

والشاهد في قوله: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ يفيد قصر علمهم على الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أي: لا يعلمهم إلَّا نحن

وأما الذي لا يفيد القصر فنحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠﴾ [سورة النحل: ٢٠]، فالسياق لا يعطى معنى القصر.

أما تقديمها في سياق النفي فلا يفيد القصر أيضًا في كل سياق وإنما ذلك مرتبط بالسياق والمقام، فإذا تقدم النفي نحو ما أنا فعلت فإنَّه يفيد الاختصاص قطعًا وأن الفعل منفى عنك وثابت لغيرك... ومنه: (الطويل)

ومـــا أنـــا أســقــمــت جــســمــي بــه ومـا أنـا وحـدي قـلـت ذا الـشـعـر كله

أما إذا تأخر النفي نحو: أنا ما قلت هذا فإنَّه يفيد في مقام ولا يفيد في آخر، فمما أفاد القصر من هذا الباب قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾ [سورة الأنفال: ٥٥-٥٦].

تقدم المسند إليه في ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ والسياق هنا يفيد القصر أي قصر انتفاء الإيمان والتقوى عنهم أي عن هؤلاء الذين عاهدت منهم لأن غيرهم قد يصدر منه الإيمان. =

ثم: وهي هنا بمعنى الواو.

إنما:(١) وهي رابع الطرق بقولك في قصر الموصوف على الصفة:

= ومما لا يفيد القصر مع وجود تقديم المسند إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنفال: ٥٩]. فقوله: إنهم لا يعجزون، لا يؤدى معنى القصر في هذا السياق لأنه يؤدى أن معنى انتفاء الإعجاز خاص بهم ثابت لغيرهم وهذا ما لا يكون.
ومن شواهد تقديم المتعلقات وهي كثيرة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة: ٥]، أي: نخصك بهما دون غيرك و﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: ١٥٨] ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، وغير ذلك كثير.

(١) تدل (إنما) على القصر دلالة وضعية وتفيد القصر بجميع صوره السابقة، **وقد اختلف العلماء في وجه دلالتها على القصر كما يأتي**:
ذهب السكاكي إلى أن كلمة (إنَّ) لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر، لأن قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلا تأكيدًا للحكم على تأكيد، ألا تراك متى قلت لمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو (زيد جاء لا عمرو) كيف يكون قولك (زيد جاء) إثباتًا للمجيء لزيد صريحًا وقولك (لا عمرو) إثباتًا ثانيًا للمجيء لزيد ضمنًا.
معنى ذلك أن (ما) فيها مؤكدة وليست نافية ومِن ثَمَّ كانت متضمنة معنى (ما وإلَّا) وليست بمعناها وفرق بين أن يكون في الشيء معنى الشيء وبين أن يكون الشيء الشيء على الإطلاق كما سيأتي.
وردَّ بعض العلماء كلام السكاكي بأنه لو كان اجتماع تأكيدين للحصر لكان قولك: إن زيدًا لقائم يفيد الحصر، ولكن قد يجاب بأن مراده أنه لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر... **وذهب بعض الأصوليين** إلى أن (ما) في (إنما) هي النافية، واستدلوا على إفادتها القصر بأن: (إن) للإثبات و(ما) للنفى ولا يجوز أن يكونا لإثبات ما بعده ونفيه بل يجب أن يكونا لإثبات ما بعده ونفى ما سواه... وهذا معنى القصر وما ذهبوا إليه باطل بالإجماع لأن (إنَّ) لا تدخل إلَّا على الاسم و(ما) النافية لا تنفي إلَّا ما دخلت عليه بإجماع النحاة، ومعنى ذلك أن ما بعد (إنما) يكون منفيًّا والمعروف أنه مثبت والمنفي هو ما سواه، و(إنما) ليست مرادفة لـ (ما وإلَّا) ولكنها تتضمن معناها ينظر المطول ٢٢٢.
وذلك لأنها لا تصلح دائمًا في كل موقع يصلح فيه النفي والاستثناء ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ٦٢].) ولا في نحو: «ما أحد إلَّا وهو يقول ذاك» إذ لو قلت: إنما من إله الله، وإنما أحد وهو يقول ذاك قلت ما لا يكون له معنى، وذلك لأن لفظ (أحد) لا يقع إلَّا في النفي أو ما يجرى مجراه من النهى والاستفهام، وأن (من) =

إنما زيد كاتب لمن اعتقده كاتبًا وشاعرا، قصر إفراد، أو شاعرًا لا كاتبًا: قصر قلب.

وفي عكسه: إنما كاتب زيد، إفرادا لمن اعتقد الكاتب كل منه، ومن عمرو، قلبًا لمن اعتقده عمرًا دون زيد.

[وجه إفادة إنما القصر]

وإنما قلنا: إن كلمة إنما تفيد الحصر؛ لتضمنه معنى ما وإلا، كقول المفسرين [في قوله تعالى]: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣]، بالنصب: ما حرم عليكم إلا الميتة، وهو المطابق لقراءة الرفع المفيد لانحصار التحريم في الميتة(١).

مثل: المنطلق زيد، وزيد المنطلق.

ولقول النحاة: (إنما) لإثبات ما يذكره بعده(٢).

= الزائدة لا تكون إلَّا في النفي، ولو كانا سواءً لكان ينبغي أن يكون في (إنما) من النفي مثل ما يكون في (ما وإلَّا).

وكذلك الأمر في النفي والاستثناء لا يصلح دائمًا لأن يقع بديلًا لـ (إنما) مثل: إنما هو درهم لا دينار فلو قلنا: ما هو إلا درهم لا دينار لم يكن شيئًا.

(١) **توضيح القراءات في الآية: -**

١- رفع (الميتة) مع بناء (حرَّم) للمعلوم «إنَّما حَرَّمَ عليكم الميتةُ» وعليه تكون: (إنَّ) عاملة، و(ما) موصولة والعائد محذوف وخبر (إن) هو الميتة، ويكون المعنى: إن الذي حرمه الله - تعالى - عليكم الميتة وطريق القصر هنا تعريف الطرفين (الذى - الميتة).

٢- نصب الميتة مع بناء حرم للمعلوم أيضًا، وحتى تتوافق هذه القراءات على معنى واحد يجب أن تكون (إنما) في هذه القراءة متضمنة معنى النفي والاستثناء حتى تؤدي حكم قراء الرفع ويكون المعنى (ما حرم عليكم إلَّا الميتة) وتكون: (إنَّ) مكفوفة عن العمل و(ما) كافة، والميتة مفعول به لحرَّم. وهذه هي القراءة التي تفيد فيها إنما القصر.

٣- بناء الفعل (حُرِّمَ) للمجهول ورفع (الميتة) على أنه نائب فاعل و(ما) كافة كما في القراءة الثانية، أو موصولة كالقراءة الأولى وهذا هو الأرجح لما فيه من بقاء (إن) عاملة على الأصل.

(٢) قال الدسوقي: أي فدلالتها على ذلك دليل على تضمنها معنى (ما) التي هي للنفي، وعلى معنى (إلَّا) التي هي للإثبات والحاصل أنه لما كان مفاد (إنما) ومفاد (ما وإلا) واحد دل على أنها بمعناهما، =

ونفي ما سواه، ولصحة انفصال الضمير بعده[1].

= فاندفع ما يقال إن قول النحاة: إنما يدل على وجود معنى القصر في (إنما) لا على خصوص تضمنها معنى (ما وإلَّا). حاشية الدسوقي على شروح التلخيص ٢/ ١٩٨.

(١) أي مع إمكان اتصاله نحو إنما يقوم أنا فإن الانفصال إنما يجوز عند تعذر الاتصال ولا تعذر ههنا إلَّا بأن يكون المعنى: ما يقوم إلَّا أنا، فيقع بين الضمير وعامله فصل لغرض أي أنه لا يعدل عن وصله إلَّا لموجب كتقديمه أو وجود فاصل بينه وبين عامله، **ومن ذلك قول الفرزدق:**

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

بيَّن عبد القاهر أن هذا الذي صنعه الفرزدق لو لم يصنعه لم يصح له المعنى، لأن غرضه أن يَخُص المدافِع -بالكسر - لا المدافع عنه، لذلك فصل الضمير وأخره وهو الفاعل لأنه لو قال: إنما أدافع عن أحسابهم لصار المعنى: أنه يدافع عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم وليس هذا هو المقصود، لأن غرضه أن يزعم أن المدافع هو لا غيره لذا انصرف الاختصاص إليه دون الأحساب، ثم بين أنه لا يجوز أن ينسب فيه إلى الضرورة، لأن كان يصح أن يقال: إنما أدافع عن أحسابهم أنا، على أن يكون أنا تأكيدًا، وليست (ما) موصولة اسم إن، وأنا خبرها، إذ لا ضرورة في العدول عن لفظ (من) إلى لفظ (ما).

هكذا وضحه السعد وقصد الفرزدق الحصر في الأول (المدافِع) بالكسر لأنه أبلغ وأنسب؛ إذ هو في مقام الافتخار، وافتخاره بأنه لا يدافع عن الأحساب مطلقًا إلَّا هو أو مثله أقوى من افتخاره بأنه لا يدافع إلَّا عن أحساب هؤلاء دون غيرهم لما فيه من القصور في المدح، والمقام مقام المبالغة، **ومثله قول عمرو بن معديكرب:**

قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قطر الفارس إلَّا أنا

المعنى: أنا الذي قطر الفارس أي صرعه صرعةً شديدة والشاهد أيضًا في فصله الضمير بعد إلَّا، وأن (إنما) يفصل الضمير بعدها مثلها. ينظر دلائل الإعجاز.

وكذا (أنما) المفتوحة تفيد الحصر كـ (إنما) وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٨]، فالأولى لقصر الصفة على الموصوف، والثانية بالعكس، وقول أبي حيان هذا شيء انفرد به الزمخشري مردود. **وقوله**: إن دعوى الحصر هنا باطلة لاقتضائها أنه لم يوحَ إليه غير التوحيد مردود أيضًا بأنه حصر إضافي، أو أن خطاب النبي ﷺ كان للمشركين فالمعنى ما أوحي إلى في أمر الربوبية إلَّا أن (أنما) بالفتح تفيد الحصر كـ (إنما) وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، فالأولى لقصر الصفة على الموصوف، والثانية بالعكس، وقول أبي حيان هذا شيء انفرد به الزمخشري مردود. وقوله إن دعوى الحصر هنا باطلة لاقتضائها أنه لم يوحَ إليه غير التوحيد مردود أيضًا بأنه حصر إضافي، أو أن =

[الفرق بين طرق القصر]

ثم هذه الطرق الأربع وإن تساوت أفادت القصر، إلا أنها متفاوتة، كما قال الناظم:

٥٥- دَلَالَـةُ التَّـقْدِيْـمِ بِـالْـفَـحْـوَى، وَمَـا عَـــدَاهُ بِـالْـوَضْـعِ، وَأَيْـضًـا مِـثْـلَـمَـا

دلالة التقديم: لما حقه التأخير على القصر.

بالفحوى: وحكم الذوق بمعنى: أن الفعل إذا تصور معناه حكم بالحصر بالذوق لا بالوضع، فإن التقديم لم يوضع لإفادة ذلك، ودلالة:

وما عداه: من الطرق وهي الثلاث الباقية على الحصر.

بالوضع: وذلك لأن الواضع وضع كلًّا منها بمعنى يفيد الحصر[1].

= خطاب النبي ﷺ كان للمشركين فالمعنى ما أوحي إليَّ في أمر الربوبية إلَّا التوحيد لا الإشراك. ينظر: حاشية الدسوقي، ٢/ ١٩٤، وعروس الأفراح ٢/ ٢٠٢.

(١) ١ - التقديم يدل على القصر بمفهوم الكلام وفحواه، كما قال، ومعنى ذلك: أن صاحب الذوق السليم إذا تأمل في الكلام الذي فيه التقديم فهم بسبب القرائن الحالية الحصر، وإن لم يعرف أن التقديم في اصطلاح البلغاء يفيد الحصر، ذكره الدسوقي في حاشيته، وسبق لك كثير من شواهد، ويكفي أن نذكرك بقول الشاعر: (البسيط)

بالعلمِ والـمـالِ يبني الـنَّـاسُ مُلْكَهُمُ لـم يُـبْـنَ مُـلْـكٌ عَـلـى جَـهْـلٍ وإقـلالِ

تجد أن التقديم فيه يفيد القصر بالذوق والفحوى دون نفي وإثبات ولكن السياق يتضمن ذلك.

أما الثلاثة الأولى فتدل على القصر بطريق وضع اللغة، بمعنى أن الواضع وضعها لمعان يجزم العقل عند ملاحظة تلك المعاني بالقصر فـ (لا) العاطفة موضوعة للنفي بعد الإثبات، و(بل ولكن) للإثبات بعد النفي، وهذا هو معنى القصر، والنفي والإثبات دلالته واضحة و(إنما) تتضمن معناهما.

هذا فرق واحد بين التقديم، وبقية الطرق الثلاثة المعهودة لدى البلاغيين، **ولكن ثمة فروق أخرى بين بعض الطرق، وبعضها الآخر، منها:**

١ - قول الإمام عبد القاهر: إن القصر بطريق (إنما) يكون لقصر القلب خاصة، بخلاف (ما وإلا) فيأتي منهما الإفراد والقلب.

قال: «اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، **فإذا قلت**: إنما جاءني =

= زيد عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، ولم يكن غرضك حينئذ أن تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره، ولكن أن تنفي أن يكون المجيء الذي قلت إنه كان منه كان من عمرو' دلائل الإعجاز ٣٣٥.

يفهم من كلامه أن: (إنَّما) لا يتأتى عن طريقها القصر الذي يكون للإفراد أو التعيين ولكنها تكون بصدد الرد على مخاطب يعتقد العكس وأردت أن تصحح له اعتقاده.

وخالفه في ذلك الخطيب القزويني، فذكر من أمثلتها ما يدل على أنها للإفراد والقلب، وسرد السعد كلام عبد القاهر هذا ولم يعلق عليه مما يدل على أنه مناصر له» ينظر المطول٣٢٣ دون تحقيق.

غير أن هذا الرأي لقي بعضًا من النقد والتوجيه، فقد قال شيخنا أبو موسى: «كيف نقبل من عبد القاهر ذلك، والكلام العربي الخالص مليء بما يناقضه، ألم يذكر عبد القاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

هل يمكن أن يقال: «إنها ردّ على من اعتقد أن غير العلماء يخشون الله وأن العلماء لا يخشون الله!... وذكر كثيرًا من أدلة ذلك وشواهده، ومنها الحديث: «إنما أنا قاسم والله عَزَّوَجَلَّ يعطي...» إلخ الحديث. ينظر دلالات التراكيب

غير أن حديث الإمام عن (ما وإلا) في نحو: «ما جاء إلَّا زيد يفاد منه أن مثل هذا يحتمل وجهين:

الأول: أن تريد اختصاص زيد بالمجيء، وأن تنفيه عمن عداه وأن تقوله والمخاطب يريد أن يعلم أنه لم يجئ إليك غيره.

معنى هذا أنها تأتي في مقام الحاجة فيه إلى نفي ثبوت الصفة لغير الموصوف، أما ثبوتها للموصوف فذلك مسلم به ويكون القصر هنا للقلب.

الثاني: أن يكون كلامًا تقوله ليعلم أن الجائي زيد لا غيره.. الخ.

و من ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]. لأنه ليس المعنى أنى لم أزِدْ على ما أمرتني به شيئًا، ولكن المعنى أني لم أدَعْ ما أمرتنى به أن أقوله لهم، وقلت خلافه.

٢ - الأصل في طريق العطف النص على المثبت والمنفى جميعًا ولا يترك ذلك إلَّا كراهة الإطناب في مقام الاختصار كما إذا قيل: زيد يعلم النحو والتصريف والقوافي، أو زيد يعلم النحو لا غير، أما في الأولى فمعناه لا غير النحو، أي لا التصريف والعروض... وأما في الثاني فمعناه لا غير زيد أي لا عمرو ولا بكر. أما الثلاثة الباقية فينص فيها على المثبت فقط فإذا قلنا مثلًا: النجاح بالاجتهاد لا بالكسل، فقد أثبتنا أن الاجتهاد سببه النجاح ونفينا أن يكون الكسل سبب الاجتهاد، أما الطرق الأخرى فينص فيها على المثبت فقط فتقول ههنا ليس النجاح إلَّا بالاجتهاد، إنما النجاح بالاجتهاد، بالاجتهاد النجاح. =

وأيضًا: بالنصب على المفعولية المطلقة، أي أعود عودًا إلى الكلام في القصر وتعليقاته، أو على الحال، أي مما ذكر راجعًا إلى ذلك، وهي كلمة عربية تستعمل في اثنين اتحدا معنى فقط، ويمكن استغناء أحدهما عن الآخر.

مثل ما: مزيدة، مثل لقوله:

٥٦- الْـقَـصْـرُ بَـيْـنَ خَـبَـرٍ وَمُـبْـتَـدَا يَـكُـونُ بَـيْـنَ فَـاعِـلٍ، وَمَـا بَـدَا

القصر بين خبر ومبتدأ، كما تقدم من الأمثلة.

يكون: القصر.

بين فاعل وما بدا: أي ظهر منه: من فعل وشبهه، نحو: ما قام إلا زيدًا، وما زيد إلا كاتب قصر: قلب، أو فرد، أو تعيين.

[مواقع المقصور عليه مع طرق القصر]

فهما مع الاستثناء يؤخر المقصور عليه...

= ٣ - النفي بـ (لا) العاطفة لا يجامع النفي والاستثناء فلا يصح: ما زيد إلَّا قائم لا قاعد، لأن شرط النفي بـ (لا) العاطفة ألا يكون منفيًّا قبلها بغيرها من أدوات النفي، فهي موضوعة لأن تنفي بها عن التابع ما أوجبته للمتبوع، لا، لأن تعيد بها النفي في شيءٍ قد نفيته.

٤ - مع أن (لا) العاطفة قد تجامع (إنما) و(التقديم) لأن النفي فيها ليس صريحًا بأداة، فـ (إنما) تتضمن معنى (ما وإلَّا) و(التقديم) يفيد القصر بالذوق لذلك يصح: إنما زيد قائم لا قاعد ويقال: الشعر نسجتُ لا النثر. ومِن ثَمَّ عيب على الحريري قوله: (الطويل)

لـعـمـرك مـا الإنـسـان إلَّا ابـنُ يـومِـه على مـا تـجلَّى يَـوْمُـه لا ابـن أمـسِـهِ

وسبق الخلاف في تفصيل هذا الوجه في الفروق بين إنما وما وإلَّا.

١ - الأصل في (ما وإلَّا) أن تستعملا في حكم من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره ويحتاج فيه إلى تأكيد أو ما نزل هذه المنزلة، وعكس ذلك (إنما) فإنها تستعمل في حكم من شأنه ألا يجهله لمخاطب ولا ينكره وسبق تفصيل هذا الفرق فكن على ذكر منه ومن تفصيل شواهده.

٢ - لـ (إنما) مزية أخرى على طريق العطف، وهي أنه يعقل منها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف فإنَّه يفهم منه أولًا الإثبات ثم النفي، والتعريض أحسن مواقعها.

مع أداة [١٠ب] الاستثناء كما ذكرنا[١].

[حكم تقديم المقصور عليه مع النفي والاستثناء]

وقل تقديمهما لحالهما نحو: ما ضرب إلا عمرًا زيد، وما ضرب إلا زيد عمرا؛ لاستلزامه حصر الصفة قبل تمامها[٢].

---

(١) أي أن موقع المقصور عليه مع النفي والاستثناء هو المؤخر. أي الذي يلي (إلَّا)، فإذا قصدت حصر الفعل في الفاعل قلت: ما كتب إلَّا محمد، فقصرت الكتابة على محمد، وإذا قصدت حصر الفعل في المفعول قلت: ما كتب محمد إلا البلاغة.
وفى هذه الحالة لا يجوز أن يتقدم المفعول، فلو قلت: ما كتب البلاغة إلَّا زيد، أفاد قصر ذلك عليه وأنه لم يشاركه في ذلك أحد وهذا يعني الحصر في الفاعل، ودلالته تختلف عن دلالة الأول أي الذي تأخر فيه المفعول (ما كتب محمد إلَّا البلاغة) لأنه يفيد أنه لم يكن له عمل سوى هذا ولا يمنع أن يكون شاركه في ذلك غيره ولكن الثاني يفيد أنه لم يكتب سواها، ولا يمنع أن يكون قد كتبها معه غيره وهذا اختلاف جوهري بين التركيبين.

(٢) يجوز تقديم المقصور عليه مع حرفي الاستثناء بحالهما على المقصور فتقول: ما ضرب إلَّا عمرًا زيد، وما ضرب إلَّا زيد عمرًا، وما كسوت إلَّا جبة زيدًا، وما ظننت إلَّا زيدًا منطلقًا وما جاء إلَّا راكبًا زيد، وما جاء إلَّا زيد راكبا... فالضابط أن الاختصاص إنما يقع في الذي يلي (إلَّا) أي يكون هو المقصور عليه دون أن تفارقه الأداة ولكن تقديمها قليل لأنه يستلزم قصر الصفة قبل تمامها (ولكنه جاز فيما سبق لأنه تقديم على نية التأخير).
معنى ذلك: أنك إذا أردت الاختصاص في الفاعل وقلت: ما شرب محمد إلَّا اللبن، كان باطلًا، لأن القصر مفاد من (إلَّا) ومن المحال أن يفاد معنى الأداة قبل ذكرها، والصواب أن تقول: ما شرب اللبن إلَّا محمد فتوقع ما أردته بالقصر بعدها لتحدث فيه معناها.
و ليس أشفى للغلة من بيان الإمام عبد القاهر في هذه المسألة حيث قال: «واعلم أنك إذا عمدت إلى الفاعل والمفعول فأخرتهما جميعًا إلى ما بعد إلَّا فإن الاختصاص يقع حينئذٍ في الذي يلي إلَّا منهما فإذا قلت: ما ضرب إلَّا عمرو زيدًا كان الاختصاص في الفاعل وكان المعنى أنك قلت: إن الضارب عمرو لا غيره، وإن قلت: ما ضرب إلَّا زيدًا عمرو، كان الاختصاص في المفعول وكان المعنى أنك قلت: إن المضروب زيد لا من سواه... وكذلك حكم المفعولين حكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك تقول: لم يُكْسَ إلَّا زيدًا جبة، يكون المعنى أنه خص زيدًا من بين النَّاس بكسوة الجبة فإن قلت: لم يُكس إلَّا جبة زيدًا، كان المعنى أنه خص الجبة من أصناف الكسوة، وكذلك الحكم حيث يكون =

[موقع المقصور عليه مع (إنما) وحكم تقديمه][1]

ولا يجوز تقديم المقصور عليه مع إنما دفعا للإلباس[2].

= بدل أحد المفعولين جار ومجرور وقول السيد الحِمْيَرِي في مدح بنى هاشم: (السريع)

لَو خُيِّرَ المِنبرُ فُرْسَانَهُ ... ما اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُم فَارِسًا

الاختصاص في (منكم) دون (فارسا)، ولو قلت: ما اختار إلَّا فارسًا منكم، صار الاختصاص في (فارسًا). دلائل الإعجاز ص٣٤٤.

وأصل المعنى قبل التقديم ما اختار فارسًا إلَّا منكم لأنه يريد قصر اختيار المنبر الفارس على كونه منهم وهذا يعني أن فيهم فرسان كثيرًا وكلهم فارس، ولكن لو أخر (إلَّا) وقال ما اختار منكم إلَّا فارسًا كان المعنى أنه لا يختار منهم إلَّا من كان فارسًا وهذا يعني أن فيهم من ليس كذلك والمدح مع الأول أفضل وأرقى.

(١) المقصور عليه في (إنما) هو المؤخر، تقول في قصر الفاعل: إنما ضرب زيد عمرًا، فيكون القيد الأخير بمنزلة الواقع بعد إلَّا فيكون هو المقصور عليه، كما تقول في قصر المفعول إنما ضرب عمرًا زيدٌ بتأخير زيد الذي هو الفاعل، معنى ذلك: أن تقول في معنى: ما قام إلَّا زيد، إنما قام زيد، وفي معنى: ما ضربت إلَّا زيدًا، إنما ضربت زيدًا.

(٢) أي أن المقصور عليه في: (إنما) لا يجوز تقديمه؛ لقوة اللبس معها، وذلك لأن كلا من المفعول والفاعل مثلًا الواقعين بعدها يجوز أن يكون هو المقصور عليه دون الآخر وأن يقترن أحدهما بقرينة تدل على كونه هو المقصور عليه، فقصدوا أن يجعلوا التأخير علامة القصر على ذلك المؤخر.

المهم أن الواقع أخيرًا هو المقصور عليه، أي الواقع أخيرًا في جملة القصر، وليس المراد آخر كلمة فمثلًا إنما نجح الذي علمته هذا العام، نجد أن المقصور عليه هو الموصول مع صلته، وفي نحو: إنما جاءني رجل فاضل هو الموصوف مع صفته... وهكذا.

وفرق الخطيب بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، وقولنا: «إنما يخشى العلماء من عباد الله الله» بأن الأول يقتضي قصر خشية الله على العلماء والثاني يقتضي قصر خشية العلماء على الله.

ولعل الخطيب لم يلتفت إلى الفرق الذي نبَّه عليه الإمام عبد القاهر هنا بين تقديم لفظ الجلالة وتأخيره، وهو فرق دقيق يحدد الغرض والمقصود من الآية، فتقديمه إنما كان لأجل أن يُبَيَّنَ الخاشون من هم ويُخْبَر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم، أما تقديم العلماء فغرضه بيان المخشيّ من هو والإخبار بأنه الله - تعالى - دون غيره ولم يجب حينئذٍ أن تكون الخشية من الله - تعالى - مقصورة على العلماء وأن يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية، بل كان يكون المعنى أن غير العلماء =

واعلم أن أصل القصر بالنفي والإثبات النص على كل من المتعاطفين نحو: زيد قائم لا قاعد[١]، أو ما زيد قائمًا بل عمرو[٢]، ولا تترك إلا لكراهية الإطناب.

وأصل بعض الطرق الباقية النص على المثبت ....

= يخشون الله إلَّا أنهم مع ذلك يخشون معه غيره، والعلماء لا يخشون غير الله - تعالى -، وهذا المعنى وإن كان جاء في التنزيل في غير هذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٩]. فليس هو الغرض في الآية ولا اللفظ بمحتمل له ألبتة، ومن أجاز حملها عليه كان قد أبطل فائدة التقديم وسوى بين قوله تعالى ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وبين أن يقال: «إنما يخشى العلماءُ اللهَ»، وإذا سوى بينهما لزمه أن يسوي بين قولنا: «ما ضرب زيدًا إلا عمرو» وبين: «ما ضرب عمرو إلَّا زيدًا، وذلك ما لا شبهة في امتناعه.

تنبيه: هناك صور لـ (إنما) تقدم فيها المقصور عليه على عكس المعهود، ولكن نلحظ في هذه الصور أن هناك ما يمنع تأخيره، قد يكون ذلك صناعة كقولهم: «إنما قمت» بقصر الفعل في الفاعل، أي قصره على القيام لا قصر القيام عليه، فالمقصور هنا هو الفاعل وقدم الفعل عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه، فعلم من هذا أن المقصور معها قد يؤخر ويقدم المقصور عليه لعارض، فإن قيل: لِمَ لَمْ يكن على الأصل في (إنما) من قصر القيام عليه، أجيب عنه بأن الضمير مع (إنما) يجب فصله إذا قصد الحصر فيه كما سبق فإن اتصل تعين أن يكون مقصورًا، وقد يكون المانع من جهة الدلالة كقوله ﷺ «إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس لهم فيه إلَّا المأكل» فالمقصور عليه هنا هو الأكل وقد تقدم، ولا يستقيم المعنى إلَّا بذلك؛ لأن المراد أنهم ليس لهم في هذا المال شأن إلا الأكل منه فهو لا يريد أن يقصر أكلهم على هذا المال وإنما يريد أن يقصر تصرفهم في هذا المال على الأكل. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة المائدة: ٩١]، فإن المراد: ما يريد أن يوقع العداوة إلَّا فيهما

(١) المقصور عليه مع (لا) هو المقابل لما بعدها، فإذا قلنا: الناجح محمد لا علي، فقد أثبتنا النجاح لمحمد ونفيناه عن عليٍ، والمقصور عليه هنا هو محمد أي قصرنا صفة النجاح عليه.

(٢) المقصور عليه مع (بل) هو المعطوف بها، أي الواقع بعدها، مثلاً: ما حضر محمد بل عليّ، يكون المقصور عليه هو: عليٌ، أي أن الحضور منفي عن محمد، وثابت ومقصور على عليّ.

وتبقى (لكن) التي لم يذكرها، والمقصور عليه معها: هو ما بعدها أيضًا.

فإذا قلنا ما نجح الكسلان لكن المجتهد، فقد نفينا النجاح عن الكسلان وأثبتناه للمجتهد أي قصرنا النجاح عليه فما بعدها هو المقصور عليه.

ولا يتحقق القصر معها إلَّا في الإضافي بأنواعه أيضًا لأن المنفى معها دائمًا يكون أمرًا خاصًا.

دون المنفي[١].

[(لا) العاطفة لا تجامع النفي والاستثناء بخلاف (إنما، والتقديم).

ولا يجامع القصر بـ (لا) القصر بـ (إلا) أيضًا فلا يقال ما زيد إلا قائم لا قاعد، ولا ما يقوم إلا زيد لا عمرو؛ لأن شرط المنفي بلا العاطفة أن لا يكون منفيًّا قبلها بغيرها، ويجامع ذلك طريقي (إنما) و(التقديم) نحو: إنما أنا تميمي لا قيسي، وهو يأتيني لا عمرو؛ لأن النفي فيهما غير مصرح به[٢].

***

(١) سبق شرحه.

(٢) هذا من الفروق بين (إنما) و(ما وإلا)، وقد أوجز الشارح علته، وبيان ذلك كما يأتي: (إنَّما) تجامعها (لا) العاطفة، بخلاف: (ما وإلَّا).
لأنه لما كانت (إنَّما) مفيدة للقصر بتضمنها معنى ما وإلا وكان النفي بها ضمنيًا ولم يكن بالغًا درجة النفي الذي هو في (ما وإلَّا) كان ذلك النفي بحاجة إلى ما يؤكده وكان له فضل مؤانسة مع (لا) العاطفة.
قال عبد القاهر: «... وإذا قلت إنما جاءني زيد لم تكن قد نفيت فيها أيضًا المجيء عن غيره، فنفيك له غير مسلم على الحقيقة، وذلك أنه ليس معك إلَّا قولك: (جاءني زيد) وهو كلام مثبت ليس فيه نفي ألبتة كالذي تراه في مثل ما جاءني إلَّا زيد وإنما فيه أنك وضعت يدك على زيد فجعلته الجائي...
وذلك وإن أوجب انتفاء المجيء عن غيره، فليس يوجبه من أجل أن كان ذلك إعمال نفي في شيء، وإنما أوجبه من حيث كان المجيء الذي أخبرت به مجيئًا مخصوصًا إذا كان لزيد لم يكن لغيره.
والذي أبيناه أن تنفي بـ (لا) العاطفة الفعل عن شيء، وقد نفيته عنه لفظًا. دلائل الإعجاز ٣٤٨.
ولما كان المقصور عليه مع (إنما) هو المؤخر ومع (لا) العاطفة هو المقابل لما بعدها، كان من حق البناء اللغوي للمعنى أن يكون فضل تناسق بين مطلوبيهما، بمعنى أن المنفي ضمنًا هو المنفي صراحة بـ (لا) العاطفة، هذا مفاد كلام عبد القاهر.
غير أنه قرر في موطن آخر من الكتاب أن (إنما) في بعض المقامات تنفر من صحبة (لا) العاطفة قال: «ومما يجب أن يعلم أنه إذا كان الفعل بعدها لا يصح إلَّا من المذكور، ولا يكون من غيره، كالتذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلا من أولي الألباب، لم يحسن العطف بـ (لا) فيه كما يحسن فيما يختص بالمذكور ويصح من غيره، فلا يقال: «إنما يتذكر أولو الألباب لا الجُهَّال»، كما يحسن أن تقول: «إنما يجيء زيد لا عمرو».

[موقف السكاكي من مجامعة النفي لـ"إنما"]

واعتبر السكاكي في مجامعة النفي لـ«إنما» أن لا يكون الموصوف مختصًا بالوصف نحو: [قوله تعالى]: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٦][(١)].

وقال الشيخ عبد القاهر: لا يحسن العطف بلا في المختص كالاستجابة في الآية، كما يحسن العطف بها في غيره[(٢)].

٥٧- [مِـنْـهُ. وَمَـعْـلُـومٌ، وَقَـدْ يُـنَـزَّلُ مَـنْـزِلَـةَ الْـمَـجْـهُـولِ، أَوْ ذَا يُـبْـدَلُ]

وأصل النفي والاستثناء أن يكون ما استعمل فيه: مما يجهله وينكره المخاطب ولا يعتبر ذلك في (إنما) تقول لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد: ما هو إلا زيد إذا اعتقده غيره، قصر على الإنكار.

فمعلوم قد ينزل منزلة المجهول: فيخرج الكلام على خلاف الظاهر لاعتبار خطابي مناسب للمقام فتستعمل له (ما وإلا)[(٣)]:

---

(١) معنى هذا أن السكاكي اعتبره شرط صحة، فقال: «إنه لا يصح»، ثم يقول: «إذا جامعت (لا) العاطفة (إنما) جامعتها بشرط، وهو: ألا يكون الوصف بعد (إنما) مما له في نفسه اختصاص الموصوف، كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ فإن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل وكقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة النازعات: ٤٥]. فالإنذار إنما يكون إنذارًا ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله ويخشاه... وقولهم «إنما يعجل من يخشى الفوت» فمركوز في العقول أن من لم يخش الفوت لم يعجل وإذا كان له اختصاص لم يصح فيها استعمال (لا) العاطفة فلا تقل (إنما) يعجل من يخشى الفوت لا من يأمنه. مفتاح العلوم ١٤١

(٢) بينما جعله الإمام عبد القاهر شرط استحسان، **وقد علل السعد** مذهب السكاكي هذا في عدم اختصاص الوصف للموصوف بقوله (لعدم الفائدة في ذلك عند الاختصاص).
وما ذهب إليه عبد القاهر من أنها لا تحسن... أقرب إذ لا دليل على الامتناع عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد» ينظر دلائل الإعجاز ٣٤٧ والمطول على التلخيص ٢١٧.

(٣) هذا من الفروق بين (إنما) و(ما وإلا) (إنما) تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة و(ما وإلَّا) الأصل فيهما أن تستعملا في حكم من شأنه أن ينكره المخاطب ويشك فيه أو ما ينزل هذه المنزلة. =

بيان ذلك وتطبيقه:

اعتمد الإمام عبد القاهر في منهجه التحليلي لإثبات هذه الفروق على أمثلة من بليغ القول نثره وشعره ولجأ إلى تحليلها تحليلًا يؤكد صحة ما يقول، منها ما جاء في التنزيل قوله تعالى ﴿۞إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ فذلك تذكير بأمر ثابت معلوم، وذلك أن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى إليه، وأن من لم يسمع «لم يستجب» ومما هو على هذه الشاكلة قول المتنبي لكافور: (الخفيف)

إنما أنتَ والدٌ والأبُ القا   طِعُ أحنَى من واصلِ الأولادِ

قال: «لم يرد أن يعلم كافورًا أنه والد، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ولكنه أراد أن يذكّره منه بالأمر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد.

وهكذا نجد (إنما) تجيء لخبر معلوم لدى المخاطب، غير أنها يقصد بها التنبيه لما ينبغي أن يكون، ومن أمثلة ما نزل هذه المنزلة قول عبد الله بن قيس الرقيات: (الخفيف)

إنما مصعبٌ شِهَابٌ من اللَّـ   ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم، وأنهم قد شهروا بها وأنهم لم يصفوا إلَّا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد...، **ومثله:** «إنما هو نار، إنما هو أسد» إذا أدخلوا إنما جعلوا ذلك في حكم الظاهر المعلوم الذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى. دئل الإعجاز ٣٣٠

ومن اللطيف في ذلك قول قتب بن حصن: (الطويل)

ألا أيها النَّاهي فَزارَةَ بعد مَا   أجدَّتْ لغزو إنَّما أنتَ حالِمُ

ومن ذلك قوله تعالى - حكاية عن اليهود -: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة البقرة: ١١]، دخلت (إنما) لتدل على أنهم حين ادعوا لأنفسهم أنهم مصلحون أظهروا أنهم يدعون من ذلك أمرًا ظاهرًا معلومًا، ولذلك أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم فجمع بين (أَلَا) التي للتنبيه وبين (إنَّ) التي للتأكيد، فقيل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١٢].

ثم قال الإمام بعد ذلك: «فإنك إذا تأملت وجدتها في الأمر الأكثر قد جاءت لأمر قد وقع العلم بموجبه وبشيء يدل عليه».

واستدل بقول سيبويه: «إنك إذا ذكرت المبتدأ فقلت: كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك، وإنما ينتظر الخبر فإذا قلت «حليما» فقد أعلمته مثل ما علمت، فكما لا يكون مبتدأ من غير خبر، ولا خبر من غير مبتدأ، فكذلك الأمر لم يقع بعد (إنما) إلا بشيء كان معلومًا للسامع من قبل =

إفـرادا[١]، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]، أي: أنه مقصور على الرسالة، لا يتعداها إلى التبري من الهلاك، نزل استعظامهم هلاكه منزلة

= أن ينتهي إليه».

هذا شأن (إنما) وعلى العكس من ذلك (ما وإلا) فالأصل فيهما أن تستعملا في حكم من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره ويحتاج فيه إلى تأكيد أو ما نزل هذه المنزلة.

قال الإمام عبد القاهر «وأما الخبر بالنفي والإثبات، نحو: «ما هذا إلَّا كذا..». فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: «ما هو إلَّا مصيب» قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت. دلائل الإعجاز ٣٣٢

ثم قال في شأن ما نزل هذه المنزلة: «إنك متى رأيت شيئًا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه، قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معنى صَارَ به في حكم المشكوك فيه.

فمن ذلك قوله تعالى]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٢-٢٣]. ﴿ إنما جاء - والله أعلم - بالنفي والإثبات، لأنه لما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ كان المعنى في ذلك أن يقال للنبي ﷺ: «إنك لم تستطع أن تحول قلوبهم على ما هي عليه من الإباء، ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم مع إصرارهم على كفرهم واستمرارهم على جهلهم وصدهم بأسماعهم عما تقوله لهم وتتلوه عليهم، كان اللائق بهذا أن تجعل حال النبي ﷺ حال من قد ظن أنه يملك ذلك ومن لا يعلم يقينًا أنه ليس في وسعه شيئًا أكثر من أن ينذر ويحذر فأخرج اللفظ مخرجه إذا كان الخطاب مع من يشك، فقيل: إن أنت إلَّا نذير. دلائل الإعجاز ٣٣٤

و علق العلامة د. أبو موسى علَى ذلك بقوله: «ليس القصد بهذا الخبر فائدته لأنها معلومة وإنما مرمى الكلام تنبيهه - عَلَيْهِ السَّلَامُ- ولفته إلى أنه نذير فحسب، وأنه ليس له طاقة فوق ذلك وليس مكلفًا بسوى الإنذار، فقد نزل الرسول منزلة من يعتقد أنه يملك مع الإنذار القدرة على هداية القوم فقيل له بهذه اللهجة الحاسمة]. ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، ومن ثم لا يصح استعمال (ما وإلَّا) في أمر ظاهر معلوم لأن هذا شأن (إنَّما) فلا يصح في «إنَّما أنت والد»، «ما أنت إلَّا والد»، غير أنهما يصلحان مكان (إنَّما) فيما نزل منزلة الأمر الظاهر المعلوم، فيصح في «إنما مصعب شهاب»... ما مصعب إلَّا شهاب، لأنه ليس من المعلوم على الصحة وإنما ادعى لشاعر فيه أنه كذلك، وإذا كان هذا كهذا جاز أن تقوله بالنفي والإثبات إلَّا أنك تخرج المدح حينئذٍ عن أن يكون على حد المبالغة من حيث لا تكون قد ادعيت فيه أنه معلوم وأنه بحيث لا ينكره منكر ولا يخالف فيه مخالف. **ينظر:** دلائل الإعجاز ٣٣٤، ويراجع دلالات التراكيب

(١) في الأصل: إفراد، بالرفع.

إنكارهم إياه.

أو قلبًا نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [سورة إبراهيم: ١٠] لاعتقاد العالمين أن الرسول لا يكون بشرًا مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة.

وقولهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [سورة إبراهيم: ١١] من باب مجاراة الخصم فيعتبر حيث يراد تبكيته، لا لتسليم انتفاء الرسالة.

أو: ذا أي المجهول.

يبدل: بالمعلوم فينزل منزلته لادعاء ظهور ذلك المراد، فيستعمل له إنما، نحو [قوله تعالى]: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة البقرة: ١١]، ادعوا على عادتهم في الكذب أن كونهم مصلحين أمر ظاهر مكشوف من حق المخاطب أن يعترف به ولا ينكره، ولذا جاء ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، للرد عليهم مؤكدًا بما ترى.

[مزية القصر بـ «إنما»]

وفي القصر بإنما مزية عليه بالعطف أن الحكمين مستفادان معًا من إنما بخلافه في العطف[1].

[أحسن مواقع إنما]

وأحسن مواقع إنما: التعرض نحو: [قوله تعالى]: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ «[الرعد: ١٩، والزمر ٩] تعريض بأن الكفار بفرط جهلهم كالبهائم وطمع النظر منهم كطمعه منها[2].

---

(١) وذلك لأن الأصل في طريق العطف النص على المثبت والمنفى جميعًا ولا يترك ذلك إلَّا كراهة الإطناب في مقام الاختصار، بخلاف (إنما) فينص فيها على المثبت فقط.

(٢) لـ (إنَّما) مواطن جمالٍ كثيرة تستعمل فيها، يتبين ذلك من ذكر الفروق السابقة بينها وبين (ما وإلا) وأحسن مواقع (إنَّما):

التعريض:

=

قال صاحب القاموس: «والتعريض خلاف التصريح... وأن يشج الكاتب ولا يبين وأن يجعل الشيء عرضًا للشيء.

ومن هذا يتبين أن التعريض هو الكلام المستعمل في معناه ليلوح به إلى غيره.

قال عبد القاهر: «اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب. إذا كان لا يراد بالكلام بها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه نحو: أنَّا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يُذم الكفار، وأن يقال إنهم من فرط العناد بهم، ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب... الخ، ومن ذلك في الشعر قول العباس بن الأحنف: (الرمل)

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا

فليس المراد المعنى البدهي وهو (أن ليس للعبد إلَّا ما رزقه الله) وإنما المعنى المقصود أنه قد صار ينصح نفسه ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها، وييأس من أن يكون منها إسعاف.

ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون (إنَّما)... وهناك طرق أخرى للقصر لا بد للدارس من الإحاطة بها، ويتجلى بيانها فيما يأتي:

هناك طرق أخرى للقصر لم يصطلح عليها البلاغيون، ولكن أجد لها في التعبير دلالة قوية جديرة بالبيان والنظر منها:

تعريف الطرفين، وضمير الفصل:

فإذا تأملنا في قول الله – تعالى –: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٨]. تجلى لنا طريق التعريف في المسند إليه (الضمير) والمسند (أل) ومعناه علوه سبحانه على خلقه، قال الفراء: «كل شيء قهر شيئًا فهو مستعلٍ عليه»، فهو وحده الموصوف بكمال القدرة وكمال العلم وليس المقصود حصر هذه الصفة عليه دونَ سواها، فله صفات كثيرة ولكن حصرها عليه دون غيره، وهو قصر صفة على موصوف بمعنى لا قادر إلَّا هو، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، فهو الغالب المتصرف في أمورهم لا غيره.

ونلحظ أن الحصر هنا مفاده التخصيص، وهذا إخبار عنه سبحانه وليس وصفًا، فقد بين الإمام الرازي أن الوارد بعد ضمير الفصل خبر لا صفة وأن ضمير الفصل يقتضي حصر الخبر في المبتدأ، فإنك لو قلت: الإنسان ضاحك، فهذا لا يفيد أن الضاحكية لا تحصل إلَّا في الإنسان، أما إذا قلت: الإنسان هو الضاحك فإنَّه يفيد أنها لا تحصل إلَّا في الإنسان وعلى ذلك فمعنى قوله سبحانه: ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٥]. =



= قصر المسند على المسند إليه. وأن هؤلاء هم الذين بلغك أنهم لا فلاح لغيرهم في الآخرة والحصر هنا حقيقي، صفة على موصوف وما وراءه ليس مجرد الاختصاص ولكن وراءه شيء من الاهتمام يكون دافعًا للتحلي بصفاتهم وذلك لأن تعريف الخبر بالألف واللام أفاد بلوغ المبتدأ في استحقاقه لما أخبر عنه به إلى حيث صار معرفًا لحقيقته ودليلًا على وجوده.

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٢٧]، فقوله: إنك أنت السميع العليم يفيد الحصر لأنه سبحانه لكماله في هذه الصفة يكون كأنه هو المختص بها دون غيره.

وتعريف جزأي الجملة والإتيان بضمير الفصل يفيد المبالغة في كمال الوصفين له سبحانه بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم، ويجوز أن يكون حقيقيًّا باعتبار متعلق خاص، أي السميع العليم لدعائنا لا يعلمه غيرك، وهذا قصر حقيقي مقيد وهو نوع مغاير للإضافي لم ينبه عليه علماء المعاني. ينظر التحرير والتنوير ١/ ٦٩٧.

وكذلك يؤتى بالضمير في موطن الإنكار كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة النجم: ٤٣-٤٩]، حيث أتى بضمير الفصل في كل موضع ادعي فيه نسبة ذلك المعنى لغير الله سبحانه...

ومن خلال تحليل الشواهد السابقة نجد أهمية الوقوف عند أمثال هذه الطرق وأنها في نظرنا لا تقل شأنًا عن الطرق الأربعة التي اصطلحوا عليها، بخلاف ما كان فيه الحصر عن طريق المعنى اللغوي فقط نحو: محمد مقصور على الكتابة فلا نجد فيها الدلالة البلاغية المرادة كما سبق، ففرق بين هذا وذاك.

الباب السادس

أسلوب الإنشاء

٥٨- يَسْتَدْعِي الْإِنْشَاءُ إِذَا كَانَ طَلَبْ   مَا هُوَ غَيْرُ حَاصِلٍ، وَالْمُنْتَخَبْ

الإنشاء: هو الكلام الذي ليس له خارج تطابقه النسة، أو لا تطابقه، بل معناه مع لفظه[1].

---

(١) لا ريب أن الكلام العربي شعره ونثره ينقسم قسمين فهو إمَّا خبر وإمَّا إنشاء، فالجملة الخبرية لها واقع خارج العبارة إن طابقها وصفت بالصدق وإن خالفها وصفت بالكذب، والجملة الإنشائية لا واقع لها يطابقها أو يخالفها فالقصد إلى إنشائها ابتداء فليس المقصود بها الإخبار، وإنما إنشاء المعنى الذي يتعلق بالنفس، ولذا سميت إنشائية.

فالإنشاء إذًا هو الإيجاد، ولا يحتمل الصدق ولا الكذب، بل لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلَّا إذا تلفظت به.

أما الخبر فهو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولكن لا تغفل أن القالب اللفظي وحده هو الفيصل في ذلك - **كما قال شيخنا العلامة الدكتور: محمد أبو موسى** «الفرق بين الضربين هو ما تحسه في العبارة من قصد المتكلم إلى الحكاية والخبر أو إيجاد النسبة ووقوعها؛ ولذلك تجد بعض المعاني الإنشائية ترد في أساليب الخبر مثل قولك: غفر الله لك وأثابك وفرج كربك، وقول مزرد في رثاء عمر: (الطويل)

جَزى اللهُ خَيرًا مِن أَميرٍ وَبارَكَت   يَدُ اللهِ في ذاكَ الأَديمِ المُمَزَّقِ

فالقصد من وراء ذلك كله ليس الإخبار وإنما إنشاء المعاني من تلك الأساليب من غير نظر إلى المطابقة وعدمها، وأيضًا قد يكون اللفظ إنشاء والمقصود الإخبار كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ **«من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»** فليس المراد طلب تبوىء مقعده من النار وإنما الإخبار عن ذلك وأنه كائن لا محالة وأنه سيتبوأ ذلك بنفسه، كما يصدر الفعل من مأمور مستضعف لا طاقة له بمخالفة أمر الآمر، وهكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩]، والمراد إقامة وجوهكم عند كل مسجد» ينظر دلالات التراكيب١٨٩) وهكذا نجد أن طبيعة المعاني لها دخل كبير في تحديد ملامح الأسلوب وسيأتينا الكثير من ذلك خلال الدرس والتحليل والخبر سبقت دراسة مقاصده وأغراضه أما الإنشاء فهو مناط حديثنا.

[الإنشاء الطلبي]

يستدعي: أي يطلب.

الإنشاء: تحريك الياء بالضمة للضرورة، وإلا فتحت، حذفها دفعًا للثقل.

إذا كان طلبْ: أي طلبيا[1].

---

(١) نلحظ أنه أغفل الإنشاء غير الطلبي على عادة المتأخرين من البلاغيين بحجة أنه ليس وراءه مباحث بلاغية تتعلق به، ولكن لو تأملنا حقيقة البحث في أساليبه لوقفنا على أهميتها، ومن ثم من باب الإحاطة بالباب يجب أن يعلم القاريء عنها شيئا، ويتجلى ذلك فيمل يأتي:

الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب ويكون بصيغ المدح والذم ونعم وبئس وحبذا ولا حبذا، وكذا صيغ العقود نحو بعث واشتريت ووهبت وأعتقت، والقسم والتعجب والرجاء.

وهذا الضرب أغفله علماء المعاني معللين ذلك بقلة المباحث البلاغية المتعلقة به، وأن كثيرًا من الإنشاءات غير الطلبية في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، ولكن إذا أنعمنا النظر في أساليب القسم والتعجب والترجي والمدح والذم في الأساليب العربية رأيناها لا تخلو من معان ينبغي أن ننبه إليها، ولن تتجلى لك إلَّا بدراسة السياق والمقام وهذا شأن كل كلام.

وحين نترك البحث في القسم والتعجب وغيرهما متكئين على القول بأنها لا تستدعي مطلوبًا، وليس وراءها مباحث تتعلق بها نكون قد أغفلنا جانبًا من البلاغة جد خطير.

فإذا نظرنا في أسلوب القسم، وتأملنا أنه بالحروف لم يحسن إلَّا في أوائل السور وقد وقع في النصفين جميعًا وأن القسم بالأشياء المعدودة لم يقع إلَّا في السبع الأخير، وسر القسم بجموع السلامة المؤنثة دون المذكرة منها والفرق بين القسم بالساكن والقسم بالمتحرك، ومراده بالحروف وبغير الحروف... إلخ إذا تأملنا ذلك وجدناه يحتاج إلى دقة فكر في استخلاص نتائجه، بل هو أشق في بيان معرفته من الوصول إلى إيماضات الاستفهام مثلًا، وإليك نظرة يسيرة من ذلك تحتاج إلى دراسة المناسبات:

١ - القسم بغير الحروف في ابتداء السور يكون لإثبات الوحدانية وجاء ذلك في سورة الصافات فقط لأن الجواب ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ [سورة الصافات: ٤].

٢ - ويكون لإثبات الرسالة وجاء في النجم والضحى وجاء لهذا الغرض بالحروف نحو (يس، ص، ق، ن).

٣ - وبغير الحروف كان لإثبات الحشر والجزاء نحو: الطور - والذاريات والمرسلات والنازعات =

ما: أي مطلوبا.

[هو][١]**غير حاصل**: وقت الطلب؛ لاستحالة تحصيل ما هو حاصل[٢].

[أنواع الإنشاء الطلبي]

والمنتخب: بالمعجمة أي المختار[٣].

منه: أي الطلب.

[التمني]

٥٩- مِـنْـهُ الـتَّـمَـنِّي، وَلَـهُ الْـمَـوْضُـوعُ لَـيْـتَ وإِنْ لَـمْ يُـمْـكِـنِ الْـوُقُـوعُ

٦٠- وَلَـوْ وَهَـلْ، مِـثْـلُ لَـعَـلَّ الـدَّاخِـلَـهْ فِـــــــيْـــــــهِ، ....

(التمني وله): اللفظ[٤].

= والبروج والطارق والفجر والبلد والشمس والليل والتين والعاديات والقارعة والعصر.
وتتجلى بلاغة القسم هنا بدراسة العلاقة بين فواتح السور وسياقاتها... وهكذا نجد وراءه من الأسرار ما تعجز عن بيانه الأقلام، وبهذا لا تتحقق كلمة البلاغيين حين قالوا بقلة المباحث البلاغية المتعلقة به.

(١) الضمير مكتوب في المنظومة، وأثبته هنا لاستقامة النظم به.

(٢) هذا هو تعريف الإنشاء الطلبي، الذي قال فيه البلاغيون: هو الذي يستدعي مطلوبًا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب لامتناع طلب الحاصل.

(٣) قوله: والمنتخب، بيان عن أنواعه المعروفة، وهي خمسة: بدأها بالتمني، ثم الاستفهام، ثم الأمر، ثم النهي، ثم النداء.
وجه الحصر في هذه الأنواع: «أنه إمَّا أن يقتضي مطلوبًا ممكنًا أوْ لا، الثاني هو التمني، والأول إن كان المطلوب به حصول أمر في ذهن الطالب فهو الاستفهام، وإن كان المطلوب به حصول أمر في الخارج، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو النهي، وإن كان ثبوته فإن كان بإحدى حروف النداء فهو نداء وإلَّا فهو الأمر». المطول ٢٣٤.

(٤) **عرفه البلاغيون بأنه**: طلب حصول شيء على سبيل المحبة.

الموضوع: لإفادة معناه.

ليت: أمكن وقوع المتمنى بعسر، نحو قول الفقير: ليت لي قنطارًا من الذهب.

وإن لم يمكن الوقوع: للمتمنى[١] نحو قوله[٢]: (الرجز)

ليت وهل ينفع شيئًا ليت ليت شبابًا بوع فاشتريت

وقد يتمنى[٣]

بـ (لو) نحو: لو تأتيني فتحدثني بالنصب[٤].

---

(١) واللفظ الموضوع للتمني «ليت» ولا يشترط أن يكون التمني ممكنًا بخلاف الترجي فإنَّه يشترط إمكانه.

(٢) أي قول رؤبة بن العجاج في الرجز، في ملحق ديوانه ص١٧١؛ وشرح التصريح ١/ ٢٩٥؛ وشرح شواهد المغني ٣/ ٨١٩... ينظر هامش شرح الأشموني لألفية بن مالك ١/ ٤١٥، وهو شاهد على تعسر وقوع التمني، أو عدم إمكان وقوعه.

ومن شواهد التمني بـ (ليت) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ٢٧]، الخطاب للنبي ﷺ وحذف فيه جواب (لو) تهويلًا للموقف وتعظيمًا له ومِن ثَمَّ يحكي الحق تمنيهم الرجوع إلى الدنيا وقد علقوا على ذلك تكذيبهم بآيات الله ولكن الذي يعلم سرهم ونجواهم هم أبرز ما يحدث منهم فقال: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنعام: ٢٨]. ﴾ أي أنهم أَلِفُوا الكَذِبَ واعتادوه وصار طبعًا فيهم فكان متمناهم بعيد المنال بل هو مستحيل الوقوع لأنه قد انتهي زمن الدنيا وعلى شاكلته في الاستحالة قوله تعالى حكاية عن السيدة مريم - عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ - ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة مريم: ٢٣]. ﴾ وكان ذلك منها خوفًا من تَقَوُّل النَّاس عليها، وقد يكون التمني بعيد المنال لكنه ممكن الحصول كما في قوله تعالى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة القصص: ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزخرف: ٣٨].

(٣) التمني ليست له معان يخرج إليها، كالاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، وإنما تستعمل له أدوات سوى «ليت» تتلاقى معها من جهة المعنى والمراد وهي: (لو - لعل - هل)

(٤) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١٠٣]. =

وقد يتمنى:

وهل: نحو قول العليل: هل لي من شفيع، حيث يعلم أن لا شفيع[1]، وهما في التمني بهما.

مثل لعل الداخلة فيه: أي في التمني بها أيضًا، لبعد المرجو عن الحصول فينزل منزلة [١١أ] التمني لذلك فيعطى حكم (ليت) نحو قوله [تعالى] حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [سورة غافر: ٣٦-٣٧][2] إذ لولا ذلك التنزيل لما كان لنصب الجواب فائدة وجه؛ لأنه ليس من الأجوبة الثمانية.

= فـ(لو) هنا شرطية أشربت معنى التمني، وذلك لأن الممتنع يتمنى إن كان محبوبًا، وهذا تمثيل لحال الداعي بحال المتمني، ومن أبرز شواهدهم في ذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٠٢]. فـ(لو) هنا تؤدي معنى التمني، كأنه قيل: فليت لنا كرة وهذا خبر عن تمنيهم الرجوع إلى الدنيا؛ لأنهم لِبُؤسِ ما هم فيه ظنوا المستحيل ممكنًا، فكان التعبير بـ(لو) التي تستعمل في الأمر الممكن لإبراز المستحيل في صورة الممكن، وعبر بـ**(لو) دون ليت**: بيانًا لامتناع مطلبهم، وعزة ما يتمنون؛ لأن (لو) في الأصل حرف امتناع لامتناع.

ونظير ذلك أيضًا قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦٧]، فقد تمنوا التمكن من الرجوع إلى زمن التكليف؛ ليحدث عكس ما حدث فيتبرؤن من هؤلاء الذين تبرءوا منهم يوم القيامة، والتعبير بـ(لو) يشعر بذلة نفوسهم وتعاظم حسراتهم، ومن ذلك قول الشاعر: (الكامل)

وَلَّى الشَّبابُ حَميدَةً أيامُهُ ... وَلَوَ أنَّ ذلِكَ يُشتَرى أو يَرجِعُ

(١) ومنه قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [سورة الأعراف: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة غافر: ١١].

(٢) فبلوغ أسباب السماوات أمر مستحيل، ولكنه عبر ههنا بـ(لعل) التي تفيد الرجاء لإبراز المتمنى البعيد في صورة الممكن القريب الحصول وذلك لكمال العناية والرغبة في وقوعه، ومثله قول الشاعر: (الطويل)

أَسِربَ القَطا هَل مَن يُعيرُ جَناحَهُ ... لَعَلّي إِلى مَن قَد هَويتُ أَطيرُ

فطيرانه إلى أحبته أمر مستحيل ولكنه عبر بـ(هل) رغبة في حصوله وإبرازًا له في صورة الممكن القريب.

[الاستفهام]

٦٠[- .... وَالِاسْتِفْهَامُ وَالْمَوْضُوعُ لَهْ

٦١- هَلْ هَمْزَةٌ مَنْ مَا وَأَيُّ أَيْنَا كَمْ كَيْفَ أَيَّانَ مَتَى أَمْ أَنَّى

٦٢- فَهَلْ بِهَا يُطْلَبُ تَصْدِيقٌ، وَمَا هَمْزًا عدا تَصَوُّرٌ، وَهْيَ هُمَا

والاستفهام: عطف على التمني، وهو حصول صورة الشيء في الذهن(١).

فإن كان وقوع نسبة بين أمرين، أو لا وقوعهما فتصديق(٢).

---

(١) طلب حصول صورة الشيء في الذهن، هذا كلام سعد الدين التفتازاني، وهو يشير إلى أن السين والتاء في الاستفهام للطلب. ينظر المطول
وقيل: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل.

(٢) ومعنى التصديق هو: إدراك وقوع النسبة بين المسند والمسند إليه أو عدم وقوعها أي إدراك مطابقتها للواقع أو عدم مطابقتها، ولذلك يكون الجواب بالإثبات أو النفي، فالسؤال يكون عن النسبة كقولنا: أيصدأ الذهب، فالسائل متردد بين الثبوت والنفي ويطلب معرفة وقوع النسبة (الصدأ) أو عدم وقوعها، ويكثر التصديق في الجمل الفعلية، ويقل في الجمل الاسمية نحو: أعليّ مجتهد.
ويمتنع ذكر المعادل معها، فإن جاءت بعدها (أم) قدرت منقطعة بمعنى (بل) كقول الشاعر: (الطويل)

ولستُ أُبالي بعدَ فقديَ مالكًا أموتيَ ناءٍ أم هو الآن واقعُ

أي: بل هو الآن واقع، وكقول قتيلة بنت الحارس تخاطب النبي بعد قتل أخيها النضر: (الكامل)

أمحمّد يا خيرَ ضِنءِ كريمةٍ في قَوْمِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفَتَى وهوَ المَغيظُ المُحْنَقُ

هل يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نادَيْتُه أم كيف يَسْمَعُ مَيِّتٌ لايَنْطِقُ؟

نلحظ أولا أن قتيلة تشرع في عتاب أدبي مهذب رقيق وهو عتاب الفاطنات التي تعرف قدر النبي (ﷺ) فلا تخاطبه خطاب تعنيف وإنما خطاب تودد وتقرب فتناديه نداء القريب ثم تجمع مع هذا نداء العظمة: يا خير ضنء كريمة، مشيدة بعراقة أصله وعلو نسبه، ثم تكشف عما يدور في صدرها من لواعج الحزن: ما كان ضرك لو مننت، وقد يمن الفتى وهو مكلوم من شدة الغيظ... ثم يأتي شاهدنا تسوق فيه الخبر في صورة استفهام هل يسمعن النضر... الخ فتجعل سماعه حينئذٍ ممكنًا، ثم تضرب عن توهمها هذا أم كيف يسمع ميت لا ينطق، أي بل. =

وإلا فتصور[1].

و: اللفظ.

الموضوع له[2]: **هل، همزة، من، ما**: بحذف العاطف فيها، جائز للضرورة اتفاقًا.

وأي، أينا: الألف فيه للإطلاق.

كم، كيف، أيان، متى، أم، أنى: بتشديد النون، وفيه حذف العاطف لما مر وفيه سيعاد الرديف بفاعل مساوي كل من مصراعي الأراجيز في الأحكام بقوافي القصيدة.

وفي جعله (أم) من الأدوات تجوز؛ لأنها لما كانت موميء بها عديلة للهمزة في نحو: أزيد عندك أم عمرو تجوز، فأطلق عليها ذلك.

[أنواع أدوات الاستفهام باعتبار: التصور، والتصديق]

٦٢- فَهَلْ بِهَا يُطْلَبُ تَصْدِيقٌ، وَمَا هَمْزًا عدا تَصَوُّرٌ، وَهْيَ هُمَا

= والمهم أن (هل) هنا توافق همزة التصديق في أنه إذا وقع بعدها (أم) تكون منقطعة بمعنى بل.
ولابد من وقوع الجملة بعد (أم) المنقطعة، فإن وقع بعدها مفرد قدر بجملة نحو: أحضر الأمير أم جنده، أي بل حضر جنده.

(١) معنى التصور هو: «إدراك المفرد، أي أحد أجزاء الجملة - المسند إليه أو المسند - أو أحد القيود» نحو: أمحمد مسافر أم أحمد، معتقدًا أن السفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعينه، أي يكون الجواب بالتعيين فيقال أحمد مثلًا، لأنك ترددت فيمن حصل له السفر فقد تصورت النسبة وتصورت محمدًا وأحمد وترددت بينهما ولابد أن تذكر بينهما (أم) المتصلة المعادلة، وقد تحذف هي وما بعدها اكتفاء بما قبلها، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾ [سورة الأنبياء: ٦٢].
وحكم الهمزة التي هي لطلب التصور أن يليها المسؤول عنه بها سواء أكان:
١- مسندًا إليه نحو: أأنت فهمت هذا أم علي.
٢- أم مسندًا نحو: أفاهم أنت أم زيد.
٣- أم مفعولًا نحو: إياي تريد أم محمدًا.
٤- أم حالًا نحو: أراكبًا سافرت أم ماشيًا.
٥- أم ظرفًا نحو أيوم الجمعة حضرت أم يوم السبت.

(٢) أي الألفاظ الموضوعة للاستفهام، كما ذكرها، اثنتا عشرة لفظا.

فهل بها يطلب تصديق: فقط، وتدخل على الجملتين نحو: هل قام زيد، وهل قائم زيد، وهل زيدًا ضربته.

ولا يجوز: هل زيد قام[١].

وقبح: هل زيدًا ضربت[٢]؛ لأن التقديم يستدعي التصديق بتعيين الفعل،

فتكون هل لطلب حصول الحاصل، وهو محال[٣].

وإنما لم يمتنع لاحتمال كون زيد مفعول محذوف.

---

(١) أي في طلب تصور المسند إليه - الفاعل - والصواب: أزيد قام؟

(٢) **والصواب**: أزيدا ضربت؟ في طلب تصور المفعول، والعلة ما ذكرها من أن: التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل فيكون «هل» لطلب حصول الحاصل، وهو محال - كما قال - وهذا واضح في أزيدا ضربت؟؛ لأن الغالب كون تقديم المفعول للاختصاص، وأما تقديم الفاعل فقد يكون كثيرًا لمجرد الاهتمام وشبهه، فلا يستدعي التخصيص في الغالب الملزوم لطلب التصور. ينظر الإيضاح ٣/ ٥٦، وحاشية الدسوقي ٢/ ٣٢٥.
وخلاصة هذا قولهم: ويقبح استعمال (هل) في تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة وهو ما يتقدم فيه المعمول على الفعل.
وكذلك يمتنع الجمع بين (هل) وبين (أم) المتصلة في تركيب واحد لأن (أم) المتصلة تفيد أن السائل عالم بالحكم و(هل) تفيد أنه جاهل به فبينهما تدافع وتناقض لذلك لا يصح أن يقال: هل محمد ناجح أم على، لأن (أم) هنا وقع بعدها مفرد، فدل على أنها متصلة وهي هنا للتصور، فالسائل عالم بالحكم ولكنه متردد يطلب التعيين.
أما إن جاء بعد (أم) جملة فتكون منقطعة كما سبق فيصح إذن هل نجح عليّ أم نجح خالد، لأنك حينئذٍ تضرب عن الاستفهام الأول وتنتقل إلى الذي بعده، فهي هنا منقطعة بمعنى بل، قال ابن الصائغ ولا يجوز استعمال أم بعد هل إلَّا أن تريد المنقطعة كقوله: (الطويل)

ألا ليْتَ شعري، هل تغيّرَتِ الرّحى ... رَحَى الحُربِ أم أضْحتْ بفَلجٍ كما هيا

(٣) وقيل إنه قبيح لا ممتنع؛ لأنه ليس بلازم أن يكون التقديم للتخصيص المفيد حصول العلم، فقد يكون لمجرد الاهتمام، ولا تكون النسبة - والحالة هذه - معلومة، فتؤدى (هل) دورها في طلب التصديق. وكذلك يحتمل أن يكون مفعولًا بمحذوف تقديره في مثل: هل زيدًا ضربت: هل ضربت زيدًا ضربته، وحينئذٍ لا يكون تقديم. وهذا قول الشارح هنا: وإنما لم يمتنع لاحتمال كون زيد مفعول محذوف.

وإنما لم يصح: هل زيدًا ضربته لجواز تقدير المفسر قبل (زيدًا).

و (هل) في الأصل بمعنى (قد)[1].

وتخصص المضارع للاستقبال[2].

ولذا امتنع: هل تضرب زيدًا وهو أخوك؟[3].

ولاختصاص التصديق بها، وتخليصها المضارع للاستقبال، كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر.

فلذا كان [قوله تعالى]: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٨٠]. «[الأنبياء ٨٠] أدل على طلب الشكر من (فهل تشكرون) أو (فهل أنتم تشكرون)؛ لأن إبراز ما يتجدد في معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله[4].

---

(١) **قال الدسوقي**: أصل هل بمعنى قد (أهل) بهمزة الاستفهام إشارة لذلك، قال أبو حيان في الإفصاح: وذكر جماعة من النحويين وأهل اللغة أن هل قد تكون بمعنى قد مجردة عن الاستفهام وربما فسروا بذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [سورة الإنسان: ١]،، ثم إن المراد بمعنى قد المذكورة قيل التقريب أي: قد أتى على الإنسان قبل زمان قريب طائفة من الزمان الطويل الممتد لم يكن شيئا مذكورا، كذا في الكشاف، وفسرها غيره بقد خاصة، لكن حمل قد على معنى التحقيق لا على معنى التقريب وحملها بعضهم على معنى التوقع، وكأنه قيل لقوم يتوقعون الخبر في شأن آدم: قد أتى على الإنسان، وهو آدم حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا، وذلك الحين من كونه طينا. حاشيته على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ٣٣٥ تحقيق عبد الحميد هنداوي.

(٢) تخليص المضارع للاستقبال بحكم الوضع كالسين وسوف لذلك لا يصح أن تستعمل فيما يراد به الحال نحو: هل تضرب زيدًا وهو أخوك، (وهو المثال الذي ذكره الشارح هنا) ويصح ذلك في الهمزة وإنما يصح: هل يجتهد محمد أو هل محمد يجتهد ومن أجل ذلك كان اختصاصها بالفعل أقوى من اختصاصها بالاسم ولا يُعْدَل عن الفعل إلى الاسم إلَّا لنكتة بلاغية لأنه يؤدى إلى إبراز ما يحصل في صورة الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

(٣) لأنه ناظر إلى الحال، وليس الاستقبال، وقرينة ذلك قوله: وهو أخوك.

(٤) ولا يُعْدَل عن الفعل إلى الاسم إلَّا لنكتة بلاغية، لذلك عدل هنا فقال: فهل أنتم شاكرون؟ وكان أبلغ لتلك النكتة، فهذا التركيب أدل على طلب الشكر من قولك: هل تشكرون، وذلك لأن الفعل لازم بعد (هل) والعدول عنه يدل على قوة الداعي لذلك. ومثله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة: ٩١]. و﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة هود: ١٤].

ومنه: أفأنتم شاكرون؟ وإن كان للثبوت؛ لأن هل أدعى للفعل في الهمزة، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله.

ولذا لا يحسن: هل زيد منطلق إلا من البليغ العالم بمقتضيات الأحوال(١).

[أنواع (هل) باعتبار البساطة والتركيب]

وهل: قسمان.

ما يطلب بها وجود الشيء، وهي: البسيطة نحو: هل الحركة موجودة؟

---

(١) وهذا قول العلامة ابن يعقوب المغربى «ترك اللازم لا يكون إلَّا لشدة الاهتمام؛ ولأن هل فيها هذه اللطيفة وهي أنها أدعى للفعل، فلا يترك معها إلَّا لشدة الاعتناء بمفاد المعدول إليه، بخلاف الهمزة لا يحسن العدول فيها عن الجملة الفعلية إلَّا من البليغ؛ لأنه هو الذي يتأتى له مراعاة الاعتبارات، وإفادة اللطائف بالعبارات. **ينظر**: شروح التلخيص٢ / ٢٥٩.

ملحوظة مهمة: يلاحظ بعد ذلك أن (هل) لا تدخل على: المنفي فلا يقال: هل لم يقم زيد؟ ولا على المضارع الذي هو للحال كما سبق، ولا على (إن) ولا على الشرط، ولا على حرف العطف، والهمزة تخالفها في كل ذلك كما سيأتي.

ويلاحظ أن (هل) لا تختلف عن الهمزة في: مجيئها للتقرير، والتثبيت، والإنكار، والتعجب، ونحو ذلك.

وهاك بعض شواهدها من القرآن، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ [سورة الفجر: ٥]، الاستفهام هنا يراد منه التأكيد.

قال الإمام الرازي في بيانه: كمن ذكر حجة باهرة ثم قال: هل فيما ذكرته حجة؟ والمعنى: أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله تعالى به من هذه الأشياء فيه عجائب، ودلائل على التوحيد، والربوبية، فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه.

وكقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩﴾ [سورة طه: ٩]. يقصد من الاستفهام تقدير الجواب في قلبه، وفي قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩﴾ [سورة الشعراء: ٣٨-٣٩] نلحظ معنى الأمر في (هل) هنا لقوة الحث على الاجتماع، ومثلها ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٤﴾ أي أسلموا، وهناك أي اجتمعوا، وفي قوله تعالى: ﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]. ﴾ الاستفهام بمعنى النفي أي ما لنا من الأمر من شيء، وهكذا تجد السياق يحدد المعاني ويدل على المطلوب.

وما يطلب بها وجود شيء لشيء وهي: المركبة نحو: هل الحركة دائمة؟[١]

وما: أي الذي هو أي لا غير[٢]

[**لا**][٣] **همزة** من باقي أدوات الاستفهام.

فتصور: أي لطلبه فقط[٤].

[معاني أدوات الاستفهام التي تفيد التصور فقط]

فطلب بـ:

(ما): [١] شرح معنى الاسم نحو: ما العنقاء؟

أو: [٢] ماهية المسمى، أي حقيقته من جوهر، أو عرض، نحو: ما الحركة؟

وتقع هل البسيطة بين قسمي (ما) فيسأل عن شرح الاسم بـ (ما) ثم عن وجوده بـ (هل)، ثم عن حقيقته من جوهر، أو عرض بـ (ما) فيقال: ما الحركة؟ هل هي موجودة؟ وما

---

(١) **شرح ذلك ابن يعقوب المغربي فقال**: يعني أن (هل) قسمان: أحدهما: تسمى بسيطة، وهي التي يطلب بها وجود الشيء كقولنا: هل الحركة موجودة؟ والثاني: مركبة وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء كقولنا: هل الحركة دائمة؟ ولك أن تقول: لا يطلب وجود شيء إلا لشيء؛ لأن الوجود لا يقوم بنفسه، ولكن المراد بالأول الصفة، وبالثاني حال يعرض للصفة، ثم لك أن تقول ذلك، ولكن لا يختص بهل بل الهمزة كذلك، ثم البساطة والتركيب ليسا في (هل) بل في متعلقها. ثم قوله: يطلب بها وجود يرد عليه أنه قد يطلب بها العدم والتحقيق أنه لا يطلب إلا النسبة الواقعة من وجود وعدم، فليحمل قولهم الوجود على تحقق النسبة من وجودها وعدمها. عروس الأفراح ٢/ ٤٤٠.

(٢) معنى ذلك: أن (هل) كما سبق لطلب التصديق لا غير، وهو إدراك النسبة كما مضى.

(٣) (لا) ساقطة من الأصول وهي موجودة في المنظومة.

(٤) أي ما عدا (هل) غير الهمزة فللتصور، بمعنى: أن كل الأدوت تفيد التصور، ما عدا هل، فهي للتصديق كما سبق، وما عدا الهمزة فهي لهما؛ أي للتصور، والتصديق، كما يجلى بعد قليل. هذا مفهو نص الشارح، ونظم الناظم. فهذه ثلاثة أقسام لأدوات الاستفهام: التصديق فقط، وله (هل)- التصور فقط، وله بقية أدوات الاستفهام وفي الهمزة - التصور، والتصديق، وهذا خاص بالهمزة؛ لذلك فهي أم الباب.

حقيقتها؟ ويطلب عن العارض المشخص لذي العلم نحو: من في الدار؟

ويسأل بـ (أي) عما يميز أحد المشاركين في أمر يعمهما، نحو: [قوله تعالى]: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة مريم: ٧٣].

وبـ (كم) عن العدد نحو: [قوله تعالى]: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١١].

وبـ (كيف) تعيين الحال[١].

وبـ (متى) تعيين الزمان[٢].

وبـ (أيان)[٣] الزمان المستقبل، وتستعمل في مواضع التفخيم [١١ب] نحو قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الذاريات: ١٢].

ولـ (أنى) استعمالان: (كيف) نحو: [قوله تعالى]: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٣]، وبمعنى (من أين) نحو: [قوله تعالى] ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [سورة آل عمران: ٣٧].

وهي:[٤] أي الهمزة.

هما:[٥] أي: لطلب تصديق نحو: أزيد قائم؟ وأقام زيد؟ أو لطلب تصور المسند إليه نحو: أدبْس في الإناء أم خل؟ أو لتصور المسند نحو: أدبسك في الخابية أم في الزق؟ ولذا لم يصح: أزيد قام؟ ولا عمرًا عرفت.

والمسؤول عنه بها ما يليها، كالفعل في: أضربت زيدًا؟ أو المفعول في: أزيدًا ضربت؟

(١) كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨].

(٢) كقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤]. ﴾.

(٣) قوله وبـ (أيان) ساقطة من (ب)..

(٤) عاد لنص المنظومة هنا.

(٥) أي الهمزة للتصور والتصديق.

والفاعل في نحو: أأنت ضربته؟[1]

---

(١) ولكونها أم الباب فلها من الخصوصيات ما ليس لغيرها من أدوات الاستفهام الأخرى، ولابد للقارئ من الإحاطة بذلك، وبيانه كما يأتي:
الهمزة هي أم باب الاستفهام لأنها عريقة فيه وضعًا بخلاف غيرها من أدوات الاستفهام الأخرى، فالاستفهام طارئ عليها وتفيده بالتضمين، كما أنها أبسط أدوات الاستفهام وأخفها استعمالًا، وإذا حذف الاستفهام فإنَّه لا يقدر سواها، وتحذف من الكلام ويبقى معناها وعملها فيه كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٧]، أي: أمنه كما سيأتي بيانه.
ويسأل بها عن كل شيء في الجملة من أحد عناصرها أو قيودها ويسمى ذلك تصورًا، أو العُرَى التي بينها وهي النسبة ويسمى ذلك تصديقًا.
- تدخل على حروف العطف، لأنها من الحروف التي لها الصدارة، وتدخل على النفي كما تدخل على الإثبات كما يأتي:

١- دخولها على حروف العطف:

فمن خصائص همزة الاستفهام أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو الفاء أو ثم قدمت على العاطف تنبيهًا على أصالتها في الصدارة نحو: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ [**سورة الأعراف**: ١٨٥]. (و ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [**سورة الحج**: ٤٦]. (و ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ [**سورة يونس**: ٥١]. وأخواتها تتأخر عن حروف العطف نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨]، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة التكوير: ٢٦]، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ٩٥]..

٢- دخولها على النفي:

تدخل همزة الاستفهام على النفي كما تدخل على الإثبات ولها خصائصها ومعانيها التي تتولد من سياقها في كل بيان، ويلاحظ أن جل شواهدها الداخلة على النفي تفيد معنى التقرير والتقوية والتثبيت.
ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [سورة التوبة: ٧٠].
نجد أن المعنى أتاهم نبأ الأقوام، وقد أراد الحق تذكيرهم وتقديرهم بذلك زيادة في توبيخهم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة التوبة: ١٠٤]. هذا تبشير وتقرير بقبول توبتهم وكثيرًا ما يأتي التقرير تسلية وتثبيتًا كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٦].
فالمنصوص عليه هو إنكارهم الكفاية، وهذا التقرير تحقيق لثبوتها، ومنه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [سورة الشرح: ١]، ويأتي كذلك للتهديد كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٧].

٣- تحذف الهمزة ويبقى معناها:

هذا مما تفرد به الهمزة أيضًا، ولا بد لهذا الحذف من دليل إمَّا من اللفظ وإمَّا من المعنى، ومن أدق =

[المعاني المستفادة من الاستفهام]

٦٣- وَقَـدْ لِـلِاسْـتِـبْـطَـاءِ، وَالـتَّـقْـرِيْـرِ   وَغَـيْـرِ ذَا يَـكُـونُ، وَالـتَّـحْـقِـيْـرِ

و: هذه الكلمات الموضوعة للاستفهام.

قد: للتكثير، وفصل للضرورة بينها وبين مدخولها وهو قوله:

يكون قدم متعلق الفعل لذلك وهو قوله:

كالاستبطاء والتقرير وغير ذا: المذكور منها.

= هذه الشواهد قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [سورة الأنعام: ٧٦].

نلحظ أن الوقف على قوله: هذا ربي، فيه معنى الاستفهام، ولا يمكن أن يكون على طريق الخبر، لأن سيدنا إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان حنيفًا مسلمًا. ومن ثم فطريق الاستفهام الإنكاري أخلق بالسياق إلَّا أنه أسقط حرف الاستفهام أي أهذا ربي استغناء عنه لدلالة الكلام عليه وقد جاءت الآية في سياق الاستدلال على قدرة الله. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ [سورة النحل: ٩٢]، فقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ استفهام على سبيل الإنكار، والمعنى: أتتخذون... إنكارًا للتلاعب بالأيمان ونقضها بعد توكيدها.

ومنه قوله تعالى حكاية عن إبليس -لعنه الله-: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾ [سورة الإسراء: ٦٢] أي أهذا، وحذف هنا للدلالة عليه بسابق الكلام. وهكذا. ينظر الكشاف ٣/ ٤٩٢.

معـــــاني (أم)

علمت فيما سبق أن (أم) تكون متصلة وتكون منقطعة، وأشرت لك إلى الفروق بينهما، وإليك لمحة موجزة حول معانيها:

١ - (أم) معناها معنى حرف الاستفهام أو حرف العطف، وهي تشبه من حروف العطف (أو).

٢ - تكون للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفًا على شيء آخر مذكورًا أو مضمرًا، كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الجاثية: ٢١]، تقديره أفيعلم المشركون هذا أم يحسبون أنا نتولاهم كما نتولى المتقين.

٣ - (أم) استفهام متوسط كما أن (هل) استفهام سابق فلا يجوز أن تقول: أم عندك رجل؟ ابتداء.

يكون: أي كثيرًا ما تكون هذه الكلمات مستعملة في غير الاستفهام بمعونة القرائن، وتلك المعاني المجازية[1]:

الاستبطاء[2]: نحو كم دعوتك؟ أي كثيرًا من المرات دعوتك فلم تجب، ....

---

(١) انتهينا فيما سبق إلى أن الاستفهام يقصد به طلب الفهم لأمر لم يكن معلومًا، ولكن قد لا يكون المقصود منه طلب الفهم بل أمر آخر يترتب على ذلك ويوحى به السياق وتدل عليه القرائن والاستفهام باق فيها على طبيعته، ويراد به ما وراء معنى الاستفهام من استبطاء، وتعجب، وتنبيه على الضلال، ووعيد، وتقرير، وإنكار، وتهكم، وتحقير، وتهويل وتفخيم، واستبعاد، وزجر، وعرض، وتشويق، وتسوية، ونهي، ونفي وتعظيم، وتكثير.
وهذه المعاني ونظائرها أطلق عليها بعض المتأخرين المعاني المجازية واضطربت كلمتهم في ذلك وكأنهم لم يقتنعوا بما يقولون، فهذا سعد الدين التفتازاني يقرّ بأن دلالة الاستفهام على هذه المعاني لم يسبق في بيان المتقدمين **فيقول معلقًا على كلام الخطيب**: «ثم إن هذه الكلمات كثيرًا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن، وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أي نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله.
ويعلق على ذلك السيد الشريف بقوله: «وذلك لصعوبة بيان علاقة المجاز وكيفية المناسبة المجوزة له» وتتحقق تلك الصعوبة وهذا التكلف المشار إليه في تحليلهم لبعض شواهد الاستفهام مما يدل على عدم ثباتهم على القول بأنها معان مجازية، ففي بيان التنبيه على الضلال في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [سورة التكوير: ٢٦]. يقول الدسوقي: قال السيد: فاستعمال صيغة الاستفهام في التنبيه المذكور من استعمال اسم الملزوم في اللازم، قال عبد الحكيم: ولك أن تجعل اللفظ مستعملًا في الاستفهام ليتوصل به إلى التنبيه على طريق الكناية أو يجعل اللفظ مستعملًا في الاستفهام مع التنبيه على أنه من مستتبعات الكلام». ينظر: المطول ٢٣٥، وشروح التلخيص ٢/ ٢٩٢.
وهذا وما يشبهه في بيانهم يدل على عدم تثبتهم في عدها من باب المجاز أو الكناية أو مستتبعات التراكيب.
والجدير بها أن تكون من مستتبعات التراكيب؛ لأن الاستفهام موجود مع كل معنى من هذه المعانى، بل هو كما قال شيخنا الدكتور / أبو موسى «يهيئ النفس لتتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر ومشاعر وصور هي التي جاشت في نفس متلقيه. دلالات التراكيب٢٤٤.
أى أن السياق هوالذي يجيش بهذه الخواطر وتلك اللطائف والاستفهام يساعد على التنبيه إليها ويهيئ النفس إلى التقاطها، فهي ناجمة من التراكيب. وإذا كان ذلك كذلك فلا يمكن أن نقيدها بعطاء واحد فقد يعطي السياق أكثر من معنى، ومِن ثَمَّ فتلك نبضاته وإيحاءاته وليست من قبيل المجاز أو الكناية.

(٢) ويقصد به تأخير الجواب ومثلوا لذلك بقولهم: «كم دعوتك» لمن دعوته فأبطأ في الجواب، فليس =

وهو شكوى من البطء.

والتقرير[1]: أي حمل المخاطب بالإقرار بالمستفهم عنه بإيلائه همزة الاستفهام كقوله

= المقصود الاستفهام عن عدد الدعوة للجهل بها، ولكن يقصد أنه طال انتظاره دون جدوى ومثلوا لذلك أيضًا بقول الله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤].

فالاستبطاء الذي تحدثوا عنه في قولهم: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ﴾ كأن المؤمنين ومعهم الرسول استبطأوا زمن النصر وطال بهم العذاب وقالوا: ألا إن نصر الله قريب تشوقًا إليه ورغبة فيه.

ولكن إذا تأملنا سياق الآية رأينا أن المراد: أن دخول الجنة لا يكون إلَّا بعد تمحيص وابتلاء، كما أن دخول الجنة لا يكون إلَّا بعد كدٍّ ومكابدة وهكذا كان شأن الذين خلوا (ذاقوا البأساء والضراء) وكان رسول الله يتأذى من كيد الأعداء كما حكي القرآن ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة الحجر: ٩٧]، ولكنه يعلم أن الله ينصر دينه وأتباعه.

وفي ذلك يقول الفخر الرازي: السؤال عن القريب؛ لأنه إذا ضاق قلبه وكان قد علم بأن الله ينصره قال ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ﴾ حتى إنه إن علم قرب الوقت زال همه وغمه وطاب قلبه، ودليل ذلك في الجواب ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ فلما كان الجواب بذكر القرب دل على أن السؤال كان واقعًا عن القرب، ولو كان السؤال عن عدم وقوع النصر لما طابقه هذا الجواب.

ولكن السياق فيه ما يوائم هذا الاستبعاد ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ﴾ فهذا إنكار لحسبانهم هذا واستبعاد له، ثم فيه تخويف لهم بقرب الابتلاء وذلك في التعبير بـ (لما) ولفظ المثل الذي يَرِد بمعنى القصة الغريبة والحال العجيبة.. الخ وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ يطوى وراءه ما يطوى من أحداث وصعاب حركت أشدهم ركانة وأصبرهم على الأمر وفي ضوء هذا ندرك معنى الاستبطاء هكذا قال شيخنا الدكتور أبو موسى، ولكن - كما سبق هو استبطاء رغبة وتشوق وليس استبطاء من بلاء الله يدل على ذلك ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

(١) وهو من أهم الأغراض التي وقف عندها البلاغيون ويراد به حمل المخاطب على الإقرار بما تضمنه الاستفهام ولا بد أن يلي المقرر به الهمزة إن كانت هي الأداة فتقول: أأنت فعلت إذا أردت تقريره بأنه الفاعل و(أهذا فعلت) إذا أردت تقريره بالمفعول. ومنه الشاهد الذي ذكره، والمعنى: بلى قد شرحنا لك صدرك.

ومن شواهد التقرير بالفاعل قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٦٢]، فقد أرادوا حمله على الإقرار بأنه الفاعل، ولم يريدوا تقريره بالفعل لأنه واقع ومشار

تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [سورة الشرح: ١].

والتحقير: نحو قولك: من هذا؟ وما هذا؟[1] ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ﴾ [سورة الدخان: ٣٠-٣١]، بلفظ الاستفهام، ورفع فرعون.

ودخل تحت قوله (وغير ذا):[2]

إليه، ولا معنى بأن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان.

وقد فرق الإمام عبد القاهر بين (أفعلت، وأأنت فعلت) بأن الأول: يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره وكان كلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة، وإذا قال: أأنت... كان قد ردَّد الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في نفس الفعل تردد ولم يكن كلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أكان الفعل أم لم يكن بدلالة أنك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار إليه.

وقد يوجد في الكلام قرينة تدل على أن المقرر به ليس هو ما يلي الهمزة، كقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، فليس المراد التقرير بما دخلت عليه الهمزة لأنه لم يقل لهم هذا، وإنما المراد التقرير بما يعرفه من أنه لم يقل لهم هذا.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢]، وهمزة التقرير إذا دخلت على الموجب نفته وإذا دخلت على المنفي نفته، ونفي النفي إثبات، والمعنى هنا على إثبات الربوبية.

ويقول جرير في مدح بني أمية: (الوافر)

أَلستُم خيرَ من رَكِبَ المَطايا ... وأَندى العالَمينَ بُطونَ راحِ

فهو لم يستفهم على سبيل الحقيقة لأن فضل بني أمية لا يجهله أحد، وإنما يريد إثبات ذلك لهم، ثم تأمل منه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفيل: ٢]، و﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [سورة الشعراء: ١٨].

ومن دخولها على المثبت ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [سورة يونس: ٥٩].

فإذا كانت أداة التقرير هي (هل) فإن المقصود هو النسبة وراجع شواهدها السالفة، وإذا كان التقرير بأسماء الاستفهام الأخرى فيكون للتقرير بما يسأل عنه كقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١١]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٦]، هذا سؤال للتقرير بالآيات البينات التي جاءتهم في الأولى، وفي الثانية نلحظ أنهم علموا شدة إنكار الله عليهم وإتيانه الأمر المنكر من استئصالهم.

(١) تقول هذا استحقارًا لشأنه مع أنك تعرفه.

(٢) أي في بيت المنظومة.

التعجب: نحو [قوله تعالى حكاية عن سليمان - عَلَيْهِ السَّلَامُ]» ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [سورة النمل: ٢٠][١].

والتنبيه على الضلال: نحو [قوله تعالى]: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦)﴾ [سورة التكوير: ٢٦][٢].

---

(١) فهو يسأل: أعرض لي ما منعني من رؤيته بعد أن نظر إلى مكانه فلم يره ظنًا منه أن هناك ساترًا حجبه عنه لذلك أراد أن يتحقق من ذلك فقال: أم كان من الغائبين و(أم) هنا منقطعة بمعنى بل كأنه يسأل عن صحة ما لاح له فالاستفهام أشرب معنى التعجب لأن غياب الهدهد لم يكن أمرًا معتادًا.
كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)﴾ [سورة هود: ٧٢]، فقولها: ﴿أَأَلِدُ﴾ استفهام تعجب، لا إنكارًا لقدرة الله سبحانه ولكن استعظامًا لها وتعجبًا منها، كيف يكون هذا وقد أربت على التسعين من العمر.
ومنه قول المتنبي: (الوافر)

أَبِنتَ الدَهرِ عِندي كُلُّ بِنتٍ فَكَيفَ وَصَلتِ أَنتِ مِنَ الزِحامِ؟!

يخاطب الحمى التي أصيب بها، وسماها بنت الدهر لأن بنات الدهر هي شدائده ومصائبه، فهو يتعجب من شأنها، كيف وصلت إليه وهو مليء بأنواع الشدائد. ومنه قول أبي تمام: (الكامل)

ما لِلخُطوبِ طَغَت عَلَيَّ كَأَنَّها جَهِلَت بِأَنَّ نَداكَ بِالمِرصادِ

يتعجب أبو تمام من تراكم شدائده في حين أن ممدوحه لها بالمرصاد يدفعها عنه بنداه وعطاياه لذلك قال: كأنها جهلت... الخ.

(٢) لا بد من النظر في السياق ليتسنى الوصول إلى هذا المعنى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦)﴾ [سورة التكوير: ١٥-٢٦].
فلا ريب أن القسم بهذه الكونيات من: النجوم الخنس أي التي ترجع إلى مطالعها، الجوار الكنس أي الجاريات حتى تغيب، والليل إذا أقبل بظلامه، والصبح إذا امتد حتى يصير نهارًا...
القسم بها على أن هذا القرآن جاء به جبريل وأضيف إليه لنزوله به، فهو شديد القوى له مكانة عند الله سبحانه، تطيعه الملائكة في السماوات أمينٌ على ما جاء به ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، معطوف على ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وعبر بقوله ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾؛ لأن في ذكر صحبتهم له إشارة إلى أنهم أعرف النَّاس برجاحة عقله وزكاة قلبه، ولقد رأى رسول الله جبريل على صورته... وإذا علمتم قوة الأمين الذي جاء بالوحي، وفطانة رسول الله ﷺ في التبليغ وأنه لا يكتم منه شيئًا، وما هو بقول شيطان رجيم، إذا أحطتم بذلك علمًا فأى طريق تسلكون في الإنكار والإعراض وهذا استضلال لهم فيما يسلكون في =

والوعيد: كقولك لمن يسيء الأدب: ألم أؤدب فلانًا؟ إذا علم المسيء المخاطب.

والاستبعاد: نحو [قوله تعالى]: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [سورة الدخان: ١٣]، أي أنهم يبعد إيقاظهم وتذكرهم بها؛ لفرط جهلهم[١].

والإنكار: بإيلاء المنكر الهمزة نحو [قوله تعالى] ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٠][٢]. ونحو: أضربت زيدًا؟ ونحو: أأنت ضربت؟

ومنه [قوله تعالى] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سورة الزمر: ٣٦]، أي: الله كاف؛ لأن نفي النفي إثبات.

قال الخطيب: وهذا مراد من مثَّل بالآية للاستفهام التقريري، أي: التقرير بما دخله النفي، لا بالنفي[٣].

= أمر القرآن، وتنبيه على غفلتهم وبيان لقمة ضلالهم وبعدهم عن الحق... أرأيت كيف انتهى السياق إلى بيان المعنى والمراد، وهذا كمن يقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها: هذا الطريق الواضح فأين تذهب.

(١) ومن شواهد الاستبعاد أيضا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧]، فقد أظهروا التولي عن طاعته والإعراض عن حكمه لما علموا بتوليته عليهم، واستبعدوا ذلك لأن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بني إسرائيل، وليس أدل على هذا الاستبعاد من قولهم (ونحن أحق بالملك منه).
ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥]، هذا تنبيه على أن أمور الدنيا لا تسير على نهج واحد وأي استبعاد لتلك الهزيمة، وسر تعجبهم منها أنهم ينصرون الإسلام وهؤلاء ينصرون الشرك ولما كان الأمر كذلك فهم يستبعدون الهزيمة، لذلك قال الحق لهم: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة ق: ٢-٣].

(٢) أي ينكر عليهم أن يكون غير الله بمثابة من يستحي أن يدعى، وهذا سفه بالغ.

(٣) ينظر الإيضاح ٣/ ٧٤ بتحقيق الدكتور خفاجي، **وقد شرح الموضوع بهاء الدين السبكي** فقال: يعني أن من قال: إنها للتقرير أراد تقرير ما دخله النفي وهو الله كاف عبده، ومن قال للإنكار أراد إنكار الجملة المنفية، والأول هو معنى قول الزمخشري: إن الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]. =

[أنواع الإنكار المتولد من الاستفهام]

والإنكار المتولد من الاستفهام، إما: للتوبيخ(١).

أو للتكذيب(٢).

= للتقرير، وما قاله متعين إن كان الخطاب في ألم تعلم للنبي أو لأحد من المسلمين، وإن كان الخطاب لجنس الكافر الجاحد لقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيحتمل أن يقال: الاستفهام للتوبيخ، بمعنى أنهم وبخوا على عدم العلم، وإن كان مع الكافر المعاند بلسانه فقط فيصح أن يكون استفهام إنكار وتكذيب لهم فيما يتضمنه كفرهم من قولهم: إن الله تعالى ليس كذلك، وهذه الاحتمالات الثلاثة في أن الخطاب للمسلمين أو لأحد من المسلمين أو الجاحدين من مشركي أهل مكة أو المنكرين بألسنتهم وهم اليهود، وهي أقوال ثلاثة حكاها الإمام فيما يعود إليه ضمير: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٨].

فالظاهر أن الخطاب في ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ للواحد من صاحب ذلك الضمير. عروس الأفراح ١/ ٤٥٣ تحقيق د عبد الحميد هنداوي.

(١) الإنكار التوبيخي يكون على فعل قد وقع أو يقع، والمقصود بالإنكار أنه ما كان ينبغي أن يكون، أو أنه لا ينبغي أن يكون، فإذا دخلت على الماضي كان المراد ما كان ينبغي أن يكون، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [سورة الكهف: ٣٧]، ونحو ذلك.

وإذا دخلت على المضارع كان المعنى: لاينبغي أن يكون، كقوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة الصافات: ١٢٥]، و﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة غافر: ٢٨]، و ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الصافات: ٩٥]، والمقصود بكل ذلك التقرير بما يلي الهمزة.

(٢) الإنكار التكذيبي أو الإبطالي، ومعناه في الماضي (لم يكن) وفي المضارع (لن يكون) ومنه قوله تعالى ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ ﴾ [سورة الإسراء: ٤٠]، أي: لم يفعل الذي تدعون، وهو خطاب لمن اعتقد أن الملائكة بنات الله وأنه – سبحانه – خصنا بالذكور وخص نفسه بالبنات، فليس المراد توبيخهم بل تكذيبهم وإبطال دعواهم بمعنى لم يكن، **ونحوه قوله تعالى:** ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة الصافات: ١٥٣-١٥٤]، **ومن المضارع بمعنى (لن يكون)** قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة هود: ٢٨]﴾ أي أنكرهكم على قبول الهداية =

أو للتهكم. نحو [قوله تعالى حكاية عن] قول قوم شعيب ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ [سورة هود: ٨٧][1].

= والحجة والحال أنكم لها كارهون، بمعنى لا يكون هذا الإلزام، ومنه قول امرئ القيس: (الطويل)

أَيَقْتُلُني وَالمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ... وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه وهو إنكار للقتل وأنه لن يكون.

وهناك لون آخر من الإنكار يتحقق بغير المألوف من إيلاء المنكر الهمزة، فقد تدخل على الفاعل والمراد إنكار الفعل وقد تدخل على المفعول والمراد إنكار الفعل.

ويكون هذا بملاحظة خصوصية معينة، وهي أن لا يكون لهذا الفعل على فرض وقوعه فاعل إلا فاعل واحد، فإذا وجهت الإنكار إلى هذا الفاعل أفاد ذلك بطريق اللزوم نفي الفعل نفسه.

وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة يونس: ٥٩]. فقوله سبحانه: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [سورة يونس: ٥٩]، الإنكار فيه موجه إلى المسند إليه، والمراد إنكار الإذن لأنه إذا لم يكن قد كان من الله فلن يكون من غيره، وهذا طريق أوكد في نفي الفعل وأنه لم يكن، والإذنُ راجع إلى قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [سورة يونس: ٥٩]، والمعنى على إنكار أن يكون من الله إذن فيما قالوه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٣]، فالمراد إنكار التحريم من أصله، ونفي أن يكون قد حرم شيء مما ذكروا أنه محرم، وذلك أن الكلام وضع على أن يجعل التحريم كأنه قد كان، ثم يقال لهم: (أخبرونا عن هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو؟ أفي هذا أم ذاك أم في الثالث؟) ليتبين بطلان قولهم ويظهر مكان الفرية منهم على الله تعالى.

فالمراد هنا إنكار الفعل، وهو ليس واليًا للهمزة، ولهذا الأسلوب مزايا منها:

١ - أن تفترض أن الشيء قد وقع ثم تأخذ في استقصاء المظاهر الضرورية لوقوعه فتنفيها واحدًا واحدًا، وينتهي هذا إلى نفي الفعل بالضرورة وفي هذا إيناس وإقناع.

٢ - أن مسلك المعنى فيه مسلك الاقتضاء واللزوم وهو أبعث لحركة النفس وأكثر إنهاضًا للفكر وتنشيطًا له، لأنه يفيد نفي الفعل بطريق الكناية.

وهكذا تكثر هذه المتولدات التي يشعها السياق ويوحى بها المعنى.

(١) الآية التي ذكرها، وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ شاهد على التهكم، ولم يستشهد للنوعين الآخرين. وكان شعيبًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ =

ولا تنحصر المعاني المجازية[١] فيما ذكره، ولا في أداة من أدوات الباب دون أخرى[٢].

والحكم في ذلك هو سلامة الذوق، وتتبع التراكيب، فلا ينبغي أن تقتصر على معنى سمعته، أو مثال وجدته من غير تخط عنه، بل عليك بالتصرف واستعمال الروية، فافهم.

[أسلوب الأمر]

٦٤- وَالْأَمْــرُ وَهْــوَ طَلَـبُ اسْتِعْـلَاءِ وَقَـــدْ لِأَنْـــــوَاعٍ يَــكُــونُ جَــاءِ

والأمر: عطف على التمني لأوليّته وانفراده بالمتبوعية، أو على الاستفهام لقربه، والوجهان جائزان فيما تعدد فيه المعطوف.

وهو لطلب: أو هو القول الدال على طلب الفعل على سبيل الاستعلاء[٣].

= كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلي تضاحكوا فقصدوا بقولهم أصلاتك تأمرك المخاطب.. استهزاءً به، سخر الله منهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

(١) سبقت مناقشة هذه التسمية.

(٢) بل تأتي هذه المعاني المتولدة من الاستفهام على اختلاف أدواته كما مضى من خلال الشواهد على الأدوات التي للتصور فقط.

كما أن للاستفهام معان أخرى فيما ذكر منها:

الأمر: كقوله تعالى ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [سورة المائدة: ٩١]، أي: انتهوا.

والنهي: كقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٣].

والنفي: كقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [سورة الرحمن: ٦٠].

والتسوية: كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [سورة البقرة: ٦].

والتشويق: كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ [سورة الصف: ١٠].

والتعظيم: كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

وهكذا كلما تفرست معالم السياق أضاء لك بهذه المعاني، ويمكن أن يشع السياق الواحد بأكثر من معنى منها.

(٣) وحده البلاغيون بأنه طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء، وهذا الطلب وقف عنده الأصوليون من جهة الوجوب والندب والإباحة في مسائل الشرع من جهة التحليل والتحريم، ووقف عنده البلاغيون من جهة دراسة فقه المعنى وما ينطوي عليه من أسرار، والاستنباط الفقهي مؤسس على الدراسة البلاغية ولا يصح إلَّا بمراعاتها...

الاستعلاء: واستعلاء منصوب على التمييز.

[صيغ الأمر]

[فعل الأمر - المضارع المقترن بلام الأمر - اسم فعل الأمر - المصدر النائب عن فعل الأمر]

والأظهر أن من صيغه:

الأمر المعرف باللام نحو: ليحضر زيدا.

وبغيرها اسما: رويد زيدًا.

أو فعلا نحو: أكرم عمرا.

أو صيغة موضوعة للدلالة على ما ذكر حقيقة لتبادر عند سماع تلك الصيغة لذلك المعنى وهذا علامة الحقيقة(١) [١٢أ].

وقد: للتكثير غير طلب الفعل الموضوع له صيغه.

***

(١) ومن شواهد هذه الصيغ:

فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [سورة التوبة: ١١٩]، وكقول الإمام علي -كرم الله وجهه- في رسالته التي بعث بها لابن عباس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - وكان عاملًا بمكة: أما بعد فأقم للناس الحج وذكرهم بأيام الله واجلس لهم العصرين فأفت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم».

المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾ [سورة الحج: ٢٩].

اسم فعل الأمر نحو: صه، ومه/ وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥].

المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، ونحو: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [سورة محمد: ٤].

[المعاني التي تفيدها صيغ الأمر]

لأنواع يكون: الأمر مجازًا[١].

جاء: جملة فعلية مستأنفة، أو حالية بإخبار قد، وذلك بحسب القرائن، ومعونة المقام، إما بأن لا يكون بطلب أصلًا، أوله لكن لا على سبيل الاستعلاء.

كالالتماس[٢]: كقولك لمن يساويك رتبة: افعل بدون استعلاء وتضرع؛ إذ الطلب بالأول أمر وبالثاني دعاء.

والإهانة: نحو: [قوله تعالى]: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ [سورة الإسراء: ٥٠]، إذ المقصود قلة المبالاة بهم، لا طلب كونهم كذلك[٣].

والتعجيز: نحو: [قوله تعالى]: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٣]، ليس الغرض طلب إتيانهم بسورة بقرينة كونه معجزًا ....

---

(١) سبقت مناقشة قضية مجازية هذه المعاني في الاستفهام وهو كلام ينطبق على جميع أساليب الإنشاء.

(٢) من المعاني التي يفيدها أسلوب الأمر:
الالتماس: إذا استعمل على سبيل التلطف كقولك لمن يساويك في الرتبة افعل بدون استعلاء، والفرق بينه وبين الأمر والدعاء أي الفرق بين هذه الثلاثة هو: أن مناط الأمر في الطلب هو الاستعلاء ولو من الأدنى ومناط الدعاء في الطلب التضرع والخضوع ولو من الأعلى كالسيد مع عبده ومناط الالتماس في الطلب هو التساوي مع نفي التضرع والاستعلاء.

(٣) ومن شواهد ذلك الدالة على الزجر والإهانة أيضا: قوله تعالى في شأن إبليس - لعنه الله - ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٨]، والذأم: هو الاحتقار والذم، والدحر: هو الطرد والتبعيد وهذا الخطاب يدل على الزجر والإهانة
وكقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الدخان: ٤٩]، أراد الذليل المهين، ولكنه عبر بذلك ليكون أبلغ في الزجر والإهانة.
وقول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر: (البسيط)

دَعِ المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعدْ فإنَّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسِي

على ما عرف بالوجدان[١].

والإباحة: نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين، لمن توهم عدم جواز المجالسة معهما، فله مجالسة أحدهما، وأن لا يجالس أحداً[٢] بقرينة الحال؛ لأنه في مقام الإذن[٣].

والتهديد نحو [قوله تعالى]: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [سورة فصلت: ٤٠]؛ لأن المقصود منه ضد لمفهوم الأمر[٤].

---

(١) ومِن ثَمَّ يتبين أنه ليس المراد أمرهم على وجه التكليف، وإنما المراد إظهار عجزهم عن الإتيان لإقامة الحجة عليهم في ترك الإيمان.
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].
وقال الشاعر: (الطويل)

أروني بخيلًا طالَ عمرًا ببخله ... وهاتوا كريمًا مات من كثرة البذل

وقول جرير يفخر بآبائه: (الطويل)

أُولـئكَ آبـائي، فَجِئْني بِمِثْلِهِمْ ... إِذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المَجامِعُ

(٢) في الأصل: أحد.

(٣) ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير: (الطويل)

أَسيئي بِنا أَو أَحسِني لا مَلومَةً ... لَدَينا وَلا مَقلِيَّةً إِن تَقَلَّتِ

أى لا أنت ملومة ولا مقلية، ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت الأمر حتى كأنه مطلوب، أي مهما اخترت في حقي من الإساءة والإحسان فأنا راضٍ به غاية الرضا فعامليني بهما وانظري هل تتفاوت حالي معك في الحالين، ولذلك قال بعده: (الطويل)

هنيئًا مريئًا غَيْرَ داء مُخامر ... لعزَّةَ من أعراضنا ما استحلَّتِ

ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

(٤) كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٣٥]، الخطاب للنبى ﷺ أمره أن يهدد ويعد من ينكر البعث والمعنى كما قال العلامة الرازي: «اثبتوا على كفركم وعداوتكم فإني ثابت على الإسلام وعلى مضارَّتكم ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ أيُّنا لَهُ العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا=

= ﴿شِئْتُمْ﴾ وهي تفويض الأمر لديهم على سبيل التهديد.
و نلحظ أن السياق له دور فعال في إثبات المعنى، لأنه ليس كل أمر كهذا ﴿اعْمَلُوا﴾ يشعر بالتهديد ونحوه، بل المقام هو الذي يحدده فهنا دلائل على ذلك منها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ومنها ما ختمت به الآية ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾)، وكذا في الآية الثانية ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾؛ لأن هذا التعبير ذاته جاء في حديث النبي ﷺ عن أهل بدر حين قال: «... وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وهذا يفيد نهاية الرضا والقبول، وليس فيه تهديد أو وعيد بل يحمل معنى التعظيم لهم والمغفرة لكل أفعالهم.. ويوحي بأن الله عَزَّ وَجَلَّ علم ما في قلوبهم وأراد أن يبين لنا أن من شهد بدرًا لم يُتصور منه ما يغضب الله أبدًا، لذا كان الأمر حاملًا معنى الحرية والارتقاء ونهاية العظمة.
ولكن الأمر ذاته في الآية الكريمة ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ خلاصة لكل معاني التهديد المبثوثة في تضاعيف السياق، تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾ [سورة فصلت: ٤٠]، فقد أخبر عنهم بالإلحاد، أي الميل والانحراف في الدين وهو مستعار لهذا المعنى من معناه الأصلي وهو: الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت، ولا يلحد في آيات الله، سواء النعم، أو الكونيات.. أو غير ذلك مما قصته السورة الكريمة.. لا يلحد في ذلك إلَّا كافر، واستهلال الآية بذلك دليل الغضب الشديد من الله عليهم، وأمارة كبيرة على ذاك التهديد الذي يشع من الآية كلها، ثم تزداد صراحة هذا التهديد وتقوى درجته بعد ذلك في قوله: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، ثم يأتي الاستفهام الذي يقرن بين أمرين: غاية الخوف، وغاية الأمان، ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة فصلت: ٤٠] ؟!
وأشار بعض العلماء إلى أن هذا الاستفهام «فيه إنكار واستجهال، وتقرير وتهديد وتهكم واستخفاف، والبناء للمجهول فيه إشارة إلى أنه يُخطف من حيث لا يدري وفي التعبير بالإلقاء إيحاء بالنبذ والطرح، وتأتي في مقابلة هذه الصورة الفزعة صورة من يأتي آمنًا يوم القيامة تتلقاه الملائكة بالتكريم والحفاوة»، ثم تأتي بعد ذلك الصورة النهائية التي تحمل كل ألوان الغضب والخصام والتوعد والتهديد الذي ينشئه السياق ويبينه من أول لبنة فيه ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾.
وهكذا علمت قدر السياق ودوره في تحديد المعاني المستنبطة من الأمر أو الاستفهام، ويمكنك أن تستخرج من كل سياق كنوزه.
وخذ من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)﴾ [سورة إبراهيم: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٤]، وقول الشاعر: (الوافر)

إذا لَـم تَـخـشَ عـاقِـبَـةَ الـلَّـيـالـي وَلَـم تَـسـتَـحـيِ فَـاصْـنَـعْ مـا تَـشـاءُ

ولغير ذلك[1].

[أسلوب النهي]

٦٥- وَالنَّهْيُ وَهْوَ مِثْلُهُ بِلَا بَدَا   وَالشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ، وَالنِّدَا

والنهي: وهو مثله أي: مثل الأمر في كونه حقيقة في القول الدال على كونه طلب، إلا أن

---

(١) أي أن المعاني المفادة من أسلوب الأمر باختلاف صيغه وسياقاته ليست مقصورة على ما ذكر، وإنما تأتي لمعان غير ذلك يحددها السياق، ومنها:

١ - **الدعاء**: كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩٤]، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [سورة النمل: ١٩]، فالأمر في ذلك على سبيل الدعاء.

٢ - **التسوية**: كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ [سورة الطور: ١٦]، فإنَّه ربما يتوهم أن الصبر نافع، فدفع ذلك بالتسوية بين الصبر وعدمه، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥٣]، فإنَّه ربما يتوهم أن الإنفاق طوعًا مقبول دون الإكراه، فسوى بينهما في عدم القبول.

والفرق بين التسوية والإباحة: أنه في الإباحة كأن المخاطب توهم أن الفعل محظور عليه فأذن له في الفعل مع عدم الحرج في الترك.

وفي التسوية: كأنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك أنفع له وأرجح بالنسبة إليه فدفع ذلك بالنسبة إليه. وهكذا تكثر إيحاءات الأمر ومنها أيضًا:

٣ - **التمني**: **كقول امرئ القيس**: (الطويل)

أَلَا أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّويلُ أَلَا انجَلي   بِصُبحٍ وَمَا الإِصبَاحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

فإن الليل لا يقبل أن يطلب منه الانجلاء ولكن ذلك كنايةٌ عن تمني أمنية فكأنه يقول انكشفْ أيها الليل الطويل طولًا لا يرجى معه الانكشاف ثم قال: وما الإصباح منك بأمثل أي بأفضل عندي منك لمقاساتي الهموم والأحزان فيه فكأن الليل قد شارك النهار في ذلك أي في فراق الحبيب، وجعلوه تمنيًا لا ترجيًا؛ لأن التمني لِما بَعُدَ، ومن شأن المحب أن يستبعد انجلاء الليل. ينظر شروح التلخيص ٣١٨/٢

٤ - **التكوين**: نحو قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١١٧].

٥ - **والتأديب**: «كل مما يليك».

٦ - **والدوام**: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الفاتحة: ٦].

٧ - **والإكرام**: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦]، وهكذا.....

الأمر طلب الفعل، والنهي طلب الكف عن الفعل، أو الترك له؛ أصالة على سبيل الاستعلاء.

وله حرف واحد أشار إليه بقوله:

بلا: أي بهذا الحرف وهو (لا)الناهية الجازمة، متعلق بقوله:

بدا: بالنهي عن أصله المذكور.

[المعاني المفادة من أسلوب النهي]

ويستعمل في غير طلب الكف مجازًا[١]،

كالتهديد، كقوله لعبدك: لا تمتثل أمري[٢].

وكالدعاء[٣].

وكالالتماس[٤].

---

(١) أي يستمد من هذه الصيغة خلال سياقها معان وأغراض كالتي سبقت في أسلوب الأمر.

(٢) وعدَّ منه الإمام الرازي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٣١]؛ لأن كل من وجبت عليه طاعة الله ورسوله ثم وصلت إليه هذه التكاليف يقصد المذكورة في سياق الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٣١]، فمن علم بهذه التكاليف وتلك التوجيهات ولم يستعد لأدائها كان بها كالمستهزئ، وهذا تهديد عظيم للعصاة من أهل الصلاة، والتهديد إذا ذكر بعد أداء التكاليف كان تهديدًا على تركها. ينظر تفسيره ٢/

(٣) منه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

(٤) كقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [سورة طه: ٩٤]، فلما استمر القوم على عبادة العجل ولم يستجيبوا لهارون ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [سورة طه: ٩١]، فقال موسى بعد رجوعه: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة طه: ٩٢] بصدهم عن ذلك وقتالهم ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ [سورة طه: ٩٣]، أي: أنه لما لم يبالغ في إنكارهم نسبه إلى عصيانه ومخالفة أمره – كما قال القرطبي – وأخذ بلحيته بشماله وبرأسه بيمينه فاستعطفه والتمس منه ألّا يفعل ذلك، ولذلك قال يا ابن أم من باب الاستعطاف وليس لأنه أخوه لأمه، فالحق =

والشرط بعدها: أي بعد هذه الأربعة من: التمني، والاستفهام، والأمر والنهي.

= أنه كان شقيقه.

ومن ذلك قول المتنبي في سيف الدولة: (الطويل)

فَلا تُبلِغاهُ ما أَقولُ فَإِنَّهُ شُجاعٌ مَتى يُذكَرْ لَهُ الطَعنُ يَشتَقِ

فإنَّه يلتمس من صاحبيه أن يكتما عن سيف الدولة ما سمعاه في وصف شجاعته وفتكه بالأعداء وحسن بلائه فإنَّه توَّاق إلى ذلك متى سمع بالحرب وهذا شأن الشجعان... والالتماس كما علمت يكون بينك وبين من يساويك دون استعلاء.

اكتفي الشارح بهذه المعاني الثلاثة، ولكن له معان أخرى كثيرة -كما سبق في أسلوب الأمر - ومنها ما يأتي:

١ - **الإرشاد**: ومجيء النهي للإرشاد فيه رفعةُ قدْرٍ وإجلالُ شأن يتجلى لك هذا من موقف سيدنا أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لما حلف ألا ينفق على مسطح وقرابته بسبب حديث الإفك بعد أن تبينت براءة السيدة عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النور: ٢٢] جعله الله من أولي الفضل والسعة ليس في الإنفاق فحسب وإن كان ظاهره الإنفاق، وحثه على العفو والصفح ورغَّبه في الإقدام على مغفرة الله، ونَهي مثل هذا ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ لا يمكن أن يكون نَهي زجر وتحريم بل هو نهي عن ترك الأوْلى أي أن اللائق بفضلك وسعة همتك أن لا تقطع هذا فكان هذا إرشادًا إلى الأولى لا منعًا عن المحرم وهذا إرشاد ومناصحة بالغة اللطف.

أما النهي الذي وجه إلى النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإنسان: ٢٤] ففيه حث للمؤمنين على عدم طاعة هؤلاء الآثمين الكافرين، ولكنه وجه إلى النبي ﷺ ليكون المؤمنون أشد مقتًا لهؤلاء، والمقصود من توجيهه للنبي ﷺ - بيان أن النَّاس محتاجون إلى مواصلة التنبيه والإرشاد لأجل ما تركب فيهم من شهوات وأن أحدًا لو استغنى عن توفيق الله وإرشاده لكان أحق النَّاس به هو الرسول المعصوم.

وعلى هذه الشاكلة أيضًا قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩٦]، فالخطاب وإن كان للنبي ﷺ إلا أنه لم تغره الدنيا بحذافيرها، وإنما كان ذلك توجيهًا للمؤمنين وإرشادًا لهم.

ومن هذا قول أبي العلاء: (الوافر)

وَلا تَجلِس إِلى أَهلِ الدَنايا فَإِنَّ خَلائِقَ السُفَهاءِ تُعدي

فهذا نصح وإرشاد بالابتعاد عن السفهاء ومخالطتهم...

٢ - **التوبيخ**: كقول المتوكل الليثي من (الكامل)منسوب له في العقد الفريد، وجمهرة الأمثال =

يجوز: تقديره: لاشتراكها في الإعانة على تقديره، إذا قصد سببية الأول للثاني؛ لأن في هذه الأربعة معنى الطلب، وهذا لا ينفك عن سبب باعث للطالب عليه، فوجود ذلك السبب الباعث مسبب عن الطلب في الخارج؛ لأن العلة الغائية طرفي السببية في الذهن، والمسببية في الخارج، فإذا فهم منها الشرط، والسبب مذكور استغني فيها عن الشرط، وأدواته، ولذا لا

= للعسكري:

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتيَ مِثلَهُ عارٌ عَلَيكَ إذا فَعَلتَ عَظيمُ

فالمقصود منه توبيخ من ينهي النَّاس عن السوء ولا ينتهي هو عنه، وقول الشاعر: رجل من بني أسد كما في شرح ديوان الحماسة (البسيط)

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتَّى تلعق الصَّبرا

وعلى هذه الشاكلة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [سورة الحجرات: ١١]، فالنهي في كل ذلك يراد به التوبيخ.

٣ - **التيئيس**: كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [سورة التحريم: ٧]، فهذا من شأن الكفار حين يجدون عاقبة صنيعهم وسوء أعمالهم يصيبهم اليأس، فيبين لهم الحق سبحانه أن هذا هو جزاء أعمالهم، وليس ظلمًا لهم، وقد مضى زمن الاعتذار، ومن ذلك قول المتنبي لسيف الدولة: (البسيط)

لا تَطلُبَنَّ كَريمًا بَعدَ رُؤيَتِهِ إِنَّ الكِرامَ بِأَسخاهُم يَدًا خُتِموا

٤ - **التمني**: كقول أبى نواس في مدح الأمين: (البسيط)

يا ناقُ لا تَسأَمي أَو تَبلُغي مَلِكًا تَقبيلُ راحَتِهِ وَالرُكنِ سِيّانِ

مَتى تَحُطّي إِلَيهِ الرَحلَ سالِمَةً تَستَجمِعي الخَلقَ في تِمثالِ إِنسانِ

فهو يتمنى أن تتحمل ناقته مشاق السفر وألا ينزل بها السأم حتى تبلغ ديارَ الأمين فترى هناك كيف جمع الله العالم في صورة إنسان، وكقول الخنساء في رثاء صخر: (المتقارب)

أَعَينَيَّ جودا وَلا تَجمُدا أَلا تَبكِيانِ لِصَخرِ النَدى

وقول الشاعر: (الرجز)

يا ليل طل يا نوم زُل يا صبح قف لا تطلع

٥ - **الائتناس**: كقوله تعالى: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [سورة التوبة: ٤٠]، ونحو ذلك من عطاءات السياق وهي كثيرة لا تقف عند هذا الحد وإنما تتجلى لك كلما فتشت في الكلام شعره ونثره...

يجزم في النفي؛ لأنه خبر، والإخبار لا يلزم أن يكون لتحصيله مسبب، بل يكون لغرض اطلاع المخاطب على مضمونه، ومثاله في قولك: ليت لي مالًا أنفقه(١)، وأين بيتك أزورك(٢)، ونحو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١](٣) ونحو: لا تشتم يكن خيرًا لك: والتقدير: إن لم يحصل لي مال أنفقه، وإن تدلني على بيتك أزورك، وإن يأتوا آتك، وإن لا تشتم خير لك.

ثم العرض: نحو ألا تنزل تصب خيرًا فمولد من الاستفهام.

ويجوز تقدير الشرط في غير ما ذكر لقرينة نحو [قوله تعالى]: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [سورة الشورى: ٩]، أي إن يريدوا وليا بحق فالله لا سواه.

[أسلوب النداء]

[ذكره الناظم في قوله]:

٦٥ - ....، وَالنِّدَا

٦٦ - وَقَدْ لِلاخْتِصَاصِ وَالْإِغْرَاءِ يَجِيءُ........................

والنداء: من أنواع الإنشاء، عدل عن أصله الخبر، وهو غير نداء إلى: يا زيد؛ لإفادة الإنشاء.

وهو: طلب إقبال المخاطب بحرف قائم مقام أدعو، لفظًا أو تقديرًا.

وقد للاختصاص: وهو مناداة الشخص نفسه.

والإغراء: وهو إلزام المخاطب دوام ما أقام عليه، والظرف متعلق بمدخول قد وهو قوله [١٢ب].

يجيء: أي النداء.

---

(١) هذا في التمني، أي إن أُرزقه أُنفقه.

(٢) في الاستفهام، أي إن تعرّفينه أزرك.

(٣) في الأمر، وهكذا كما وضحها الشارح في نهاية حديثه عن الشرط عقب هذه الأساليب الأربعة.

فمثال الأول[١]: أنا أفعل كذا أيها الرجل، مريدًا به نفسه، فإنها أصل تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك، ثم جُعل مجردًا عن طلب الإقبال، ونُقل إلى تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه؛ إذ ليس المراد بـ (أي) وصفه المخاطب، بل مدلول ضمير المتكلم السابق، ويجب فيه حذف حرف النداء؛ لأنه لم يبق فيه معنى النداء أصلًا، فكره التصريح بأداته، فإنها مضموم لفظًا، والرجل تابع له على لفظه كما في النداء.

والمجموع في محل نصب على الحال، وتقديره: افعل متخصصًا من بين الرجال؛ لما في ذلك الفعل من الصعوبة بقرينة أن الإنسان لا يدعو نفسه.

ومثال الثاني[٢]: قولك لمن أقبل عليك يتظلم: يا مظلوم، قصدًا على إغرائه، وحثه على زيادة التكلم[٣].

---

(١) أي الاختصاص، ونحوه: اغفر اللهم لنا أيتها العصابة.

(٢) أي الإغراء

(٣) كذلك يأتي النداء لمعان أخرى منها:

١ - **الاستغاثة**: يا لله للمؤمنين.

٢ - **الندبة**: كقول الشاعر: (الطويل)

فوا عَجَبًا كم يدَّعي الفضْلَ ناقصٌ ... ووا أسَفًا كم يُظْهِرُ النّقصَ فاضل

وقوله: (البسيط)

واحَرَّ قَلباهُ مِمَّن قَلبُهُ شَبِمُ ... وَمَن بِجِسمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ

٣ - **والتعجب**: كقول طرفة: (الرجز)

يا لَكِ مِن قُبَّرَةٍ بِمَعمَرِ ... خَلا لَكِ الجَوُّ فَبيضي وَاصفِري

وقول امرئ القيس: (الطويل)

فَيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ ... بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَذبُلِ

٣ - **والزجر**: كقول الشاعر: (الخفيف)

أفؤادي متى المتابُ أَلَمَّا ... تَصحُ والشَّيبُ فوقَ رأسِي أَلَمَّا

وهو - كما رأينا - باب جليل الشأن وكثيرًا ما يتقدم الأمر والنهي كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ٢١]. و﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [سورة =

= العنكبوت: ٣٦]، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ﴾ [سورة التحريم: ٧]، وهكذا وقد يكون النداء من الله لرسله وأنبيائه... وقد يكون من الرسل إلى أممهم وقد يكون من البشر لأنفسهم **وأدواته كثيرة منها:**

(يا) وهي حرف وضع أصله لنداء البعيد، أما نداء القريب فله (أي والهمزة) ثم استعمل في نداء مَن سَهَا وغفل وإن قرب تنزيلًا له منزلة البعيد، وذكر الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة الكافرون: ١]، أنه روي عن عليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: (يا) نداء النفس و(أي) نداء القلب و(ها) نداء الروح وقيل (يا) نداء الغائب و(أي) للحاضر و(ها) للتنبيه.

ويُستنبط من سياقات النداء كثيرًا من المعاني نحو: التكريم، والتشهير وخطر الخطب، والإشفاق، والتنبيه، والاستهزاء، ونحو ذلك:

• تأمل منه قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة طه: ١٧]، تجد أن السؤال من الحق سبحانه فيه مؤانسة وتشريف، لأنه يعلم ما في يده ولكن يبث في نفسه الطمأنينة، وتكرر نداء سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيرًا في تلك القصة وهو يلبس ثوب الرفعة والكرامة والتقرب، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [سورة طه: ١١-١٢]، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة طه: ١٧]، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة طه: ١٩].

• وكذلك جاء النداء تشهيرًا بنعمة الله وتنويهًا بها في قوله سبحانه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة النمل: ١٦]، فلم يكن من شأن الأنبياء التباهي والتفاخر ولكن كان من طبعهم التحدث بنعم الله والإقرار بها، وإسناد الفضل إليه سبحانه، لذلك كان المقصود من نداء سليمان هذا التشهير بنعمة الله، والتنويه بها، ودعاء النَّاس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير.

• أما توجيه النداء للنبى ﷺ في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب: ١]، فكان حملًا على خطر الخطب، لا على الغفلة؛ لأنه لم يكن غافلًا، كما أن الأمر أمر بالمداومة وترشيد للخلق.

• وأما نداء الكفار له عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله سبحانه ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة الحجر: ٦]، فكان هذا منهم على سبيل الاستهزاء لأن قصدهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده وعند أصحابه وأتباعه.

• أما نداء الرجل المؤمن في قوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة يس: ٢٠]، فإنَّه ينبئ عن إشفاق عليهم وشفقة لأن إضافتهم إلى نفسه (يا قوم) دليل على أنه يريد بهم خيرًا.

• وأما نداء الحسرة في قوله سبحانه: ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا =

[وقوع الخبر موقع الإنشاء وأغراضه]

[وذلك جلي في قول الناظم]:

٦٦- ....ثُــــــمَّ مَــوْقِــعَ الإِنْــشَــــاءِ

٦٧- قَـــدْ يَــقَــعُ الْـخَـبَـرُ لِـلـتَّـفَـاؤُلِ وَالْــحِـــرْصِ، أَوْ بِـعَـكْـسٍ ذَا تَـأَمَّـلِ

ثم موقع الإنشاء قد يقع الخبر: مجازًا:

للتفاؤل، حتى كأنه واقع عبر عنه بالماضي نحو: رزقك الله التقوى[1]

و: إظهار

الحرص: على وقوعه نحو [قوله تعالى]: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣]،

= سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٣١]، فيقصد به تنبيه النَّاس على ما سيحصل لهم من الحسرة والمنادى هو نفس الحسرة بمعنى أن هذا أوانك فاحضري.

• وكذا نداء الأشياء التي لا تجيب يُقصد به تنبيه المخاطبين وتوكيد الأمر أو القصة كقوله تعالى: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ [سورة يوسف: ١٩]، وهي كلمة تذكر عند البشارة نحو: يا عجبا، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [سورة يوسف: ٨٤].

• وأما نداء المبهم في قوله جل شأنه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الرحمن: ٣١]، فالحكمة منه والإتيان بالوصف بعده هي: أن المنادى يريد صون كلامه عن الضياع فيقول أولًا يا أي نداء لمبهم ليقبل عليه كل من يسمع ويتنبه لكلامه من يقصده ثم عند إقبال السامعين يخصص المقصود.

• أما نداء الأرض والسماء في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ [سورة هود: ٤٤]، فإنَّه يقرر عظمته سبحانه تقريرًا كاملًا فإذا كان أمره وتكليفه نافذًا في الجمادات فلأن يكون بالعقلاء أولى وأحرى.

وتلك دقائق القول في أساليب الإنشاء أفاضت من البلاغة والبراعة في سياق التراكيب ما لا غناء للبيان عنه دارت إبداعات الكلام فيها بين أغراض ومعان انبرت من المعنى الأول وهو باق فيها على أصله لم يتغير ولم يخرج عن حقيقة معناه، ولكن يوحي السياق بهذا المعنى الآخر.

(١) وكأن ذلك وقع وتم.

[وقوله تعالى] ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨][(١)]

والدعاء بصيغة الماضي محتمل لكل من الأمرين إذا صدر من البليغ[(٢)].

[وقوع الإنشاء موقع الخبر]

أو بعكس ذا: أي يقع الإنشاء موقع الخبر.

تأمل: كإظهار الرضى بوقوع ما هو داخل تحت الطلب، وتبليغه إلى درجة الكمال، بحيث كان الرضى مطلوبه، كقوله: (الطويل)

أسيئي بنا أو أحسني لاملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

فمقتضى المقام أن يقول: أنا راض بما تفعلين، لا ألومك، أحسنت، أو أسأت لكنه أمر بقوله: أسيئي أو أحسني، إظهار الرضى بفعلها، طلبا، كأن الإساءة مطلوبه أو أمره بما

---

(١) فقوله تعالى ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يشعر بالحث والإلهاب في تنفيذ هذا الأمر الداعي إلى الحرص، وهذا تأكيد يعقب التأكيد الأول الذي هو تقديم الاسم والإخبار عنه بالفعل، وفي هذا التعبير إشعار بشدة الامتثال والاستجابة فهو كما قال الزمخشري يخبر عنه موجودًا، وكأن الامتثال له صار معلومًا ومفروغًا منه، وكذلك الشأن في ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾، كذلك الشأن في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩]، فاللفظ خبر والمعنى أمر أي طلقوا مرتين يعني دفعتين وعدل عن لفظ الخبر تأكيدًا لمعنى الأمر وفي ذلك دافع إلى عدم التلاعب بالدين واتباع ما أمر به الله، **وكذلك قول الله تعالى** ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦]، رأيت أن قوله ﴿فَصِيَامُ﴾ جاء على لفظ الخبر ولكنه يشعر بمعنى الحث والترغيب والإلزام، وهذا هو طريق الأمر، وهنا تعظم مزية هذا الأمر، وتتأكد بلاغة الكلام من جهتين: الإيجاز في اللفظ، ومراعاة النفس في بيان رخص الحق سبحانه وملاطفتها في الإرشاد إلى إتمام الفرائض... فاللفظ على صورة الخبر ومعناه الأمر أي فلتكن تلك الصيامات كاملة لأن الحج المأمور به حج تام.

وسر العدول عن لفظ الأمر: أن التكليف بالشيء إذا كان متأكدًا فالظاهر دخول المكلف به في الوجود مبالغة في إيجابه وجعله إخبارًا على مر الدهور وكأنه لشدة التكليف به صار معلومًا.

(٢) وذلك نحو قولهم: رحمك الله وكأن الرحمة موجودة وهو يخبر عنها... وهكذا عندما يأتي الكلام على صورة الخبر ويفيض بمعنى الأمر فإنَّه يكون أشد تأكيدًا ومبالغة في إيجابه وأدعى للحرص عليه وأدفع للإيهام عنه، كما تجلى من بعض شواهده التي درست.

له مدخل، فيه كالأمر في باب التعجب، على قول من يقول: إنه بمعنى الخبر، والهمزة فيه للصيرورة[١].

ثم ليس الإنشاء كالخبر في كثير مما ذكر في أبوابه السابقة فليعتبره الناظم.



---

(١) **العكس هنا**: أنه جاء بالتعبير بصيغة الأمر، والمقصود مجرد الإخبار الدال على تمام الرضى، ولكن مجيئه هكذا يشعر بقوة الرضى بالواقع، وليس المقصود ابتداء المعنى كما هو حال أساليب الإنشاء.

ملحوظة:

يلاحظ أنه قال قد يقع الإنشاء موقع الخبر، وجاء بشواهد من صيغ الأمر فقط، مع أن ضده، وهو النهي يقع موقع الخبر أيضا، وهو معروف عند البلاغيين بغرض المبالغة في التأكيد أيضا، وبيان ذلك كما يأتي:

النهي في صورة الخبر:

ويأتي النهي في صورة الخبر أيضًا للمبالغة في التأكيد والحث على المنهي عنه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيَ إِسْرَاءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، قال الفراء: إن موضع ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ على النهي إلا أنه جاء على لفظ الخبر وسبق أن الإخبار في معنى الأمر والنهي أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه فالمعنى هنا على النهي أبلغ وآكد لأنه ميثاق أخذه عليهم ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١٤﴾ [سورة البقرة: ١١٤]، فقوله سبحانه ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ وإن كان لفظه خبرًا لكن المراد منه النهي عن تمكينهم من الدخول، والتخلية بينهم وبينه كقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣].

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢].) فهو نهي عن الإنفاق على سبيل الرياء وكأنه قال: لا تنفقوا إلَّا ابتغاء وجه الله.

وهكذا تجد لمثل هذه الأساليب لونًا من الكلام يحتاج إلى فطنة وتذوق في سياق المعاني ولا يمكن أن تقف عندها إلَّا إذا أحطت خبرًا بفرائد الكلام ودقائق ما تحويه التراكيب...

الباب السابع
أحوال الوصل والفصل

٦٨- إِنْ نُـزِّلَـتْ تَـالِـيَـةٌ مِـنْ مَـاضِـيَـهْ   كَـنَـفْـسِـهَـا، أَوْ نُـزِّلَـتْ كَـالْـعَـارِيَـهْ

٦٩- اِفْـصِـلْ، وَإِنْ تَوَسَّطَتْ فَالْوَصْلُ   بِـجَـامِـعٍ أَرْجَـحُ، ثُـمَّ الْـفَـصْـلُ

٧٠- لِلْـحَـالِ حَيْـثُ أَصْلُهَا قَـدْ سَلِمَا   أَصْـلٌ، وَإِنْ مُـرَجِّـحٌ تَـحَـتَّـمَـا

الوصل: ذكر العاطف بين الجملتين، والفصل: تركه مطلقًا.

قال بعض شراح التلخيص: اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب إليه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة[1].

فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل[2].

ولذا خصه علماء الفن بالجمل؛ لأن فائدة العطف في المفردات: تشريك الثاني للأول في إعرابه، ....

---

(١) هذا نص الإمام عبد القاهر في دلائل الإعجاز، وليس من كلام شراح التلخيص كما قال الشارح. ينظر دلائل الإعجاز ٢٢٢ تحقيق شاكر.

(٢) أي بلغ من قوة الأمر والأهمية فيه: أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها **فقال**: «معرفة الفصل من الوصل» ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلَّا كمل لسائر معاني البلاغة. **ينظر**: دلائل الإعجاز٢٢٢.

وقبل ذلك قال الجاحظ: قيل للفارسي ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل، دون أن يبين مقصد ذلك حتى كتب أبو هلال العسكري عن أحد الفرس قوله: إذا مدحت رجلًا وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلًا حتى تعرف المدح من الهجاء... ينظر البيان والتبيين، وكتاب الصناعتين.

وفي حكم ذلك الإعراب من كونه فاعلًا أو غيره[١].

[مواضع الفصل بين الجمل]

[أولا: صور كمال الاتصال]

[التأكيد - البدل - عطف البيان]

إن نزلت: جملة[٢].

---

(١) والعطف سواء أكان بين المفردات أم بين الجمل لا بد من التآخي بين الكلمات وحسن التآلف والتآزر والمؤانسة لأخواتها والملاءمة لمعاني جاراتها.

وفائدة العطف في المفرد - **كما قال الإمام عبد القاهر** - «أن يشرك الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، وأن المعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له شريك في ذلك» دلائل الإعجاز ٢٢٢.

وليس المقصود الجمل التي لها محل من الإعراب كالواقعة خبرا، أو حالا، أو مفعولا، أو مضافا إليها، أو جوابا لشرط جازم مقترنة بالفاء؛ لأنها واقعة موقع المفرد، وهذا الباب خاص بالجمل.

وإنما المقصود: الجمل التي لا محل لها من الإعراب، كا لابتدائية، أو المستأنفة، أو المفسرة، أو المجاب بها القسم، أو الاعتراضية، أو الواقعة صلة، أو جوابًا لشرط غير مجزم أو جازم ولم تقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية. نحو: لولا المشقة ساد النَّاس كلهم. و«إن تقم أقم، وإن قمت قمت».

والجمل التي لا محل لها من الإعراب وليس بينها التشابك الذي علمناه في الجمل التي لها محل من كونها وصفًا أو خبرًا أو حالًا أو غير ذلك مما يصلها بجارتها ويربطها بها، وليس ذلك بين هذه الجمل التي لا محل لها، وإنما يجري أمر الفصل والوصل فيها على نمط آخر لأنها هي التي تتجلى فيها براعة هذا الباب ودقته بخلاف السابقة فإنها تقع موقع المفرد كما سبق.

لذلك **قال فيها الإمام عبد القاهر**: «والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك: «زيد قائم وعمرو قاعد» و«العلم حسن والجهل قبيح» لا سبيل لنا أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه، ولِمَ لمْ يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف فتقول «زيد قائم، وعمرو قاعد» بعد ألا يكون هنا أمر معقول يؤتى بالعاطف ليشرك بين الأولى والثانية فيه؟ «فليس المهم هنا هو الربط من جهة الإعراب.

(٢) ولهذه الصورة التي يختلف الحال فيها بين أن تعطف وأن تدع العطف ستة مواطن يجري الفصل في أربعة منها والوصل في بقيتها، كما سيتجلى.

ثانية من: جملة.

ماضية: قبلها في الذكر.

[التأكيد بنوعيه]

كنفسها: أي منزلة نفس السابقة، وذلك كالمؤكدة للأولى لدفع توهم تجوز، أو غلط[(١)]، نحو: [قوله تعالى]: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ٢].

فهو كالتأكيد المعنوي لقوله [تعالى] ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾»[(٢)].

---

(١) وهو أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، والداعي له دفع توهم التجوز والغلط، وهو قسمان: لفظي، ومعنوي.
والتوكيد اللفظي في الجمل هو: أن تختلف الجملتان لفظًا وتتفقا مفهومًا.
والتوكيد المعنوي في الجمل هو: أن تختلف الجملتان لفظًا ومفهومًا ولكن يلزم من ثبوت معنى إحداهما ثبوت معنى الأخرى.

(٢) فإن وزان «لا ريب فيه» في الآية وزان - نفسه - في قولك: جاءني الخليفة نفسه، هذا على تقدير أن يكون «الم» جملة مستقلة من أسرار هذا الكتاب ويكفينا في ذلك قول الصديق رضي الله عنه وأرضاه «لله في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السر» و«ذلك الكتاب» جملة ثانية و«لا ريب فيه» جملة ثالثة.
فإنَّه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى في الكمال بجعل المبتدأ ﴿ذَٰلِكَ﴾ لأنه يشير إلى بعد المنزلة «وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أن يرمي به جزافًا من غير تحقق فأتبعه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ نفيًا لذلك التوهم، فوزان ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وزان نفسه في قولك رأيت محمدًا نفسه ومِن ثَمَّ لم يعطف عليه كما لا يعطف التوكيد المعنوي على متبوعه لشدة الاتصال بينهما، وكذا الشأن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [سورة لقمان: ٧]، لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلَّا أن الثاني أبلغ وآكد في الذي أريد، وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعًا أن ينفي أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه ويكون لها تأثير فيه، وأن يجعل حاله إذا تليت عليه كحاله إذا لم تتل.. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٤]؛ وذلك لأن معنى قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ الثبات على اليهودية وعدم الإيمان بالنبي ﷺ، وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ خبر بهذا المعنى أيضًا، وذلك لأن جملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ابتدائية لا محل لها، وليست مفعولًا لقالوا، لأنها حكاية عن المنافقين لصدور ذلك منهم فهي مستأنفة في كلامهم وحكم الجملتين حكم الشيء الواحد فصار كأنهم قالوا: إنا معكم لم نفارقكم، ولا فرق بينهما بل =

وقوله [تعالى] ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ كالتأكيد اللفظي لذلك[1].

= مفهوم إحداهما لازم لمفهوم الأخرى. ومنه قوله تعالى ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [سورة يوسف: ٣١]، فالأولى تستلزم نفي البشرية والثانية تقرر ذلك لأنه إذا كان ملكًا لم يكن بشرًا، وإذا كان كذلك كان إثبات كونه ملكًا تحقيقًا وتأكيدًا لنفي أن يكون بشرًا. ومنه قول أبي الحسن التهامي يرثي ابنه: (الكامل)

حُكْمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جاري ... ما هَذِهِ الدُّنيا بِدار قَرار

فلا ريب أن الثانية تقرر معنى الأولى.

(١) توضيح ذلك: الكلام هنا في التوكيد اللفظي بين قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ وقوله تعالى ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ فمعنى ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أنه بلغ في الهداية درجة لا يدرك كنهها لما في تنكير ﴿هُدًى﴾ من الإبهام والتفخيم، حتى كأنه هداية محضة حيث قال: ﴿هُدًى﴾ بطريق المصدرية ولم يقل «هاد» فهو مشتمل على البينات التي لوضوحها ونصوع دلالتها يهتدي بها المنصف بأدنى لمحة، وتضمحل معه الشبهة فلا يتوهم لها صحة، وهذا الفهم هو ذاته البين من قوله: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي الذي بلغ من الكمال الدرجة القصوى، حيث عبر باسم الإشارة الدال على كمال العناية بتمييزه والتوسل ببعده إلى التعظيم وعلو الدرجة وتعريف الخبر باللام الدال على الانحصار مثل حاتم الجواد، فمعنى ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ أنه الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابًا، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، كما تقول: هو الرجل أي الكامل في الرجولية كأن من سواه بالنسبة إليه ليس برجل.

وعلى ذلك فقوله ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ينزل من ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ منزلة الأمير الثانية في قولك «دعاني الأمير الأمير».

وعدَّ الخطيب من ذلك فصل جملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [سورة البقرة: ٦]- عما قبلها في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ فإن استواء الإنذار وعدمه يعني نفي الإيمان لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلَّا في حق من ليس له قلب يخلص إليه حق وسمع تدرك به حجة وبصرٌ تثبت به عبرة، وهذا معنى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٧]، ى فإنها أيضًا تعطى معنى استواء الإنذار وعدمه أي أن جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد لقوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٦]، وجملة ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، تأكيد ثانٍ أبلغ من الأول؛ لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم يُنذَر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعًا على قلبه لا محالة، هكذا رآه الإمام عبد القاهر أيضًا. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧﴾ [سورة الطارق: ١٧]، فالثانية: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيد لفظي للأولى لأنها تؤدي مرادها وتؤكده أي أنظرهم، ومنه قول المتنبي: (الطويل)

وَما الدَهرُ إلا مِن رُواةِ قَصائِدي ... إذا قُلتُ شِعرًا أَصبَحَ الدَهرُ مُنشِدًا =

[البدل]

وكالجملة البدل في الأول غير وافية بالمراد، أو كغير الوافية، والثاني وافية بذلك، وإنما يكون لنكتة: ككونه مطلوبًا في نفسه، أو فظيعا، أو عجيبًا، أو لطيفًا[1].

= يقول إن الدهر من جملة شعري وذلك لأن ألسنة النَّاس جميعًا تتناقله في كل وقت، فكأن الدهر إنسان ينشد قصائدي ويرويها، ومعنى الجملتين واحد فالدهر راوية لشعره، والدهر ينشد ما يسمعه من شعره وهذا يشبه التوكيد اللفظي في المفردات مستخلص من دلائل الإعجاز والإيضاح وغيرهما من كلام البلاغيين.

(١) ذكر البدل، وهو الصورة الثانية من صور كمال الاتصال، ولم يمثل له بشيء، وبيانه بقدر من شواهده كما يأتي:

الصورة الثانية من صور كمال الاتصال: أن تكون الثانية بدلًا من الأولى والمقتضى للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة ككونه مطلوبًا في نفسه أو فظيعًا أو عجيبًا أو لطيفًا.

والبدل في المفردات له أربعة أقسام: «بعض من كل – اشتمال – كل من كل – بدل غلط». **إلَّا أن البلاغيين لم يعنوا بغير الأول والثاني.**

والسر في ذلك أن: بدل الكل من الكل لا يتميز عن التأكيد إلَّا بأن لفظه غير لفظ متبوعه وأنه المقصود بالنسبة دونه بخلاف التأكيد، وهذا المعنى مما لا تحقق له في الجمل لا سيما التي لا محل لها من الإعراب، **أي**: أن قصد التابع بالنسبة من دون المتبوع لا يتحقق في الجمل لا سيما هذه فاستغنى عنه بالتأكيد، **وأما بدل الغلط** فلا شأن لنا به لأن اللطائف البلاغية وما يترتب عليها من دقائق قائمة على ذوق الكلام... لا تتأتى فيما هو غير مقصود، **أما بدل البعض من الكل**: فمن أبرز شواهده قول الله – تعالى –: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٣٢-١٣٤]، هذه حكاية عن سيدنا هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه، حثًا لهم على الإيمان بالله والإقرار بفضله والتنبيه على نعمه، والمقام يقتضى اعتناءً واهتمامًا بشأن ذلك التنبيه لكونه مطلوبًا في نفسه لأنه تذكير للنعم لتشكر وهو ذريعة لغيره كالإيمان والعمل بالطاعة، وقوله: ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٣٣]، أو في بتأدية المراد، الذي هو التنبيه على النعم، وذلك لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون، فهو يشبه في المفردات «وجهه» من قولنا: أعجبني زيد وجهه، لأن قوله: ﴿ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ – بما تفيده «ما» من العموم – يشمل الأنعام والبنين والجنات والعيون وغير ذلك.. ولذلك=

= قال الخطيب «ويحتمل الاستئناف» أي يكون بيانًا لما قبله أو تفصيلًا له، وكونه بيانًا أجدر بالسياق من كونه بدل بعض. ومنه قوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الرعد: ٢]، فتفصيل الآيات بعض تدبير الأمر والأوفي به أن يكون بيانًا له أيضًا، **أما بدل الاشتمال فهو**: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه، ومن وشواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٨-٩]، قيل في فصل جملة «يخادعون» عن جملة «يقول»: إنها بيان أو استئناف أو توكيد أو بدل.

فمعنى كونها بيانًا أنها جلت مرادهم من قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ وهم ليسوا كذلك فهو خداع لأنفسهم دون الله والذين آمنوا.

ومعنى كونها استئنافًا: أن جملة: ﴿يَقُولُ﴾ أثارت سؤالًا مؤداه: ما هدفهم من قولهم آمنا وما هم بمؤمنين؟ فجاءت: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ جوابًا عنه أي يزعمون ذلك.. ومعنى كونها توكيدًا: أن هذه المخادعة ليست شيئًا غير قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين.

ومعنى كونها بدلا: أن هذا القول مشتمل على الخداع فهي أي جملة ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ وما معها لأن قولهم ذلك يشتمل على المخادعة، لذلك عبر بهذه الكلمة التي تدل على الذم إلَّا في الحرب، وهي هنا تؤكد حقيقتهم من أنهم يظهرون غير ما يبطنون، ومن الشواهد البارزة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة يس: ٢٠-٢١]، فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل وقوله ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، أوفي بتأدية ذلك، لأن معناه: لا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خيري الدنيا والآخرة. ومما هو مشهور في ذلك قول الشاعر: (الطويل)

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لا تُقِيمَنَّ عِنْدَنا ... وإِلَّا فَكُنْ في السِّرِ والجَهْرِ مُسْلِمًا

أي: إن لم يكن ظاهرك وباطنك سالما من ملابسة ما لا ينبغي في شأننا فارحل عنا ولا تقم في حضرتنا. فلم يعطف «لا تقيمن» على «ارحل»؛ لأن «لا تقيمن» بالنسبة إلى «ارحل» بدل اشتمال، لذا قال الخطيب فإن المراد به – أي بقوله: ارحل – كمال إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سره علنه، وقوله: «لا تقيمن عندنا» أوْفي بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد بالنون بخلاف ارحل، ووزان الثانية وزان حسنها في قولك: أعجبتني الدار حسنها، لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه أي فلا يكون بدل بعض، ومنه قول وداك بن ثميل المازني في يوم كان لهم على شيبان في الجاهلية: (الطويل) =

[عطف البيان]

وكالواقعة بيانا للأولى لخفائها[(١)] نحو: [قوله تعالى]: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة طه: ١٢٠][(٢)]

[شبه كمال الانقطاع]

أو نزلت الثانية: من الأولى.

كالعارية: من كونها كنفسها لو عطفت الثانية على الأولى لتوهم أن العطف على غيرها فيؤدي لفساد المعنى[(٣)] ....

= رُوَيْـدَ بنِي شَـيْـبَـانَ بـعضُ وعيدُكم ... تَـلاقَـوا غَـدًا خيلِي عـلـى سَـفَـوانِ
تـلاقَـوا جـيـادًا لا تـحـيدُ عـن الـوغَـى ... إذا مـا غَـدَتْ في الـمـأزقِ المـتَـدانِي
عليها الـكـمـاةُ الـغُـرُّ مـن آلِ مـازنٍ ... لـيـوثُ طـعـان عـنـدَ كـلِّ طِـعَـانِ

فقوله: تلاقوا غدًا خيلي على سفوان: إنذار وتهديد، أبدل منه: تلاقوا جيادًا لا تحيد عن الوغى.. إلخ وهو أدل على هذا التهديد من الإجمال السابق، لذلك نزل من الأولى منزلة بدل الاشتمال. **وسفوان: اسْم مَاء على أَمْيَال من الْبَصْرَة**. من خلاصة الفكر عند البلاغيين.

(١) بمعنى: أن تكون الثانية بيانًا للأولى، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، **والداعي لذلك**: أن يكون في الأولى نوع خفاء يقتضي المقام إزالته.

(٢) فقوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ فيه غموض وخفاء يقتضى المقام إزالته إذ أنها لا تكشف ما دار بين آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإبليس - لعنه الله - فجاءت الجملة الثانية ﴿قَالَ يَا آدَمُ ﴾ تكشف ذلك وتبين ما دبره إبليس لآدم.. لذلك فصلت الثانية عن الأولى لكونها تفسيرًا وتبيانًا لها، والبيان والمبيَّن كالشيء الواحد، فبينهما كمال اتصال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة البقرة: ٨-٩]، فجملة: ﴿يُخَادِعُونَ ﴾ بيان وإيضاح لجملة: ﴿يَقُولُ﴾، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٤٨]. فجملة ﴿قَالُوا﴾ بيان وإيضاح للنداء... وهذا باب سهل إدراكه.

(٣) هذا يسمى شبه كمال الانقطاع، وهو: أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على الأولى منهما =

نحو[١]: (الكامل)

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِيْ أَبْغِيْ بِهَا بَدَلًا، أُرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيْمُ

فبين تراها وتظن مناسبة ظاهرة، ولم يعطف لئلا يوهم عطفه على قوله: أبغي، فيكون من مظنونات سلمى، وليس مرادًا، والجملة المعطوفة كالمنقطعة عما قبلها، ويسمى الفصل لذلك قطعًا[٢].

= لوجود المناسبة، ولكن هذا العطف يوهم عطفها على الثانية؛ لقربها منها، فيؤدي هذا العطف إلى أمر غير مقصود فيفسد به المعنى المراد، وحينئذٍ تفصل عنها دفعًا لهذا التوهم.

سر جعله شبه كمال انقطاع ولم يكن انقطاعًا كاملا:

ويلاحظ أنه جُعلَ شبيهًا بكمال الانقطاع ولم يكن كمال انقطاع لأن مانع الإيهام هنا عارض يمكن دفعه بالقرينة بخلاف ما بينهما كمال الانقطاع فالمانع فيهما ذاتي لا يمكن دفعه أصلًا وهو كون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية أو لا جامع بينهما، هكذا حكم البلاغيون.

(١) لا يعرف قائله.

(٢) بيان ذلك: نجد أن جملة «أراها» سبقت بجملتين هما (تظن سلمى - أبغي) وبين جملة: تظن، وجملة: أراها، مناسبة تبيح عطف الأخيرة على الأولى وهذه المناسبة هي الاتحاد بين تظن وأرى وشبه التضايف بين سلمى وضمير المتكلم المستتر في «أرى» وهما محب ومحبوب، ولكن هذا العطف بينهما لو حدث لتوهم السامع أن جملة أراها معطوفة على جملة أبغي لقربها منها وحينئذٍ تكون هذه الجملة المعطوفة من مظنونات سلمى بمعنى أنها تظن أن الشاعر يبغي بها بدلًا وتظن أنه يراها تهيم في أودية الضلال، وبذلك يفسد المعنى المقصود لأنه يريد الإخبار بزعم سلمى والإخبار بخطئها في زعمها هذا، ومن أجل هذا الإيهام ترك العطف تحقيقًا للمقصود.

وقيل: إن هذا البيت يحتمل الاستئناف كأنه قيل: كيف تراها في هذا الظن فقال أراها تتحير في أودية الضلال، وأرى أن البيت يستقيم فيه الوجهان، ومن ذلك قول الشاعر: (الطويل)

يقولون إني أحملُ الضيمَ عندهم أعوذُ بربِّي أن يُضَامَ نَظِيري

لم يعطف جملة «أعوذ» على جملة «يقولون» لئلا يتوهم عطفها على جملة «أحمل» فتكون من مقولهم مع أنها ليست منه وإنما هي من مقوله لأنه يريد الإخبار عنهم بأنهم رموه بالذلة وبأنه بريء مما رموه به لذلك فصل جملة أعوذ عن جملة يقولون لئلا يوهم عطفها على التي قبلها لقربها منها وبذلك يتغير المعنى المراد، ولم يذكر البلاغيون له غير هذين الشاهدين.

[كمال الانقطاع بلا إيهام]

كما إذا كان بين الجملتين:

كمال الانقطاع(١).

[صوره](٢)

[١ - أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً لفظا ومعنى]

لتخالفهما خبرًا وإنشاء، لفظًا ومعنى نحو: (البسيط)

وقـال رائـدهـم أرسـوا نـزاولـها(٣) [١٣أ] ....

---

(١) معنى ذلك أنه إذا اختلفت النسبة بين الجملتين خبرًا وإنشاءً امتنع العطف؛ لأن العطف يقتضي التآلف والتناسب، وهما متباينتان تباينًا تامًا، ولذا سمي بكمال الانقطاع.
وسماه عبد القاهر الانقطاع إلى غاية، ومرد ذلك إلى الاختلاف في النسبة بين الجملتين خبرًا وإنشاءً، أي اختلافهما في كون إحداهما خبرًا والأخرى إنشاء من جهة اللفظ والمعنى.

(٢) يتحقق في ثلاث صور.

(٣) البيت في الكتاب لسيبويه منسوب للأخطل، وليس في ديوانه، وتمامه:

وكـل حَـتْـفِ امـرِئٍ يـجْـرِي بـمـقـدارِ

والرائد: الْمُرْسل فِي طلب الْكلأ، وأرسوا: بِقطع الْهمزَة من رست السَّفِينَة ترسو رسوا إِذا وقفت على الأنجر مُعرب لنكر، وَهُوَ: مرساة السَّفِينَة وَهِي خشبات يفرغ بَينهَا الرصاص الْمُذَاب فَتَصِير كصخرة إِذا رست رست السَّفِينَة، أَو هُوَ: من رست أَقْدَامهم فِي الْحَرْب أَي ثبتَتْ، ونزاولها: من المزاولة وَهِي المحاولة والمعالجة فِي تَحْصِيل الشَّيْء وَالضَّمِير للسفينة وَقيل: للحرب، وَقيل: للخمر، وَهُوَ لَا يُنَاسب ظَاهر الْبَيْت الَّذِي بعده

وَالشَّاهِد فِي قَوْله: نزاولها فَإِنَّهُ فَصله عَن قَوْله أرسوا لِأَن الأول أَمر وَالثَّانِي خبر فَامْتنعَ الْعَطف بَينهمَا لاختلافهما خَبرا وطلبًا لفظا وَمعنى. معاهد التنصيص ١/ ٢٧١.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، وكقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٠١]، وكقوله تعالى: =

[٢- أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء معنى فقط]

أو معنى فقط نحو: مات زيد رحمة الله[١].

[٣- ألَّا يكون بين الجملتين المتفقتين خبرًا وإنشاء جامع أي مناسبة خاصة]

أو لعدم الجامع بينهما[٢].

وإن لم يوهم خلاف المقصود.

افصل الثانية من الأولى وجوبا، ولذا لم يعطف قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [سورة البقرة: ٦]، على قوله [تعالى] ﴿ذَٰلِكَ

= ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠]، وقول الشاعر: (البسيط)

لا تحسِب المجدَ تَمرًا أنت آكِلُه ... لن تبْلُغَ المجدَ حتى تلعَقَ الصَّبِرا

وقول حسان بن ثابت: (البسيط)

أَصُونُ عِرْضِي بمالِي لا أُدَنِّسُهُ ... لا بارَكَ اللهُ بَعْدَ العِرْضِ في المالِ

وفي هذا البيت شاهد لكمال الاتصال وآخر لكمال الانقطاع، أما الأول فهو الفصل بين: (أصون عرضى بمالى)، وجملة: (لا أدنسه) الثانية توكيد للأولى وبينهما اتحاد في المعنى، وأما الثاني فهو الفصل بين شطري البيت، فالأول خبر والثاني إنشاء، ولا إيهام مع الفصل فيه وفي الشواهد قبله ولا يغيب عنك معرفة الخبرية من الإنشائية.

(١) المراد: أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً من حيث المعنى وإن اتفقا من حيث اللفظ، فالمعول عليه هو المعنى، كالشاهد الذي ذكره.

ومنه قول الشاعر: (السريع)

مَلَّكْتُهُ حبلي ولكنهُ ... ألقاه من زُهْدٍ على غاربي

وقالَ: إني في الهوى كاذبٌ ... انتقمَ اللهُ من الكاذبِ!

حيث فصل جملة «انتقم الله من الكاذب» عن قوله «وقال إني في الهوى كاذب» لأن الأولى خبرية لفظًا ومعنى، والثانية خبرية لفظًا إنشائية معنى فهي دعائية، وحمله عبد القاهر على الاستئناف.

(٢) كأن يقال محمد شاعر أحمد قصير، ومنه قول الشاعر: (الرجز)

وإنَّما المَرْءُ بأصْغَرَيْهِ ... كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ

فسِرُّ الفصل هنا هو كمال التباين وشدة التباعد.

ٱلْكِتَٰبُ﴾ [سورة البقرة: ٢]؛ لعدم الجامع، إذ تلك سيقت لمدح الكتاب، وبيان مكانه، والأخرى مسوقة لشرح تمردهم، وانهماكهم في الضلال، كما في الكشاف.

ولذا عيب على أبي تمام قوله: (الكامل)

لا والـــذي هـــو عـــالـــم أن الـنـوى   صـبـر وأن أبـــا الـحـسـيـن كـريـم

إذ لا مناسلة بين مر النوى، وكرم الممدوح[1].

وقولي وإن لم يوهم غير المقصود أشرت به إلى أن الإيهام بخلاف المقصود معرض للفصل.

وإن اتفقت الجملتان خبرًا وإنشاءً وذلك كما في كمال الانقطاع، أو عدم الجامع بلا إبهام، أو الإيهام بخلاف المراد.

[شبه كمال الاتصال]

ويفصل لكون الثانية كالمتصلة بالأولى، ككونها جواب سؤال اقتضته الأولى، فتنزل الأولى منزلة السؤال، وتفصل الثانية عنها، ويُسمى الفصل حينئذٍ استئنافًا[2]

---

(١) بيان ذلك: أنه لا توجد ثَمَّ مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين ولا تعلق لأحدهما بالآخر، فهو عطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر أي لأن تؤوُّل (أنَّ) مع خبرها بمفرد مضاف لاسمها، أو جعل عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موقع مفعولي عالم أي وقوع كل من الجملتين (أن النوى صبر) و(أن أبا الحسين كريم) وسد مسدهما، والمفعولان أصلهما المبتدأ والخبر وعلى هذا يكون تأويل عطف الجملة على الأخرى باعتبار الأصل وسر العيب أن وجود الجامع شرط في الصورتين، **وقد حاول بعضهم التماس مناسبة بينهما فقال**: الجامع خيالي لتفاوتهما في خيال أبي تمام، أو وهمي وهو ما بينهما من شبه التضاد لأن مرارة النوى كالضد لحلاوة الكرم، لأن كرم أبي الحسين حلو ويدفع بسببه ألم احتياج السائل، والصبر مر ويدفع به بعض الآلام، أو التناسب لأن كلًا دواء، فالصبر دواء العليل والكرم دواء الفقير، وكل هذه تكلفات باردة إذ المعتبر المناسبة الظاهرة القريبة. ينظر شروح التلخيص٣/ ١١.

(٢) يعنينا في المقام الأول بيان الفرق بين كمال الاتصال وشبهه، فالاتصال هناك اتصال كامل، أما هنا فليست الثانية عين الأولى، وإنما أبانت عن معنى أثارته الأولى، وهذه هي اللُّحمة التي بين الجملتين =

[أضرب الاستئناف البياني]

[١- السؤال عن السبب العام]

سواء كان السؤال عن سبب الحكم مطلقا[1].

= أي كان البيان هناك عين المبين ولكنه أدل منه على المراد وكذلك التأكيد عين المؤكد، والبدل كذلك ومِن ثَمَّ قيل إن الثانية فصلت عنها هناك لأن الشيء لا يعطف على نفسه.

ولكن العلاقة بين الجملتين كالعلاقة بين السؤال والجواب أي أن - الأولى تكون سببًا في وجود الثانية والثانية تنشأ من الأولى وتتولد منها وكأنها أصل ينبعث منه فرع لذا قال الخطيب «أما كونها بمنزلة المتصلة بها، فلكونها جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى، فتنزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال». راجع الإيضاح ودلالات التراكيب، ص٣٠٨.

وهذا هو الذي يسمى بالاستئناف البياني وليس المقصود به ابتداء الكلام وإنما هو استئناف جواب تولد من الجملة السابقة تلك التي حركت وأثارت النفس نحو سؤال يقتضي جوابًا.

(١) السؤال عن السبب العام، ومما هو شهير في ذلك قول الشاعر: (الخفيف)

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ ... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْن طَوِيلُ

قال الشيخ سليمان نوار - رَحِمَهُ اللَّهُ- في الشطر الأول سؤال وجواب حقيقيان ولا شأن لنا بهما، والشطر الثاني تعليل لقوله: قلت عليل لأنها تقتضى سؤالًا: ما سبب علتك؟

وهذا السؤال عن مطلق السبب وليس عن سبب خاص من أسباب العلة، والقرينة - كما قال السعد - العرف والعادة لأنه إذا قيل فلان مريض فإنما يسأل عن مرضه وسببه لا أن يقال: هل سبب علته كذا وكذا، لا سيما السهر الدائم والحزن الطويل حتى يكون السؤال عن السبب الخاص أي أنه لا دلالة لقوله: قلت عليل على السبب الخاص وإنما هو تصور فقط للعلة ويبقى السؤال عن سرها مطويًا والسؤال ليس إلَّا لتصور ماهية السبب فلا يغيب عنك أنه سؤال عن سبب العلة على الإطلاق، ثم تأمل قول أبي العلاء: (البسيط)

وقد غَرِضْتُ من الدّنيا فهَلْ زَمَني ... مُعْطٍ حَيَاتي لِغِرٍّ بَعْد ما غَرِضا

جَرّبْتُ دَهْري وأهلِيه فما تَرَكتْ ... لِيَ التّجارِبُ في وُدّ امرِئٍ غَرَضا

غرضت بمعنى: ضجرت، الغر: الغافل أي أن تجربته مع النَّاس لم تترك له حاجة في ودهم، أي: لِمَ تقول هذا ويحك وما الذي اقتضاك أن تطوى عن الحياة إلى هذا الحد كشحك **فقال**: جربت =

[٢- السؤال عن السبب الخاص]

أو عن سببه الخاص[١].

[٣- السؤال عن غير سبب].

أو عن غيرهما.

ومثال الأخير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [سورة هود: ٦٩][٢].

= دهري، **ولكن ماذا يقصد بقوله: (فهل زمني)** أيريد أن يقول إن الأغرار المقبلين على الحياة جديرون بتجاربى حتى لا تخدعهم الحياة كما خدعت أمثالهم - أم يريد أن يقول إنني لا غرض لي الآن في الحياة فلتسلب مني ولتعط لغيري من الأغرار؟

وخذ من شواهد هذا اللون من البيان قول الشاعر: (الوافر)

جَزَى اللَّهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّى مِنْ صَدِيقي

وقوله:- (البسيط)

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ ... لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللَهِ وَالنَّاسِ

ولا يخفي عليك ما فيها من البيان، وحسبي أن دللت على الطريق.

(١) السؤال عن السبب الخاص أهو حاصل أم غير حاصل.

ذكروا من شواهده قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ [سورة يوسف: ٥٣]، ولا يمكن أن يكون السؤال هنا لماذا لا تبرئ نفسك أو ما سبب ذلك وإنما يقدر: هل النفس أمارة بالسوء؟ فيأتي الجواب: إن النفس لأمارة بالسوء بقرينة التأكيد لأنه دليل على أن السؤال عن سبب خاص وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم لأن السائل مترددٌ في هذا السبب الخاص هل هو سبب الحكم أم لا والمخاطب إذا كان مترددًا حسن تقوية الحكم بمؤكد استحسانًا وليس كل سؤال عن سبب خاص يحتاج للتأكيد وإنما يحتاج إليه إذ كان المخاطب مترددًا وقد تقدم له ما يلوح بحكم الخبر كما سبق في باب الإسناد الخبري، وقد يأتي السؤال عن السبب الخاص بدون تأكيد كما في قول الشاعر: (الوافر)

إذا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أُنَاسٍ ... كَلاكِلَهُ أناخَ بآخَرِينَا

فقلْ للشَّامِتينَ بِنا: أفيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامتونَ كَمَا لَقِينا

(٢) هذا هو النوع الوحيد الذي ذكر له شاهدا، وبيانه كما يأتي:

السؤال عن غير السبب العام أو الخاص وإنما عن شيء قد يكون عامًا وقد يكون خاصًا، فالأول =

= كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الذاريات: ٢٤-٢٩]. فقوله: (قالوا) يقتضي سؤالًا عما أجاب به إبراهيم عن قولهم هذا فيكون التقدير: فماذا قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في جواب سلامهم فقيل: قال سلام، فالسؤال هنا ليس عن سبب عام أو خاص أي قول سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس سببًا لسلام الملائكة لا عامًا ولا خاصًا ولكنه عام في حد ذاته، فالتقدير: أي قول قال لهم إبراهيم؟ ويلاحظ في هذه الآيات تعدد الجملة المبدوءة بالقول وكل ما في القرآن من لفظ قال بلا عاطف يكون على هذا الاستئناف، قال الإمام عبد القاهر: واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ (قال) مفصولًا غير معطوف هذا هو التقدير فيه، ثم أبان عن وجهه في هذه الآية فقال: «جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال. فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقولوا: فما قال هو؟ ويقول المجيب: قال كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه. ينظر دلائل الإعجاز ٢٤٠. وراجع إن شئت الآيات من سورة الشعراء ٢٣-٣١، والحجر ٥٧-٥٨، ويس ١٣-٢١، وغير ذلك، **ومن الثاني قول الشاعر**: (الكامل)

زَعَمَ العَواذِلُ أنني في غَمْرَةٍ ... صَدَقوا ولكن غمرتي لا تَنْجَلي

تستعمل (زعم) كثيرًا في الباطل وقليلًا ما تكون في الحق كهذا البيت بدليل قوله صدقوا وعواذل جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة فمعنى عواذل جماعات تعذل وتلوم، فالجملة الأولى: زعم العواذل تثير سؤالًا مؤداه: أصدقوا في هذا الزعم أم كذبوا؟ فجاءت الثانية صدقوا جوابًا عنه، وصدقهم ليس سببًا عامًا أو خاصًا للزعم، فالسائل متصور للصدق والكذب وسؤاله عن تعيين أحدهما فالسؤال إذن عن هذا الشيء الخاص الذي تردد فيه، ومثله قول جندب بن عمار: (الكامل)

زعمَ العواذِلُ أن ناقةَ جُندَبٍ ... بجَنوب خَبْتٍ عُرِّيَتْ وأُجِمَّتِ

كذبَ العواذِلُ لو رأينَ مُناخنَا ... بالقادسيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وذلَّتِ

ويقول الخطيب: «وقد زاد هنا أمر الاستئناف تأكيدًا بأن وضع الظاهر موضع المضمر، أي قال: كذب العواذل ولم يقل كذبن من حيث وضعه وضعًا لا يحتاج فيه إلى ما قبله وأتى به مأتى ما ليس قبله كلام، ومثله قول الوليد بن يزيد الأموي: (الهزج)

عَرَفْتُ المنزلَ الخالي ... عَفا من بعْدِ أحوالِ

عَفاهُ كُلُّ حَنَّانٍ ... عَسوفِ الوبْلِ هَطَّالِ

عفا: درس، من بعد أحوال: أي الأحوال التي سعد فيها بسكانه، والحنان السحاب، وعسوف الوبل: شديد المطر، فإنه لما قال: عفا، وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه كان مظنة أن يسأل عن =

[أقسام الاستئناف باعتبار ما استؤنف عنه الحديث]

ومن الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه، أويبنى على صفته، والثاني أبلغ(١).

[أغراض الاستئناف]

والاستئناف للتنبيه على السؤال، أو المنهي عنه؛ أو لئلا يسمع منه شيء؛ تحقيرا له، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للاختصار بالقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ، أو غير ذلك(٢).

= الفاعل كأنه قيل: فما عفاه؟ فقال: عفاه كل حنان، وقول الشاعر: (الوافر)

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ ... لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافُ

وذلك أن قوله «لهم إلف» تكذيب لدعواهم أنهم من قريش فهو إذن بمنزلة أن يقول: كذبتم لهم إلف وليس لكم إلاف، ومنه قول اليزيدي: (السريع)

ملَّكْتُهُ حبلي ولكنهُ ... ألقاه من زُهْدٍ على غاربي

وقالَ: إني في الهوى كاذبٌ ... انتقمَ اللهُ من الكاذبِ!

كأنه قيل: فما تقول فيمن اتهمك بالكذب؟ قال: انتقم الله من الكاذب.

(١) بيان هذا:

١ - أن يعاد المستأنف عند الحديث باسمه الخاص نحو: أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان.

٢ - أن يعاد بصفته نحو: أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك. وهذا أبلغ لانطوائه على بيان السبب الموجب للحكم والمقام هو الذي يحدد نوع السؤال.

(٢) توضيح هذه الأغراض:

هذه دلالات لطيفة للاستئناف ذكر منها البلاغيون:

١ - تنبيه السامع على موقفه.

٢ - إغناء السائل عن السؤال تعظيمًا لمكانته أو إشفاقًا عليه والبليغ شأنه إذا تكلم بكلام متضمن لسؤال يأتي بجواب ذلك السؤال من غير أن يحوج السامع إلى السؤال.

٣ - عدم السماع منه تحقيرًا أو كراهية لكلامه.

٤ - عدم القطع بين الكلام أي ألا ينقطع كلامه بكلام السامع. =

[مواضع الوصل]

[التوسط بين الكمالين]

وإن توسطت(١): الثانية بين حالتي الاتصال، وكمال الانقطاع، فلم ينزل..............

= ٥ - قصد الإيجاز بتكثير المعنى وتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العطف
٦ - التنبيه على فطانة السامع وأن المقدر عنده كالمذكور.
التنبيه على بلادته وعدم تنبهه لذلك إلَّا بعد إيراد الجواب عنه وبذلك يتبين أن سر الربط هو تتميم الثانية للأولى ولا يمكن الاكتفاء بواحدة منهما فإذا تأملت قول حافظ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: **(الرمل)**

لا تَـلُـم كَـفّـي إذا الـسَـيـفُ نَـبـا ... صَـحَّ مِـنّـي الـعَـزمُ وَالـدَهـرُ أبـي

رأيت أن الشطر الأول منه يحرك السامع إلى السؤال عن هذا النهي عن اللوم إذا نبَا سيفُه، وقدْ قَدَّرَ الشاعرُ في نفسه ذلك فأعطاك الجواب دون أن تسأل «صَحَّ مِنّي العَزمُ وَالدَهرُ أبى» والسؤال المقدر منزلٌ منزلة الواقع فكما لا يصح العطف بين السؤال الحقيقي وجوابه كذلك لا يصح بين السؤال التقديري وجوابه لأن الجواب ههنا مكمل للسؤال وكذلك قول الشاعر: (البسيط)

لـولا أمـيَّـةُ لـم أجْـزَعْ مِـنَ الـعـدمِ ... ولـم أقـاس الـدُّجَى في حَـنْـدسِ الظُّلَمِ

و زادَنـي رغبـةً فـي الـعـيشِ معرفتي ... ذُلَّ اليتيمة يجفوها ذَووا الـرَّحِـمِ

أُحَـاذِرُ الـفـقـرَ يـومًـا أن يَـلُـمَّ بها ... فيهتِكُ الـسـتْـرَ عـن لـحـمٍ على وضَـمِ

نجد أن البيت الأول والثاني في حاجة إلى الثالث.

(١) **التوسط بين الكمالين** هو: أن تتفق الجملتان خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى أو معنى فقط بجامع أي: بأن يكون بينهما جامع بدلالة ما سبق، ثم الجملتان المتفقتان خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى قسمان، لأنهما إمَّا إنشائيتان أو خبريتان، والمتفقتان معنى فقط ستة أقسام لأنهما إن كانتا إنشائيتين معنى فاللفظان إمَّا خبران أو الأولى خبر والثانية إنشاء أو بالعكس وهذه ثلاث صور.
وإن كانتا خبريتين معنى، فاللفظان إمَّا إنشاءان، أو الأولى إنشاء والثانية خبر، أو بالعكس، وهذه ثلاث أخرى بالإضافة إلى الصورتين الأولى والثانية فيكون المجموع ثماني صور وتلك هي على وجه الإجمال، وتفصيلها كما يأتي:
١ - اتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المطففين: ٢٢-٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [سورة الأنعام: ٩٥]، و﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [سورة النساء: ١٤٢]. =

من الأولى كنفسها.

= ٢ - اتفاقهما في الإنشائية كذلك كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [سورة الأعراف: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠].

أما اتفاقهما في المعنى دون اللفظ فصوره كما يلي:

١ - أن تتفقا في كونهما إنشاءً في المعنى واللفظ في صورة الخبر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، فجملة: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ خبرية لفظًا ومعناها إنشاء، لأنها ميثاق وأخذه يقتضي الأمر والنهي ومعناها لا تعبدوا.. على النهي، وجملة: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ خبرية لفظًا إنشائية معنى إذا قدر أن إحسانًا معمول لفعل محذوف وتحسنون على معنى وأحسنوا.

٢ - أن تتفقا في كونهما إنشاء في المعنى، ولكن لفظ الأولى خبر ولفظ الثانية إنشاء، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ على تقدير أن الفعل العامل في المصدر طلبي بمعنى وأحسنوا بالوالدين إحسانًا. فجملة: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إنشائية معنى خبرية لفظًا، وجملة (وأحسنوا) إنشائية لفظًا ومعنى، أما عطف ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، على: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ فهو مطابق لهذه الصورة أيضًا إذ الأولى إنشائية لفظًا ومعنى والثانية خبرية لفظًا إنشائية معنى.

٣ - اتفاقهما في الإنشائية من حيث المعنى ولفظ الأولى إنشاء ولفظ الثانية خبر كقولهم «قم الليل وأنت تصوم النهار» على معنى قم الليل وصم النهار هذه ثلاث صور اتفقت في الإنشائية واللفظ مختلف.

٤ - اتفاقهما في الخبرية معنى واللفظ إنشاء، كقولهم: ألم آمرك بالتقوى وألم آمرك بترك الظلم. والاستفهام تقريري، ومعناه خبري أي أمرتك بالتقوى وحذرتك من الظلم.

٥ - اتفاقهما في الخبرية معنى أيضًا ولفظ الأولى خبر والثانية إنشاء كقولهم أمرتك بالتقوى وألم آمرك بترك الظلم، بمعنى أمرتك بترك الظلم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة هود: ٥٤]، بمعنى إني أشهد الله وأشهدكم أيضًا.

٦ - اتفاقهما في الخبرية من حيث المعنى ولفظ الأولى إنشاء والثانية خبر كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩]. فالأولى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ إنشائية لفظًا خبرية معنى، لأن الاستفهام فيها على معناه الحقيقي فهو إنكاري، أي ينكر عليهم صنيعهم، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب **والثانية**: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ خبرية لفظًا ومعنى. وهذه صور التوسط بين الكمالين السابقين.

ولم تكن فاقدة الجمع[١]، ولا موهم الأصل فيها خلاف المراد، ولم تكن كاملة الانقطاع مما قبله.

فالوصل: بين الجملتين.

بجامع: بينهما عقلي، أو وهمي، أو خيالي، ويجب أن يكون الجامع باعتبار المسند إليه، وباعتبار المسند في كلا الجملتين[٢].

---

(١) يجب أن نعلم أن ثمة جامعًا بين أطراف الكلام ذكرت الواو أو حذفت وأنها حين تسقط يجد العقل في التقاط المشابهات بين المعاني والجمع بين أطراف الكلام وحين تذكر الواو فهي الجامعة أشار إلى ذلك السيد الشريف حين قال: «والأحسن أن يقال: الجملتان إذا لم يعطف إحداهما على الأخرى فُهِمَ اجتماع مضمونيهما في الحصول بدلالة العقل ضرورة أن الأمور الواقعة في نفس الأمر تكون مجتمعة فيها وربما لا تكون هذه مقصودة للمتكلم وإذا عطف بالواو فقد دل على الاجتماع بدلالة لفظية مقصودة» حاشيته على المطول ٢٥٠ وينظر دلالات التراكيب ٣٣٤.

(٢) **الجامع**: سبق أن أشرنا إلى أهمية وجود الجامع بين أطراف الكلام ذُكِرَت الواو أو حُذِفَت، وأن العطف يقتضي مناسبة بين الجملتين، وهذه المناسبة المسوغة للعطف يجب أن تتوفر في المسند والمسند إليه والمتعلقات؛ **لذلك قال الإمام عبد القاهر**: «اعلم أنه كما يجب أن يكون المحدث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر في الأول.

فلو قلت: زيد طويل القامة وعمرو شاعر. كان خلْفًا، لأنه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقًا للمعنى في الأخرى ومضافًا له، والمعاني في ذلك كالأشخاص. فإنما قلت مثلًا: العلم حسن، والجهل قبيح؛ لأن كون العلم حسنًا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحًا»، فلابد من وجود مناسبة بين الكلامين، ولهذا حكموا بامتناع نحو خُفي ضيق وخاتمي ضيق، لأنه لا مناسبة خاصة بين المسند إليهما وهما الخف والخاتم، ولا عبرة بمناسبة كونهما معًا ملبوسين لبعدهما ما لم يوجد بينهما تقارن في الخيال.

أقسام الجامع

قالوا: والجامع بين الشيئين: عقلي، وهمي، وخيالي.

١ - **أما العقلي فهو**: أن يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل أو تضايف.

بيانه: العقلي هو أن يكون الجمع بين الشيئين حقيقيًّا أي في الواقع ونفس الأمر، ومثال اتحادهما في التصور بأن يكونا شيئًا واحدًا حقيقة بالشخص والنوع قول الشاعر: (البسيط)

واعتبر السكاكي كون الجامع بين الجملتين عند القوة المفكرة من جهة العقل، أو من

سافِر تَجِد عِوَضًا عَمَّن تُفارِقُهُ وَانصَب فَإِنَّ لَذيذَ العَيشِ في النَصَبِ

فالمسند إليه واحد وهو الفاعل المستتر، والمسند في الأولى السفر وفي الثانية النصب، وهما متحدان في تصور الشاعر وكذلك ما يترتب عليهما، ومثله قول المتنبي: (البسيط)

أَنا الَّذي نَظَرَ الأَعمى إِلى أَدَبي وَأَسمَعَت كَلِماتي مَن بِهِ صَمَمُ

فهناك تماثل بين طرفي الجملة: المسند إليه والمسند والقيد، ونظر الأعمى لأدب المتنبي وسمع الأصم لكلماته يتماثلان في أن كلًّا منهما أدرك عظمته ولما وجد التماثل كان الوصل بينهما. والمراد بالتماثل اتفاقهما في الحقيقة واختلافهما في الشخص مع اشتراكهما في وصف له نوع اختصاص بهما.

أما التضايف فهو: أن يكونا بحيث لا يمكن تعقل كل منهما من غير الآخر كما بين المبادرة إلى الفرصة والنهوض في قول الشاعر: (السريع)

بادرْ إلى الفُرْصَةِ وانْهَضْ لِمَا تُريدُ منها فَهي لا تلبثُ

فالمسند إليه واحد وهو الفاعل المستتر، والمسند في الأولى: النهوض سبب عن المبادرة وهي المسند في الثانية.

٢ - **أما الوهمي:** فهو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلون بياض ولون صفرة، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله: (البسيط)

ثَلاثَةٌ تُشرِقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضحىَ وأبو إسْحاقَ والقَمَرُ

فالثلاثة بينها تماثل في الإشراق، والوهم يبرزها في معرض الأمثال ويتوهم أن هذه الثلاثة من نوع واحد وإنما اختلفت بالعوارض والمشخصات بخلاف العقل فإنَّه يعرف أن كلًّا منها من نوع آخر.

ومن الوهمي أيضًا أن يكون بين تصوريهما تضاد أو شبه تضاد والمراد بالتضاد ما يشمل تقابل الضدين كالسواد والبياض والهمس والجهر، وتقابل الإيجاب والسلب... إلخ.

والمراد بشبه التضاد تقابل الشيئين الذين لا يتنافيان في ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى ينافي ما يستلزمه الآخر، كالسماء والأرض والسهل والجبل والضحك والبكاء.

٣ - **أما الخيالي:** أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق على وصل الثانية بالأولى.

وأسبابه مختلفة؛ ولذا اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبًا ووضوحًا، فكم صور تتعانق في خيال وهي في آخر لا تتراءى، وكم صور لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم.

ومن شواهده قول الله - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية: ١٧-٢٠]. **يقول الزمخشري:** فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم، أي: لما كان =

جهة الوهم، أو جملة الخيال[(١)].

أرجح: فإذا قصد تشريك الثانية للأولى في حكم إعرابها، وهي ذات إعراب عطفت عليها كالمفرد، نحو: زيد يعطي، ويمنع.

وشرط كون العطف مقبولًا في نحو الواو من حروف الجمع: أن يكون بينهما جهة مانعة، كالتضاد بين الإعطاء، والمنع، والإيجاد، في: يكتب زيد ويشعر.

وإن لم يقصد تشريك الثانية للأولى فصلت الثانية عنها وجوبًا نحو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥]، لم يعطفها على قول المنافقين ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤]؛ لأنه ليس من قولهم، فلو عطفت لأوهم خلاف المراد[(٢)].

وتقدم وجوب الفصل عند الإيهام، ولم يعطف قوله [تعالى]» ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾» على [قوله تعالى حكاية عنهم] ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لأن الثانية منزلة منزلة نفس الأولى؛ لاتحادها معنى فهي كالتوكيد اللفظي، وسبق فيه الفصل.

فإن لم تكن ذات إعراب فإن قصد ربط الثانية بالأولى على معنى عاطف غير الواو عطف به، نحو: جاء زيد، فخرج عمرو، إذا قصد التعقيب، فإن لم يقصد ذلك وكان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية [١٣ب] وجب الفصل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لم يعطف على قوله «قالوا»؛ لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المتقدم.

❊ ❊ ❊

= الخطاب للعرب وهذه الأشياء تجتمع في خيالهم، فالإبل عماد حياتهم والسماء مناط أبصارهم والأرض محط نظرهم والجبال ملجؤهم.... لما اجتمعت في خيالهم جاز العطف، ووصف ورَّاق حاله فقال: حالي أضيق من محبرة وجسمي أدق من مسطرة وحظي أخف من مشق القلم وطعامي أمر من العفص وشرابي أشد سوادًا من الحبر.

وليس بين هذه الأمور اجتماع في الظاهر، ولكن ربط بينهما خيال الكاتب لأنها أدواته التي يعتمد عليها فنه، لذا اقترنت في خياله.

(١) ينظر مفتاح العلوم ٢٥٧.

(٢) سبق بيان ذلك وتوضيحه..

[كمال الانقطاع مع الإيهام]

وكذا يرجح الوصل لدفع الإيهام[١] نحو قولك: لا وأيدك الله.

فقوله (لا) رد لكلام سابق، كأنه قيل: هل الأمر كذا؟ فقيل لا، ليس الأمر كذلك، فهذه جملة خبرية، و(أيدك الله) إنشائية معنى، فبين المتعاطفين: كمال الانقطاع، لكن لما كان الفصل يوهم خلاف المقصود وصل؛ إذ لو حذف العاطف لأوهم أنه دعاء على المخاطب[٢].

---

(١) ويتحقق فيما إذا كان بين الجملتين كمال الانقطاع السابق من اختلافهما خبرًا وإنشاءً غير أن ترك العطف يوهم خلاف المراد فيقتضي المقام ذكر الواو لدفع إيهام خلاف المراد وهذا هو سر الوصل.

(٢) ومن ذلك: ما حكي عن أبي بكر - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أنه مر برجل في يده ثوب فقال له الصديق: «أتبيع هذا الثوب؟ قال: لا رحمك الله، فقال له الصديق: قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون، لا تقل هكذا قل: عافاك الله لا. وحكاه الزمخشري في ربيع الأبرار فقال: إن الصديق قال له: قل لا ويرحمك الله.
ومثله ما روى أن المأمون سأل ابن المبارك عن شيء فقال له ابن المبارك: لا وجعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين، فقال له المأمون: لله درك ما وضعت واو قط موضعًا أحسن من موضعها في لفظك، وكان للصاحب ابن عباد إعجاب بهذه الواو فهي عنده أجمل من الواو على خدود الغانيات، وذلك لأنها دفعت وهمًا كان ماثلًا بدونها.
غير أن البهاء السبكي يرى في ذكر هذا القسم في باب الوصل إشكالًا وهو أن هذه الواو إذا جاءت لدفع الوهم فالظاهر أنها زائدة، وليست عاطفة بل زيدت لدفع توهم النفي لما بعدها فهي في الحقيقة دخلت زائدة لتأكيد عودها لما قبلها، وذلك شأن الزائد يؤتى به للتأكيد، والتأكيد أكثر ما يأتي لدفع إيهام غير المراد.
وقد جوز الكوفيون زيادتها وتبعهم ابن مالك وجوزه الأخفش في بعض المواضع وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٧٣]، وقيل المزيد الواو في ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، وإذا لم يجز زيادتها فالظاهر أن المعطوف محذوف والتقدير لا وأقول أكرمك الله وعلى التقديرين لا يعد ذلك فيما نحن فيه إنما نتكلم في الوصل بحرف عاطف حذرًا من إيهام عطف شيء على ما لا يصلح أن يعطف عليه وليس الأمر هنا كذلك دائمًا لعدم العاطف إن لم يجعل حرف عطف أو لتقدير معطوف خبري يصح عطفه على ما قبله من غير حذر الإيهام، والأحسن جعل الواو زائدة، وإذا كان الوصل الصوري بالحرف الزائد يدفع الوهم فأي داع إلى أن يؤتى بالوصل المعنوي في =

بخلاف التأييد فلدفعه وصلت الثانية بالأولى، كما ترك الوصل في قوله: (الكامل)

أُراهــــا فــي الــضـــلال تـهـيـم

فيما مر.

فلهذه القوى المدركة أنواع، فالعقل هو القوة المدركة للكليات، والوهم هو[1] القوة المدركة للمعاني الجزئيات الموجودة في المحسوسات، كإدراك العداوة أو الصداقة من زيد مثلًا.

والخيال قوة تجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى بها بعد غيبتها عن الحس المشترك، وهي القوة التي تنادي إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة، فتدركها، وهي الحاكمة بين المحسوسات.

والمراد بالصور: ما يمكن إدراكه بإحدى الحواس الظاهرة، وبالمعاني: ما لا يمكن.

وأما المفكرة فهي التي لها قوة التفصيل، والتركيب، بين الصور المأخوذة من الحس المشترك.

والمعاني المدركة بالوهم بعضها مع بعض دائمًا، لا تشكي نومًا ولا يقظة، وليس من شأنها أن يكون عملها منظمًا، بل النفس تستعملها على أي نظام تريد، فإن استعملتها بواسطة القوة الوهمية فهي التخييلية، أو بواسطة القوة العاقلة وحدها، أو مع القوة الوهمية فهي الفكرة.

[فروق الجملة الحالية]

٦٩- ....، ثُـــمَّ الْفَـصْـلُ

٧٠- لِلْحَالِ حَيْثُ أَصْلُهَا قَدْ سَلِمَا أَصْـــلٌ، وَإِنْ مُـرَجِّـحٌ تَـحَـتَّـمَـا

= غير محله مع الاستغناء عنه. ينظر عروس الأفراح ٣/ ٦٨.

والأَوْلَى أنها عاطفة لدفع الإيهام كما اعتبرها البلاغيون ولا داعي لهذه التمحلات التي تفتح بابًا من الغموض والتعقيد.

(١) في الأصول: هي.

ثم الفصل: أي ترك الواو.

للحال: المنتقلة[١] الواقع جملة.

حيث أصلها وهي: الحال المفردة[٢].

قد سلما: منها كالخبر بل الحال نوع منه.

قال الشيخ عبد القاهر: اعلم أن الخبر ينقسم إلى خبر هو جزء الجملة لا تتم الفائدة بدونه، كخبر المبتدأ في: زيد منطلق، والفعل، بقولك: خرج زيد، وإلى خبر ليس بجزء منها، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له، كالحال في: جاء زيد راكبًا؛ لأن الحال في الحقيقة خبر من حيث إنك مثبت بها المعنى لذي الحال، كما نسبت خبر المبتدأ للمبتدأ، والفعل للفاعل[٣].

هذا، وقد تقرر في النحو أن الحال نوعان: حال بالإطلاق، وحال بالتأكيد.

والمؤكدة مطلقًا لإيجادها بالمؤكد، لا حاجة لها في مورد من الموارد إلى الواو الرابطة، والمنتقلة من غير المؤكدة، قد تقترن به؛ فلذا خصت بالذكر.

وخبر قوله:

الفصل قوله: صل، أي ترك الواو من الجملة الحالية المنتقلة، وربطها بالضمير هو

---

(١) وفي «المفتاح»: أن الحال المطلقة هي المنتقلة وما يقابلها يقيد بالمؤكدة. (أن يكون بغير واو) وإنما قيدها بالمنتقلة؛ لأن المؤكدة يجب فيها ترك الواو نحو: هو الحق لا شبهة فيه. ٢٤٧.

(٢) يوضح ذلك العصام فيقول: أصل الحال المنتقلة: أن تكون بغير واو؛ لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر، ووصف له كالنعت، لكن خولف هذا إذا كانت جملة، فإنها من حيث هي جملة مستقلّة بالإفادة؛ فتحتاج إلى ما يربطها بصاحبها، وكلّ من الضمير والواو صالح للربط، والأصل هو الضمير؛ بدليل المفردة، والخبر، والنعت.

فالجملة: إن خلت عن ضمير صاحبها، وجب الواو، وكلّ جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن ينتصب عنه حال: يصحّ أن تقع حالا عنه بالواو، إلا المصدّرة بالمضارع المثبت؛ نحو: «جاء زيد»، و«يتكلّم عمرو» الأطول ٢/ ٦٢.

(٣) دلائل الإعجاز ١٧٣.

الأصل، كالحال المفرد، وكالنعت، والخبر، وإن ربطت أيضًا بالواو.

والجملة الحالية إن خلت عن ضمير صاحبها الذي يجوز أن يستغني عنه، قرنت بالواو وجوبًا؛ لربطها بصاحبها إلا المصدرة بالمضارع المثبت، فلا تكون حالًا؛ لوجوب ارتباط الجملة الفعلية المثبت فعلها بصاحب الحال من الضمير.

ويمتنع دخول الواو على الجملة الفعلية المصدرة بمضارع مثبت نحو [قوله تعالى]: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [سورة المدثر: ٦][1]؛ لأن أصل المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة، مقارن لما جعلت الحال قيدًا له، والمضارع كذلك، إما للحصول؛ فلكونه فعلًا مثبتًا، والمقارنة؛ لكونه مضارعًا.

وما جاء من نحو قمت، وأصك وجهه، ونحو قولك: (المتقارب)

نَـجَـوْتُ وَأَرْهَـنُـهُـمْ مَـالِـكَـا[2]

---

(١) يقول الإمام عبد القاهر: وإن كانت الجملةُ من فِعْلٍ وفاعلٍ، والفعلُ مضارعٌ مُثْبَتٌ غيرُ منفيٍّ، لم يكَد يَجيء بالواوِ، بل تَرى الكلامَ على مَجيئها عاريةً مِنَ «الواو»، كقولك: «جاءني زيدٌ يَسْعى غلامُه بين يديه»... وكذلك قولُك: «جاءني زيدٌ يُسْرِعُ»، لا فصل بين أن يكون الفعلِ ذي الحالِ، وبينَ أن يكونَ لمن هو مِنْ سَبَبِه، فإنَّ ذلك كلَّه يستمرُّ على الغَنى عن «الواوِ»، وعليه التنزيلُ والكلامُ. ومثالُهُ في التنزيل قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ وقولُه تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [سورة الليل: ١٧-١٨]، وكقوله عزَّ اسمُه: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾ [سورة الأعراف: ١٨٦]. دلائل الإعجاز ٢٠٥.

(٢) البيت لعبد الله بن همام السلولي في دلائل الإعجاز، ومعاهد التنصيص، وغيرهما، والشطر الأول منه:
فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ
وَالْمعْنَى: لما خشيت حَملته، وإنشاب أَظْفَاره، ونجوت، وخليت بَينه وَبَين مَالك.
وَالشَّاهِد فِيهِ: دُخُول وَاو الْحَال على الْمُضَارع الْمُثبت الْمُمْتَنع دُخُولهَا عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَة الفعلية الْوَاقِعَة حَالا من ضمير صَاحبهَا غَيْر الخالية مِنْهُ، إِذْ قد قيل إِنَّه عَليّ حذف الْمُبْتَدَأ أَي: وَأَنا أرهنهم، فَتكون اسميه فَيصح دُخُولهَا.
وَعَلَيهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [سورة الصف: ٥] أَي: وَأَنْتُم قد تعلمُونَ، وَقيل ضَرُورَة.
وَقَالَ عبد القاهر: هِيَ فِيهِ للْعَطف وَالْأَصْل: ورهنتهم، عدل إِلَى الْمُضَارع لحكاية حَال مَاضِيَة، =

فعلى تقدير مضمر مبتدأ، أي وأنا، أو المثال شاذ، والبيت ضرورة وجعلها الشيخ عبد القاهر [١٤أ] عاطفة على الفعل قبلها، والأصل صككت، ورهنت، وعدل إلى لفظ المضارع؛ لحكاية الحال.

أما المضارع المنفي، أي بغير لن، فيجوز إثبات الواو، وتركها، كقراءة ابن ذكوان: ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِ﴾ [سورة يونس: ٨٩]، بتخفيف النون[١].

وكذا يجوز الوجهان في المصدرة بماضي لفظًا، أو معنى نحو [قوله تعالى]: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [سورة النساء: ٩٠]، أو [قوله تعالى]: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [سورة مريم: ٢٠][٢].

= وَمَعْنَاهُ أنه يفْرض مَا كَانَ فِي الزَّمن الْمَاضِي وَاقعا فِي هَذَا الزَّمَان فَعبر عَنهُ بِلَفْظ الْمُضَارع كَمَا فِي قَول الشَّاعِر: (الْكَامِل)

وَلَـقَـد أمـرَ عَـلـى الـلَّـئِـيم يسبني

أَي مَرَرْت، وروى: وأرهنتهم. وَالْأول رِوَايَة الْأَصْمَعِي وَاسْتَحْسنهُ ثَعْلَب. معاهد التنصيص١/ ٢٨٥، وينظر دلائل الإعجاز ٢٠٥.

(١) يقول ابن عقيل عن المضارع المنف: لا يجوز اقترانه بالواو كالمضارع المثبت، وأن ما ورد مما ظاهره ذلك يؤول على إضمار مبتدأ كقراءة ابن ذكوان: «﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِ﴾» بتخفيف النون، والتقدير وأنتما لا تتبعان ف «لا تتبعان» خبر لمبتدأ محذوف. شرح ابن عقيل ٢/ ٢٨٣، و(لا) للنفي دون النهي لثبوت النون التي هي علامة الرفع، فلا يصح عطفه على الأمر قبله فتكون الواو للحال، بخلاف قراءة العامة: وَلا تَتَّبِعانِّ بالتشديد، فإنه نهي مؤكد معطوف على الأمر قبله، (ونحو: ﴿وَمَا لَنَا﴾ [سورة المائدة: ٨٤]. أي: أي شيء ثبت لنا ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ أي: حال كوننا غير مؤمنين، فالفعل المنفي حال بدون الواو، وإنما جاز فيه الأمران (لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا، دون الحصول لكونه منفيا). التلخيص للقزويني ٢٠٠.

(٢) يوضحه بهاء الدين السبكي بقوله: يعني إذا كان الماضي لفظا أو معنى جاز الأمران من غير ترجيح، فإثبات الواو كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾. وتركها كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ وهما مثالان للماضي لفظا ومعنى: أما حصرت فواضح، وأما بلغني فلأنها حال من اسم يكون، وهو مستقبل المعنى فهو ماض بالنسبة إلى وقت كون الولد على أحد الاحتمالين الآتيين، والأول معه قد دون الثاني، ثم استشهد للماضي معنى لا لفظا بالمضارع المجزوم بلم كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ فقد ثبتت الواو، وقوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ =

وإنما جاز الأمران في المضارع المنفي؛ لدلالته على المقارنة، لكونه مضارعا، دون الحصول لكونه منفيًا.

وفي الماضي المثبت لدلالته على الحصول؛ لكونه فعلًا دون المقارنة لكونه ماضيًا.

ولذا شرط كون (قد) معه ظاهرة، أو مقدرة.

وأما المنفي لدلالته على المقارنة دون الحصول، ثم الأمران لا ترجيح بينهما خلافًا للسكاكي فعنده الفصل، أي ترك الواو أرجح[1]، وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور جواز ترك الواو بعكس الماضي المثبت نحو: كلمته فوه إلى فيّ[2].

= ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٤]، فقد استعمل بغير واو وفيه نظر؛ لاحتمال أن تكون الجملة خبرية وقطعت لقصد الاستئناف أو بدلا والمجزوم بلما كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [سورة البقرة: ٢١٤]، وقد تضمن كلامه أن المضارع المنفي بلا أو لم أو لما، والماضي كل منهما يجوز فيه دخول الواو وتركها على السواء... عروس الأفراح ١/ ٥٦٣.

(١) ينظر مفتاح العلوم ٢٢٨

(٢) وفيه يقول الشيخ عبد القاهر: فإن قلتَ: فقد يَنبغي على هذا الأصلِ أن لا تجيء جملةٌ مِن مبتدإٍ وخبرٍ حالًا إلَّا مع «الواو»، وقد ذكرتُ قبْلُ أنَّ ذلك قد جاءَ في مواضعَ من كلامهم.
فالجوابُ: أنَّ القياسَ والأصْلَ أن لا تَجيءَ جملةٌ مِن مبتدإٍ وخبرٍ حالًا إلَّا مع «الواو»، وأمَّا الذي جاءَ من ذلك فَسَبيلهُ سبيلُ الشيءِ يَخرجُ عن أَصْله وقياسِه والظاهرِ فيه، بضربٍ منَ التَّأويل ونوعٍ منَ التشبيه، فقولُهم: «كلَّمتُهُ فوهُ إلى فيَّ» إنما حَسُن بغيرِ «واو» من أجْلِ أنَّ المعنى: كلَّمْتُهُ مشافِهًا لَهُ وكذلك قولُهم: «رجعَ عَوْدُه على بَدْئه»، إنما جاءَ الرفعُ فيه والابتداءُ من غيرِ «واو»، لأن المعنى: رجَعَ ذاهبًا في طريقه الذي جاءَ فيه وأما قولُه: «وجدتُه حاضِراهُ الجودُ والكرمُ» فلأنَّ تقديمَ الخَبر الذي هو «حاضِراهُ»، يجعله كأنه قال: «وجدتُه حاضرًا عندَهُ الجودُ والكرمُ». دلائل الإعجاز٢١٨
وفيه يقول الدسوقي: فترك الواو في هذه الجملة لتأولها بالمفرد وهو مشافها، وكقوله تعالى ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [سورة البقرة: ٣٦].
فإن ترك الواو فيها لتأولها بمتعادين، وهذا التأويل لا يحسن في نحو: جاء زيد هو يسرع؛ لأن التأويل فيه ليس باستخراج معنى من الجملة يعبر عنه بالمفرد قد باح به السياق، فعدل عنه لمعنى في الجملة: كالتصريح بعداوة بعضهم بعضا المفيد للتفريع على التعادي من الأبعاض مع شمول الجنس لهم، بخلاف قولنا متعادين فليس صريحا في ذلك ولو اقتضاه، وإنما التأويل بإسقاط الضمير الذي هو =

ودخولها في الاسمية أولى من حذفها؛ لعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت، مع ظهور الاستئناف فيها فتحسن زيادة ربط نحو [قوله تعالى]: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

وهذا معنى قوله: **وإن [يكن] مرجح**: لوصل جملة الحال بإدخال الواو عليها.

تحتما: مراعاة للحال الداعي إلى الإتيان بذلك، وإلا فينزل على الأصل.

ومما يحسن فيه ترك الواو: ما إذا دخل على الجملة حرف يحصل به الارتباط نحو: قوله[1]: (الطويل)

فَقُلْتُ عَسى أَن تُبْصِرِيني كَأَنَّمَا … بَنِيَّ حوالَيَّ الأسودُ الحوارِدُ[2]

= كالتكرار، فلا فائدة للإتيان به ثم تأويله بالإسقاط، بخلاف التأويل في الجملتين فإنه إنما هو من جهة المعنى المدلول عليه بالسياق - قاله اليعقوبي. حاشية الدسوقي ٢/ ٦١٩ ويراجع مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ٢/ ضمن شروح التلخيص.

(١) أي الفرزدق من جملَة أَبْيَات قَالَهَا مُخَاطبا لزوجته النوار وَكَانَ قد مكث زَمَانا لاَ يُولد لَهُ فَعَيَّرته بذلك وَأول الأبيات (**الطَّوِيل**)

وَقَالَت أراهُ وَاحِدًا لَا أَخا لَهُ … يُؤَمِّلُهُ يَوْمًا هُوَ وَالِد

وَبعده الْبَيْت وَبعده (**الطَّوِيل**)

فَإِن تَميمًا قبلَ أَن يلد الْحَصَا … أقامَ زَمَانا وَهُوَ فِي النَّاس واحدُ

والحوارد من حرد إذا غضب

وَالشَّاهِد فِيهِ ترك الْوَاو فِي الْجُمْلَة الإسمية الحالية لدُخُول حرف على الْمُبْتَدَأ أيحصل بِهِ نوع من الارتباط وَهُوَ هُنَا كَأَن إِذْ لَو لم تدخل لما حسن الْكَلَام إِلَّا بِالْوَاو وَبني إِلَخ جملَة اسمية وَقعت حَالا من مفعول تبصرني وَمعنى حوالي فِي أكنافي وجوانبي وَهُوَ حَال من بنى لما فِي حرف التَّشْبِيه من معنى الْفِعْل. معاهد التنصيص ١/ ٣٠٤

(٢) وفيه يقول عبد القاهر: أَنَّكَ ترَى الجملةَ قد جاءتْ حالاً بغير «واو» ويَحْسُن ذلك، ثم تَنظرُ فترَى ذلك إنما حَسُنَ من أجْلِ حرفٍ دخلَ عليها. مثالُهُ قول الفرزدق:

فَقُلْتُ عَسى أنْ تُبْصريني كأنَّما … بنِيَّ حَواليَّ الأسودُ الحَوَارِدُ

قولُه: «كأنما بَنيّ» إلى آخره، في موضعِ الحال من غَيْرِ شُبْهة، ولو أنك تَرَكْتَ «كأن» فقلتَ: «عسى أن تُبصريني بَنِيَّ حَواليَّ كالأَسود»، رأيْتَهُ لا يَحْسُنُ حُسْنَه الآن، ورأيتَ الكلامَ يقتضي «الواو» كقولكَ: «عسى أن تُبْصريني وبنيَّ حواليَّ كالأسود الحوارِد». دلائل الإعجاز ٢١١.

فقوله كأنما إلخ في محل الحال، وقام مقام الواو في الجملة لفظ: كأنما.

وكذا فيما عقب الجملة الحالية حالًا مفردة، نحو: (السريع)

والله يبقيك لنا سالما بُرداك تبجيل وتعظيم[1]

فجملة برداك تعظيم حالته، حسن حذف الواو منها لتلوها الحال المفردة، ولولا (كأنما) في الأول، والمفردة (سالما) في الثاني لما حسن حذف الواو من الجملة الحالية فيهما.

ثم محل جواز حذف الواو في الجملة الحالية إن كان صاحبها معرفة وإلا فيجب إثبات الواو لئلا يلتبس الحال بالصفة.



---

(١) البيت لابنِ الرُّومِي من قصيدة من السَّرِيع مِنْهَا قبل الْبَيْت (السَّرِيع)

قَلَّ لَهُ الملْكُ وَلَو أَنه مجموعَةٌ فِيهِ الأقاليم

والتبجيل التَّعْظِيم، وَالشَّاهِد فِيهِ: ترك الْوَاو فِي الْجُمْلَة الإسمية الحالية وَهِي برداك إِلَخ لوقوعها بعقب حَال مُفْرد وَهُوَ سالما إِذْ لَو لم يتقدمها لم يحسن فِيهَا ترك الْوَاو والحالان أَعنِي الْجُمْلَة وسالمًا يجوز أَن يَكُونَا من الأَحْوَال المترادفة وَهِي أَن تكون أَحْوَال المتداخلة وَهِي أَن يكون صَاحب الْحَال الْمُتَأَخِّرَة الِاسْم الَّذِي يشْتَمل عَلَيْهِ الْحَال السَّابِقَة مثل أَن يَجْعَل قَوْله برداك تَعْظِيم حَالا من الضَّمِير فِي سالما. معاهد التنصيص ١/ ٣٠٤.

[الْبَابُ الثَّامِنُ
الْإِيْجَازُ وَالْإِطْنَابُ]

٧١ - تَوْفِيَةُ الْمَقْصُودِ بِالنَّاقِصِ مِنْ لَفْظٍ لَهُ: الْإِيجَازُ، وَالْإِطْنَابُ إِنْ:

٧٢- بِزَائِدٍ عَنْهُ، وَضَرْبَا الْأَوَّلِ قِصْرٌ، وَحَذْفُ جُمْلَةٍ أَوْ جُمَلِ

٧٣- أَوْ جُزْءِ جُمْلَةٍ، وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنْوَاعٌ وَمِنْهَا الْعَقْلُ

٧٤- وَجَاءَ لِلتَّوْشِيعِ بِالتَّفْصِيلِ ثَانٍ، وَالاعْتِرَاضِ، وَالتَّذْيِيلِ

قال السكاكي: الإيجاز والإطناب لكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق، والبناء على أمر عرفي، هو متعارف الأوساط[١]، وكلامهم على مجرى عادتهم في تأدية المعاني المقصودة، وهو لا يحمد في باب البلاغة ولا يذم[٢].

[تعريف الإيجاز][٣]:

توفية: المعنى.

المقصود: للمتكلم.

---

(١) المراد بالأوساط من الناس: العارفون باللغة، وبوجوه صحة الإعراب دون الفصاحة، والبلاغة، فيعبرون عن مرادهم بكلام صحيح الإعراب من غير ملاحظة النكات التي يقتضيها الحال. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ٢/ ٦٣٠

(٢) مفتاح العلوم٢٧٦ تحقيق نعيم زرزور.

(٣) **تقدمة مهمة للموضوع**:
الكلام الذي يجول في صدر الكاتب أو الأديب أو البليغ تختلف طرق أدائه باختلاف المقام ومقتضى الحال فقد يأتي التعبير بلفظ أقل من المعنى الناجم عنه وقد يأتي بلفظ أزيد منه والمقام يحتاج إلى ذلك أو لا يحتاج إليه والأخير هو ما يسمى بالتطويل، ويدلك هذا على أن مرد الكلام بالنظر إلى معناه فرب =

بالناقص: بأقل من لفظ له:[١] أي: لذلك في عبارة متعارف الأوساط، وقوله توفية خبر مقدم لقوله:

الإيجاز: وهو مبتدأ مؤخر.

والإطناب أن: بفتح الهمزة[٢] ففي البيت مفاد التوجيه، وحذف منصوب أن للضرورة، ودلالة المقام عليه، أي: أن يوفّي، وأن ومدخولها في تأويل مصدر.

[تعريف الإطناب][٣]:

والمعنى: الإطناب توفية..

= لفظ قليل يدل على معنى كثير، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل، ومثَّل ذلك ابن الأثير بالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها، ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها ولهذا سمى النبي ﷺ الفاتحة (أم الكتاب) وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه يسيرًا وليست من الكثرة إلى غاية تكون بها أمّ (البقرة) و(آل عمران) وغيرها من السور الطوال فعلمنا حينئذٍ أن ذلك أمر يرجع إلى معانيها فالإيجاز صفة اللفظ من أجل تكثير المعنى الذي لو أردت أن تدل عليه باللفظ لكثرت ألفاظك فهو ليس مجرد اختصار في الألفاظ وإنما هي طبيعة فيه فقد تكون العبارة قليلة وهي إلى الإطناب أقرب وقد تكون كثيرة وهي إلى الإيجاز أقرب والمقياس هنالك هو مقتضى الحال، وتتجلى براعة الكاتب أو الأديب ههنا حين يملك ناصية البيان عن غرضه بأقل العبارات حتى إن أمراء النثر كجعفر بن يحيى وسهل بن هارون يؤثرون الإيجاز ولذا قال جعفر الكاتب: «**إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا**»، وهي تجرى مجرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة مثل ما قال جعفر في كتاب رجل شكا إليه بعض عمَّاله: قد كثر شاكوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإمَّا اعتزلت.

(١) **معنى ذلك: أن الإيجاز هو**: التعبير باللفظ القليل عن المعنى الكثير.

(٢) قوله بفتح الهمزة، يقصد همزة (إن) في قول الناظم: وَالْإِطْنَابُ إِنْ: بِزَائِدٍ عَنْهُ. مع أنها بالكسر في النظم كما رأيت.

(٣) **تقدمة للموضوع**: الإطناب مسلك من مسالك اللغة التي بني عليها القرآن وطريقة من طرقها، فهو ليس تطويلًا في مقام اختصار وإنما هو إطناب في مقام يحتاج إليه لزيادة فائدة ينكشف بها لبس أو يزداد بها هول أو يفخم بها شأن ويعظم بها أمر... وكل هذه عناصر مطلوبة في بيان الأحوال لا يبرزها غير مقام الإطناب، فهو ليس حشوًا ولا كلامًا عاري الفائدة، ومن ثم يجب أن نفرق بينه وبين التطويل والحشو، =

= فإن لم تكن في الزيادة فائدة سمي تطويلًا إن كانت الزيادة غير متعينة، وذلك كالمترادفين نحو قول عدي العبادي في جذيمة الأبرش: (الوافر)

وقــــدَّدت الأديــــمَ لـراهِـشـيـه   وألــفـي قـولـهـا كــذِبًـا ومَـيْـنَـا

[قدّدت: قطعت، الأديم: الجلد، لراهشيه أي وصل القطع للعرقين في باطن الكف يتدفق الدم منهما، والمراد أن جذيمة غدرت به الزباء، وقطعت راهشيه وسال منه الدم حتى مات وأنه وجد ما وعدته من تزوجه بها كذبًا ومينا]، فالمين والكذب بمعنى واحد، ولم يتعين الزائد منهما، لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا ولا معية فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت، ومنه قول الشاعر: (الطويل)

أَلا حَـبَّـذا هِـنـدٌ وَأَرضٌ بِـهـا هِـنـدُ   وَهِـنـدٌ أَتـى مِـن دونِـهـا الـنَـأيُ وَالـبُـعـدُ

فالنأي والبعدُ بمعنى واحد ولا يتعين أحدهما للزيادة، وهذا هو التطويل.

الحشـو: وإن تعينت الزيادة سمي حشوًا، وهو نوعان:

أحدهما: ما يفسد المعنى به كقول أبي الطيب في رثاء غلام لسيف الدولة: (الطويل)

وَلا فَـضـلَ فيها لِـلـشَـجـاعَـةِ وَالـنَـدى   وَصَـبـرِ الـفَـتـى لَـولا لِـقـاءُ شَـعـوبِ

فالمعنى: أنه لا خير في الحياة للشجاعة والصبر لولا الموت، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى وهو الموت، لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل بخلاف باذل ماله فإنَّه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله فيكون لا فضل له فيه، إذن فلفظ (الندى) في سياق الحديث عن الشجاعة والصبر لا يستقيم فهو يفسد المعنى.

الثاني: ما لا يفسد به المعنى كقولهم: عمى العينين، ومنه قول الشاعر: (مجزوء الوافر)

ذَكَـــــرتُ أَخـــــي فَـــعـــاوَدَنـــي   صُـــــداعُ الـــــرَأسِ وَالـــوَصَـــبُ

فإن لفظ الرأس فيه حشو لا فائدة فيه، لأن الصداع لا يكون إلَّا في الرأس، وقول زهير: (الطويل)

وَأَعـلَـمُ عِـلـمَ الـيَـومِ وَالأَمــسِ قَـبـلَـهُ   وَلَـكِـنَّـنـي عَـن عِـلـمِ مـا في غَـدٍ عَـمي

فقوله: (قبله) حشو ولكنه لا يفسد المعنى.

ولكن إذا كان وراء هذا الزائد معنى بديع يحتاج إليه المقام كان حسنًا، وذلك كقول المتنبي: (الكامل)

وخـفـوق قـلـب لـو رأيــت لـهـيـبـه   - يـا جـنـتـي - لـرأيـت فـيـه جـهـنـما

فقوله: يا جنتي حشو ولكنه حسن لما فيه من المطابقة لجهنم وهي من المحسنات البديعية.

وتأمل مثلًا في قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة النور: ١٥]، فالتلقي وهو أخذهم الكلام عن بعض لا يكون إلَّا بالألسنة، والقول لا يكون إلَّا بالأفواه، ولكن إذا تأملنا السياق ألفينا الآية جاءت في سياق الرد والإنكار على أهل الإفك فيما رموا به =

المعنى المقصود له(١).

بزايد عنه: أي بالجر من المقصود في عبارة متعارف الأوساط، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾، إلى قوله ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٨]، وترك إيجازه، وهو قوله: واتقوا يومًا لا خلاص فيه من العقاب لمن أذنب؛ لكونه كلامًا مع الأمة، لتشعر ذلك في ضمائرهم، وفيهم عاقل، وجاهل، ومسترشد ومعاند، وفيهم بليد.

[أنواع الإيجاز]:

والأول: وهو الإيجاز قسمان: إيجاز

قصر:

أي قصر اللفظ على المعنى من غير حذف في المبنى(٢) نحو [قوله تعالى]: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٩].

فمعناه [١٤ب] كثير، ومبناه يسير؛ إذ الإنسان متى علم أنه: إذا قَتل قُتل امتنع عن القتل، فارتجع بالقصاص من قتل الناس بعضهم لبعض، ولا حذف فيه - كما ترى - وحذف متعلق الظرف أمر لفظي لا يتوقف عليه تأدية أصل المعنى، ولذا لو صرح به كان إطنابًا، بل وربما كان تطويلا(٣).

= أم المؤمنين فقد سجل عليهم ذلك مبالغة في الرد عليهم وإنكارًا لقولهم.
ومثله قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل: ٢٦]، والسقف لا يكون إلَّا من فوق، وإنما الغرض المبالغة في الترهيب والتخويف والإنكار، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [سورة مريم: ٤]، والمعنى: رب كبرت، ولكن زيادة الألفاظ تدل على زيادة إظهار الضعف والخشوع وهذا هو الفرق بين الإطناب والتطويل.

(١) أي أنه: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة كتقويته وتوكيده.

(٢) بيان ذلك: أن إيجاز القصرهو: التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل من غير حذف منه، **وهو الذي يسمى (إيجاز البلاغة)**؛ لأنه مقياس البراعة وعنوان القوة والاقتدار ومنزلته في الكلام عالية وباعه في القرآن الكريم أعلى.

(٣) أي أن: قوله تعالى (القصاص حياة) لا يمكن التعبير عنه إلَّا بألفاظ كثيرة؛ لأن معناه أنه إذا قتل امتنع =

= غيره عن القتل، فأوجب ذلك حياة للناس، ولا يلتفت إلى ما ورد عن العرب من قولهم «القتل أنفي للقتل» فإنَّه يفترق عن الآية من وجوه منها:

١ - أن الآية أشد اختصارًا منه.

٢ - هذا القول فيه تكرير ليس في الآية.

٣ - ليس كل قتل نافيًا للقتل، وإنما يكون نافيًا إذا كان على جهة القصاص.

وبذلك نلحظ أن لفظة القصاص لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ولما عبر عنها بالقتل في كلمة العرب ظهر الفرق.

وهذا نوع من نوعي إيجاز القصر: هو الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها، وهو أعلى طبقات الإيجاز مكانًا وأعوزها إمكانا.

ومنه نوع آخر غاية في الأهمية، وهو: ما يدل على محتملات متعددة:

• ومنه قوله تعالى ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة طه: ٧٨]، فهذا من جوامع الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم من الأمور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه إلَّا الله ولا يحيط به غيره، وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]، فجمع في الآية مكارم الأخلاق؛ لأن في الأمر بالمعروف: صلة الرحم، ومنع اللسان عن الغيبة والكذب، وغض الطرف عن المحرمات، وغير ذلك وفي الإعراض عن الجاهلين: الصبر، والحلم، وغيرهما، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، فإنَّه دخل تحت الأمن جميع المحبوبات وذلك أنه نفي به أن يخافوا شيئًا من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النقمة، وقوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤] فقد أحاطت بجميع أمور الدين والدنيا؛ ولذلك روى أن ابن عمر لما قرأها قال «**من بقي له شيء فليطلبه**».

• ومن جوامع كلمه ﷺ في ذلك قوله «**الضعيف أمير الركب**» فهذه الكلمة على قلتها جمعت آداب السفر كلها، من حسن الخلق وحسن المعاملة، والعطف على الغير... وقوله: «**لا ضرر ولا ضرار في الإسلام**» وقوله: «**المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وعودوا كل جسم ما اعتاد**» فهذه الكلمات الثلاث جمعت من المعاني الحكمية، والأسرار الطبية ما لا يحيط بوصفه إلَّا الله، وقوله: «**الطمع فقر واليأس غنى**».

• ومن الحكم والأمثال: «**يد الله مع الجماعة**» و«**الحديث ذو شجون**» و«**أعقل النَّاس أعذرهم للناس**».

• ومن الوصايا والنصائح «**لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر**» و«**إن للأمور مغبات فكن على حذر**».

• ومن الأجوبة: ما أجاب به بشر بن مالك حين سأله الحجاج عن حال جنده فقال: «**وسعَهم الحق**، =

والثاني: إيجاز:

(حذف)(١):

= **وأغناهم النفل**»، ومنه توقيع الرشيد إلى صاحب خراسان: «**داو جرحك لا يتسع**» وما وقَّع به في نكبة جعفر بن يحيى «**أنبتته الطاعة وحصدته المعصية**». ينظر المثل السائر لابن الأثير ٢/ ٢٦٠ تحقيق د: أحمد الحوفي، د: بدوي طبانة.

(١) **وهو**: التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل مع وجود حذف فيه دون إخلال بالمعنى المراد، والحذف إمَّا أن يكون حرفًا أو مفردًا أو جملة أو أكثر من جملة، ولكن الشارح لم يتعرض لحذف الحرف، ومعرفة شواهده مما يتم به فهم الباب، والإحاطة به، ومن شواهده: قوله تعالى ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة مريم: ٢٠]، والأصل: ولم أكن، فحذفت النون تخفيفًا، وليس التخفيف وحده هو غرض حذف الحرف ولكن للحذف أسراره وللذكر أسراره، فقد يحذف الحرف في موطن ويذكر في آخر ولكل منهما سره وهدفه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[**سورة الزمر**: ٧٣]، فقد قال هنا في حق المؤمنين... وفتحت أبوابها وقال قبلها في حق الكافرين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾، **وسر ذلك**: أن أبواب جهنم لا تفتح إلَّا عند دخول أهلها فيها، أما أبواب الجنة ففتحها يكون متقدمًا على وصولهم إليها بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة ص: ٥٠]؛ فلذلك جيء بالواو كأنه قيل: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أي أن حذف الواو في شأن أهل النار دليل على إهانتهم، وسوء استقبال جهنم لهم، ودليل على أنهم يساقون إليها ويرجون فتحها، وكأنها أخف عذابًا مما قبلها، وهذا هو الموقف الذي يتمنون فيه الانصراف ولو إلى جهنم، **ويمكن أن يقال**: إن عدم فتحها حتى وصولهم إليها دليل على أنها ترحة عليهم، وليست فرحة بهم حتى تستقبلهم بأبوابها مفتحة، بل تذيقهم المذلة قبل أن تفتح لهم، أما أهل الجنة فإنها تستعد لهم وتتزين قبل وصولهم شأن الكرام مع الكرام، **أما مجيء الواو في قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة ق: ٢٣]، وحذفها من الثانية: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة ق: ٢٧]؛ وذلك لأن في الأول الإشارة وقعت إلى معنيين مجتمعين وأن كل نفس في ذلك تجيء ومعها سائق ويقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر الواو.

وفي قوله تعالى ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٢- ١٦٣]، تقدير الكلام: لهم درجات إلَّا أنه حسن الحذف لأن اختلاف أعمالهم قد صيرتهم بمنزلة الأشياء المختلفة في ذواتها، أي أنهم في ذوات أنفسهم درجات =

أي بحذف: [١- المسبب وذكر السبب]

جملة: واحدة مسببة على سبب مذكور نحو [قوله تعالى] ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [سورة الأنفال: ٨] فهذا سبب مذكور حذف مسببه؛ أي لإرادة إثبات الإسلام، وإبطال الكفر فعل ما فعل(١).

[٢- حذف السبب وذكر المسبب]

أو سبب لمذكور، هو مسبب نحو [قوله تعالى]: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [سورة البقرة: ٦٠]، إن قدّر: فضربه بها فانفجرت(٢).

= ومنازل عند الله سبحانه بسبب اختلاف أعمالهم.

وهذا باب رحب ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، ولم يقل فغلت أيديهم، لأنه لما حذفت هذه الفاء كان قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ كالكلام المبتدأ به، مما يزيده قوة ووثاقة، وهكذا تكثر دقائقه.

(١) ذُكر السبب، وحُذف المسبب، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [سورة القصص: ٤٦]، أي: اخترناك، وقوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة الفتح: ٢٥]، أي: كان الكف ومنع التعذيب، ومنه قول أبي الطيب: (البسيط)

أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرهم وأتيناه على الهرم

أي: فساءنا. ينظر الإيضاح ٣/ ١٩١.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]». إذا لم يفسر الحمل بمنع الأمانة والغدر، وأريد التفسير الثاني وهم تحمل التكليف كان أصل الكلام وحملها الإنسان ثم خان به منبها عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الذي هو توبيخ للإنسان على ما هو عليه من الظلم والجهل في الغالب وقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر: ٨]، تتمته ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذفت لدلالة ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾، أو تتمته كمن هداه الله فحذفت لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء» مفتاح العلوم ٢٧٩.

(٢) قال الخطيب: ويجوز أن يقدر: فإن ضربت بها فقد انفجرت، ومنه: قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٥٤]، أي: فامتثلتم، فتاب عليكم. الإيضاح ١/ ١٩٢، **وقد يكون المحذوف في السبب، والمسبب،** كقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ =

أو جمل: أي أكثر من واحدة، كقوله تعالى حكاية عن عزيز مصر:

﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [سورة يوسف: ٤٥-٤٦] أي: فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، فقال يا يوسف[١].

ومنه [قوله تعالى]: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٤]، أصله: يلقونها ينظرون؛ ليعلموا أيهم يكفل مريم[٢]

أو جزء جملة: أي جزء كلام: عمدة كان، أو فضلة، مفردًا كان، أو جملة، مضاف نحو [قوله تعالى]: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف: ٨٢]، أي: أهلها[٣].

= [سورة الذاريات: ٤٨]، حذف المبتدأ والخبر على قول من يجعل المخصوص مبتدأ محذوف الخبر أي: «نحن هم».

(١) بيانه: أن التقدير: فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأتاه وقال له: يوسف أيها الصديق... ولكنه حذف جواب الأمر، وطواه في الكلام؛ لسرعة الوصول إلى المطلوب؛ ولأنه مفهوم من السياق.
ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦﴾ [سورة الفرقان: ٣٦]، أي: فأتياهم فأبلغناهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميرا، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ [سورة يوسف: ٥٠-٥١]، ففي هذا الكلام حذف، واختصار استغني عنه بدلالة الحال عليه، وتقديره: فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف، فدعا الملك بالنسوة، وقال لهن: ما خطبكن...؟، وهكذا ورد قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ [سورة يوسف: ٥٤]، وقد حذف جواب الأمر ههنا، وتقديره: فأتوه به، فلما كلمه. ينظر المثل السائر ٢/ ٢٣٨.

(٢) قال السكاكي: لدلالة أيهم على ذلك بوساطة علم النحو. مفتاح العلوم ٢٧٩.

(٣) حذف المضاف - أي أهل القرية - اختصارا للعلم به، وشواهده في القرآن كثيرة، ومنها: كقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، أي في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢]، أي: انقضاء ثلاثين ليلة، وقوله تعالى و﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [سورة البقرة: ٩٣]، أي حب العجل.... وقوله تعالى: ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [سورة هود: ٤٤]». أي ويا مطر السماء، أو يا سحاب السماء، أو يا سحاب لكونه بالنسبة للمخاطب عاليًا، وكل ما علا الإنسان من سقف وسحاب وغيره =

أو موصوف نحو:

أنا ابن جلا(١)

أي ابن رجل جلا.

أو صفة نحو [قوله تعالى]: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الكهف: ٧٩]، أي: صحيحة(٢).

= يسمى سماء، وقد تجاوزت العرب حذف المضاف إلى حذف مضاف ثان بعد حذف المضاف الأول، كقول جرير من الوافر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

فقوله: إذا نزل السماء، يريد مطر السماء. ينظر تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ٩٦.

ملحوظة:

تكلم عن حذف المضاف فقط، ولم يذكر نظيره، وهو: حذف المضاف إليه، وهو قليل الاستعمال بعكس سابقه ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [سورة البقرة: ١٤٨]، أي: لكل قوم أو أمة لأنه معروف المعنى، ومنه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، وقوله تعالى ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [سورة الروم: ٤]، أي: من قبل ذلك ومن بعده.

(١) هذه كلمات من بيت منسوب لسُحَيْم بن وَثِيل الرياحيّ، وهو بتمامه: (الوافر)

أَنَا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعرِفُونِي

فَإِنَّ مَكَانَنَا مِنْ حِمْيَرِيٍّ ... مَكَانُ اللَّيثِ مِن وَسَطِ العَرِينِ

ينظر الأصمعيات ٣٢، وتقديره: أنا ابن رجل جلا.

وجلا بمعنى منكشف الأمور، وطلاع بمعنى طلعة، والثنايا جمع ثنية، وهي الطريق في الجبل، وقيل متى أضع العمامة بمعنى متى أغضب، ومن شواهد حذف الموصوف أيضا: قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة ص: ٥٢]، أي حور قاصرات، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [سورة النساء: ٤٦]، أي: قوم يحرفون الكلم فحذف الموصوف وأقيم الوصف مقامه. وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠]، أي: عشر حسنات إلّا أنه حذف الموصوف وأقام الصفة (الأمثال) مكانه.

(٢) فحذف الصفة: أي كان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، ويدل على المحذوف قوله: «فأردت أن أعيبها»، فإن عيبه إياها لم يخرجها عن كونها سفينة، وإنما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب، فحذفت الصفة ههنا؛ لأنه تقدمها ما يدل عليها. ينظر المثل السائر ٢/ ٢٤٧، ومنه: قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ =

أو شرط نحو [قوله تعالى] ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [سورة الشورى: ٩]، أي: إن أرادوا وليا بحق، فالله هو الولي لذلك[١].

أو جواب شرط.

وحذفه إما:

اختصارا نحو [قوله تعالى]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [سورة يس: ٤٥]، أموره، والتقدير: أعرضوا بدليل قوله [تعالى] بعده: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة يس: ٤٦][٢].

أو للدلالة على أنه لا يحيط به الوصف، ولتذهب فيه كل مذهب ممكن[٣] ومثالهما [قوله تعالى]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [سورة الأنعام: ٢٧].

والمحذوف مما ذكر قسمان:

ما يقام شيء مقامه نحو [قوله تعالى]: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ

= فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [سورة ص: ٥١]، أي وشراب كثير.

(١) المحذوف هنا جملة الشرط، ومن ذلك: قوله تعالى: قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١]، أي لو كان معه إله إذًا لذهب. ذكره السكاكي والخطيب.

(٢) أي حذف جواب الشرط لوجود ما يدل عليه في السياق» إلا كانوا عنها معرضين» وغرض الحذف هو الاختصار، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة الرعد: ٣١]، أي: لكان هذا القرآن، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [سورة الأحقاف: ١٠]، أي ألستم ظالمين بدليل قوله بعده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾. ينظر الإيضاح ٣/ ١٨٧.

(٣) قال الدسوقي: المراد أن تتعلق نفس السامع إن تصدى لتقديره بكل ما كان يمكن أن يكون جوابا لذلك الشرط، فإذا سمع السامع «وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ» ذهبت نفسه وتعلقت بكل طريق ممكن وجعلته جوابا كسقوط لحمهم أو حرقهم أو ضربهم إلخ، فحذف (جواب الشرط) أي: بناء على أن (لو) للشرط، فإن كانت للتمني فلا جواب لها، وعلى أنها شرطية، فيقدر الجواب لرأيت أمرا فظيعا. حاشيته على مختصر المعاني ٢/ ٦٧٠.

ٱلْأُمُورُ ۝٤﴾ [سورة فاطر: ٤]، فجواب الشرط: فلا تحزن، واصبر، فقد كذبت؛ لأن تكذيب الرسل متقدم على تكذيبه، فلا يكون جواب الشرط، بل سبب لمضمون الجملة المحذوفة، أقيم مقامها.

وما لا يقام فيه شيء مقام المحذوف، اكتفاء بالقرينة كالأمثلة السابقة.

[أدلة الحذف]:

وما: أي الذي: مبتدأ.

يدل عليه: أي على المحذوف، يحذف. وخبر الموصول قوله:

أنواع ومنها: أي الأنواع المذكورة:

[١] - **العقل**: فيدل على الحذف، وعلى تعيين المراد نحو [قوله تعالى]: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [سورة المائدة: ٣]، دل العقل على أن هنا حذفا؛ إذ الأحكام إنما تتعلق بالأفعال لا بالأعيان، والمقصود الأظهر منها: الأكل، فدل على تعيينه[١].

وفي قوله: منها تنبيه على تعداد المبين.

[٢] - ومنه العادة، نحو [قوله تعالى]: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [سورة يوسف: ٣٢]، يحتمل: في حبه، ويحتمل في مراودته.

ودلت العادة على الثاني؛ لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة؛ إذ ليس اختياريًا[٢].

---

(١) ومنه قوله تعالى: قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٣]، أي نكاح أمهاتكم، لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها، ومن النساء نكاحهن، ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [سورة الفجر: ٢٢]، أي: أمر ربك أو عذابه أو بأسه، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠]، أي: عذاب الله أو أمره. ينظر الإيضاح ٣/ ١٩٥

(٢) وفيه يقول الخطيب: دل العقل على الحذف؛ لأن الإنسان إنما يلام على كسبه، فيحتمل أن يكون

[٣] - ومنه: الشروع في الفعل نحو: بسم الله، فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له، كـ: اقرأ في القراءة، وأولف في التأليف.

[٤] - ومنه: الاقتران، كقولهم للمعرس: بالرفاء والبنين، أي أعرست[١]، وقد نهي عن هذا في الحديث[٢].

[صور الإطناب]

[التوشيع]

وجاء: الإطناب، واكتفي في بيان مرجع الضمير بتوفيق المعلم، وإن كانت العبارة ظاهرة صريحة في عوده للإيجاز.

للتوشيع:

الشين المعجمة، والعين المهملة، وهو:

التقدير في حبه لقوله: =

= ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [سورة يوسف: ٣٠]، وأن يكون في مراودته لقوله: ﴿تُرَاوِدُ فَتَنهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [سورة يوسف: ٣٠]، وأن يكون في شأنه وأمره فيشملهما، والعادة دلت على تعيين: المراودة؛ لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبته، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها عن نفسه. الإيضاح ٣/ ١٩٥.

(١) فمقارنة هذا الكلام لأعراس المخاطب دل على تعيين المحذوف أي أعرست، أو مقارنة المخاطب بالأعراس وتلبسه به دل على ذلك. هامش الإيضاح٣/ ١٩٤، **ويقول الدسوقي**: أي: أعرست ملتبسا بالرفاء أي: بالالتئام، والاتفاق بينك وبين زوجتك وملتبسا بولادة البنين منها، والجملة خبرية لفظا إنشائية معنى؛ لأن المراد بها إنشاء الدعاء أي: جعلك الله ملتئما مع زوجتك والدا للبنين منها. حاشيته٢/ ٦٨٥

(٢) رُوِي عن الحَسَن عَنْ عَقِيل بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُشَمٍ فَقِيلَ لَهُ: بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ، قَالَ: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهي عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَنَا أَنْ نَقُولَ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ» المعجم الكبير ١٧/ ١٩٣: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية.

لغة: لف القطن المندوف[١].

واصطلاحًا: إرداف مثنى في عجز الكلام [مفسر] باثنين، معطوفًا على أحدهما الآخر كقوله - ﷺ- «يشيب ابن آدم، وتشيب فيه خصلتان: الحرص، وطول الأمل»[٢]

[الخاص بعد العام]

والتفصيل: لبيان خاص[٣] عطف على عام؛ تنبيهًا على فضله، ومزيته حتى كأنه بذلك ليس [١٥أ] من جنس العام؛ تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات نحو [قوله تعالى]: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]. أي: من الصلوات.

---

(١) **سمي توشيعا**؛ لأن التوشيع في اللغة يؤدي معنى اللف أي لف القطن المندوف بعد غزله؛ لتتأتى منه الفائدة.

(٢) في السنن الكبرى للبيهقي برواية (يهرم ابن آدم) عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ، وَطُولُ الْأَمَلِ». قَالَ الْبُخَارِيُّ: رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ فَذَكَرَهُ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَالسنن الكبرى ٣/ ٥١٥، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣، ومن شواهده كذلك «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال»، وقوله (ﷺ): «الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة»، ومنه قول أحمد بن أبي طاهر: (البسيط)

إذا أبو قاسم جادت لنا يده	لم يحمد الأجودان: البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرّته	تضاءل الأنوران: الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو حدّ عزمته	تأخر الماضيان: السيف والقدر.
من لم يكن حذرا من حدّ صولته	لم يدر ما المزعجان: الخوف والحذر

وذكر أبو هلال العسكري هذه الأبيات في ما يسمى بالتطريز وهو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فيكون فيها كالطّراز في الثوب، فالتطريز في قوله: «الأجودان»، و«الأنوران»، و«الماضيان»، و«المزعجان» يراجع كتاب الصناعتين في هذا الباب، وكذا المثل السائر لمن أراد المزيد.

(٣) **الخاص**: هو ما كان فردا من متعدد، **والعام**: ما كان متعدد الأفراد، وشرطه أن يكون على سبيل العطف.

أو الفضلى من قولهم: الأوسط الأفضل، وهي العصر على المختار[١].

وما أشرت إليه من أنه مجرور بحرف مقدر حذف للضرورة، أولى من جعله معمول المصدر؛ لأنه معرف بأل، ولأنه يكون على لغة من يقف على المنصوب بالسكون والأول شاذ، والثاني ضعيف.

---

(١) **بيان الآية**: أن الأمر بالمحافظة على الصلوات على سبيل العموم ثم تخصيص الصلاة الوسطى؛ لما لها عند الله من فضل ومزية لا يكون لغيرها، ومن ثم عطفت على العام؛ تنزيلا للتغاير في المنزلة والفضل منزلة التغاير في الذات، ومن ثم تحقق الشرط والغرض؛ ولذا كانت فائدته: التنبيه على مزية، وفضل في الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته جزء آخر مغاير لما قبله، ولهذا خصها بالذكر لزيادة فضلها.

ومنه قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [سورة القدر: ٤]، فقد خص الحق الروح بالذكر وهو جبريل مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريمًا له، وتعظيمًا لشأنه كأنه جنس آخر.

ومنه قوله تعالى: ﴿ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [سورة البقرة: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]، فالخير عام، وما بعده خاص عطف عليه للعلة السابقة.

وكقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٨]، وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]، فإن الجبال داخلة في جملة الأرض لكن لفظ الأرض عام والجبال خاص وفائدته ههنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتفخيم أمرها وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا، وعكسه (الذي لم يذكره الشارح): ذكر العام بعد الخاص: كقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [سورة نوح: ٢٨]، وغرضه: إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾ [سورة النحل: ٥]، فقوله «دفء» لفظ خاص، وقوله «ومنافع» لفظ عام، فعطف اللفظ العام على الخاص.

وفائدة إفراد (الدفء) بالذكر - كما ذكر ابن عاشور - أنه أمر، قلما تستحضره الخواطر، قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [سورة يونس: ٥]، لفظ ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ يشمل حساب الأيام والشهور والفصول والسنين، فعَطَفُه على عدد السني من باب: عطف العام على الخاص؛ للتعميم بعد ذكر الخاص؛ اهتمامًا به، وقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ [سورة الحديد: ٢٧]، عَطْف (الرحمة) على (الرأفة) من باب عطف العام على الخاص؛ لاستيعاب أنواعه بعد أن اهتم ببعضها.

[الاعتراض]

ويكون الإطناب:

للاعتراض: وهو عند الجمهور: أن يؤتى في أثناء الكلام، وهو طرفا الإسناد مع جميع ما يتعلق بهما من الفضلات، أو من كلامين متصلين معنى بجملة، أو أكثر منها، لا محل لها من الإعراب؛ لئلا يكون مفردًا، حكمًا لنكتة سوى دفع الإيهام وإلّا يكون تكميلًا.

ومعنى اتصال الكلامين: كون الثاني بيانًا للأول، أو تأكيدًا له، أو بيانًا منه، أو نحو ذلك في آخر كلام لا يكون بعده كلام آخر متصل به معنى.

والنكتة:

إما للتنزيه كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة النحل: ٥٧]، فجملة التنزيه المضمر عاملها اعتراضية[1].

والدعاء نحو[2]: (السريع)

إن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

---

(١) وتقديره: ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون، فاعترض بين المفعولين بسبحانه، وهو مصدر يدل على التنزيه، فكأنه قال: ويجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك، ولهم ما يشتهون، وفائدة هذا ههنا ظاهرة، وكذلك ورد قوله تعالى في سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة يوسف: ٧٢-٧٣]. فقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾ اعتراض بين القسم وجوابه، وفائدته تقرير إثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة، أي: إنكم قد علمتم هذا منا، ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه. المثل السائر ٣/ ٤٢.

(٢) الْبَيْت لعوف بن ملحم الشَّيْبَانِيّ من قصيدة من السَّرِيع قَالَهَا لعبد الله بن طَاهِر وَكَانَ قد دخل عَلَيْهِ فَسلم عَلَيْهِ عبد الله فَلم يسمع فَأعْلم بذلك فَدَنَا مِنْهُ ثمَّ ارتجل هَذِه القصيدة وأولها:

يَا ابنَ الَّذِي دانَ لَهُ المشرقانْ ... طُرًّا وقدْ دانَ لَهُ المغربان

معاهد التنصيص ١/ ٣٩٦.

وجملة بلغتها اعتراضية لا حالية، ومثل هذه تلتبس بالمعترضة[١].

والتنبيه نحو[٢]: (الكامل)

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدرا[٣]

ويجي الاعتراض إثر جملة أيضًا لا يليها جملة أصلًا وجرى على ذلك الكشاف والبيضاوي وعليه فيشمل الاعتراض: التذييل الآتي، وبعض صور التكميل ويسمى:

بالاحتراس وهو: أن يؤتى بما يدفع ما يوهم خلاف المقصود، جملة، أو مفردًا فيشمل ما إذا كان بجملة لها محل من الإعراب دون ما إذا كان التكميل بمفرده[٤].

---

(١) فجملة: «وَبُلِّغْتَها» جملةٌ اعتراضيةٌ دُعَائية، استغلت فيها المناسبة استغلالاً حسنًا ليدعو لمن يخاطبه بطول العمر. البلاغة العربية ٢/ ٨٣.

(٢) الْبَيْت من السَّرِيع وأنشده أَبُو عَليّ الْفَارِسِي وَلم يعزه إِلَى أحد.

(٣) وَالشَّاهِد فِيهِ الِاعْتِرَاض بالتنبيه وَهُوَ قَوْله فَعلم الْمَرْء يَنْفَعهُ وَهُوَ جملَة مُعْتَرضَة بَين اعْلَم ومعموليه وَالْفَاء اعتراضية وفيهَا شَائِبَة من السَّبَبِيَّة. معاهد التنصيص ١/ ٣٧٧.

(٤) الاحتراس، ويقال له التكميل، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، فهو يوجد حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه، وهو نوعان:

أ - **نوع يأتي وسط الكلام، كقول طرفة: (الكامل)**

فَسَقى ديارَكِ - غيرَ مُفْسِدها صوبُ الربيعِ وديمةٌ تَهمي

الضمير في ديارك للممدوح، والصوب والديمة: المطر المسترسل، وقوله تهمى بمعنى تسيل، والاحتراس في قوله (غير مفسدها) لأن المطر المسترسل قد يخرب الديار، ولو أنه قال: فسقى ديارك صوب الربيع لأوهم خلاف المقصود لأنه يكون المقصود محو آثار الديار فزال هذا الوهم بقوله: (غير مفسدها)، ومنه قول ابن المعتز يصف فرسًا: (الطويل)

صببنا عليها -ظالمين- سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل

والصب عليها: استعارة للضرب، والاحتراس في قوله: ظالمين لأن ضربها دليل على تثاقلها في السير، وليست كذلك فدفع هذا الوهم بهذا الاحتراس.

نوع يأتي في آخر الكلام، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، فإنَّه لو اقتصر على وصفهم بالذلة =

ويكون الإطناب:

بالتذييل: وهو تعقب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتأكيد[(١)]، وهو ضربان:

[١]- **ما خرج مخرج المثل في الاستقلال، وفشو الاستعمال نحو قوله تعالى:** ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٨١][(٢)].

[٢]- وغيره ما لا تستعمل الثانية فيه بإفادة المراد، بل يتوقف على الأول نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة سبأ: ١٧] على وجه وهو أن يكون المعنى: وهل يجازي ذلك الجزء المخصوص، وهو سيل العرم، بخلاف ما إذا لم يكن المراد عاقبناهم بكفرهم، فيكون قوله: وهل نجازي إلا الكفور في الأول لاستقلاله بإفادة المراد[(٣)].

= على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عُلم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدى الذل بعلى ليتضمن معنى العطف عليهم والشفقة بهم، ومنه قول كعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه أبي المغوار: (الطويل)

حَلِيمٌ إذا ما الحِلمُ زَيَّنَ أَهلَهُ ... مَعَ الحِلمِ في عَينِ العَدُوِّ مَهيبُ

فإنَّه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز، فلم يكن صفة مدح، فقال: إذا ما الحلم زين أهله، فأزال هذا الوهم، والشطر الثاني تأكيد.

(١) أي: تأكيدًا لمنطوق الأولى أو لمفهومها.

(٢) يجري مجرى المثل في الآية؛ لأنه يستقل بمعناه، ولا يتوقف فهمه على فهم ما قبله ومنه قول الحطيئة: (الطويل)

تَزورُ فَتًى يُعْطِي على الحَمدِ مالَهُ ... وَمَن يُعْطِ أَثمانَ المَحامِدِ يُحمَدِ

فالشطر الثاني مؤكد للأول ومستقل بمعناه، وهذا هو الضرب الأول (يجري مجرى المثل).

(٣) هنا: لا يجري مجرى المثل؛ لأنه لا يستقل بمعناه إذ لا يفهم الغرض منه إلَّا بمعونة ما قبله، ومنه قول الشاعر: (البسيط)

لم يُبقِ جودُكَ لي شيئًا أؤمِّلُهُ ... تَركتني أصحبُ الدنيا بلا أملِ

فالشطر الثاني مؤكد للأول وليس مستقلًا عنه فلم يجر مجرى المثل.

بين التكميل والتذييل:

فالتكميل: أعمّ من التذييل من جهة كونه مفردًا، أو أخصّ من جهة عدم اختصاص التذييل بما =

والله الوهاب الجواد(1).

= يدفع إيهام خلاف المقصود، ومباين للإيغال، والتكرير؛ لأن الإيغال، والتكرير يكونان بعد تمام المقصود، والتكميل لإتمامه.

(١) **وتبقى أنواع أخرى للإطناب لم يلتفت إليها، مع أهميتها للقاريء، ومنها ما يأتي:**

١ - **الإيضاح بعد الإبهام**: وغرضه تقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين مرة على سبيل الإجمال وأخرى على سبيل التفصيل، والإيضاح ليتمكن في الذهن فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل الإيضاح، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [سورة الصف: ١٠-١١]. وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۝٦٦﴾ [سورة الحجر: ٦٦]، فقوله ﴿تُؤْمِنُونَ...﴾ توضيح لما قبلها، وقوله ﴿أَنَّ دَابِرَ...﴾ تفسير لذلك الأمر، وفائدته توجيه الذهن إلى معرفته وتفخيم شأن المبيَّن وتمكينه في النفس.

٢ - **التتميم**: وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة في أداء المطلوب، نحو قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [سورة الإنسان: ٨]، أي: مع حبه والضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه، ونحو ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، وقول الشاعر: (المنسرح)

إِنِّـي عَـلـى مـا تَـريـنَ مِـن كِـبَـري ... أَعـلَـمُ مِـن أَيـنَ تُـؤكَـلُ الـكَـتِـفُ

فقوله: (على ما ترين من كبري) تتميم يقصد منه المبالغة.

٣ - **الإيغال**: وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها لأهداف منها:

أ - **زيادة المبالغة في المعنى المراد: كقول الخنساء: (البسيط)**

وَإِنَّ صَـخـرًا لَـتَـأتَـمَّ الـهُـداةُ بِـهِ ... كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ في رَأسِـهِ نـارُ

فقولها: كأنه علم، واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها: في رأسه نار، لزيادة المبالغة في الوصف والتشبيه.

ب - **تحقيق التشبيه، كقول امرئ القيس: (الطويل)**

كَـأَنَّ عُـيـونَ الـوَحـشِ حَـولَ خِبائِنا ... وَأَرحُـلِـنـا الـجَـزعَ الَّـذي لَـم يُـثَـقَّـبِ

فإنَّه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة في قوله: لم يثقب، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون، وقول زهير: (الطويل)

كَـأَنَّ فُـتـاتَ الـعِـهـنِ فـي كُـلِّ مَـنـزِلٍ ... نَـزَلـنَ بِـهِ حَـبُّ الـفَـنـا لَـم يُـحَـطَّـمِ

والفُتات: اسم لما انفتَّ وتقطع، والعهن: الصوف المصبوغ، شبه فتاته الذي زينت به الهوادج بحب الفنا في حمرته قبل تحطيمه، لأنه إذا حطم زالت حمرته، لأن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن.=

= ٤ - **التكريـــر**: وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض منها:
أ - تأكيد الإنـذار، وتقرير المعنى في النفس كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [سورة التكاثر: ٣-٤]. و(ثم) تدل على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد، ونحو ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح: ٥-٦].
ب - زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝٣٨ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ [سورة غافر: ٣٨-٣٩].
ج - طول الفصل لئلا يجيء الكلام مبتورًا ليس له طلاوة كقوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾ [سورة يوسف: ٤]، فكرر ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ لطول الفصل، وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٩﴾ [سورة النحل: ١١٩].
تنبيه:
كثير من علماء البلاغة يذكرون مع الإيجاز والإطناب: المساواة، ولم ينوه إليه هنا لا الناظم ولا الشارح، ورأيت من تمام المعرفة أن يحيط القاريء بشيء مما قاله بعض العلماء فيها، وذلك كما يأتي:
قال القلقشندي: المساواة: «بأن تكون الألفاظ بإزاء المعاني في القلة والكثرة لا يزيد بعضها على بعض، وقد مثل له العسكري في الصناعتين بقوله تعالى ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [سورة الرحمن: ٧٢]، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [سورة القلم: ٩]، **وقول النبي** - ﷺ-: «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما»، **وقوله**: «إياك والمشارة فإنها تميت الغرة وتحيي العرة»، **وقول بعض الكتاب**: «سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها إلا فقدك ونعمة لا مزيد فيها إلا بك»، **وقول آخر**: «وقد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمني يأسي منك إلى الصبر عنك»، **وقول آخر**: «فتولى الله النعمة عليك وفيك وتولى إصلاحك والإصلاح بك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك».
وقول الشاعر: (الطويل)

أهـابُـكِ إجـلالًا ومـا بـكِ قـدرةٌ ... عـليَّ ولـكـن مـلءُ عـينٍ حبيبُها
ومـا هـجـرتُـكِ الـنّـفـسُ أنـكِ عندها ... قـلـيـلٌ، ولـكـن قـلَّ مـنـكِ نصيبها

صبح الأعشى ٢/ ٣٦١، وكتاب الصناعتين ص٥٦، وقال أبو هلال: وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، وإليه أشار القائل بقوله: كأنّ ألفاظه قوالب لمعانيه، أي لا يزيد بعضها على بعض، وذكر من الشواهد ما أشار إليه القلقشندي هنا. وجعلها قدامة بن جعفر من أنواع ائتلاف اللفظ مع =



= المعنى، وهو أن يكون اللفظ مساويًا للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلًا فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر، وذلك مثل قول امرئ القيس: (المتقارب)

فإن تكتمُوا الداءَ لا نخفهِ ... وإن تبعَثُوا الحربَ لا نقعدِ
وإن تقتلونَا تقتلكمُ ... وإن تقصدُوا لدمٍ نقصدِ
وأعددتُ للحربَ وثابةً ... جوادَ المحثةِ والمرودِ

ومثل قول زهير: (الطويل)

ومهمَا تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ ... وإن خالهَا تخفي على الناسِ تعلمِ

ومثل قوله: (الطويل)

إذا أنتَ لم تقصرْ عن الجهلِ والخنَا ... أصبتَ حليمًا أو أصابكَ جاهلُ

ومثل قوله: (الطويل)

سعَى بعدهمْ قومٌ لكي يدركوهمُ ... فلم يدركُوا ولم يليمُوا ولم يألُوا

ومثل قول طرفة: (الطويل)

لعمركَ إن الموتَ ما أخطأَ الفتَى ... لكالطولِ المرخَى وثنياهُ باليدِ
ستبدِي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ... ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تزودِ

نقد الشعر ص٢٧... هذه معلومات دقيقة في هذا الموضوع يجب على طالب البلاغة ودارسها الإلمام بها.

علم البيان

٧٥- عِلْمُ الْبَيَانِ مَا بِهِ يُعَرَّفُ ... إِيْرَادُ مَا طُرُقُهُ تَخْتَلِفُ

٧٦- فِيْ كَوْنِهَا وَاضِحَةَ الدَّلَالَةْ ... فَمَا بِهِ لَازِمُ مَوْضُوعٍ لَهْ

[في اللغة] من بان الشيء وضح(١)، ولكونه من البلاغة دون البديع قدمه عليه(٢).

---

(١) قال ابن فارس: الباء والياء والنون أصل واحد وهو بُعد الشيء وانكشافه... وبان الشيء وأبان، إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان أي أوضح كلامًا منه». مقاييس اللغة (بين).

وقال ابن منظور: البيان: الفصاحة واللسن، وكلام بيِّن فصيح، ونقل عن ابن شميل قوله: البيِّن من الرجال السمْح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرَّتَج، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلامًا... لسان العرب (بين) فهو شيء شديد التعلق بنفس الإنسان، ومِن ثَمَّ التفت الجاحظ إلى قول جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: (المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم المتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى... واستنبط من كل ذلك معنى للبيان لن نجد أبلغ منه ولا أبين حيث أحاط بالمعنى من جميع جهاته وذلك في قوله: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان في ذلك الموضع» البيان والتبيين ١/ ٥٥

(٢) ذكر العلماء أولا سبب تقديم علم المعاني على علم البيان؛ أن الأول بمنزلة المفرد، والثاني بمنزلة المركب، ولأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي مرجع علم المعاني معتبرة في علم البيان، مع زيادة شيء آخر، وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، وقُدِّم علم البيان على علم البديع لشدة الاحتياج إليه لكونه جزءًا من علم البلاغة محتاجًا إليه في تحصيل بلاغة الكلام بخلاف البديع فإنَّه من التوابع. **ينظر**: شروح التلخيص٣/ ٢٥٦، هذا على رأي من يرون أن البديع عرضي، وهو رأي غير مرغوب فيه، وسيتجلى إثبات ذاتية البديع عند الحديث عنه هنا إن شاء الله تعالى.

علم البيان: من الإظهار في محل الإضمار؛ ليتمكن عند المخبر أتم تمكين.

ما: أي علم، أي ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية، أو أصول وقواعد معلومة.

به: قدم اهتمامًا على متعلقه وهو:

يُعرّف إيراد ما: أي معنى واحد يقتضيه الحال من أي معنى كان.

طرقه: بضم أوله.

تختلف: من التراكيب.

في كونها واضحة الدلالة: على المعنى المراد، وبعضها أوضح من بعض(١).

والمراد: يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مشتركة في الوضوح، مختلفة في الأوضحية، فالواضح خفي النسبة للأوضح [١٥أ].

ولذا قال بعضهم: يعرف به إيراد المعنى بطرق مختلفة الدلالة في الوضوح والخفاء، وحذفه النظم...

(١) **توضيح قوله: بعضها أوضح من بعض**: كأن يعبر عن كرم محمد مثلاً بعدة طرق بعضها أوضح دلالة من بعض في طريق التشبيه، أو الاستعارة أو الكناية، مع مراعاة مقتضى الحال والمقام أيضًا ليتحقق ما سبق من أن مقصد علم المعاني معتبر في علم البيان، فإذا أردنا أن نعبر عن كرم محمد بطريق التشبيه قلنا: محمد كالبحر سخاء ومحمد كالبحر، ومحمد بحر، فهذه طرق ثلاثة كلها تجري في نطاق التشبيه، وبعضها أوضح دلالة من بعض فأوضحها هو الأول، وأخفاها هو الأخير، وإن كان الخفاء في ذلك أبلغ من الوضوح ما دام بعيدًا عن التعقيد، ولكن لا يخفى أن شأن التشبيه هو الإخراج من الخفي إلى الجلي وتقريب الصورة، كذلك التعبير عن كرم محمد بطريق الاستعارة أن يقال: (رأيت بحرًا في الدار) في التصريحية، (وطَم محمد بإنعامه جميع الأنام) في المكنية، لأن الطموم وهو الغمر بالماء من أوصاف البحر، ولما كانت المكنية فيها خفاء لعدم التصريح بلفظ البحر فيها كانت التصريحية أوضح منها، ولكل منهما مقام يستدعيه، **وفي طريق الكناية يقال**: محمد كثير الرماد ومحمد مهزول الفصيل، محمد جبان الكلب. وأوضحها هو الأول، لأن كثرة الرماد من كثرة إحراق الحطب وهو أبين من هزال الفصيل الذي يكون بإعطاء لبن الأم للضيفان، وجبن الكلب لإلفه الواردين، ولكل منهما مقامه الذي يناسبه بحسب منزلة المخاطب. وهذه أمور مستفيضة في شروح التلخيص.٣/ ٢٥٩

لبعض اكتفاء[١].

وخرج بهذا القيد: إيراد المعنى بعبارات متساوية في الوضوح، كأدائه بألفاظ مختلفة مثلًا.

وإيراد المعنى كما ذكر لا يأتي بالدلالة[٢] الوضعية، وهي المطابقة؛ لأن السامع إذا كان عالمًا بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح من بعض، وإلا لم يكن كل واحد منها دالًّا.

بل بالدلالة ....

(١) أي اكتفاء ببعض الكلام عن بعض، وتعريف المتأخرين أوجز، وأجمع من كل هذا الشرح؛ حيث قالوا: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

(٢) **علاقة الدلالة بعلم البيان:**

الدلالة: كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر عند العلم بالعلاقة، فهي فهم أمر من أمر، والأول هو الدال، والثاني هو المدلول وتكون لفظية وغير لفظية.

وللبلاغيين في تناولها طريقة تختلف عن طريقة تناول المناطقة لها، حيث ينظرون إليها من ناحية إفادة الكلام للمعنى المقصود وطريقة ذلك.

* وأول من أدخلها في علم البلاغة هو الإمام فخر الدين الرازي، **فذكر أقسام دلالة اللفظ على المعنى، وبين أنها إمَّا أن تكون وضعية أو عقلية.**

• فالوضعية: كدلالة الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها كدلالة الحجر والجدار والسماء والأرض على مسمياتها، ولا شك في كونها وضعية وإلا لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع.

• والعقلية: إمَّا أن تكون دالة على ما يكون داخلًا في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ (البيت) على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت، ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ولا يكون متناولًا لأجزائها، وإما أن تكون دالة على ما يكون خارجًا عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط، فإنَّه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المفيد لحقيقة السقف مفيدًا للحائط بواسطة دلالته على الأول فتكون هذه الدلالة عقلية.

وعلل الرازي سر تناوله لها بأن الإمام عبد القاهر ذكر ذلك في عبارة مختصرة، وهي أن تقول: «المعنى ومعنى المعنى، فتعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ وهو الذي يُفهم منه بغير واسطة، وبمعنى المعنى: أن يفهم من اللفظ معنى ثم يفيد ذلك المعنى معنى آخر»، ثم قال الرازي: واعلم أن الكناية والمجاز والتمثيل لا يقع أي واحد منها إلَّا في هذا القسم. **ينظر:** نهاية الإيجاز ٦١، ٦٢، ودلائل الإعجاز ٢٦٣.

العقلية[١]، والالتزامية؛ لاختلاف مراتب اللزوم في الوضوح والخفاء ولذا قال:

فما: أي فلفظ أريد:

به لازم ما وضع: عقليًا، أو عاديًا، أو عرفيًا.

[أنواع علم البيان]

٧٧ - إِمَّـا مَـجَـازًا مِـنْـهُ اسْـتِـعَـارَهْ تُـنْـبِـئُ عَـنِ الـتَّـشْـبِـيْـهِ أَوْ كِـنَـايَـهْ

أو[٢]**مجازًا**: إذا قامت قرينة مانعة عن إرادة المعنى المطابق، فإن لم تمنع القرينة عن إرادة ذلك فكناية، كما سيأتي[٣].

وقدم المجاز عليها؛ لأن معناه كجزء معناها، أو منها يجوز إرادة كل من الموضوع ولازمه.

ويتعين الأخير في المجاز، فصار بالنسبة إليها كالمفرد بالنسبة للمركب، مما هو مقدم طبعًا، فقدم وضعا.

والمجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة[٤].

---

(١) معنى ذلك: أن الدلالة العقلية هي التي عني بها علماء البيان لأنها يتأتى بها اختلاف الكلام في وضوح الدلالة لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزومًا من بعض.

(٢) في المنظومة: إما مجازا.

(٣) **هنا يتحدث عن وجه انحصار علم البيان في: التشبيه، والمجاز، والكناية، وبيان ذلك كما يأتي**: علل الخطيب علاقة هذه الأبواب بما ذكر في الدلالة وجعلها مقدمة لعلم البيان **فقال**: «ثم اللفظ المراد به لازم ما وُضع له، إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وُضع له فهو مجاز وإلَّا فهو كناية، ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تبنى على التشبيه فيتعين التعرض له.
فانحصر المقصود في: التشبيه والمجاز والكناية، **وقدَّم** التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز عليه، **وقدَّم** المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل. ينظر بغية الإيضاح ٣ / ٦.

(٤) هذا تعريف المجاز في اصطلاح البلاغيين ذكره هنا إتماما لمعرفة المصطلحات، وسيأتي بيانه في =

ومنه: أي من المجاز.

(استعارة): مجاز علاقته التشبيه، ولذا قال:

تُبنى: بصيغة المفعول والمضمر عائد للاستعارة.

على التشبيه: فتعين على الثاني التعرض له

والحصر: مقصود الفن في التشبيه، والمجاز، والكناية،

وعديل قوله: إما مجاز قوله:

أو كناية: إن لم تمنع القرينة عن إرادة المعنى المطابق، كما في: زيد طويل النجاد، أوْ لا قرينة تمنع من إرادة طول نجاده، بل يجوز إرادة ذلك مع إرادة لازمة من طول القامة[١].

وعلم مما ذكر أن المنفصلة عنادية[٢] لمنع الجمع والخلو معا[٣]..

ومراد الثاني من التشبيه: ما لم يكن على وجه الاستعارة مطلقًا، فإنها وإن كان لا يطلقون عليها اسم التشبيه، فدخل في التشبيه: زيد كالأسد، وزيد أسد، ويسمى بالتشبيه البليغ[٤].

[أنواع التشبيه باعتبار الطرفين: الحسي، والعقلي]

٧٨ - وَطَرَفَا التَّشْبِيْهِ حِسِّيَانِ وَلَوْ خَيَالِيا، وَعَقْلِيَّانِ

٧٩- وَمِنْهُ بِالْوَهْمَ، وَبِالْوِجْدَانِ أَوْ فِيْهِمَا يَخْتَلِفُ الْجُزْآنِ

وطرفا التشبيه[٥]: المشبه والمشبه به إما:

= موضعه من الدراسة إن شاء الله.

(١) سيأتي الحديث عن الكناية في موضعها تفصيلا..

(٢) في (ب) وعلم مما ذكر أن العنادية تمنع الجمع.

(٣) هذا نوع من أنواع الاستعارة باعتبار طرفيها الوفاقية، والعنادية. سيأتي بيانه.

(٤) سيأتي بيان التشبيه البليغ عند الحديث عن أقسام التشبيه باعتبار الأداة.

(٥) بدأ بهما؛ لأنهما الأصل والعمدة في التشبيه، ولا يمكن الاستغناء عنهما أو عن أحدهما، أما الوجه، =

حسيان: كالخد والورد[١].

والمراد بالحسي: ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، فدخل في الحس: الخيالي، كما قال الناظم:

ولو: معنى.

خياليا: وهو المعدوم الذي فرض مجتمعًا من أمور، كل منها موجود في الأعيان محسوس[٢]، كقوله[٣]: (مجزوء الكامل)

= فهو المعنى القائم والأداة آلة في ذلك، والحديث عنهما من جهة الحسي والعقلي والمفرد والمركب.

(١) ومن شواهد البلاغين في ذلك ما يأتي:

• المحسوس بالسمع والبصر قول ابن سناء الملك (ت ٦٠٨ هـ): (الوافر)

وساقيةٍ نزلتُ بها وإلفي أودعهُ كتوديعِ المروعِ
فصوتُ أنينُها يحكي أنيني وفيضُ دموعها يحكي دُموعي

فتشبيه صوت أنينها بأنينه قوة وضعفًا في المسموعات أما فيض دموعها بدموعه فهو في المبصرات.

• **ومن المذوقات**: قولهم: طعام كالخل ونبات كالصبر، وتشبيه الريق بالخمر في قول الشاعر: (المتقارب)

كأن المدامَ وصوبَ الغَمامِ وريحَ الخزَامى وذوبَ العَسلْ
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها إذا النجمُ وسْطَ السماءِ اعتدلِ

المدام: الخمر، والصوب: المطر النازل بكثرة وغزارة، والخزامى نبات طيب الرائحة، والعلل: الشرب الثاني، يقال: علل بعد نهل وفي الملموسات قول ذي الرمة في تشبيه بشرة صاحبته بالحرير في النعومة: (الطويل)

لها بشر مثلُ الحرير ومنطقٌ رخيمُ الحواشِي لا هراء ولا نَـزْرُ
وعينانِ قال اللهُ كُونَا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعلُ الخمرُ

رخيم الحواشي: مختصر الأطراف، والهراء هو المنطق الكثير.

• **وفي المشمومات قولهم**: رائحة كالمسك، ونكهة كالعنبر.

(٢) أي كل منها مما يدرك بالحس ولكن صورتها مجملة مما لا تدرك كشاهده الذي ذكره.

(٣) الشعر منسوب للصنوبري الصنوبري (تـ ٣٣٤ هـ - ٩٤٦م) أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الانطاكي، أبو بكر، المعروف بالصنوبري: شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف =

وَكَــــأنّ مُـــحْــمَــرَّ الــشَّـقِـيـــ ... ـقِ إذا تَـصَــوَّبَ أَوْ تَـصَعَّـدْ
أَعْــــــلامُ يَـــاقُــــوتٍ نُــشِــرْ ... نَ عَـلَى رِمَـاحٍ مِـنْ زَبَـرْجَـدْ[1]

و: إما.

عقليان[2]: ما عدا الحسي تغير المسار فيه، فدخل فيه: الوهمي، أي: لا ما يدرك هو، ولا مادته بإحدى الحواس الخمس ولو أدرك لأدرك بها، فلذا قال الناظم:

= الرياض والازهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. تنقل بين حلب ودمشق. وجمع الصولي (ديوانه) في نحو ٢٠٠ ورقة. وجمع الشيخ محمد راغب الطباخ ما وجده من شعره في كتاب سماه (الروضيات - ط) صغير. وفي كتاب (الديارات - ط) للشابشتي زيادات على ما في الروضيات. ثم نشر الدكتور إحسان عباس مخطوطة يظهر انها الجزء الثاني من الديوان، وأضاف إليها ما تفرق من شعره في مجلد سماه (ديوان الصنوبري - ط) ينظر فوات الوفيات ١: ٦١ وسير أعلام النبلاء ٤: ٢٣ والبداية والنهاية ١١: ١١٩.

(١) فالشقيق ورد أحمر في وسطه سواد ينبت بالجبال، وتصوب: مال إلى أسفل، وتصعد مال إلى أعلى، فهو على حالته يشبَّه أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد، والياقوت والزبرجد أحجار نفيسة تختلف ألوانها، فقد شبه محمر الشقيق وهو محسوس بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وهذه الأجزاء (الأعلام والياقوت والرماح والزبرجد) موجودة تحس بالبصر، ولكن صورتها منشورة على رماح زبرجدية خيالية غير كائنة، ومما هو مشهور في ذلك أيضاً قول ابن المعتز: (الطويل)

كـأن عـيـونَ الـنَّـرْجسِ الـغَـضِّ حولها ... مَــدا هــنُ دُرٍّ حَـشْـوُهُــنَّ عقـيـقُ

فكل فرد من أجزاء المشبه به موجود مُحس بالبصر، أما مداهن الدر المحشوة بالعقيق فمما لا يوجد، يقول الإمام عبد القاهر: «فليس في العادة أن تتخذ صورة أعلاها ياقوت على مقدار العلم، وتحت ذلك الياقوت قطع مطاولة من الزبرجد كهيئة الأرماح والقامات، وكذلك لا يكون ههنا مداهن تصنع من الدر، ثم يوضع في أجوافها عقيق. » أسرار البلاغة ١٥٤، وفي كل ذلك الخيالي هو المشبه به.

(٢) ومن المشهور في شواهده: تشبيه الجهل بالموت والعلم بالحياة كقول شوقى في مدح الرسول ﷺ: (البسيط)

أخــوك عيـسى دعــا مـيـتًـا فـقـام له ... وأنــت أحـييـت أجـيـالًا مـن الـرمـم
والـجـهـل مـوت فـإن أوتـيـت معجزة ... فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم

وقولنا: حلمه حلم أحنف، وذكاؤه ذكاء إياس، وليس منه في القرآن الكريم شيء.

ومنه: أي من العقلي: ما يدرك:

بالوهم: كما في قوله(١): (الطويل)

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فأنياب الأغوال وإن لم يشاهدوها لكن اعتقدوا فيها غاية الحدة، فشبهوا بها، وهي أمر وهمي غير موجود، ولو وجد لإدراك بالحس(٢).

ودخل فيه ما يدرك.

وبالوجدان: أي بالقوة الباطنة، كاللذة والألم(٣).

---

(١) أي امريء القيس.

(٢) شبَّه النصال المسنونة الصافية المجلوة بأنياب الأغوال، وأنياب الأغوال ليست مدركة لعدم تحققها، لأن الغول معدوم أصلًا لا وجود له.
ويقول السعد: ومما يجب أن يعلم في هذا المقام أن من قوى الإدراك ما يسمى متخيلة ومفكرة من شأنها تركيب الصور والمعاني وتفصيلها والتصرف فيها، واختراع أشياء لا حقيقة لها، وبذلك نجد فرقًا بارزًا بين الخيالي والوهمي، لأن الخيالي مادته مدركه بالحواس كما سبق، والوهمي ليس مدركًا هو ولا مادته، وجعلوا منه قوله تعالى عن شجرة الزقوم ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾ [سورة الصافات: ٦٥]، وهي غير موجودة ولا مرئية فكيف يمكن التشبيه بها؟
أجاب عن ذلك الفخر الرازي في تفسيره بوجوه منها:
• أن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة، فكما حسن التشبيه بالملك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١﴾ [سورة يوسف: ٣١]، فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برءوس الشياطين في القبح، وتشويه الخلقة، والحاصل أن هذا من باب التشبيه لا بالحواس، بل بالمتخيل كأنه قيل: إن أقبح الأشياء في الوهم والخيال هو رءوس الشياطين، فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر وتشويه الصورة، **وهذا أوجه وأليق من جَعْله محسوسًا** على القول بأن الشياطين حيات لها رءوس وأعراف وهي من أقبح الحيات، أو أن رءوس الشياطين نبت معروف قبيح الرأس...، **لأن الله بشَّع صورتها في نفوسنا وجعلها مصدر رعب ورهب فهو إلى الوهم أقرب.**

(٣) ويندرج تحت العقلي أيضًا التشبيه الذي يدرك بالوجدان:
والوجدان: هو القوى الباطنية القائمة بالنفس، مثل القوة التي يدرك بها الشبع أو الجوع أو اللذة =

أو فيهما: في الحسية، والعقلية.

يختلف الجزآن: بأن يكون المشبه معقولًا، والمشبه به محسوسًا[١]، أو بالعكس[٢] كالمنية، والسبع في الأول، والفطن، والخلق الكريم، في الثاني[٣].

[أنواع وجه الشبه من جهة: الحسي، والعقلي، والمفرد، والمركب]

٨٠- وَوَجْهُهُ مَا اشْتَرَكَا فِيْهِ وَجَا ذَا فِي حَقِيْقَتَيْهِمَا، وَخَارِجَا

= أو الألم وهي مرتبطة بالحس الباطن، فلا تعتبر عقلية محضة، لأنها جزئيات موجودة في الخارج لا كلية تدرك بالعقل كالعلم والحياة، فإن اعتبرت من حيث إنها كلية تتصور بالعقل خرجت عن معنى كونها وجدانية، ولكن تسمى بذلك (وجدانيات) باعتبار أصل إدراكها... ينظر مواهب الفتاح ٣ / ٣١٩، فالمراد أنها اللذة الحسية والألم الحسي كما تتلذذ بحلو الطعام وتتألم بمره.

(١) من شواهده قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [سورة البقرة: ٧٤]، شبهت قلوبهم بالحجارة في الصلابة والقسوة، بل هي أقسى منها، لأنها قطع عنها الخير والنفع فأضحت لا تستجيب ولا تذعن لأمر الله بخلاف الحجارة فهي كما وصفها الحق سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ يقول الزمخشري: والمعنى: أن من عرف حالها وشبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلًا، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة، وتقرير لقوله ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ الكشاف ١ / ٣٩٠

(٢) بأن يكون المشبه به معقولا، والمشبه محسوسا.

(٣) يشبه الأرض الواسعة (حسي) بأخلاق الكرام (عقلي)، ويجعلها أصلاً في السعة من باب التخييل أيضًا فيقول:

وأرضٍ كأخلاقِ الكرامِ قطعتُها وقد كَحَّل الليلُ السِّماك فأبصرا

وكذلك يتخيل في الثناء رائحة طيبة ويشبه العطر به ليوهم أن الثناء أصل في الطيب وأحق به منه، وهذا ما كتبه الصاحب بن عباد إلى القاضي أبي الحسن وقد أهدى له الصاحب عِطر القُطر: (الكامل)

يا أيها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقَهْ

أهديت عطرًا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقَهْ

وهكذا ترى سبيل الحسن كلما تدبرت وجه التأويل والتخييل.

٨١- وَصْـفًـا فَـحِـسِّيٌّ وَعَـقْـلِـيٌّ وَذَا وَاحِــدُ أَوْ فِـي حُـكْـمِـهِ، أَوْ لَا كَـذَا

ووجهه:

أي وجه التشبيه

ما: أي المعنى ما الذي.

اشتركا: أي الطرفان.

فيه: تحقيقًا كالشجاعة[1].

أو تخييلًا أي: حصول وجه الشبه فيهما على وجه التخييل، ....

(١) وجه الشبه ركن من أركان التشبيه وهو: المعنى الذي يشترك فيه الطرفان مذكورًا، أو مقدرًا، نحو: قولنا محمد كالأسد في الشجاعة، أو محمد كالأسد، ومن هنا يتجلى أنهما يشتركان في بعض الصفات لا في كل الصفات تلك هي الصفات التي يقصدها المتكلم، فمحمد يشبه الأسد في الجراءة لا في الجسد والأنياب والافتراس؛ لأن الشيء إذا أشبه الشيء في كل أموره كان هو هو، ولو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، فالوجه يشبه بالشمس وبالبدر في المعنى الذي يجمعهما وهو الحسن، لأنه لا يرقى إلى منزلة ضيائهما وعلوهما، وعليه قوله تعالى ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرحمن: ٢٤]، شبَّه المراكب بالجبال من جهة العِظَمِ لا من جهة الصلابة والرسوخ والرزانة، وكذلك إذا قالوا: «فلان كالبحر وكالليث» فإنما يريدون البحر سماحة وعلما وكرمًا، وكالليث شجاعة وقرمًا، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ولا شتامة الليث وزهومته أي كراهة وجهه وتكشير أنيابه.
فوقوع التشبيه إنما هو أبدًا على الأعراض لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد، اختلفت أنواعها أو اتفقت، فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه كقولهم «عين كعين المهاة»، وجيد كجيد الريم «فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان والمهاة، واسم الجيد واقع على هذا العضو من الإنسان والريم، والكاف للمقاربة، وإنما يريدون أن هذه العين لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين المهاة، وأن هذا الجيد لانتصابه وطوله كجيد الريم، والتشبيه تقريب وتوضيح، وعلى ذلك فوجه الشبه لا بد أن يكون له وجود في الطرفين على طريق التحقيق أو التخييل كما سيأتي في أقسامه.
ووجه الشبه في قولهم: «النحو في الكلام كالملح في الطعام» هو الإصلاح في كل، وليس كما زعموا: كون القليل مصلحـًا والكثير مفسدًا؛ «**وذلك أنه لا يُتَصَوّر الزيادةُ والنقصانُ في جريان أحكام النحو في الكلام**». أسرار البلاغة ٧١.

والتأويل، نحو قوله[١]: (الخفيف)

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع [١٦أ]

فوجه الشبه فيه هو: الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم، وهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل، وذلك لما كانت البدعة، وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشي في ظلمة، فلا يهتدي للطريق، ولا يأمن من أن ينال مكروهًا، شبهت بها.

ولزم من ذلك بطريق العكس أن تشبه السنة، وكل ما هو علم بالنور، وشاع ذلك حتى تخيل أن السنن مما له بياض وإشراق، كما في الحديث: «آتيتكم بالحنيفية البيضاء»[٢] وإن البدعة على خلاف ذلك، فصار تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع، كشبهها ببياض الشيب في سواد الشباب، أو تشبيهًا بالأنوار[٣] مؤتلقة بين النبات الشديد الخضرة[٤].

---

(١) البيت منسوب للقاضي التنوخي: وهو: علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم، أبو القاسم التنوخي: (٢٧٨ - ٣٤٢ هـ = ٨٩٢ - ٩٥٣م) قاض، أديب، شاعر، عالم أصول المعتزلة. ولد بأنطاكية، ورحل إلى بغداد في حداثته، فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وكان معتزليا. وولي قضاء البصرة والأهواز، وغيرهما. ثم أقام زمنا ببغداد، وكان من جلساء الوزير المهلبي. وزار سيف الدولة الحمداني، ومدحه. له «ديوان شعر» ومن شعره مقصورة عارض بها الدريدية، أوليها: «لولا التناهي لم أطع نهي النهي أي مدى يطلب من جاز المدى» يذكر بها مفاخر تنوخ وقضاعة. توفي بالبصرة. الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٤، وينظر وفيات الأعيان ١: ٣٥٣ وتاريخ بغداد ١٢: ٧٧ وإرشاد الاريب ٥: ٣٣٢ - ٣٤٧ ويتيمه الدهر ٢: ١٠٥.

(٢) الحديث من شواهد البلاغيين، ولم أجده في كتب السنّة.

(٣) الأنوار هنا جمع: نوْر بسكون الواو وهو الزهر.

(٤) ومن التشبيه التخييلي قول أبي طالب الرقي: (الكامل)

ولقد ذكرتُكِ والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعا؛ فيقال: «اسودّ النهار في عيني، وأظلمت الدنيا عليَّ»، وكان الغَزِل يدعي القسوة على من لم يعشق، والقلب القاسي يوصف بالسواد توسعا، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد، وجعلهما أعرف به، وأشهر من الظلام، فشبّهه =

[وجه الشبه الداخل في حقيقة الطرفين والخارج عنهما]

وجاء ذا: أي وجه الشبه داخلًا.

في حقيقتيهما: أي غير خارج عن حقيقة المشبه، والمشبه به، سواء كان وجه الشبه تمام حقيقتهما، كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في نوعهما؛ لكونهما بردين، أو جزء حقيقتيهما، سواء كان تمام المشترك بينهما، وهو الجنس، كما يقال هذا الإنسان كالفرس في كونه حيوانًا، أو كان تمام المميز، كتشبيه زيد بعمرو في الناطقية.

أو خارجًا: عن حقيقة الطرفين.

وصفا: بدل من خارج، وهو إما حقيقي، إما متقرر، وحاصل في ذات الموصوف، كالعلم والقدرة، **وله ضربان**:

فحسي: وهو الكيفيات الجسمية، مما يدرك بالبصر من الألوان، والأشكال والمقادير، والحركات، وما يتصل بها، أو بالسمع من الأصوات، أو بالذوق في أنواع المطعوم، أو مما يدرك بالشم، وأنواع الروائح، أو مما يدرك باللمس من الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، والخشونة، والملاسة، والصلابة، والثقل.

ولما يتصل بالمذكورات من مدركات الحواس غير البصر؛ لاتصال اللطافة أو **الكثافة** بالملموس.

= بهما، وكذا قول ابن بَابَك: (الطويل)

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحّل الليل السماك فأبصرا

فإن الأخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالأماكن الواسعة والضيقة، تخيل أخلاق الكرام شيئا له سعة، وجُعل أصلا فيها، فشبه الأرض الواسعة بها. وكذا قول التنوخي: (البسيط)

فانهض بنار إلى فحم كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا

فإنه لما كان يقال في الحق: «إنه منير واضح»، فيستعار له صفة الأجسام المنيرة، وفي الظلم خلاف ذلك، تخيلهما شيئين لهما إنارة وإظلام، فشبه النار والفحم مجتمعَين بهما مجتمعين. مصدر هذا، وما ذكره الشارح الإيضاح، ينظر بغية الإيضاح٣/ ٣٩٥

الثاني: (وعقلي): كالكيفيات النفيسة من: الذكاء، والعلم، والغضب، والحلم، وسائر الغرائز، وهذا قسمان للوصف الخارج الحقيقي، ويقابله الوصف الخارج الإضافي، إلى غير متقرر في ذات الموصوف، بل أمر متعقل بالقياس إلى غيره، كاتصاف الشيء بكونه مطلوب الوجود، أو العدم عن النفس فمطلوبية النفس ليست صفة متقررة في ذات المطلوب، بل اعتبرها العقل بالنسبة إلى الطلب القائم بالنفس، ولذا كانت نسبية[(١)].

[أقسام وجه الشبه باعتبار الإفراد والتركيب]

قسم الناظم التشبيه تقسيمًا آخر فقال:

وذا: أي التشبيه باعتبار وحدة وجه الشبه وتعدده ثلاثة أقسام؛ لأن وجهه إما.

واحد: حقيقة[(٢)].

---

(١) ينظر عروس الأفراح ٢/ ٥٢ وكذا شروح التلخيص.

(٢) وهو: ما يكون وجه الشبه فيه محققًا في شيء واحد فلا توجد فيه أجزاء تتضامّ وتتلاصق كما سيأتي في المركب، وشواهده كثيرة منها:
قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، فشبه كلًا منهما باللباس للآخر، والوجه في ذلك: الصون والستر، فكل واحد منهما يصون صاحبه عن الوقوع في الفاحشة، قال ابن يعقوب المغربي في مواهب الفتاح: وحيث اعتبر في الوجه كونه سترًا عما لا ينبغي استقل به اللباس دون توقف على كونه للرجال أو النساء بمعنى: أن المجرور لا يتوقف عليه الوجه، وما لا يتوقف عليه الوجه لا يعد في التقييد ولا في التركيب لذا كان من تشبيه المفرد بالمفرد، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [سورة القارعة: ٤-٥]، والوجه هنا هو الكثرة والانتشار على غير نظام، وفيه معنى ضعفهم ووهنهم الناجم عن الرعب وشدة الهول، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل: ٥]، وهو ورق الزرع بعد أن تأكله الدواب وتروث عليه وهذا تصوير لهلاكهم.
والمفرد هنا على إطلاقه، وقد يكون مقيدا كقول أبي الطيب المتنبي يعزى سيف الدولة: (الخفيف)

وإذا اهتز للندى كان بحرًا ... وإذا اهتز للوغى كان نصلا
وإذا الأرض أظلمت كان شمسًا ... وإذا الأرض أمحلت كان وبلا

فهو يشبهه بالبحر والنصل والشمس والوبل... ولكن يلاحظ هنا أن الكلام ليس على إطلاقه، وهنا =

أو: متعدد لكنه[١].

في حكمه: أي في حكم الواحد، بأن يكون المقصود من المتعدد: الهيئة الاجتماعية التي هي واحدة.

وإنما كانت في حكم الواحد، لا واحدًا؛ لأنه مركب من متعدد. **أو لا**: يكون.

كذا: أي واحدًا، أوفي حكمه.

[اختلاف وجه الشبه باعتبار الحسي والعقلي]

بل يكون متعددًا:

= نرى وقفة العلماء حول المفرد حين جعلوه قسمين مطلقًا ومقيدًا، والقيد يكون بالجار والمجرور والوصف والحال والمفعول ونحو ذلك مما له دخل في وجه الشبه، والمتنبي لم يشبه سيف الدولة بما شبهه على الإطلاق ولكن القيد واضح في الكلام فتأمله وخذ منه قولهم لمن لم يحصل من سعيه على شيء «هو كالقابض على الماء وكالراقم في الماء..».، ووجه الشبه بينهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة.

وصرح العلماء بصعوبة التميز بين المفرد المقيد والمركب، ومن ثم اعتبروا القيد تركيبا، وخلاصة بيانهم كما يأتي: أن المعول فيه على صفاء القريحة وسلامة الذوق **ثم فرقوا بينهما بأمرين وبينوا عسر تطبيقهما**:

١ - أنه إذا كان الطرف مؤلفًا من أشياء كل منها جزء كان مركبًا وإذا كان شيئًا واحدًا والباقى شرط له كان مقيدًا، ورد بأن التمييز بين الشرط والجزاء هنا عسير جدا.

٢ - أنه إذا كان العمدة فيه شيئًا واحدًا والباقي تبع كان مقيدًا، وإلَّا فهو مركب، وهذا أيضًا مردود بعسر تطبيقه على الأمثلة التي يقع الاشتباه فيها وجرى الشيخ عبد القاهر على عدم الفرق بينهما؛ وبذلك يكون الطرفان مفردين أو مركبين أو مختلفين.

(١) وجه الشبه المتعدد ليس شيئا واحدا كالمفرد، ولا متشابكا كالمركب، بل هو كما قال الشيخ عبد القاهر: ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقودًا على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولُهم: هو يَصْفُو ويكدر ويَمُرُّ ويحلُو ويشُجُّ وَيأْسُو، ويُسرِجُ ويُلجم، لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصِّفتين، فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى، لأنك لو قلت: هو يصفو، ولم تتعرض لذكر الكدر أو قلت: يحلو، ولم يسبق ذكر يَمُرُّ، وجدت المعنى في تشبيهك له بالماء في الصَّفاء وبالعسل في الحلاوة بحاله وعلى حقيقته. أسرار البلاغة ١٠٢.

[١] حسي كله.

[٢] أو عقلي كله.

[٣] أو بعضه، حسي وبعضه عقلي.

[تفصيل ذلك]

ووجه الشبه **الحسي**:

طرفاه:

حسيان لا غير؛ لامتناع أن يدرك بالحسي من غير الحسي شيء(١).

والعقلي: أعم؛ لجواز أن يدرك بالعقلي من الحسي شيء معقول، ولذا يقال التشبيه بالوجه العقلي أعم منه بالحسي.

والواحد الحسي: كالحمرة في تشبيه الخد(٢) بالورد، والجلد الناعم بالحرير [١٦ب].

والواحد العقلي: كتشبيه العري عن الفائدة بالمعدوم لفقد الفائدة(٣).

والمركب الحسي: فيما طرفاه مفردان.

---

(١) كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث» والوجه هو الضخامة مفرد حسى فإن كان ذلك على الحقيقة فهو «تشبيه مفزع مخيف يصور بشاعة منظر الكافر إلى جانب العذاب الأليم الذي يعانيه». التصوير الفني في الحديث د/ محمد الصباغ، ص٥٥٣، ومنه قوله ﷺ في وصف عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - «إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ» والوجه هو الصفاء وشدة البياض، هذا في المفرد الحسى، وسبقت له كثير من الشواهد يمكنك أن تقف عندها وتدرك مغزاها.

(٢) في الأصل تشبيه الجلد.

(٣) ومنه: أي المفرد العقلي: قوله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله» يعني في التحريم أو الإبعاد، فإن اللعن تبعيد من رحمة الله، وقيل المراد المبالغة في الإثم» عمدة القاري ١٩/ ١٥٠. وقوله ﷺ» تُعْرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودا... إلخ» الحديث أي تتوالى واحدة بعد الأخرى كنسيج الحصير عودا عودا...

كقوله[١]: (الطويل)

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى ... كعنقود مُلّاحيّة حين نوّرا[٢]

فوجه الشبه: الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على الكيفية المخصوصة إلى المقدار المخصوص، وطرفاه هما: الثريا، والعنقود، مفردان[٣].

وفيما طرفاه مركبان:

كقول الآخر[٤]: (الطويل)

---

(١) أي: قيس بن الخطيم وهو في ديوانه ص٤٢ وهو: قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد: شاعر الأوس، وأحد صناديدها، في الجاهلية (تـ٦٨ه – ٦٨٨م) أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما، وقال في ذلك شعرا. وله في وقعة «بعاث» التي كانت بين الأوس والخزرج، قبل الهجرة، أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه. شعره جيد، وفي الأدباء من يفضله على شعر حسان. له «ديوان – ط» (٣). ينظر الأغاني ٢: ١٥٤ والاصابة: ت ٧٣٥٠ وجمهرة أشعار العرب ١٢٣.

(٢) و(الملاحي) بضم الميم وتخفيف اللام وقد تشدد عنب أبيض في حبه طول، ومعنى (نوّر) تفتح نوره، و(الثريا) مصغرة قيل تصغير تعظيم، وقيل تصغير تقريب؛ إعلاما بأن نجومها قريب بعضها من بعض، ومكبرها (ثروى) وهي الكثرة، وسميت هذه النجوم المجتمعة: بالثريا؛ لكثرة نورها، وقيل: لكثرة نجومها مع صغر مرآها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل وعدد نجومها: سبعة أنجم، ستة ظاهرة، وواحد خفي، تختبر به الناس أبصارهم، وذكر القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: أن النبي ﷺ كان يراها أحد عشر نجما، **والشاهد فيه**: المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مفردان» معاهد التنصيص ٢/ ١٧، فقد شبه الثريا بعنقود الكرم المنور ، ووجه الشبه ما ذكره الشارح.

(٣) ومنه: قول ذي الرمة: (الطويل)

وسِقْط كعين الديك عاورتُ صاحبي ... أباها وهيأنا لموقعها وكرا

ووجه الشبه فيه: الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكُرّي، والمقدار المخصوص. بغية الإيضاح ٣/ ٣٩٩.

(٤) أي بشار، وهو: بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ (تـ ١٦٧ هـ – ٧٨٤م)وهوأشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته =

كـــأن مـــثـــار الـــنـــقـــع فـــوق وأسيافنا ليل تـهـاوى كـواكـبـه[(١)]

فوجه الشبه: الهيئة الحاصل من هوي أجرام مشرقة مستطيلة، متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم.

وهو مركب، وطرفاه هما: الهيئة الحاصلة من النقع الأسود، وسيوف بيض متفرقات فيه، والهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في أطراف الليل مركبان؛ لأن المقصود إحدى الهيئتين بالهيئتين، لا تشبه النقع بالليل، والسيوف بالكواكب[(٢)].

وفيما طرفاه مختلفان: كما مر في تشبيه السفن بالأعلام[(٣)].

والمركب العقلي: كحرمان الانتفاع بأ بلغ نافع، مع تحمل التعب في استصحابه في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [سورة الجمعة: ٥].

= من الرق. وكان ضريرا. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في (ديوان - ط) ٣ أجزاء منه. قال الجاحظ: (كان شاعرًا راجزا، سجاعا خطيبا، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة). واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة. وكانت عادته، إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم يقول. وأخباره كثيرة. ولبعض المعاصرين كتب في سيرته، منها (بشار بن برد - ط) لإبراهيم عبد القادر المازني، ومثله لأحمد حسين منصور، ولحسنين القرني، ولمحمد علي الطنطاوي، ولحنا نمر، ولعمر فروخ. ينظر وفيات الأعيان ١: ٨٨ ومعاهد التنصيص ١: ٢٨٩ وتاريخ بغداد ٧: ١١٢ والشعر والشعراء ٢٩١ وأمالي المرتضى ١: ٩٦ - ٩٨ وخزانة البغدادي ١: ٥٤١ وفيه: مات سنة ١٦٨ وقد نيف على تسعين سنة.

(١) شبه الهيئة الحاصلة من اجتماعهما (هيئة الغبار والسيوف تتألق بينه وقد سلت من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب بهيئة الكواكب تتهاوى وتتصادم وتتساقط في جوانب ليل مظلم).

(٢) ومنه: قول أبي طالب الرقي: (الكامل)

وكـــأن أجـــرام الـنـجـوم لـوامـعـا درر نـــثـــرن عـــلـــى بـــســـاط أزرق

ووجه الشبه هو: الهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير في المرأى على سطح جسم أزرق صافي الزرقة. ينظر بغية الإيضاح ٣/ ٣٩٩.

(٣) يقصد قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرحمن: ٢٤].

فوجه الشبه مركب؛ لأنه مجموع معان متنزعة من مجموع الفعل الصادر من الحمار، وهو الحمل، والمحمول المخصوص، وهو الأسفار، وجهل الجاهل بما في الأسفار التي هي أوعية العلوم[1].

وغير خاف تعدد أنواع أقسام التشبيه في هذا القسم باعتبار أحوال الطرفين من الإفراد، والتركيب، والاختلاف، ومن كونهما عقليين، أو حسيين، أو مختلفين.

والمتعدد الحسي: كاللون، والطعم، والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى، وكل من الأمور الثلاثة وجه شبه حسي.

والعقلي: كحدة النظر، وكمال الحذر، وإخفاء السواد في تشبيه طائر بالغراب، فكل مما ذكر وجه شبه عقلي.

والمتعدد المختلف: كحسن الطلعة، ونباهة الشأن، في تشبيه إنسان بالشمس، فحسن الطلعة حسي، ونباهة الشأن عقلي.



---

(١) وبيان ذلك: أنه شبه حالة اليهود بحالة الحمار المذكورة؛ لأن اليهود يحفظون التوراة ويقرءونها، ويتجاهلون ما فيها، وحالتهم هذه لا تعدو أن تكون كحالة الحمار يحمل كتب العلم النافعة ولا يستفيد منها شيئًا.

والشبه منتزع من أحوال الحمار يحمل مالا يحسه ولا يستشعر مضمونه ولا يفرق بينه وبين سائر الأحمال، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ويكد جنبيه فها هنا حامل ومحمول، وجهل به، والشبه لا يحصل منها على الانفراد، ولكنه يستخرج من مجموعها حال الشيئين يمزج أحدهما بالآخر ولا يصلح أن يشبه إليهود بالحمار والتوراة بالأسفار المحمولة وحفظ إليهود لها بحمل الحمار إياها؛ لأن ذلك لا يؤدى المراد ولا يحقق المطلوب. ومن ثم فلا يمكن فض تركيبه. ينظر دلائل الإعجاز ١٠١.

ومن المركب العقلى أيضا: قوله ﷺ «النَّاس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة» وقوله ﷺ «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين**»، وقوله: «**النَّاس معادن كمعادن الذهب والفضة**»

[أدوات التشبيه]

٨٢- وَ«الْكَافُ»، أَوْ «كَأَنَّ»، أَوْ «كَمِثْلِ»   أَدَاتُـــــهُ، وَقَـــدْ بِـــذِكْـــرِ فِـعْـلِ

والكاف: خبر مقدم لقوله:

أداته: أي ما يتوصل به للتشبيه، أي: وصف التشبيه بمشاركة المشبه به في وجه الشبه[1].

[أنوع أدوات التشبيه]

[١- حروف]

الكاف[2] نحو: زيد **كالأسد**، أو بمعنى الواو أي:

وكأن[3]: نحو كأن زيدا أسد.

---

(١) وعللوا إطلاق الأداة عليها: لتشمل الاسم، والفعل، والحرف، وتلك أنواعها: (حروف - أسماء - أفعال).

(٢) **الكاف**: وهي الأصل في الدلالة على التشبيه؛ وذلك لأنها بسيطة، أي حرف واحد لا تركيب فيه، وذكر سيبويه أنها حرف جر للتشبيه وهي تفيد خمسة معان:
التشبيه نحو: زيد كالأسد، **والتعليل**: كقوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة القصص: ٨٢]، **والاستعلاء**: كقول بعضهم: كخير، جوابًا لمن سأل: كيف أصبحت؟ أي: على خير، **والمبادرة** في نحو: صل كما يدخل الوقت، أي مبادرًا دخول الوقت. ينظر التبيان للطيبي ٢١٢، وعروس الأفراح ٣ / ٣٨٦ ومغنى اللبيب ١ / ١٥١.
والتشبيه هو المعنى البارز فيها؛ لأنها تأتي له غالبًا، وباعها فيه كبير والأصل فيها: أن تدخل على المشبه به لفظًا كقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفيل: ٥]، أو تقديرًا كقوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٩]، أي كمثل ذوي صيب.

(٣) **كأن**: - **قيل فيها**: إنها بسيطة، **وقيل**: مركبة من الكاف، وأنَّ المشددة، والأقرب الأول؛ لجمود =

= الحروف مع وقوعها فيما لا يصح فيه التأويل بالمصدر المناسب لأن المفتوحة، **وقيل**: إن كان خبرها جامدًا كانت للتشبيه نحو: كأن زيدًا أسد، وإن كان مشتقًا كانت للشك، على معنى أنك تشك في قيام الخبر بالمبتدأ في نحو قولك: كأن زيدًا قائم، ولا معنى لتشبيه الشيء بنفسه، لأن القائم هو زيد والخبر المشتق هو عين المبتدأ، **ولكن المشهور**: أنها للتشبيه، وما جاء من هذا القبيل يخضع للتأويل فيكون المعنى في المثال السابق: كأن زيدًا شخص قائم وبذلك يحدث التغاير بين المشبه والمشبه به، ونظير ذلك أيضًا قول البحتري: (الكامل)

يخفي الزجاجة لونها فكأنها ... في الكف قائمةٌ بغير إناءِ

فهو يقصد إلى وصف هيئة الشراب في الإناء لا إلى الشراب خاصة أو الإناء خاصة، وذلك أن الزجاجة إذا رقت وصفت وسلمت من الكدر اشتد صفاؤها وبريقها، فإذا وقع فيها الشراب الرقيق اتصل الشعاعان وامتزج الضوآن فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر، ولو كان الشراب كدرًا ووضع في الإناء لخفي على الناظرين، وكذلك لو كان الإناء كدرًا لأن هذه الأشياء لا شعاع لها ولا ضياء فلا يتصل أحدهما بالآخر.

وتدخل (كأن) على الفعل وهي للتشبيه أيضًا كقول «كثير عزة»: (الطويل)

كأني أنادي صخرة حين أعرضت ... من الصم لو تمشي بها العصم زلت

ظاهر الكلام يفيد أن «ياء كأني» هي المشبه، والفعل «أنادي» مشبه به ولكنه يؤوَّل على أنه يشبه نداءه إياها وإعراضها عنه بنداء الصخرة.

ولا فرق في استعمال (كأن) بين أن تشدد نونها أو تخفف وشواهد ذلك كثيرة منها: قوله تعالى في شأن المنافقين ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [سورة المنافقون: ٤]، أي كأنهم في ترك التبصر والتفهم للدين خشب لا تعقل ولا تفقه وقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠﴾ [سورة المدثر: ٥٠]، شبه نفورهم عن القرآن الكريم بالحُمُر النافرة، ومما جاءت فيه مخففة وتفيد التشبيه أيضًا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۝٩٢﴾ [سورة الأعراف: ٩٢]، شبه حال هؤلاء المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار (الطويل)

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمُر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

ومن المشهور في ذلك قول الشاعر: (الهزج)

وصدر مشرق النحر ... كأن ثدياه حقان

وتتصل بها (ما) الكافَّة وتفيد التشبيه، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]، أي أن قلبه =

[٢- أسماء]

أو كمثل: بكسر فسكون، نحو: زيد مثل عمرو، والأصل في: الكاف، ومثل، وما معناها من: مثل، وشبه، ونحوه، أن يليه المشبه به(١).

بخلاف: «كأن» فأصلها التقديم على طريق التشبيه؛ لأنه عامل فيها(٢).

= ينبو عن الإسلام ويتباعد عن قبول الإيمان وهذا البعد يشبه بعد من يصعد من الأرض إلى السماء في الثقل والشدة. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأنفال: ٦]، يشبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم بحال من يجر إلى القتل ويساق إلى الموت.

(١) السر في خصوصيتها هي وما شابهها كـ «مثل» و«شبه» ومشتقاتهما بـ الدخول على المشبه به: أن المشبه مخبر عنه بلحوق غيره محكوم عليه، فلو دخلت الكاف عليه لامتنع الإخبار عنه، إذن فلابد من دخولها على المشبه به أو على أحد عناصره إن كان مركبًا كما مضى.

(٢) **هنا فروق دقيقة بين الكاف وكأن تجب الإحاطة بها:**
فروق بين الكاف وكأن:
سبق القول في البساطة والتركيب واختلاف المعاني وتأويل ما جاء بغير التشبيه مع (كأن)، وهذا في حد ذاته يعد من الفروق بينهما، ومنها على سبيل التوضيح لبعض ما سبق أيضًا:
١- أن الكاف يليها في الغالب المشبه به، وكأن يليها في الغالب المشبه.
٢- كأن تفيد من المبالغة في التشبيه ما لا تفيده الكاف فمثلًا: كأن محمدًا أسد أقوى في التشبيه من قولنا محمد كالأسد؛ ولذلك قالوا: كأن أقوى وأبلغ في الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به ومِن ثَمَّ فهي تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره.
معنى ذلك أن التشبيه بالكاف لا يعدو المشابهة، والتشبيه بـ (كأن) يجعل المشبه كأنه عين المشبه به، وبذلك ندرك الفرق بين التشبيه في قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [سورة النمل: ٤٢]؟ والتشبيه في قوله تعالى على لسان بلقيس ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾، فقولها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عبارةُ مَنْ قَرُبَ عنده الشبه حتى شكَّك نفسه في التغاير بين الأمرين فكاد يقول هو هو، وتلك حال بلقيس، وأما هكذا هو، فعبارة جازمٍ بتغاير الأمرين حاكمٍ بين وقوع الشبه بينهما لا غير، فهكذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها. ينظر الانتصاف على الكشاف ٣/ ١٤٤.
ولكن لا يخفي أن لكل منهما سياقاته التي لا يستقيم فيها سواه فمثلًا في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤]، نرى المعنى: أي إبطالًا كإبطال الذي ينفق ماله رئاء النَّاس على أن الكاف تعرب نعتًا لمصدر محذوف، أما إذا كانت في موضع الحال فإن المعنى: لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق ماله رئاء النَّاس فيبطلها بالرياء، =

وقد يخالف هذا الأصل، ويلي الكاف ونحوه غير المشبه به؛ لقرينة نحو [قوله تعالى]: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الكهف: ٤٥]، الآية فليس المقصود من الآية: تشبيه الحياة بالماء، بل تشبيه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها المستعقبة للهلاك، بحال النبات الذي يكون أخضر، ثم يذهب كأنه لم يكن[١].

[٣- أفعال]

وقد يذكر الفعل: الدال على التشبيه بدل أداته نحو: علمت زيدًا أسدًا، إن قرب الشبه، وحسبت عمرًا أسدًا إن بعد[٢].

= والكاف حينئذٍ لا تكون للمماثلة بين الأفعال بل لتشبيه الذوات، وهنا لا نجد لـ (كأن) موضعًا لأن المقام ليس مقامها، ومثلًا في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة القمر: ٧]، لا يستقيم فيه التعبير بالكاف، لأن التشبيه هنا كما سبق يشير إلى الكثرة، والانتشار على غير نظام وفيه المبالغة في تفرقهم وانتشارهم. وهكذا لكل مقام مقال.

(١) أي: لا حاجة إلى تقدير «كمثل ماء» «لأن المعتبر هو الكيفية الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف.

- وقالوا أيضًا: وربما دخلت الكاف على شيء لا دخل له في التشبيه وإنما هو قيد فيه.

كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة الصف: ١٤]، فليس المراد تشبيه كون المؤمنين أنصارًا بقول عيسى للحواريين من أنصاري إلى الله؟ حيث لا معنى لذلك، وإنما المراد: كونوا أنصارًا لله مثل كون الحواريين أنصاره وقت قول عيسى لهم: من أنصاري؟، وعلى ظاهر التعبير المشبه به «قول عيسى» ولكنه ليس هو المشبه به بل هو ظرف له، فما دخلت عليه الكاف هنا لا يعدو أن يكون ظرفًا للمشبه به.

(٢) تفصيل ذلك: أن الأفعال على نوعين:

الأول: أفعال تفيد التشبيه صراحة، وهي كل فعل اشتق من مادة التشبيه وما أشبهها نحو: حاكى، وشابه، ويماثل ويضاهي، نحو قولنا: هند تماثل البدر أو تحاكيه، وقول الشاعر: (مجزوء الكامل)

والنهر يشبه مبردًا ... من أجل ذا يجلو الصدى

والمقصود بالصدى هنا هو الظمأ، واللفظ فيه تورية، وقول الشاعر: (الكامل)

أو ليس من إحدى العجائب أنني ... فارقته وحييتُ بعدَ فِراقه

يا من يحاكي البدرَ عند تمامِه ... ارحم فتى يحكيه عند محاقِه =

[أغراض التشبيه]

٨٣- وَغَــرَضٌ مِـنْـهُ عَـلَـى الْـمُـشَـبَّـهِ   يَــعُــودُ، أَوْ عَــلَــى مُـشَــبَّــهٍ بِــهِ

[الأغراض التي تعود على المشبه]

وغرض: الغاية والمقصود[1].

منه: أي التشبيه.

على المشبه: يعود في الأغلب وهو:

[١] - بيان إمكان[2] وجود المشبه، وهذا إذا كان المدعي يدعي شيئًا لا يظهر إمكانه فيحتاج إلى التشبيه؛ لبيان إمكانه، كما في قول الشاعر: [١٧أ] (الوافر)

فــإن تـفـق الأنــام وأنــت منهم   فـإن المسك بعض دم الـغـزال[3]

= أي: عند نهايته، وقوله تعالى ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [سورة التوبة: ٣٠]. والمضاهاة المشابهة.

والثاني: أفعال تجيء بعد تحقيق التشبيه، وهي تدل على قرب الشبه أو بعده بحسب معناها نحو: علمت، وخلت وحسبت.

ومثلوا لقرب الشبه بقولهم «علمت زيدًا أسدًا» أي أنه مشابه للأسد مشابهة قوية لما في (علمت) من الدلالة على تحقيق التشبيه وتيقنه، أما: حسبت أو ظننت أو خلت زيدًا أسدًا فتستعمل إن بَعُدَ التشبيه، لما في الحسبان من الدلالة على الظن دون التحقيق ففيه ظن وتخيُّل.

(١) التشبيه يقرب الصورة ويوضح المراد فيخرج الأغمض إلى الأظهر وينقل الصورة من الإبهام إلى البيان، وكل ذلك بطريقة موجزة فكان الإيجاز والإيضاح من أبرز أغراضه وله أغراض أخرى يتعلق بعضها بالمشبه وبعضها بالمشبه به.

(٢) في (ب) بيان إمكان مكان.

(٣) أراد أن يقول: إن الممدوح فاق الأنام بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بل صار أصلًا بنفسه وجنسًا برأسه، وهذا في ظاهره كالممتنع، فإنَّه بعيد أن يتناهي بعض أحاد النوع في الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك النوع، فلما قال: فإن المسك بعض دم الغزال، فقد احتج لدعواه بأن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى لا يعد من جنسه إذ لا يوجد في الدم شيء من الصفات الشريفة التي هي للمسك. أسرار البلاغة ١٠٩ ونهاية الإيجاز ١٥١، ومن ذلك قول الشاعر: (البسيط)=

[٢] - أو بيان حال المشبه كما في تشبيه ثوبه في السواد[١].

[٣] - أو بيان مقدار حال المشبه قوة وضعفًا، كما في تشبيه: ثور عُلم أنه أسود وجهل مقدار سواده، بالغراب في شدة السواد[٢].

[٤] - أو بيان تقرير حاله عند السامع، كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل

= فإن تكن تَغْلبُ «الغلباء» عنصُرَها ... فإنَّ في الخمرِ معنًى ليس في العنبِ

الغلباء: امرأة من قبيلة تغلب ذات العز والشرف، وفيها من معاني الكمال ما يجعلها تفوق قومها وتبز عشيرتها، وإن كانت هذه دعوى بعيدة أو غريبة، فإن دليلها: أن العنب أصل الخمر ولكنها فضلت عليه لمعنى اختصت به دونه.

(١) وذلك حين يكون المشبه مجهول الصفة فيؤتى بالتشبيه لمعرفة حاله وذلك كثير جدًا في الكلام العربي شعره ونثره، فمنه قول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [سورة القارعة: ٤-٥].

فالمشبه به في الطرفين يوضح حال المشبه (يوم القيامة) وصورة الفراش المبثوث والعهن المنفوش مألوفة ومعروفة، ومنه قول النبي - ﷺ: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وقول الشاعر: (الوافر)

إذا قامت لحاجتها تثنَّت ... كأن عظامها من خيزران

ومنه: كأنك شمس.... إلخ، وكأن قلوب الطير رطبًا... إلخ، وهذا معروف ومألوف.

(٢) والمشبه هنا يكون معروف الصفة بوجه ما بخلاف بيان الحال والمراد هنا بيان المقدار من ناحية القوة والضعف والزيادة والنقص، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [سورة النمل: ٨٨]، فالإنسان يعلم أن الجبال تابعة لحركة الأرض فهي تتحرك وتمر ولكنه لا يعرف مقدار مرورها، فبينه الحق سبحانه بقوله (مر السحاب) أي كسرعة مرور السحاب ومنه قول الشاعر: (الكامل)

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودًا كخافية الغراب الأسحم

وقول الأعشى: (البسيط)

ودِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مُرتحل ... وهل تطيق وداعًا أيها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها ... تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة لا ريث ولا عجل

بمن يرقم على الماء[١].

وهذه الأربعة تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم، وهو به أشهر، أو بغير ذلك[٢].

---

(١) ويقصد به تمكين المعنى في ذهن السامع وتقويته وهو نوع من بيان الحال ولكنه بيان على وجه التقرير والتثبيت، ويكثر هذا في تشبيه المعنويات بالمحسوسات لأن المحسوس أقوى لدى النفس من المعقول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النور: ٣٩]، فأعمال الكفار أمور معنوية وصورة السراب الخادع في الصحراء والظلمات المتراكمة في البحر اللجي في بقية الآية من الأمور المعنوية، وكذا ما سبق في تشبيه المنافقين بالمستوقد - وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [سورة الحج: ٣١]، فهذه صورة هلاك المشرك بالله وهي صورة حسية ومنه قول النبي ﷺ «مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» فصورة السراج هذه صورة حسية تقرر المقصود من التشبيه وتثبته، ومنه قول الشاعر: (الكامل)

إن القلوبَ إذا تنافرَ وُدُّها ... مثلُ الزجاجةِ كسرُها لا يُجْبَرُ

شبه تنافر القلوب بكسر الزجاجة تثبيتًا لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودة وهذا من تصوير الأمور المعنوية بالأمور المحسوسة.

(٢) قوله: أو بغير ذلك، أي من الأغراض الأخرى، نحو:

- تزيين المشبه للترغيب فيه: ولن يكون في النفس حسنًا إلَّا إذا اقترن بصورة لها من الحسن والبهجة ما يبعث على السرور وبذلك يعظم مقامه وتزداد منزلة الحسن فيه، خذ من ذلك قول الشاعر: (الوافر)

له خال على صفحات خدٍّ ... كنقطةِ عنبرٍ في صحن مرمر

وألحاظ كأسياف تنادِي ... على عاصي الهوى الله أكبر

ففي الأول شبه الخال على الخد بنقطة عنبر، وفي الثاني شبه اللحظ بالسيوف واستعمل مع السيف التكبير لأن هذا النداء يؤجج نار الحماس ويزيد فعل السيف قوة في النفس.

فإذا كان المشبه حسنا فإن المشبه به أقوى منه حسنا، ومنه قول الشاعر: (الخفيف)

رب سوداء وهْي بيضاءُ معنى ... نافسَ المسكَ في اسمها الكافور

مثل حبِّ العيونِ يحسبه النا ... س سوادًا وإنما هو نُورُ

فقد أبرز هذه السوداء في صورة حسنة هي صورة سواد العين يحسبه النَّاس سوادًا وإنما هو نور يمتع بمشاهدة الحياة وروائعها وما فيها من جمال باهر وسحر خلاب. =

[الأغراض التي تعود على المشبه به]

أو: يعود الغرض منه.

على مشبه به(١)، وهو ضربان:

[الأول]- إما لإيهام أن المشبه أتم من المشبه به(٢) عند المشبه، وذلك في التشبيه المقلوب كقوله(٣): (الكامل)

= **تشويه المشبه للتنفير منه**: وذلك بإلحاقه بصورة قبيحة تخيل للسامع قبحه، كصورة آكل الربا حين يصور بصورة منفرة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، وقول الشاعر: (الطويل)

وغير تقي يأمر النَّاس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

استطراف المشبه: أي جعله في صورة طريفة غير مألوفة للذهن وذلك بأن:

- يبرز في صورة الممتنع عادة كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر مسك موجه الذهب وما سبق في شواهد التشبيه الخيالي: (مجزوء الكامل)

وكأن محمر الشقيق ... إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

(١) المعهود كما سبق أن يشبه الشيء بما هو أوضح منه أو أعظم أو أكثر، ولكن قد يعكس الأمر فيكون المشبه مشبهًا به أي يجعل الفرع أصلًا والأصل فرعًا على سبيل المبالغة والادعاء وهذا ما سمي بـ«التشبيه المقلوب» وهو ضرب من الافتتان والإبداع.

(٢) في الأصل: لإيهام أن المشبه به أتم من المشبه، وهذا غير صحيح؛ والصواب ما أثبته؛ لأن الكلام في التشبيه المقلوب.

(٣) أي محمد بن وهيب في وصف الصبح وتشبيهه بغرة الفرس، وهو: محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر (٢٢٥هـ-٨٤٠): شاعر مطبوع مكثر، من شعراء الدولة العباسية. أصله من البصرة. عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح، ويتشيع. وله مراث في أهل البيت. وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان. واختص بالحسن ابن سهل. ومدح المأمون والمعتصم. وكان تياها شديد الزهاء بنفسه. عاصر دعبلا الخزاعي وأبا تمام. الأعلام للزركلي ٧/ ١٣٤.

وبـــدا الــصــبـــاح كـــأن غـرتـه وجـه الـخـلـيـفـة حـيـن يـمـتـدح[١]

[الثاني]- أو بيان الاهتمام به، ويسمى الثاني إظهار المطلوب[٢].

---

(١) على أن البياض أصل في الصبح وهو به أظهر، لأنه لم يقصد تشبيه غرة الفرس به مبالغة في وصفها بالضياء وفرط التلألؤ، وإنما قصد أمراً آخر هو: وقوع منير في مظلم وحصول بياض في سواد، ثم البياض قليل بالإضافة إلى السواد، وفي هذه الحالة يصح لك أن تعكس وتقول: «كأن الصبح عند ظهور أوله في الليل غرة في فرس أدهم» دون وجود تناقض، وقد قصد الشاعر جعل الفرع أصلاً والأصل فرعًا على طريقة التخييل والتأويل.
وهو أي التأويل هنا: أنه جعل في وجه الخليفة زيادة من النور والضياء يبلغ بها حال الصباح أو يزيد، ومن هذا الباب قول أبى طالب الرقي: (الكامل)

ولـقـد ذكـرتـك والـظـلامُ كـأنّـه يـومُ الـنّـوى وفـؤادُ مـن لـم يعشق

فلما كانت أوقات المكاره توصف بالسواد، فيقال: اسود النهار في عيني، وأظلمت الدنيا عليّ جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام، فشبهه به ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق تظرفًا وإتمامًا للصنعة وذلك أن الغزل يدعي القسوة على من لم يعرف العشق، والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فتخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد، وجعلهما أعرف وأشهر من الظلام فشبهه بهما.
مجيء المشبه به أصلا على خلاف المعهود في باب التشبيه كثرت حوله الآراء، لأن الغرض من التشبيه -كما هو مألوف- الإيضاح، وإدراك النفس للمحسوس أقوى من إدراكها للمعقول، لأن الحواس نوافذ الإدراك، لذلك كان المحسوس أقوى بأن يجعل مشبهًا به؛ ليتحقق الغرض المقصود، ولكن هناك تشبيهات كثيرة جرت على هذا النمط المغاير للأصل، وكانت في غاية الحسن كما في الشاهدين السابقين.
وكما في قوله تعالى حكاية عن مستحلّ الربا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]؛ فإن مقتضى الظاهر أن يقال: إنما الربا مثل البيع؛ إذ الكلام في الربا لا في البيع، فخالفوا لجعلهم الربا في الحلّ أقوى حالا من البيع وأعرف به، ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [سورة النحل: ١٧] ؛ فإن مقتضى الظاهر العكس؛ لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسمَّوها آلهة تشبيها بالله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فخولف في خطابهم؛ لأنهم بالغوا في عبادتها؛ وغلوا حتى صارت عندهم أصلا في العبادة والخالق سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فرعا، فجاء الإنكار على وفق ذلك. ينظر: بغية الإيضاح ٣/ ٤١٨.

(٢) كتشبيه الجائع وجه حبيبته بالبدر في الإشراق والاستدارة بالرغيف؛ إظهارا للاهتمام بشأن الرغيف لا غير، وهذا يسمى إظهار المطلوب. =

[التشابه][١]

ثم ما ذكر في الغرض من التشبيه الجمع بين الشيئين في أمر فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه[٢]؛ احترازًا من ترجيح أحد المتساويين من غير ترجيح بقوله[٣]: (الطويل)

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي   فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب[٤]

= قال السكاكي: «ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنِّي المطلوب، كما يحكى عن الصاحب أن قاضي سجستان دخل عليه، فوجده الصاحب متفننا، فأخذ يمدحه حتى قال: وعالم يعرف بالسَّجْزي، وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه، ففعلوا واحدا بعد واحد، إلى أن انتهت النوبة إلى شريف في البَيْن، فقال:

أشـــهـــي إلـــى الـــنـــفـــس مـــن الـــخـــبـــز

فأمر الصاحب أن تقدم له مائدة، هذا كله إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة أو ادعاء بالزائد. بغية الإيضاح٣/ ٤١٨، والمنهاج الواضح في البلاغة ٨٤.

(١) ألفاظ التشابه: تشابه، وتماثل، وتشاكل، وتساوى، وتضارع وكذلك بقولك في أمرين (كلاهما سواء) لا ما كان له فاعل ومفعول، مثل شابه وساوى وضارع، فإن فيه إلحاق الناقص بالزائد فيكون تشبيهًا.
فشرطه: أن يكون الفعل لازمًا كما في: تشابه وتماثل لأن المتعدي يدل على الحكم بالمشابهة.
وشرط آخر: وهو أن يكون القصد إلى الدلالة على تساوي الطرفين في الصفة، **قال السبكي**: وإنما قلنا إن التشابه يقتضي التساوي لأن تشابه زيد وعمرو قضية تنحل في المعنى إلى قولنا: زيد يشبه عمرًا، وعمر يشبه زيدًا.
وأنت لو صرحت بهاتين القضيتين لكانتا متنافيتين إلَّا بأن تجعل التشبيه في أحدهما مقلوبًا، والحكم على أحدهما بالقلب دون الآخر، فصار كالدليلين المتعارضين في شيء فيتساقطان في عمل التعارض وهو ترجيح أحدهما على الآخر ويعمل بهما في مجرد المشابهة فيكونان متساويين فيصير مضمون التشابه التساوي». عروس الأفراح ٣/ ٤١٢.

(٢) أي ما سبق كان في إلحاق الناقص في وجه بالزائد، فإذا أريد مجرد الجمع بين شيئين، فيسمى (التشابه).

(٣) أنشَده الثَّعالبيّ لأبي إسحق الصّابي في يتيمة الدّهر ٢/ ٣٠٣، وكذا في الإيضاح ٤/ ٧٨، ومعاهد التّنصيص ٢/ ٥٩.

(٤) المدامة: الخمر، أسبلت: هطلت وأرسلت بالدمع: قصد تساوي الدمع والمدام في الصفاء والحمرة فأتى بصيغة التشابه، وهذا ضرب من التشابه يقصد به مجرد التساوي، ومنه أيضا: قول الصاحب بن عباد: (الكامل) =

ويجوز التشبيه أيضًا في التشابه[1]، كتشبيه غرة الفرس بالصباح، وعكسه من أريد بوجه الشبه في شيء مظلم أكثر منه[2].

* * *

= رَقَّ الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمرٌ ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

قصد بذلك استواء الخمر والقدح في الرقة حتى إن الأمر أشكل عليه. ينظر معاهد التنصيص ٢/ ٥٩.
وشواهد ذلك في القرآن الكريم كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠)﴾ [سورة البقرة: ٧٠]، وقوله تعالى ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥].

(١) **الفرق بين التشبيه والتشابه:**
من خلال ما سبق تبين أن المقصود من التشبيه الإيضاح والبيان وإتمام المعنى المراد وذلك حين يلحق الناقص في وجهٍ بالزائد ويشبه الأضعف بالأقوى وقد يعكس ذلك مبالغة وادعاء كما في التشبيه المقلوب، **أما التشابه:** فهو مجرد الجمع بين شيئين في أمر من الأمور من غير قصد إلى زيادة ونقصان وجدت الزيادة أم لم توجد المطول ٣٣٥.
معنى ذلك أنه إن أريد إلحاق ناقص بزائد فهو تشبيه وإن أريد مجرد الجمع بينهما فهو تشابه ويصلح حينئذٍ أن يكون كل واحد من الطرفين مشبهًا، ومشبهًا به احترازًا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر.
ومن الفروق بينهما أيضا: أن التشابه يصح فيه استعمال التشبيه لتساوى الطرفين في التشابه فيمكن ترجيح أحدهما لأمر تعتبره ويكون بذلك تشبيهًا.
أما التشبيه فلا يمكن استعمال التشابه فيه لأن تسوية الراجح والمرجوح باعتبار غير ممكن.

(٢) **بيان ذلك:** هذا هو الضرب الآخر من ضربي التشابه وهو: تشابهٌ يقصد به مجرد الجمع بين شيئين في أمر من الأمور ومجرد الجمع لا التساوي يستعمل كلًا من المشبه والمشبه به في موضع الآخر كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس إذا كان المراد وقوع منير في مظلم أكثر من المنير.
ولذلك قال العصام «إن أداة التشبيه قد تستعمل لمجرد قصد التشريك كما في المثال السابق دون نظر إلى اختلاف الطرفين في التلألؤ والانبساط وقوة الضوء بدلالة المقام لأنه إن قصد ذلك كان من باب التشبيه بالمعهود وحيث كان المراد المعنى فيتساوى فيه الطرفان يكون من باب التشابه. ينظر الأطول ٢ / ٩٥ والشروح ٣/ ٤١٥.

[أقسام التشبيه باعتبار أركانه]

٨٤- فَبِاعْتِبَارِ كُلِّ رُكْنٍ اقْسِمِ أَنْوَاعَهُ. ثُمَّ الْمَجَازُ فَافْهَمِ

إذا عرفت ذلك فالتشبيه:

فباعتبار كل ركن: من ركنيه، وهما: المشبه والمشبه به.

اقسم أنواعه:

[التشبيه باعتبار الطرفين: إفرادا وتركيبا]

فهو باعتبار طرفيه إما تشبيه:

[١] - مفرد بمفرد غير مقيدين(١): كتشبيه الخد بالورد(٢).

[٢] - أو مقيدين(٣) كقولهم: الساعي الذي لا يحصل من مطلوبه على شيء كالراقم

---

(١) المفرد: ما يكون وجه الشبه فيه محققًا في شيء واحد فلا توجد فيه أجزاء تتضامّ وتتلاصق كما سيأتي في المركب، وشواهده كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، فشبه كلًا منهما باللباس للآخر، والوجه في ذلك: الصون والستر، فكل واحد منهما يصون صاحبه عن الوقوع في الفاحشة، قال ابن يعقوب المغربي في مواهب الفتاح: وحيث اعتبر في الوجه كونه سترًا عما لا ينبغي استقل به اللباس دون توقف على كونه للرجال أو النساء بمعنى: أن المجرور لا يتوقف عليه الوجه وما لا يتوقف عليه الوجه لا يعد في التقييد ولا في التركيب لذا كان من تشبيه المفرد بالمفرد (ينظر مواهب الفتاح).
ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ **[القارعة: ٤-٥]**، والوجه هنا هو الكثرة والانتشار على غير نظام، وفيه معنى ضعفهم ووهنهم الناجم عن الرعب وشدة الهول..
وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفيل: ٥]، وهو ورق الزرع بعد أن تأكله الدواب وتروث عليه وهذا تصوير لهلاكهم.
ومنه قوله ﷺ يوم فتح مكة «أنتم الشعار والناس الدثار» والدثار هو الثوب الذي يكون فوق الشعار، يعني أنتم الخاصة والنَّاس العامة فالطرفان مفردان في كل ذلك.

(٢) الخد بالورد في الحسيين، والعلم بالحياة في العقليين.

(٣) معنى التقييد: أن يتصل به شيء يحدد معناه، نحو: الوصف، أو الإضافة، أو الجار والمجرور.

على الماء(١).

---

(١) ووجه الشبه بينهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة، ومنه قول أبي الطيب المتنبي يعزي سيف الدولة: (الخفيف)

وإذا اهتز للندى كان بحرًا ... وإذا اهتز للوغى كان نصلا

وإذا الأرض أظلمت كان شمسًا ... وإذا الأرض أمحلت كان وبلا

فهو يشبهه بالبحر والنصل والشمس والوبل... ولكن يلاحظ هنا أن الكلام ليس على إطلاقه، بل فيه قيد.

وهنا نرى وقفة العلماء حول المفرد حين جعلوه قسمين مطلقًا ومقيدًا، والقيد يكون بالجار والمجرور، والوصف، والحال، والمفعول، ونحو ذلك مما له دخل في وجه الشبه. والمتنبي لم يشبه سيف الدولة بما شبهه على الإطلاق، ولكن القيد واضح في الكلام فتأمله، ووجه الشبه بينهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة، وقول الشاعر: -(الكامل)

إني وتزييني بمدحي معشرًا ... كمُعلِّقٍ دُرًّا على خنزيرِ

فالشاعر لم يشبه نفسه من حيث هو مادح بمعلق وإنا قصد إلى تشبيه نفسه بقصد اتصافه بتزيينه بمدحه معشرًا، فمتعلق التزيين (بمدحي) داخل في المشبه، والمشبه به: من يعلق درًّا على خنزير، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلته وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر. ينظر البغية ٣/ ٥٠.

واعتبروا ذلك تقييدًا، ولا خلاف معهم فيه، وإنما الذي يفهم أنه يشبه نفسه وهو يمدح من لا يستحقون المدح، ولا يفقهون قدره، بمن يعلق الدر النفيس في غير موضعه اللائق به...

فإن كان المشبه مقيدًا بالحال، والمشبه به مقيدًا بالمفعول والجار والمجرور، إلَّا أن هذه صورة مركبة تضامت أجزاؤها وتلاصقت وانتزع منها وجه الشبه وهو وضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر أو وضع الشيء في غير محله.

والتشبيه هنا كما قال الإمام عبد القاهر: معقود على الجمع دون التفريق، وحال أحد الشيئين مع الآخر حال الشيء في صلة الشيء وتابع له ومبني عليه...، فقد شبه تزيينه بالمدح من ليس من أهله بتعليق الدر على الخنزير هكذا بجملته، ولا بد للواو في هذا النحو أن تكون بمعنى (مع) وأمره فيه أبين إذ لا يمكن أن يقال: إني كذا، وإن تزييني كذا؛ لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبرًا عن ضمير المتكلم في (إني) الذي هو المعطوف عليه والآخر عن (تزييني) المعطوف. أسرار البلاغة ١٨٤.

الفرق بين المفرد المقيد والمركب:

صرح المتأخرون بصعوبة التمييز بينهما، وأن المعول فيه على صفاء القريحة، وسلامة الذوق ثم فرقوا بينهما بأمرين: =

[٣] - والمشبه مفردًا والمشبه به مقيدًا.

[٤]- أو بالعكس، كقوله[١]: (الرجز)

والشمس كالمرآة في كف الأشل[٢]

[٥- المركبين] - وعكسه كقول الشاعر[٣]: (الطويل)

= ١- أنه إذا كان الطرف مؤلفًا من أشياء كل منها جزء كان مركبًا، وإذا كان شيئًا واحدًا والباقي شرط له كان مقيدًا، ورد بأن التمييز بين الشرط والجزاء هنا عسير جدا.
٢- أنه إذا كان العمدة فيه شيئًا واحدًا والباقي تبع كان مقيدًا، وإلَّا فهو مركب، وهذا أيضًا مردود بعسر تطبيقه على الأمثلة التي يقع الاشتباه فيها.
وجرى **الشيخ عبد القاهر** على عدم الفرق بينهما، وبذلك يكون الطرفان مفردين أو مركبين أو مختلفين.

(١) من الرجز، واختلف في قائله فقيل: الشماخ، وقيل ابن أخيه، وقيل أبو النجم، وقيل ابن المعتز، والأشل هو الذي يبست يده أو ذهبت. ينظر معاهد التنصيص ٢/ ٣٢.

(٢) وهو شاهد على النوع الأول، أي الذي فيه المشبه به مقيد؛ لأنه قيد المرآة بكونها في يد الأشل، ورعشتها حينئذ تعطي هذه الصورة المطلوبة.
والشطر الثاني منه:

................الأشـــــــل لـمّـا رأيـتـهـا بـدت فـوق الجـبـل

وقد يكون المقيد هو المشبه مثل أن تقول: والمرآة في كف الأشل كالشمس، وإليه أشار بقوله: وعكسه. وهو من كلام الخطيب في تلخيص المفتاح، وتناقله الشراح. ينظر عروس الأفراح ٢/ ٩١.

(٣) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ (تـ١٦٧ هـ-٧٨٤م) وهو
أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريرا، نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في (ديوان - ط) ٣ أجزاء منه. قال الجاحظ: (كان شاعرًا راجزا، سجاعا خطيبا، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة). واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة. وكانت عادته، إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق باحدى يديه على الأخرى ثم يقول. وأخباره كثيرة. ولبعض المعاصرين كتب في سيرته، منها (بشار بن برد - ط) لإبراهيم عبد القادر المازني، ومثله لأحمد حسين منصور، ولحسنين القرني، ولمحمد علي الطنطاوي، ولحنا نمر، ولعمر فروخ. ينظر وفيات الأعيان ١: ٨٨ ومعاهد التنصيص ١: ٢٨٩ وتاريخ بغداد ٧: ١١٢ والشعر والشعراء ٢٩١ وأمالي المرتضى ١: ٩٦ -٩٨ وخزانة البغدادي ١: ٥٤١ =

كـأنّ مُـثَـارَ الـنَّـقْـع فـوق رؤوسِـنَـا وأسيافَنا لَـيلٌ تَـهَـاوَى كـواكـبُـهْ[١]

[٦] - وإما تشبيه مفرد بمركب كتشبيه الشقيق بأعلام نشرن على رماح من زبرجد في البيتين السابقين[٢].، [١٧أ]- وأما عكسه[٣] كقوله[٤]: (الكامل)

يـا صـاحـبـي تـقـصـيـا نـظـريـكـمـا تريا وجوه الأرض كيف تصور[٥]

= وفيه: مات سنة ١٦٨ وقد نيف على تسعين سنة.

(١) الشاهد فيه: تشبيه الهيئة الحاصلة من اجتماعهما (هيئة الغبار والسيوف تتألق بينه وقد سلت من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب، بهيئة الكواكب تتهاوى وتتصادم وتتساقط في جوانب ليل مظلم) والوجه الجامع بينهما هو: الهيئة الحاصلة من هوي أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم.

(٢) سبقت دراسة هذا الشاهد في التشبيه الخيالي. والشاهد هنا: أن المشبه مفرد، وهو: الشقيق، والمشبه به مركب: أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد، ومنه قول الشاعر: (مجزوء الخفيف)

كـلـنـا بـاسـطُ إلـيـد نـحـو نَـيْـلُـوفَـرٍ نـدى

كـدبـابـيـس عـسْـجَـدِ قُـضـبَـهـا مـن زبـرجـدِ

فالمشبه هو: النيلوفر وهو مفرد، والمشبه به: الهيئة الحاصلة من تركيب رءوس مبسوط من العسجد على قضيب دقيقة ملساء من الزبرجد، وهذه صورة خيالية أيضا.

(٣) أي تشبيه مركب بمفرد.

(٤) أي: أبي تمام.

(٥) هذا من تشبيه المركب بالمفرد حيث شبه النهار المشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر، والذي جعل النهار المشمس أي الذي لا غيم فيه يضعف نوره حتى يشبه ضوء القمر هو ذلك النبات من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه صار لونه إلى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس، وهو كما قال ابن الأثير تشبيه حسن وواقع موقعه ولعل هذا الحسن راجع إلى ما أراد أن يلفت إليه أبو تمام بهذا النداء المثير الذي لا يقف عند حد الرؤية، وإنما تجاوزها إلى التقصي في وجوه الأرض وما فيها من بهجة ومناظر براقة تخالط ضوء النهار وهو مشمس فتخاله العين ضوء القمر.

* وابن الأثير على حق فيما قاله من ندرة هذا النوع من التشبيه، وذلك؛ لأن المعهود في التشبيه كماسبق هو التوضيح بالانتقال من الخفي إلى الجلي، فالمشبه به يوضح المشبه ويجليه، لذا يشبه الأدنى بالأعلى والأضعف بالأقوى، ولكنه هنا عكس ذلك المعهود وقد كثر في كلام العرب أن يكون المشبه به أكثر بياناً وتفصيلاً من المشبه، ولا يعترض على هذا بمثل قول المتنبي: =

تـريـا نـهـارًا مـشـمـسًـا قـد شـابـه   زهـر الـربـا فـكـأنـمـا هـو مقمر

[التشبيه المتعدد]

وإن تعدد[١] طرفاه فإما:

[١] - ملفوف[٢] وهو: الإتيان بالمشبهين ثم المشبه بهما[٣] كقوله[٤]: (الطويل)

كـأن قـلـوب الـطـيـر رطـبًـا ويـابـسًـا   لدى وكرها العناب والحشف البالي[٥]

= لأنه تشبيه شيئين بشيء واحد حيث شبه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم، أي يشبه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشيء واحد، وليس هذا كالذي سبق من تداخل الشيئين واجتماعهما.

(١) وهـو مـا يـقـصـد بـه تـشـبـيـه شـيـئـيـن أو أكـثـر بـشـيـئـيـن أو أكـثـر دون تـداخـل أو ترابط بينهما. كقول المتنبي (المنسرح)

تُـشِـرقُ أعـراضُـهُـم وأوجُـهَـهُـم   كـأنـهـا في نـفـوسـهـم شِـيَـمُ

يعنى أنه لو شبه كل واحد من الطرفين بما يقابله ما غض من قدره ولا غير من مراده.

(٢) وسمى بذلك للف المشبهات والمشبهات بها أي ضم بعضها إلى بعض.

(٣) أي أن يؤتى أولاً بالمشبهات على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبهات بها كذلك.

(٤) أي: امرئ القيس.

(٥) فقد شبه الرطب من القلوب بالعناب في الشكل واللون، وشبه إليابس العتيق منها بالحشف البالي في لونه وشكله، فالأول للأول، والثاني للثاني وهذا معنى اللف، وإنما كان متعدداً؛ لأنه ليس لوجود الرطب واليابس هيئة يعتد بها، ويستحسنها الذوق، أويستطرفها السامع، وإن اجتمعا في الوكر، حتى يكون من المركب، وإنما الفضيلة في اختصار ما تعلق به هذا التشبيه المتعدد وترتيبه ولا فضيلة له باعتبار الهيئة لانتفاء حسنها، فليس المراد هو الاتصال وإنما الاجتماع فقط، ومنه قول الشاعر: (المجتث)

لـيـل وبـدر وغـصـن   شـعـر ووجـه وقـدّ
خـمـر ودرّ وورد   ريـق وثـغـر وخـدّ

وقوله: -(البسيط)

تَـبَـسُّـمٌ وقـطُـوبٌ فـي نـدَى ووغـى   كالغَيْثِ والبـرقِ تحـتَ العـارضِ البرَدِ

فالتبسم كالغيث، والقطوب كالبرق...

[٢]- ومفروق وهو: الإتيان بمشبه ومشبه به(١)، ثم بمثل ذلك كقوله(٢): (الكامل)

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم(٣)

[٣]- وإن تعدد طرفه الأول: فتشبيه التسوية(٤) كقوله(٥): (المجتث)

صُدْغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي كِلَاهُمَا كَاللَّيَالِي(٦)

[٤]- وإن تعدد الثاني فتشبيه الجمع(٧) [كقول البحتري من قصيدة من السَّرِيع يمدح بهَا أَبَا نوح عِيسَى ابْن إِبْرَاهِيم]: (السريع)

---

(١) بمعنى: جمع كل مشبه مع ما شبه به.

(٢) أي المرقش الأكبر.

(٣) أي أن: الرائحة الطيبة منهم كرائحة المسك، والوجوه كالدنانير من الذهب في الاستدارة، والاستنارة، وأطراف الأكف عنم (شجر لين الأغصان) ولما اجتمع كل مشبه منها مع ما يقابله فافترقت المشبهات من بعضها، وكذلك افترقت المشبهات بها سمي مفروقًا، ومنه: قول أبي الطيب المتنبي: (الوافر)
بَدَت قَمراً ومالَتْ خوطَ بانٍ وفَاحتْ عنبراً ورَنَتْ غزالا
يلوح وجهها كالقمر، ويكون قدها كخوط البان (وهو الغصن الناعم من الشجر المعتدل اللين الذي يشبه ورقه ورق الصفصاف) وتفوح رائحته فوح العنبر ونظرتها شبه الغزال ترنو عيناه.

(٤) وسمي بذلك للتسوية فيه بين المشبهات.

(٥) لا يعرف قائله. والبيت الذي يليه: (المجتث)
وَثَغْرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأَدْمُعِي كَاللآلِي

(٦) يقصد بالصدغ هنا الشعر المتدلى من الرأس بين الأذن والعين وبالثغر: مقدم الأسنان وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا من الكدر.
شبه صدغ الحبيب وحاله بالليالي في السواد (وإن كان السواد في حاله تخيليا) وثغره ودمعه باللؤلؤ، فقد تعدد المشبه فيهما واتحد المشبه به، ومنه قول بديع الزمان: (البسيط)
يكادُ يَحْكيكَ صوبُ الغيثِ مَنْسَكبًا لو كانَ طَلْقَ المُحَيَّا يُمْطرُ الذَّهبا
والبدرُ لو لم يَغبْ والشمسُ لو نطقتْ والأسْدُ لو لم تُصد والبحرُ لو عَذُبا
فالمشبه: صوب الغيث، والبدر والشمس والأسد والبحر، والمشبه به: الممدوح المدلول عليه بكاف الخطاب في (يحكيك)، فقد تعدد المشبه دون المشبه به.

(٧) جمع بين المشبهات بها، ولذا سمي تشبيه الجمع.

كَـأَنَّـمَـا يَـبْـسِـمُ عَـنْ لُـؤْلُـؤٍ مُـنَـضَّـدٍ أَوْ بَـرَدٍ أَوْ أَقَـاحْ[١]

[أقسام وجه الشبه باعتبار: التمثيل والتشبيه والإجمال والتفصيل]

والتشبيه أيضًا باعتبار وجهه إما:

[١] - تمثيل وهو: ما وجهه منتزع من متعدد[٢].

وقيده السكاكي بكونه: غير حقيقي[٣]، كتشبيه مثل اليهود.

---

(١) المشبه واحد، وهو ما يبسم عنه أي ثغره، والمشبه به متعدد وهو: اللؤلؤ المنضد أي المنظم، والبرد وهو حب الغمام، والأقاح، جمع أقحوان، وهو ورد له نوره، أوراقه أشبه بالأسنان، ومن المشهور في ذلك قول امرئ القيس: -(المتقارب)

كـأنَّ الـمـدامَ وصـوبَ الـغـمـامِ وريـحَ الـخُـزَامـى ونـشـرَ الـقُـطـرْ
يُـعَـلُّ بـه بـردُ أنـيـابـهـا إذا طـرَّبَ الـطـائـرُ الـمُـسـتَـحِـرْ

فالمدام هي: الخمر، وصوب الغمام: مطره، والخزامى: نبت له زهر طيب، القطر: عود يتبخر به، ويعلُّ بمعنى: يسقي مرة بعد مرة، والمستحر أي: الديك الذي يصوت بالسحر فحين يشبه برد أنيابها بهذه الأشياء التي جاءت في البيت الأول فإنما يقصد مدحها بطيب الفم حتى في وقت السحر الذي تتغير فيه رائحة الأفواه من النوم، ولكنه قلب التشبيه للمبالغة في ذلك لأنه خلاف المعتاد.

ومنه: قول الشاعر: (الخفيف)

ذاتُ حسنٌ لـو اسـتـزادَتْ مـن الحُسـ ـنِ إلـيـه لـمـا أصـابـتْ مـزيـدا
فـهـي الـشـمـسُ بـهـجةٌ والـقـضـيـبُ الـ ـلـدن قـدّاً والـريـمُ طـرفـًا وجـيـدا

فالمشبه واحد، والمشبه به متعدد، وهو: الشمس والقضيب، وطرف الريم وجيده.

(٢) أمرين أو أمور، وهذا كلام الخطيب.

(٣) حيث قال أي السكاكي: واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل كالذي في قوله: (مجزوء الكامل)

اصـبـر عـلـى مـضـض الـحـسـو د فـإن صـبـرك قـاتـلـه
فـالـنـار تـأكـل نـفـسـهـا إن لـم تـجـد مـا تـأكـلـه

فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس إلا في أمر متوهم =

بمثل الحمار[١].

[٢] - وإما غير تمثيل وهو بخلافه[٢].

= له وهو ما تتوهم إذا لم تأخذ معه في المقاولة مع علمك بتطلبه إياها عسى أن يتوصل بها على نفثة مصدور من قيامه إذ ذاك مقام أن تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك وأنه كما ترى منتزع من عدة أمور، وكالذي في قوله: (السريع)

وإن مــن أدبـتــه فــي الـصـبـا　　　كـالـعـود يـسـقـى الـمـاء في غـرسـه

حـتـى تــراه مــورقـا نــاضــرا　　　بـعـد الــذي أبـصـرت مــن يـبـسـه

فإن تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقي أوان الغرس المونق بأوراقه ونضرته ليس إلا فيما يلازم كونه مهذب الأخلاق مرضي السيرة حميد الفعال لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه وكمال استحسان حاله وأنه كما ترى أمر تصوري لا صفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من عدة أمور كالذي من قوله عز من قائل» مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون» فإن وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية هو رفع الطمع على تسني مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وأنه أمر توهمي كما ترى منتزع من أمور جمة، وكالذي في قوله تعالى أيضا» ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [سورة البقرة: ١٩]، وأصل النظم: أو كمثل ذوي صيب، فحذف (ذوي) لدلالة يجعلون أصابعهم في آذانهم عليه، وحذف (مثل) لما دل عليه عطفه على قوله «كمثل الذي استوقد نارا» إذ لا يخفي أن التشبيه ليس بين مثل المستوقدين وهو صفتهم العجيبة

معنى ذلك أن السكاكي يرى أن التشبيه التمثيلي هو ما كان وجه الشبه فيه مركبًا عقليًا غير حقيقي، أما الخطيب فيرى أنه ما كان وجه الشبه فيه مركبًا منتزعًا من أمور متعددة حسيًا كان أم عقليًا أي أن التركيب عنده تمثيل.

والعقلي كما سبق في الآية في مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [سورة البقرة: ١٧]، والحسى كما سبق في مثل قول ابن المعتز: (الطويل)

كـأن عـيـون الـنـرجـس الـغـضّ حولنا　　　مــداهــنَّ درّ حــشــوهــن عـقـيـق

لأن هذه الهيئة التي ينزع منها الوجه لو وجدت لم توجد إلّا بالحواس كما سبق.

(١) فإن وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع الكد والتعب في استصحابه فهو وصف مركب من متعدد وليس بحقيقي في الاعتبار أي أنه أمر تصورى منتزع من أمور متعددة لا صفة حقيقية.

(٢) أي التشبيه الصريح، غير التمثيلي.

[المجمل والمفصل باعتبار وجه الشبه]

وينقسم باعتباره أيضًا إلى:

[٣] - مجمل: ما لم يذكر فيه وجهه سواء كان:

[أ]- ظاهرًا، وهو ما يفهمه كل أحد، نحو: زيد أسد[١].

[ب]- أو خفيا وهو: ما لا يدركه إلا الخاصة كقول بعضهم: كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها، للمتناسبين في الشرف[٢] [١٧ب]

[أنواع المجمل]

ومن المجمل:

---

(١) أي أن المجمل على ضربين:
الأول: ظاهر جلى يستوي في إدراكه العامة والخاصة كقول النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» فوجه الشبه بين الدنيا والسجن للمؤمن «المنع» وبينها وبين الجنة للكافر: التمتع، ومنه قول عمران بن حطان في هجاء الحجاج: (الكامل)

أسدٌ على وفي الحروب نعامة ... فتخاءُ تنفر من صفير الصافر

هلَّا برزتَ إلى «غزالة» في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

فتخاء: لينة الجناح، وغزالة امرأة من الخوارج وكانت قد برزت للحجاج.

(٢) **الثاني**: غامض خفي، لا يدركه إلَّا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة كقول كعب الأشقرى وهو يصف بنى المهلب للحجاج قال: «كانوا حماة السرح نهارًا فإذا إليلُوا ففرسان البيات» قال فأيهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها»
وقيل إن هذا القول من قول فاطمة بنت الخرشب الأنمارية لما سئلت عن بنيها أيهم أفضل «فتحيرت في الجواب ثم قالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها»، شبهتهم بالحلقة أفرغت في قالب دائري فخرجت مصمتة الجوانب كالدائرة فكذلك هم متساوون يستحيل تعين أحدهم فاضلًا والآخر مفضولًا، غير أن الاستواء فيهم استواء في الشرف أما الاستواء في الحلقة فهو تناسب في الصورة، وهذا وجه دقيق لا يتيسر لكل أحد إدراكه، ولا يصح أن يكون وجه الشبه «لا يدرى أين طرفاها» لأنه حال من المشبه به، الحلقة - وصفة خاصة بها وليست مشتركة بين الطرفين.

[١]- ما لم يذكر فيه وصف أحد الطرفين(١).

[٢]- وما ذكر فيه وصف المشبه(٢).

[٣]- وما ذكر فيه وصفهما(٣).

---

(١) نحو: زيد أسد.

(٢) نحو: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها. وسبق بيانه، وقول زياد الأعجم: (الطويل)

وإنَّا وما تُلقي لنا إن هجوتنا   لكالبحر مهما تُلْقِ في البحر يغرق

شبهوا أنفسهم بالبحر، والجملة بعد المشبه به حال منه والهجاء صفة له ولا يبالون بهجائه هذا ووجه الشبه عدم ظهور الأثر في كل منهما.

وقول النابغة: (الطويل)

فإنك شمس والملوك كواكب   إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فجملة إذا طلعت - صفة تنبيء عن وجه الشبه.

و قد يكون وصف أحد الطرفين دليلًا على وجه الشبه مع خفائه كقول ابن الهبارية يهجو أحد الوزراء: (مجزوء الكامل)

لا غرْو أنْ مَلَكَ ابن إسـ   ـحاق وساعده القدرْ

وصفتْ له الدنيا وخُصـ   أبو الغنائم بالكدر

فالدهرُ كالدولابِ ليـ   ـس يدور إلّا بالبقرْ

(ابن الهبارية: شاعر هجاء ولد في بغداد وتوفي في كرخان ٥٠٩هـ)

وتشبيه الدهر بالدولاب تشبيه مجمل، والوجه الذي قصده الشاعر خفي وقد خفَّف من خفائه بهذا الوصف (ليس يدور إلّا بالبقر) الذي لولاه لاحتاج الربط بين الطرفين إلى دقة نظر وإعمال فكر.

(٣) ما ذكر فيه وصف كل من الطرفين: كقول ابن تمام: (البسيط)

صدفتُ عنه ولم تصدفْ مواهبُه   عنّي وعاوده ظني فلم يخبِ

كالغيث إن جئته وافاك ريِّقُهُ   وإن ترَحَّلْتَ عنه لجَّ في الطَّلبِ

فالبيت الأول مشتمل على وصف المشبه، ففيه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض وكذا وصف المشبه به أي الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه والوصفان مشعران بوجه الشبه - أعنى الإفاضة في حالتي الطلب وعدمه وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه، ومنه قول الشاعر: (الوافر)

إذا ما جئتَ أحمدَ مُستَميحًا   فلا يَغْرُرْكَ منظرُه الأنيقُ =

[المفصل]

وإلى مفصل: وهو: ما ذكر وجهه(١). كقوله(٢): (المجتث)

وثـــغـــره فـــي صـــفـــاء ... وأدمـــعـــي كـــالـــلآلـــي(٣)

وقد يقام ذكر ما سيقع وجه المشبه مقامه؛ تسامحًا(٤).

= لـه خَـلـقٌ ولـيـس لـديـه خُـلُـقٌ ... كـبـارِقـةٍ تـــروقُ ولا تُـريـقُ

وصف المشبه وهو أحمد بأن خَلْقه جميل وخُلُقه قبيح، ووصف المشبه به «البارقة» أي السحابة التي يلمع فيها البرق بأن منظرها يطمع في المطر ولكنها لا تنزل غيثًا.

ونخلص من ذلك إلى أن الوصف لا يخرج التشبيه عن الإجمال حتى ولو كان الوصف الواحد صالحًا لكل من الطرفين كقول شوقي في النخل: (المتقارب)

جـنـاكُـنَّ كـالـكَـرْمِ شتـى الـمـذاق ... وكـالـشـهـدِ في كـل لـون يحب

فكلمة «شتى المذاق» تصلح وصفًا للجنس ووصفًا للكرم، وكذلك (في كل لون يحب) تصلح وصفًا لجناكن وللشهد.

(١) أي أن المفصل هو: ما ذكر معه وجه الشبه أو ما يستلزمه منصوبًا على التمييز أو مجرورًا بفي.

(٢) لا يعرف قائله.

(٣) شبه ثغر الحبيب ودمعه باللؤلؤ، وسبق في تشبيه التسويه، مع البيت الذي قبله، في أنواع التشبيه المتعدد، ومنه قول البارودي: (الكامل)

كـالـورد خـدّاً والـبـنـفـسجِ طُـرةً ... والـغـصـن قـداً والـغـزالـة مَـلْـقَـنـًا

وقول الأندلسي: (الطويل)

هـي الـظـبـي جـيـداً والـغـزالـة مقلة ... وروض الرُّبا عَرْفًا وغُصْنُ النَقا قَدًّا

وقول ابن الرومي: (مجزوء الرمل)

يـا شـبـيـه الـبـدرِ فـي الـحـسـ ... ـن وفي بُـعْـدِ الـمـنـالِ

جُـدْ فـقـد تـنـفـجـرُ الـصَـخـ ... ـرة بـالـمـاء الـزُّلالِ

(٤) أي ما يستلزم وجه الشبه أي يستتبعه كقولهم: حجة كالشمس في الظهورفإن الوجه الحقيقي هو لازم الظهور، أي ما يترتب عليه، وهو إزالة الحجاب؛ لأنه هو المشترك بين الحجة والشمس لا الظهور.

[أقسام وجه الشبه باعتبار القريب والبعيد][(١)]

ووجه الشبه أيضًا إما:

[١] - قريب مبتذل: وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر؛ لظهور وجهه في بادئ الرأي، لكونه:

[أ]- أمرًا جمليًا، فإن إدراك الجملة أسبق إلى النفس من إدراك التفصيل.

[ب]- أو لكون وجه الشبه قليل التفصيل يقع عليه حضور المشبه به عند حضور المشبه فيه؛ لقرب المناسبة، كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في المقدار، والشكل.

[ج]- أو مطلقان لتكرره على الحسي كالشمس بالمرآة في الاستدارة، والاستنارة لمعارضة كل من القرب، والتكرر للتفصيل.

[٢] - وإما بعيد غريب: وهو ما بخلافه، وذلك إما:

[أ]- لكثرة التفصيل كقوله:

والشمس كالمرآة في كف الأشل

[ب]- أو لندرة حضور المشبه به عند حضور المشبه؛ لبعد المناسبة بينهما، كتشبيه البنفسج بنار الكبريت.

[ج]- وإما لندور حضوره مطلقًا؛ لكونه وهميًّا، أو مركبًا، أو خياليا[(٢)]، أو عقليا.

[د]- أو لقلة تكرره على الحس كقوله:

---

(١) يقول الشيخ عبد القاهر: هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه والتمثيل جميعًا.
اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل فنحن وإن كنا لا يشكل علينا الفرق بين التشبيه الغريب وغيره إذا سمعنا بهما فإن لوضع القوانين وبيان التقسيم في كل شيء وتهيئة العبارة في الفروق فائدة لا ينكرها المميز... إلخ. ينظر أسرار البلاغة ١٤٣.

(٢) في الأصل: أو خاليا.

والشمس[١] كالمرآة في كف الأشل

والغرابة في التشبيه في البيت من كثرة التفصيل في وجه الشبه، وقلة ورود المشبه به على الحس.

ومعنى التفصيل في وجه الشبه: أن ينظر في أكثر من وصف، ويقع على وجوه، أعرفها: إما أن يأخذ بعضًا، ويدع بعضًا، وإما أن يعتبر الجميع، كما مر في تشبيه الثريا بالعنقود.

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد[٢].

---

(١) في الأصل: والكف.

(٢) هذا إجمال مفيد، وشرحه من خلال وجهة نظر الشيخ عبد القاهر يزيد القارئ معرفة بخصائص البيان، ودقائق الفكر، وفروق التعبير، ويتجلى هذا فيما يأتي

سبب القرب والبعد:

بنى الشيخ غرابة التشبيه على بطء حضور المشبه به وقربه على سرعة حضوره، وذكر لكل منهما سببين وسماهما عبرتين لأنهما أمران يعتبران لمعرفة السرعة والبطء.

- فإن ههنا ضربين من العبرة يجب أن تضبطهما أولًا ثم ترجع في أمر التشبيه فإنك حينئذٍ تعلم السبب في سرعة بعضه إلى الفكر وإباء بعضه أن يكون له ذلك الإسراع.

العبرة الأولى: أن تكون الجملة أبدًا أسبق إلى النفوس من التفصيل وأن البديهة لا تصل إلى التفصيل، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر، ولذلك قالوا: النظرة الأولى حمقاء فالوصف على الجملة مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح، وقالوا لمن يصف الشيء على غير حقيقته: لم ينعم النظر ولم يستقص التأمل، وذلك دليل على أن تفاصيل الشيء لا تدرك إلَّا بعد تأمل نحو تشبيه سقط النار بعين الديك في قوله: (الطويل)

وسقط كعين الديك عاورت صاحبي ... أباها وهيأنا لموقعها وكرا

وذلك أن ما في لون عينه من تفصيل وخصوص يزيد على كون الحمرة رقيقة ناصعة والسواد صافيًا براقًا، وعلى هذا تجد هذا الحد من المرتبة التي لا يستوي فيها البليد والذكي والمهمل نفسه والمستيقظ المستعد للفكر والتصور، ولذلك نجد قوله: (الطويل)

كأن على أنيابها كل سحرة ... صياح البوازي من صريف اللوائك

أرفع طبقة من قوله: (الطويل)

كأن صليل المَرْوِ حينَ تشذُّهُ ... صليلُ زيوفٍ يُنتَقَدْنَ بعبْقَرا

لأن التفصيل والخصوص في صوت البازي أبين وأظهر منه في صليل الزيوف، والمقابلات التي =

= تريك الفرق بين الجملة والتفصيل كثيرة ومن اللطيف في ذلك أن تنظر قول عنترة في وِرْد بن حابس وقد أراد قتل نضلة الأسدى لثأر بينهما: (المتقارب)

يتابع لا يبتغي غيره ... بأبيض كالقبس الملتهبْ

أى يتابع «ورد» «نضلة» لا يبتغي غيره بسيف كالقبس، ثم تقابل به قول امرئ القيس: (الطويل)

حملت رُدَيْنيًّا كأن سِنَانه ... سنا لَهَبٍ لم يتصلْ بدخانِ

- المشبه به فيهما واحد وهو «شعلة النار» ولكن الثاني قصد إلى تفصيل لطيف لا يقع في الوهم إلَّا بعد نظر في حال كل من الطرفين.

وهذا التفصيل لا بد فيه من تثبت وتوقف وترو ونظر في حال كل واحد من الفرع والأصل حتى يقوم حينئذٍ في نفسك أن في الأصل شيئًا يقدح في حقيقة الشبه، وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة فنفي اتصاله باللهب لكي يؤدى التشبيه على حقيقته وأنه ليس في رأس السنان ما يشبه ذلك.

- أما الأول فقد اقتصر على ملاحظة تلك الأوصاف التي تحقق الشبه وألفي التشبيه مطلقًا على نفي ما يخل به اعتمادًا على حسن فهم السامع فكان التشبيه الثاني أبدع وأغرب من الأول، ووجه الشبه في كل منهما هو الهيئة الحاصلة من اجتماع الشكل المخصوص مع الإشراق والاضطراب واللمعان.

وبيان فضل الثاني على الأول من ناحية أنه راجَعَ أوصاف المشبه وطابقه بالمشبه به، ولحظ أن النار الملتهبة فيها شيء لا يوجد في الأول وهو الدخان فأخرجه من الصورة وقال «لم يتصل بدخان»

- وليس الأصل عند عبد القاهر المطابقات الشكلية، لأن قياس الأشياء في هيأتها وألوانها ومقاديرها لا يثير الحاسة البلاغية أو قوى الاستحسان وإنما المهم ما وراء ذلك من حس الشاعر بما يقول واستيعابه لما يصف ومحاولته تجلية الشيء كما أحسته النفس وبصرت به.

العبرة الثانية: وهي السبب الثاني من أسباب القرب والبعد: «أن مما يقتضي كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دورانه على العيون ويدوم تردده في مواقع الأبصار وأن تدركه الحواس في كل وقت وفي أغلب الأوقات... وإذا كان هذا أمر لا يشك فيه بان منه أن كل شبه رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبدًا فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل... وما كان بالضد من هذا وفي الغاية القصوى من مخالفته فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع، ثم تتفاضل التشبيهات التي تجيء واسطة لهذين الطرفين بحسب حالها منهما، فما كان منها إلى الطرف الأول أقرب فهو أدنى وأنزل، وما كان إلى الطرف الثاني أذهب فهو أعلى وأفضل، وبوصف الغريب أجدر، ومن أمثلة القريب الذي بسببه يكثر دورانه على العيون قول أبو بكر الخالدي: (مجزوء الرمل)

يا شبيه البدر حسنا ... وضياء ومنالا

وشبيه الغصن لينا ... وقواما واعتدالا =

والبليغ ما كان من هذا الضرب لبلاغته، لغرابته[١]، ولا نيل بعد طلبه الذوق ينصرف في القريب بما يصيره قريبا، كقوله[٢]: (الكامل)

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياء

فاعتبار الحياء في تشبيه الشمس بالوجه أخرجه عن الابتذال[٣].

[التشبيه المؤكد]

والتشبيه أيضًا باعتبار أداته:

مؤكد: وهو ما حذفت منه، كمثل [قوله تعالى]: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [سورة النمل: ٨٨][٤].

= - ومن أمثلة الغريب:

والشمس كالمرآة في كفِّ الأشل ... لما بدت من خِدرها فوق الجبل

سبب غرابته: أن المرآة في كف الأشل مما لا يُرى إلَّا نادرًا، وقد يقضي المرء عمره ولا يراها كذلك وفيه أيضًا تفصيل كثير يضاعف حاجته إلى الفكر.

(١) أي أن التشبيه كلما كان أبعد كان أبلغ؛ لأن الشيء -كما قال عبد القاهر - إذا نيل بعد الطلب له، كان نيله أحلى، وكان بالمزية أولى.

(٢) أي المتنبي من قصيدة من الْكَامِل يمدح بهَا هَارُون بن عبد الْعَزِيز الأوارجي. معاهد التنصيص ٢/ ٩٣.

(٣) فتشبيه الوجه بالشمس مشهور مبتذل، وإنما قوله: ليس فيه حياء، جعل هذا التشبيه القريب المشهور غريبا، فصار بليغا. عروس الأفراح ٢/ ١١١

(٤) أي أنها بعد النفخة الأولى تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح، ثم تقع على الأرض كالقطن المندوف ثم تصير هباء، ومنه قول الحماس: (البسيط)

هُمُ البحورُ عطاءً حين تسألُهم ... وفي اللقاء إذا تلقى بِهم بُهَمُ

والبهم: هو الشجاع الذي لا يدري كيف يؤتى، وقول الآخر:

والريحُ تعبثُ بالغصونِ وقد جرى ... ذهبُ الأصيلِ على لُجينِ الماءِ

تعبث بالغصون أي تميلها يمينًا وشمالًا، وذهب الأصيل صفرته التي كالذهب واللجين هو الفضة، أي على الماء الذي هو كاللجين في الصفاء والإشراق فهو من إضافة المشبه به للمشبه، ونظيره قول الشريف الرضى: (البسيط) =

ومرسل: وهو بخلافه[1].

= أرسى النسيمُ بواديكم ولا بَرِحَتْ حواملُ المُزْنِ في أجداثِكُم تضعُ
ولا يزالُ جنينُ النَّبْتِ تُرْضِعهُ على قبوركم العُراضَةَ الهُمَعُ

[أرسى: ثبت، المزن: السحاب المحمل بالماء، الأجداث: القبور، العراضة: السحاب العريضة، الهمع: الماطر].

ويرى الخطيب أن جنين النبت من إضافة المشبه به إلى المشبه كما في ذهب الأصيل ولجين الماء، وكذلك حوامل المزن، والأصل النبت المضمر في باطن الأرض كالأجنة والمزن التي هي كالحوامل، ويصلح أن يكون ذلك من قبيل الاستعارة بالكناية حيث جعل للنبت جنينًا وللمزن حملًا وليس لهما ذلك وهذه التشبيهات التي أضيف فيها المشبه به إلى المشبه لا يمكن إدخال أداة التشبيه فيها مطلقًا إلَّا بعد تغيير نظام الجملة فنقول: كأن المزن حوامل أو المزن كالحوامل، وكذلك: كأن النبت جنين أو الجنين كالنبت.

ومعيار الأبلغية في التشبيه ليس هو حذف الوجه والأداة كما هو مشهور فليس كل تشبيه يستقيم فيه ذلك، وقد رأينا مما سبق قمة البراعة والبلاغة في تشبيهات القرآن الكريم وقد ذكرت فيها الأداة، وكذلك في كثير غيرها وإذا أردت أن تكون على ذكر من ذلك فارجع البصر في قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة يس: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة القمر: ٧]، ثم تأمل قول امرىء القيس: (الطويل)

أصاحِ ترى برقًا أريكَ وميضَهُ كَلَمْعِ اليدينِ في حَبيٍ مُكَلَّلِ
يضيءُ سَناهُ أو مصابيحُ راهبٍ أمالَ السليطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ

تراه يشبه وميض البرق في السحاب المتراكم بلمع اليدين، أي الإشارة السريعة المتقلبة وترى الحسن هنا راجع إلى ما بين الطرفين من تباعد والشاعر حين يخفق خياله فيقتنص الأشباه والعلاقات بين الأمور المتباعدة يستحق الفضل كما يقول البلاغيون، ويشبه في البيت الثاني البرق بمصابيح الراهب الذي يرعى زيت فتيله فيظل سناه لامعًا.

(١) وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه. وسبق له كثير من الشواهد، ومنها قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة يونس: ١٢]، أي: كما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح المنكر زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر ومتابعة الشهوات. وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ﴾ [سورة الرعد: ٣٠]. أي أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء، قبلك في أمة قد خلت من قبلها أمم... الخ.

[التشبيه باعتبار الغرض]

وباعتبار الغرض إما:

[١] - مقبول فهو الوافي، كأن يكون المشبه به أعرف من المشبه في وجه الشبه، حقيقة، أو ادعاء كشهرة الغراب بالسواد، والنخلة بالطول وما شابهه[٢].

لذلك كان التشبيه كاملًا؛ لكون تمام تنافي حصول الغرض في السواد في الأول، والطول في الثاني.

[٢] - أو كأن يكون المشبه به أتم شيء فيه من إلحاق الناقص بالكامل، كتشبيه الوجه الحسن بالقمر، أو غير ذلك.

[مراتب التشبيه]

تتمة:

أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة باعتبار:

[١] - ذكر أركانه.

[٢] - أو بعضها:

ما حذف وجهه، وأداته فقط.

أو مع حذف المشبه.

ثم حذف وجه الشبه.

أو أداته مع حذف المشبه.

أو إثباته، ولا قوة لغيرها[٣].

---

(٢) سبق بيان ذلك في الحديث عن أغراض التشبيه.

(٣) حديثه عن الأغراض، والمراتب تلخيص لما ذكره السكاكي، والخطيب. ينظر: مفتاح العلوم ٣٥٥، بغية الإيضاح ٣/ ٤٤٧، وعروس الأفراح ٢/ ١١١.

[المجاز]

٨٤- .... ثُـمَّ الْـمَـجَـازُ فَـافْـهَـمِ

٨٥- مُـفْـرَدٌ، أَوْ مُـرَكَّـبٌ، وَتَـارَهْ   يَـكُـونُ مُـرْسَـلًا. أَوِ اسْـتِـعَـارَهْ

ثم المجاز: سكت[1] عن حد الحقيقة لعدم تعلق غرض البياني بها وإن [كان] ذكره الأصل تتميمًا للفائدة[2].

والمجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح لعلاقة مع قرينة مانعة عن إرادة الوضع له[3].

---

(١) أي الناظم (ابن الشحنة) لم يذكر الحقيقة... وإن كان ذكرها هنا هو الأصل، كما اعتاد ذلك الكثير من علماء البلاغة.

(٢) أرى أن الفائدة تكمن بإيجاز في قول ابن الأثير: الحقيقة اللغوية هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني، وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء، أي: نفسه وعينه، فالحقيقة اللفظية إذًا هي: دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة، والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره.

وتقرير ذلك بأن أقول: المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدلّ بها عليها، ليعرف كل منها باسمه، من أجل التفاهم بين الناس، وهذا يقع ضرورة لا بُدَّ منها، فالاسم الموضوع بإزاء المسمَّى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازًا.

ومثال ذلك: أنَّا إذا قلنا: «شمس» أردنا به الكوكب العظيم الكثير الضوء، وهذا الاسم له حقيقة؛ لأنه وضع بإزائه، وكذلك إذا قلنا: «بحر» أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح، وهذا الاسم له حقيقة؛ لأنه وضع بإزائه، فإذا نقلنا «الشمس» إلى «الوجه المليح» استعارةً، كان ذلك له مجازًا لا حقيقة، وكذلك إذا نقلنا «البحر» إلى «الرجل الجواد» استعارةً، كان ذلك له مجازًا لا حقيقة. المثل السائر ١/ ٦٦ تحقيق الحوفي، وطبعا لا مجاز إلا بقرينة كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

(٣) والقرينةُ هي التي تصرف الذهن عن الحقيقة إلى المجاز، إذِ اللّفظ لا يَدُلُّ على المعنى المجازيّ بنفسه دون قرينة. وسيأتي الحديث عن العلاقة بنوعيها.

وهي[(١)]:

[١]- لغوية[(٢)].

[٢] - وشرعية[(٣)].

---

(١) الضمير يعود على (الحقيقة) فهذه أنواعها.

(٢) الحقيقة اللّغوية، ويقابلُها، المجازُ اللّغوي.

إذا استعمل اللّفظ في مجالات الاستعمالات اللّغوية العامة بمعناه الذي وضع له في اللّغة، كان حقيقة لُغَوية.

وإذا استعمل في هذه المجالات في غير معناه الذي وُضِع له في اللّغة، لعلاقة من علاقات المجاز، كان مجازًا لغويًا. مثل:

لفظ «أسد» إذا استعمل في المجالات المذكورة للدّلالة على الحيوان المفترس المعروف فهو حقيقة لغوية.

وإذا استعمل للدلالة به على الرجل الشجاع فهو مجاز لغويّ، وعلاقته المشابهة، فهو من نوع المجاز بالاستعارة.

ولفظ «اليد» إذا استعمل في العضو المعروف من الجسد، فهو حقيقة لغويّة.

وإذا استعمل للدلالة به على الإنعام، أو على القوة، أو على التسبُّب في أمْرٍ ما، فهو مجاز لغوي، وعلاقتُه غَيْرُ المشابهة، فهو من نوع المجاز المرسل.

لفظ «النَّهر» إذا اسْتُعمل في الشِّق من الأرض الذي يجري فيه الماء، فهو حقيقة لغويّة.

وإذا استعمل للدلالة به على الماء الجاري فيه، فهو مجاز لغويّ، وعلاقته غير المشابهة، وهي هنا «المحليَّة» فهو من نوع المجاز المرسل. البلاغة العربية الميداني ٢/ ٢١٨..

(٣) الحقيقة الشرعية، ويقابلها، المجاز الشرعي.

إذا استعمل اللفظ في مجالات استعمال الألفاظ الشرعية بمعناه الاصطلاحيّ الشرعيّ كان حقيقة شرعيّة، **وإذا استعمل** للدلالة به على معنًى آخر ولو كان معناه اللغوي الأصلي كان بالنسبة إلى المفهوم الاصطلاحي الشرعيّ مجازًا شرعيًا، **وإذا استعمل** بمعنى الدعاء الذي هو الحقيقة اللّغوية، كان مجازًا شرعيًا، ولفظ «الزّكاة» إذا اسْتُعْمِل في الركن الثالث من أركان الإسلام في مجالات الدراسة الشرعية، فهو حقيقة شرعيّة، **وإذا استعمل** بمعنى النّماء والطهارة فهو مجاز شرعي. البلاغة العربية الميداني ٢/ ٢١٨.

* لفظ «الصلاة» إذا اسْتُعْمِل في مجالات الدراسة الشرعية للدلالة به على الركن الثاني من أركان الإسلام والنوافل الّتي على شاكلته، فهو حقيقة شرعيّة.

وعرفية عرفًا خاصًّا[١].

أو عامًّا[٢].

كالأسد للرجل الشجاع[٣].

والصلاة للدعاء[٤].

وفعل للحدث[٥].

ودابة للإنسان[٦].

فافهم: جملة معترضة بين المبتدأ، والخبر.

---

(١) الحقيقة في العرف الخاصّ، ويقابلها، المجاز في العرف الخاصّ، **ويراد بالْعُرف الخاصّ**: مصطلحات العلوم، إذْ لكلّ علْم مصطلحاتُه من الكلمات اللّغويّة ذات الدّلالات اللّغوية بحسب الأوضاع اللّغوية، وهي قد تخالف ما اصطلح عليه أصحاب العلم الخاصّ.

(٢) الحقيقة في العرف العام، ويقابلها، المجاز في العرف العام، **ويراد بالعرف العامّ**: ما هو جار على ألسنة الناس في عُرْفٍ عامٍّ على خلاف أصل الوضع اللّغويّ، فإذا اسْتُعْمِل اللّفظ في مجالات العرف العامّ بمعناه الذي جرى عليه هذا العرف كان حقيقة عرفيّة عامّة، وإذا استعمل للدلالة به على معنًى آخر ولو كان معناه اللّغوي الأصلي، كان بالنسبة إلى هذا العرف مجازًا عرفيًّا عامًّا.
مثل: لفظ «الدّابة» جرى إطلاقه في العرف العامّ على ما يمشي من الحيوانات على أربع، فإطلاق هذا اللّفظ ضمن العرف العام بهذا المعنى حقيقة عرفيّةٌ عامّة.
وإطلاقه ضمن أهل العرف العامّ بمعنًى آخر ولو كان معناه اللّغوي الأصليّ، وهو كلّ ما يدبّ على الأرض من ذي حياة فهو مجاز في العرف العامّ.
وكذلك إذا أطلق على ما يدبّ على الأرض من آلةٍ غير ذات حياة، ومثل هذا الإطلاق يكون مجازًا في العرف العامّ ومجازًا لغويًّا. البلاغة العربية الميداني ٢/ ٢١٨.

(٣) مثال للمجاز اللغوي.

(٤) مثال للمجاز الشرعي.

(٥) مثال للعرف الخاص.

(٦) مثال للعرف العام.

مفرد: كما ذكر في الأمثلة[١].

أو: بنقل حركة الهمزة لما قبلها للوزن.

مركب: كالاستعارة التمثيلية[٢].

والخبر المراد به الإنشاء وبالعكس[٣].

و: المجاز من حيث ما هو.

تاره: ظرف زمان منصوب بحركة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الوقف.

إما أن

يكون مجازًا:

---

(١) المجاز في المفرد.

(٢) وهي من المجاز المركب، وسيأتي هنا.

(٣) كل من نوعي المجاز (المفرد والمركب) يستعمل في الأساليب الخبرية، والإنشائية على اختلاف مرادها، فيوضع الخبر موضع الإنشاء لغرض بلاغي نحو:

١- التحسر وإظهار التأسف كقول الشاعر: (الكامل)

ذهب الصبا وتولت الأيام ... فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

فلا ريب أنه أسلوب خبري إلَّا أنه مستعمل في الإنشاء المراد به هذا الغرض فهو يتحسر بسبب مسافات من زمان الصبا والعلاقة السببية والقرينة حالية.

٢- ومنها إظهار الضعف كقول الشاعر: (الخفيف)

رب إني لا أستطيع اصطبارا ... فاعف عني يا من يقيل العثارا

والعلاقة السببية أيضًا.

٣- ومنها الدعاء: نحو مات فلان رحمه الله، أي رحمه الله بسبب موته. وهكذا، وكذلك المركبات الإنشائية التي استعملت في غير معانيها الأصلية كقول النبي ﷺ «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، فالمراد «يتبوأ مقعده» والعلاقة (السببية والمسببية)؛ لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما تتضمنه فظاهره أمر ومعناه خبر. ينظر جواهر البلاغة ٣٣١.

مرسلا: إن كانت علاقته غير المشابهة[1].

[علاقات المجاز المرسل]

وهي كثيرة بلغ بها بعضهم خمسًا وعشرين نوعًا.

سمي بذلك أن كانت [١٨أ] للمرسل[2] علاقته، وعدم تقييدها بنوع كعلاقة الاستعارة، وذلك كاليد في النعمة بعلاقة المجاورة، أو في القدرة لظهور سلطان القدرة بها[3].

---

(١) التعريف كاملا: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.
سر التسمية: وسمى مرسلًا لإطلاقه عن التقييد بعلاقة المشابهة كالاستعارة فصح جريانه في عدة علاقات، حصرها بعضهم في تسع علاقات وبعضهم في عشر وبعضهم في ثماني عشرة وبعضهم أكثر من ذلك... والأفضل ألا تحصر في عدد معين حتى لا يكون ذلك تضييقًا لدائرة اللغة وحتى يتناسق مع سر التسمية (المرسل) كما سبق أو كما قال العلامة الدسوقي، وقيل إنما سمى مرسلًا لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري فإنَّه مقيد بعلاقة واحدة وهي المناسبة. حاشيته على الشروح٤/ ٢٩.

(٢) في (ب) إن كانت للإرسال علاقة.

(٣) استعمال إليد في النعمة، أو في القدرة يكون بعلاقة السببية، وليس المجاورة، كما قال الشارح، والخطيب جمع بين السببية والمجاورة في علاقة واحدة، وصاحب بغية الإيضاح بين أن هذا الشاهد لعلاقة السببية، بإطلاق اسم السبب على المسبب، وقال: وكذلك ما يأتي من استعمال اليد في القدرة، والإصبع والسوط في أثرهما.
ولما قال الخطيب: وكالراوية للمزادة، مع كونها للبعير الحامل لها لحمله إياها، قال صاحب البغية: هذا مثال لعلاقة المجاور. ينظر:بغية الإيضاح٣/ ٩٢،٨٩.
أما علاقة المجـاورة فتكون بـ: تسمية الشيء باسم ما يجاوره كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [سورة النساء: ٤٣]، فالمراد بالغائط – وهو مكان التغوط – فضلة الإنسان سميت بالغائط من باب المجاورة تأدبًا واستهجانًا من التصريح بالشيء المشين المقزز.
ومن ذلك إطلاق لفظ الراوية على البعير الذي يحمل الماء، ومنه قول عنترة: (الكامل)

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم =

[علاقة الجزئية] - وكتسمية الشيء باسم جزئه، كالعين في الربيئة[1].

= والمراد من الثياب القلب ولكنه سمي باسم ما يجاوره وتلك براعة اللغة، والتصرف في دلالات الكلمات يشير إلى مدى إمكانية الاستجابات الذهنية للكلمات في طبيعة أصحاب اللغة وأنها مقدرة قوية ونفاذة... ولذا كان ابن جني يسمي المجاز شجاعة العربية؛ لأنها تقتحم بالألفاظ أودية غير أوديتها معتمدة في ذلك على إشارات القرائن وإيحاءات السياق التي تتنبه إليها القلوب الفطنة الذكية

(١) الربيئة هو الرقيب، وهذا من المجاز المرسل بعلاقة الجزئية، بمعنى الشيء يتضمنه وغيره شيء آخر كإطلاق العين على الربيئة لكونها هي المقصودة في كون الرجل ربيئة؛ لأن ما عداها لا يعني شيئا مع فقدها، فصارت كأنها الشخص كله، ومن هذا قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [سورة المزمل: ٢]، أي: صل، وقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [سورة التوبة: ١٠٨]، أي: لا تصل. ينظر علوم البلاغة للمراغي ٢٥٠.

فالجزئية تكون في تسمية الشيء باسم جزئه، ومن شواهدها أيضا: أي يطلق الجزء ويراد الكل، كقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [سورة النساء: ٩٢]، فالمجاز في لفظ (رقبة) ذكره وأراد الإنسان وليس كل جزء يطلق ويراد به الكل، وإنما لا بد أن يكون لهذا الجزء مزيد اختصاص بالكل المذكور مع مراعاة السياق فكما تذكر اليد في سياق العطاء والأخذ، كذلك تذكر الرقبة في سياق التحرير والعتق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤]، «المراد من الوجه هنا جملة بدن الإنسان لأن الواجب على الإنسان أن يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط، والوجه يذكر ويراد به نفس الشيء لأن الوجه أشرف الأعضاء.. تفسير الرازي ٤ / ١٢٣.

ومن ثَمَّ قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ﴾ [سورة القصص: ٨٨]، وقال تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [سورة الرحمن: ٢٧]، والمراد بالوجه فيهما الذات من باب ذكر الجزء وإرادة الكل.

وكذلك تسمية الصلاة بالذكر والركوع والسجود والقيام كقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝٤٣﴾ [سورة آل عمران: ٤٣]، وهذا يشير إلى الأمر بالصلاة.

ومن شواهد ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ [سورة الأنفال: ١٢]، عبر بالبنان وهي أطراف الأصابع وأراد الأيدي والأرجل.

وكذلك يطلق لفظ «كلمة» على كلمة التوحيد وهي مركبة من كلمات، وهذا يعني أنها مجاز مرسل علاقته الجزئية، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [سورة الزخرف: ٢٨]، وكذلك تسمى =

[علاقة الكلية] - وعكسه كالأصابع في الأنامل كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [سورة البقرة: ١٩][(١)].

[علاقة السببية] - أو باسم سببه نحو: رعينا الغيث[(٢)].

= القصيدة كلمة...

(١) هذا الشاهد في علاقة الكليــة:

وهي تسمية الجزء باسم الكل، بمعنى أن يذكر الكل، ويراد الجزء.

والشهير في ذلك قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩]، حيث أطلقت الأصابع وأريد الأنامل، تصويرًا لما هم فيه من رعب وهول أنساهم أنفسهم حتى كادت تدخل الأصابع كاملة في الآذان من شدة وقع البرق والرعد والصواعق عليهم لمخالفتهم أمر الحق.

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [سورة نوح: ٧]، والمراد أيضًا أناملهم لأنها هي التي تنفذ في الآذان وذلك مبالغة في إعراضهم والقرينة في هذا وذاك استحالة إدخال الأصبع كاملة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، والمراد القطع إلى الرسغ.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

والمراد وجوههم، لأنه لم ير جملتهم.

(٢) هذا في علاقة السببية وهي: ذكر السبب وإرادة المسبب أي تسمية المسبب باسم السبب، وذلك حين يقوى في تصورهم تأثير المسبب في السبب وذلك نحو قولهم «رعت الماشية الغيثَ» أي النبات الذي كان الغيث سببًا فيه، فذكر السبب وهو الغيث وأراد ما نجم عنه وهو النبات والقرينة (رعت) لأن الغيث لا يرعى، وقول الشاعر: (المنسرح)

له أيادٍ على سابغةٌ   أعد منها ولا أعددها

فلما كانت إليد سببًا في النعمة ومؤثرة في حصولها ذكر السبب وأراد ما تسبب عنه.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [سورة الفتح: ١٠]، فالمراد من اليد القدرة لأنها سبب فيها أي الذين يبايعونك صورة وهيأة إنما يبايعون الله حقيقة، وقيل في إثبات اليد لله سبحانه وتعالى تخييل.

وأطلقت اليد على النعمة أيضًا في قول النبي ﷺ لأزواجه «أسرعكن لحوقًا بى أطولكن يدا».

فقد أطلقت اليد على النعمة لأنها السبب فيها، وذلك إذا كانت (أطول) بمعنى الطُول - بضم =

[المسببية]- أو باسم مسببه نحو: أمطرت السماء نباتا(١).

= الطاء - وهو المقابل للقصر، وهو ترشيح للمجاز المرسل ولا يمنع أن يكون فيه استعارة لأنه (أطول) مستعمل في غير معناه الحقيقي وهو بسط إليد بالعطاء والجامع بينهما الزيادة والكثرة في كلٍّ، أما إذا كان من الطَوْل بالفتح فيكون مستعملًا في معناه الحقيقي وهو الإعطاء والفضل.

وقول الشاعر: (الطويل)

ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها إذا ما أجدب النَّاس إصبعا

أي أثر رعايته وحسن سياسته ظاهر عليها ومؤثر فيها ولكنه عبر عن هذا الأثر بالإصبع لأنه سبب فيه. وشواهد ذلك في القرآن الكريم كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٦٧]، فيلاحظ أن جوابه جاء مخالفًا للفظ سؤالهم فلم يقل لهم أعوذ بالله أن أكون من المستهزئين؛ بل قال من الجاهلين، والجهل يكون سببًا في الاستهزاء أي أنه استعاذ من السبب الموجب للاستهزاء.

وعبر بالجهل عن الجزاء في قول عمرو بن كلثوم: (الوافر)

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فقوله (فنجهل) يراد بها فنجازى، ولكن لما كان الجهل سببًا للجزاء أطلق السبب وأراد المسبب بعلاقة السببية.

ومنه في كتاب الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤]، فلما كان الجزاء سببه الاعتداء عبر بالسبب والجزاء لا بد أن يترتب على الاعتداء ويكون هو سببه، وفي قوله تعالى ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤]، يراد بالمكر الثاني العقوبة لأنه أيضًا سببها. قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾ [سورة الشورى: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [سورة محمد: ٣١]، أراد سبحانه: ونعرف أخباركم ولكنه عبَّر بالابتلاء لأنه سبب المعرفة لما يترتب عليه من رضا أو كره..

(١) هذا في علاقة المسببية:

وهي أن يذكر لفظ المسبب ويراد السبب على عكس ما سبق كقولهم: أمطرت السماء نباتًا والسماء تمطر غيثًا يكون سببًا في النبات إذن فالنبات مسبب عن الغيث الذي هو سببه وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ﴾ [سورة غافر: ١٣]، والذي ينزل هو المطر، ولكنه يتسبب عنه الرزق فقد ذكر المسبب (الرزق) وأراد السبب، والماء هو أساس كل شيء في الحياة بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠]؛ ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦]، والذي نزل هو سببه وهو الماء الذي يكون سببًا في النبات الذي ينسج منه اللباس. =

[علاقة المكانية] - أو باعتبار ما كان عليه نحو [قوله تعالى]: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [سورة النساء: ٢][(١)].

= ومن شواهد تلك العلاقة أيضًا قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٧]، فقوله سبحانه ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾، مجاز مستعمل في الفتنة أي كما فتن أبويكم فتنة كانت سببًا في الإخراج، فذكر المسبب عن الفتنة وأراد السبب، وقوله تعالى: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة غافر: ٤١]، وهم لم يدعوه إلى النار وإنما دعوه إلى الكفر الذي كانت النار مسببة عنه، وقرينة ذلك واضحة جلية: ﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [سورة غافر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤]، أي العناد والجحود المستلزم لها والذي يكون سببًا فيها، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [سورة النساء: ٥]. قال الفخر الرازي في تفسيره هذه الآية «قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾، معناه: أنه لا يحصل قيامكم ولا معاشكم إلَّا بهذا المال فلما كان سببًا للقيام والاستقلال سماه بالقيام إطلاقًا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة، يعني كأن هذا المال نفس قيامكم وابتغاء معاشكم، أي أنه ذكر المسبب القيام وأراد سببه، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة النحل: ٩٨]، أي: إذا أردت القراءة، فالقراءة مسببة عن الإرادة بقرينة وجود الفاء ﴿فَٱسْتَعِذْ ﴾ ترتيبًا لهذه على تلك، وشواهد ذلك كثيرة، ومنها أيضًا في كلام العرب قول الشاعر: (الوافر)

شربت الإثم حتى ضلَّ عقلي ... كذاك الإثم يذهبُ بالعقول

فقد أطلق الشاعر كلمة الإثم على الخمر لأنه ينشأ عنها من إطلاق المسبب على السبب والقرينة هنا «شربت» والإثم معنى من المعاني لا يشرب وكأن الشاعر أحس أنه اقترف إثمًا عظيمًا ملأ عليه حسه وكيانه... فأومأ بذلك إلى أنه حين شرب الخمر كان يعبُّ ذنوبًا ويكرع عصيانًا، وقول الشاعر: (البسيط)

إذا تَغَنَّى الحمامُ الورق هيجني ... ولو تعزيتُ عنها أم عمار

فالمجاز في قوله هيجني أي ذكرني، قال ابن منظور «اكتفي فيه بالمسبب الذي هو التهييج من السبب الذي هو التذكير لأنه لما قال هيجني دل على ذكرني فنصبها به» أي أن تغنى الحمام ذكر الشاعر صاحبته فهاج شوقه إليها.

(١) أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه؛ لتعلق الغرض بذلك، كهذه الآية الكريمة، والمقصود: الذين كانوا يتامى إذ لا يُتم بعد البلوغ، وإعطاؤهم أموالهم لا يكون إلَّا بعد هذه المرحلة؛ ولذلك قال الحق سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ﴾ [سورة النساء: ٦]، فذكر لفظ ﴿ءَانَسْتُم ﴾ ونكر الرشد ليفيد قدرًا ما منه، ثم إنه يرقق قلوب الأولياء في هذا السياق، =

[اعتبار ما سيكون] – أو يؤول إليه[١].

نحو [قوله تعالى]: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [سورة يوسف: ٣٦][٢]

= ويذكرهم بثكل هؤلاء اليتامى وحرمانهم من عطف الأبوة وأحضانها الدافئة وأنهم عاجزون عن المكافحة وحماية أموالهم، وأنه لا يليق بذي المروءة والدين أن يطمع في مال من هذا حاله. التصوير البياني ٣٥٧.

وذكر الزركشي من شواهد ذلك قوله تعالى ﴿۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ﴾ [سورة النساء: ١٢]؛ لأنهن بعد الوفاة فقدن تلك الصفة، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٢]، أي: الذين كانوا أزواجهن، ومن المشهور في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ [سورة طه: ٧٤]، سماه مجرمًا باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام لأن هذه الحالة لا يوصف بها يوم القيامة... وإنما هذا وصف لحال سابقة يراد إبرازها في هذا اليوم، وفي هذا تبشيع منها، وأنها لازمة لاصقة وأنه يلقى الله وهو على هذه الحال المتلبسة بالخطيئة، وكأنه يفعل الجرم بين يدي ربه ووراء هذا من الغضب عليه وشدة الغيظ والعقاب ما وراءه. التصوير البياني ٣٥٧.

والقرينة في ذلك استحالة وقوع الجرم يوم القيامة لأنه يوم حساب لا عمل، ولكنه عبر بالمضارع «يأت» لاستمرار وتجدد وقوع هذا الحدث منه إلى أن يلقى الله عليه، ومن ذلك أيضًا قولهم فلان يلبس الصوف والقطن والإبريسم أي: الثياب المتخذة من ذلك، فسمى الثياب باسم ما كانت عليه قبل أن تنسج، ومن ذلك ما دل عليه ابن منظور: أن النبي ﷺ رأى رجلًا يمشي بين القبور في نعليه فقال: «يا صاحب السبتين اخلع سبتيك» قال الأزهري: كأنها سميت سبتية لأن شعرها قد سبت عنها أي حلق وأزيل بعلاج من الدباغ، أي: أنه سمى النعل باسم ما كانت عليه قبل أن تدبغ. راجع لسان العرب (سبت) وانظر المجاز المرسل فيه. د/ هنداوي ٩٤.

(١) أى تسمية الشيء بالحالة التي سيصير إليها ولكنه ليس عليها الآن.

(٢) ومعلوم أن الخمر لا تعصر، وإنما العنب هو الذي يعصر ويصير خمرًا وكذلك الحب الذي تأكله الطير سيئول خبزًا، وذكر ابن جني هذه الآية في باب الاكتفاء بالمسبب عن السبب، فالمسبب هو الخمر، سببه العنب، وذكر من ذلك قول الفرزدق: (الطويل)

قتلت قتيلًا لم ير الناس مثله ... أقبله ذا تومتين مسوَّرا

وقال: وإنما قتل حيًا يصير بعد قتله قتيلًا فاكتفى بالمسبب عن السبب. الخصائص ٣ / ١٨٠ والتومة: اللؤلؤة، والمسوَّر: لابس السوار، ومِن ثَمَّ قلنا إنه لا يمكن تحديد العلاقة، ولكنها تطلق لذوق اللغة واتساعها حسبما يوجه الكلام توجيهًا يناسب سياقه ومقامه. =

[علاقة المحلية] - أو باعتبار محله(١) نحو: [قوله تعالى] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ [سورة العلق: ١٧](٢).

= وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٠]، وهو في حال النكاح لا يكون زوجًا لها بل العقد هو الذي يصيره زوجًا.. فسمى باسم ما يئول إليه. ومنه: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ [سورة نوح: ٢٦-٢٧]، فالتجوز في لفظ (فاجرا) والمولود لا يولد فاجرا، ولكنه سيصير كذلك اقتداء بأبويه، ولذلك قال ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجِّسانه..»، فهو يولد طاهرًا نقيًا، ولو كان أبواه على غير الإسلام، فيستحيل أن يوصف عند الولادة في سن الطفولة بالفجور، ولكنه يتطبع بعد ذلك بطبع بيئته..

ومنه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [سورة الصافات: ١٠١]، أي: أنه سيكون كذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [سورة النساء: ١٠]، أي: سيكون مآل هذا الأكل إلى النار فسمي باسم ما يئول إليه لاستحالة أكل النار حينئذ ولكنهم هناك سيقصرون عليها ويجبرون ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا؛ ولذلك قال عقبها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وهذا دليل كاف إلى أن هذا سيكون هو المصير الصائرون إليه. ويصح أن يكون ذلك من إطلاق المسبب على السبب أو اللازم على الملزوم لأن أكل مال اليتيم سيكون سببًا في أكل النار، فيكون حينئذ أكل النار سببه أكل مال إليتيم. أو أن النار ملازمة لأكل مال اليتيم.

(١) وهي ذكر المحل وإرادة الحالّ فيه.

(٢) أى أهله أطلق النادي وهو محل الاجتماع وأراد الحالّ فيه، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ﴾ [سورة يوسف: ٨٢]. أي أهلها، ذكر المحل (القرية) وأراد الحالّ فيها (أهلها)، وقول جرير: (الكامل)

قل للجبان إذا تأخر سَرْجُه ... هل أنت من شَرَكِ المنية ناج؟

فالسرج هو المحل، والمراد: الحالّ عليه، وهو الراكب. من إطلاق المحل على الحالّ

ومنه: قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝١٦٧﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧]، عبر بالأفواه وأراد الألسن، لأن الأفواه محلها، وبلاغة ذلك تتجلى في أن المقصود أنهم يتشدقون بالكلام ويتخللون به كما تتخلل البقرة بلسانها فيملئونها بما لا طائل تحته، وهذا تقبيح لصورتهم وتشويه لهيئتهم حين يتحدثون بالكذب والنفاق.

ونظائر ذلك في كتاب الله كثيرة كقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ﴾ [سورة المائدة: ٤١]، وكذلك الشأن في =

= إطلاق الصدور على القلوب كقوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]، فالصدور هي المحل والقلوب حالَّة فيها.

وإطلاق اللب على العقل إذ هو محله كقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]، أي: يا أولي العقول السليمة الناضجة، فذكر المحلَّ وأراد الحالَّ لأن العقل في لب الإنسان يملك زمامه وكذلك ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩]، أي: عقول.

ملحوظة:

يلاحظ أنه ذكر علاقة المحلية، ولم يذكر العلاقة المقابلة لها، وهي الحالية، وهي: أي الحالية: بمعنى أن يذكر لفظ الحال، ويراد المحل، لما بينهما من الملابسة، فالحال هو المعنى الحقيقي والمحل هو المعنى المجازي الذي استعمل فيه لفظ الحال كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٧]، فالرحمة حقيقية، ولكنها استعملت في محلها وهو الجنة والقرينة الدالة على هذا المراد قوله ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ فالخلود لا يكون إلا في الدار الآخرة، وكذلك الرحمة لا تكون ظرفًا؛ لأنها معنى، ونحوها: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الانفطار: ١٣]، حيث ذكر الحال (النعيم) وأراد محله وهو الجنة، والقرينة أنه لا يكون ظرفًا أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأعراف: ٣١]، فلما كان محل الزينة هو الثياب ذكر الحال وأراد المحل، وهذا يفيد الاهتمام بالتزين عند كل صلاة، وعلى ذلك فالمراد بالمسجد الصلاة، وهو محل الصلاة، فيكون في كلمة (المسجد) مجاز مرسل علاقته المحلية حيث ذكر المحل (المسجد) وأراد الحال فيه (الصلاة) على عكس المجاز في الزينة، وبذلك يكون في الآية شاهد على علاقة الحالية وآخر على المحلية فتنبه.

تنبيه:

هناك علاقات أخرى معرفتها لطالب العلم مهمة، منها:

اللازميـــة: أي إطلاق اللازم على الملزوم، بمعنى: كون الشيء يلزم وجوده عند وجود ما يستدعيه نحو طلع الضوء أي الشمس فهو ملازم لها لا ينفك عنها، ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا يونس - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الصافات: ١٤٣]، أي المصلين، والتسبيح لازم للصلاة، فذكر اللازم وأراد الملزوم.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [سورة الإسراء: ١٣]، والمراد بالطائر هنا: العمل فقد سمى الشيء باسم لازمه. راجع تفسير الفخر الرازي في هذه الآية.

والملزومية: أي ذكر الملزوم وإرادة اللازم، ويتحقق ذلك إذا عكسنا المثال الأول في العلاقة السابقة =

يكون مجازًا[1].

= فقلنا طلعت الشمس فملأت المكان ومعلوم أن ضوءها هو الذي يملأ المكان لا جرمها فالشمس هنا مجاز من باب إطلاق الملزوم على اللازم، لأنها متى وجدت وجد الضوء، ومنه قوله تعالى ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الروم: ٣٥]، والسلطان لا يتكلم به، وإنما الذي يتكلم به هو البرهان والدليل، ومن هنا سمي الدلالة كلامًا لكونها من لوازم الكلام، ولكنه سبحانه وصف السلطان بالكلام لظهور حجته وقوة دعوته فكأنه ناطق ومدافع مناضل. ينظر البرهان ٢ / ٢٦٩ وتلخيص البيان ٢٣٣.

والآليـــة: أي تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤]، والمقصود بلغة قومه واللسان هو آلة اللغة وأداة البيان، لذلك عبَّر به.

وشبيه به قول سيدنا إبراهيم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - كما حكاه القرآن الكريم: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ﴿٨٤﴾﴾ [**سورة الشعراء**: ٨٤]، أي ذكرًا حسنًا واللسان هو آلة الذكر الحسن فذكر الشيء باسم آلته، وقوله تعالى لسيدنا نوح - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [سورة هـود: ٣٧]، قال القاضي عبد الجبار (.. أي اصنع الفلك بما أعطيناك من البصيرة والمعرفة، وسمي ذلك أعينًا على جهة التوسع كما يقول القائل لغيره: افعل ذلك بمرأى مني ومسمع متشابه القرآن ٣٨١.

الاشتقاق: أي إقامة صيغة مقام أخرى لدلالة بيانية، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦]، فـ (كره) مصدر عبر به بدلًا من مكروه بيانًا لشدة القتال وأثره على النفس والتعبير بالمصدر الذي هو الأصل يدل على تلك القوة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [سورة النمل: ٨٨]، أي: مصنوعه، وإطلاق المصدر على اسم المفعول يدل على الإحكام والإتقان، وكذلك التعبير عن الفعل بالمصدر في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [سورة محمد: ٤]، أي: فاضربوا الرقاب، وهذا يدل على تمكين الضرب ومراعاة إصابة الهدف، مع ما في ذلك من الاختصار والتوكيد والمبالغة، تلك التي تكمن في بلاغة ذلك المجاز.

(١) أي يكون التعبير عن المجاز بالمجاز، وبيان ذلك كما يأتي:

بعد أن علمت أن المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة.

يجب أن تعلم أن الكلمة قد تكون مجازًا في حد ذاتها، ولكنها تجعل حقيقة لمجاز آخر، فيكون التعبير مجازًا عن مجاز، تأمل ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥]، والسر هو الإفضاء بالنكاح، قال الحطيئة: (الوافر)

ويَحرمُ سِرُّ جَارَتهم عليهم ... ويأكلُ جارُهم أُنفَ القِصاعِ

وقال امرؤ القيس: (الطويل) =



= ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسةُ اليوم أنني كبرتُ وألا يحسنُ السِّرَّ أمثالي

إذن فهو (أي السر) مجاز عن الوطء لأنه لا يقع غالبًا إلَّا في السر، وتجوَّز بالسر عن العقد لأنه سبب فيه، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة، وللثاني التعبير باسم المسبب (السر) عن السبب (العقد) كما سمي عقد النكاح نكاحًا، لكونه سببًا في النكاح، وكذلك سمي العقد سرًّا لأنه سبب في السر الذي هو النكاح، فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف العلاقة فمعنى قوله لا تواعدوهن سرًّا: لا تواعدوهن عقد نكاح.

وجعل منه الزركشي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٥﴾ [سورة المائدة: ٥]، وقال: إنْ حُمل على ظاهره كان من مجاز المجاز لأن قول «لا إله إلَّا الله» مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ، والتعبير بـ «لا إله إلا الله» عن الوحدانية من مجاز التعبير بالمقول عن المقول فيه والأول من مجاز السببية، لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان.

[الاستعارة]

٨٦- بِـجَـعْـلِ ذَا ذَاكَ ادِّعَـــاءَ أَوَّلَــهْ   وَهْــيَ إِنِ اسْـــمُ جِـنْـسٍ اسْـتُـعِـيْـرَ لَـهْ
٨٧- أَصْـلِـيَّـةٌ، أَوْ لا فَـتَـابِـعِـيَّـهْ،   وَإِنْ تَـكُـــنْ ضِـــدًّا تَـهَـكُّـمِـيَّـهْ

أو يكون مجازا:

استعارة(١): إن كانت علاقته المشابهة.

وقد تقيد بالتحقيق(٢)؛ لتحقق معناها حسًّا، أو عقلاً.

---

(١) وهي عند اللغويين: مصدر استعار الشيء أي طلبه، وعند البيانيين لها تعريفان:
أحدهما: بالمعنى المصدري وهو: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين ما وضع له، وما استعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول.
والثاني: بالمعنى الاسمي وهو: اللفظ المستعمل... إلخ السابق فالمشابهة بين القمر وصاحبته هي الحسن والبهاء وبين الرجل والأسد الشجاعة وقوة البطش، وبين الظبية والصاحبة حسن الصوت وبين السحاب والممدوح الجود والكرم وهكذا.

(٢) يحترز بالتحقيقية، عن التخيلية، والمكنية؛ لأن قرينتها تخيلية أيضا، وقد يجتمع في الشاهد الواحد التحقيق، والتخييل، كما في بيت زهير: (الطويل)

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعـــري أفـــراس الـصـبـا ورواحـلـه

فيمكن جعله من باب التخييل، وتقريره هو أنه لما تحقق من حاله أنه أمسك عما كان عليه في عنفوان الشباب وغضارته من سلوك جانب الغي وركوب مراكب الهوى، استعار له قوله: «عري أفراس الصبا ورواحله» على جهة التخييل وطريقه، كأنه شبه الصبا في حال قوة دواعيه وميلانه إلى اللهو والطرب، بالإنسان الذي يقدر على تصريفك على ما تريد، ثم بالغ في الاستعارة حتى صوره بصورة الإنسان واختراع ما له من الآلات والأدوات، وأطلق اسمها عليه تحقيقا لحال الاستعارة المتخيلة، ويمكن جعله من باب التحقيق، وتقريره أنه استعار الأفراس والرواحل لما يحصل من دواعي النفوس والقوى الإنسانية عند الصبا وميل القلوب إلى الهوى فلهذا قال: عري عن هذه الأشياء بعد مفارقة الصبا.

كقوله[1]: (الطويل)

لَـدَى أَسـد شاكي السِّلاحِ مُقذَّفِ لَـهُ لـبد أظْـفَـارُهُ لـم تـقُـلَـم[2]

أي رجل شجاع.

وقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [سورة الفاتحة: ٦]، أي: الدين الحق[3].

واختلف في الاستعارة، والأصح أنها مجاز لغوي؛ لأن الكلمة المستعارة موضوعة لمشبه به لا للمشبه، ولا لأعم منهما، فاستعمالها في المشبه، استعمال لها في غير ما وضعت، وذلك المجاز اللغوي[4].

= ومما يمكن تنزيله على هذين الوجهين في الخيال، والتحقيق، قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [سورة الإسراء: ٢٤]. فإذا جعلته من باب التخييل، فتقريره هو أن الله تعالى أمر الولد بأن يلين لهما جانبه، ويتواضع لهما، فاستعار لفظ الجناح، منبها به على التخييل في الاستعارة بطريق المبالغة في طلب أن يكون الولد لأبويه، كالطائر لفرخه في فرط حنوه عليه وتعطفه على محبته، فجعل الذل طائرا على طريق الاستعارة، ثم أخذ الوهم في تصوير ما للمستعار من الآلات والجوارح، ثم أضاف اسم الجناح إلى الذل، رعاية لمزيد البيان، وإفراطا في تحصيل البلاغة. وإذا جعلته من باب التحقيق فتقريره أنه لما أراد المبالغة في لين الجانب للأبوين من جهة الولد، استعار لفظ الجناح للتذلل والتواضع، ونزله منزلة الجناح في التصاقه بالتراب وإسباله في التغطية للفرخ، مبالغة في لين العريكة، وحسن التذلل للوالدين. الطراز ١/ ١٢٠

(١) زُهَيْر بن أبي سلمى من قصيدة من الطَّوِيل.

(٢) واللبد بِالْكَسْرِ شعر زبرة الأسد وكنيته أَبُو لبد والتقليم مُبَالغَة الْقَلَم وَهُوَ قطع الأَظْفَار، فإن أسدا هنا استعارة تحقيقية؛ لأن معناه وهو الرجل الشجاع أمر محقق حسي. ينظر عروس الأفراح٢/ ١٤٣، وهي استعارة تصريحية؛ حيث شبه الرجل الشجاع بالأسد فصرح بالمشبه به حسا، وهذا في تحقق المعنى الحسي الذي ذكره الشارح.

(٣) الآية الكريمة شاهد على تحقق المعنى العقلي للاستعارة؛ فالمقصود بالصراط المستقيم: الدين الحق، وهذا مما يدرك بالعقل، وذكر من ذلك الخطيب قولك: «أبديت نورا» وأنت تريد حجة؛ فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس؛ إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها. بغية الإيضاح٣/ ١٠٣

(٤) هذا كلام الإيضاح وبعده: كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص، لا للرجل الشجاع، ولا للشجاع =

وقيل: أمر عقلي أي: التصرف فيه في أمر عقلي، لا مجاز لغوي؛ وذلك لأنها:

بجعل ذا: أي المشبه.

ذاك: أي المشبه به، أي لا يطلق.

ادعاء: أي بطريق.

أَوّلَهْ: بفتح أوله وسكون الضمير؛ للضرورة؛ أي بتأويل أنه من أفراده، فلا يطلق عليه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به(١).

فكان استعمال الاستعارة فيما وضعت له الكلمة لغة.

ورد بأن الادعاء المذكور لا يقتضي كونها مستعملة فيما وضعت له؛ لأن أهل اللغة ما وضعت اسم الأسد للشجاعة وحدها، بل لها في مثل تلك الجثة المخصوصة، إذ لو وضعته للشجاعة وحدها لكان صفة لا اسمًا، وهو اسم اتفاقًا(٢).

[الفرق بين الاستعارة والكذب]:

ثم الاستعارة تفارق الكذب بـ:

[١] - بناء الدعوى فيها على التأويل.

[٢] - ونصب القرينة على إرادة خلاف الظاهر(٣).

= مطلقا؛ لأنه لو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه، وأيضا لو كان موضوعا للشجاعة مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس.

(١) زاد الخطيب: لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كـ«يزيد ويشكر» استعارة، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة؛ لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه، ولما صح أن يقال لمن قال: «رأيت أسدا» يعني زيدا: إنه جعله أسدا. بغية الإيضاح٣/ ١١١

(٢) ينظر بغية الإيضاح٣/ ١١٣.

(٣) أي أن الاستعارة مبنية على التأويل؛ بمعنى استعمال المجاز بعلاقة، وقرينة تدعم خلاف الظاهر، والكاذب - كما قال الخطيب - يتبرأ من التأويل، ولا ينصب دليلا على خلاف زعمه. ينظر بغية =

[الاستعارة لا تجري في الأعلام الشخصية]:

ولبناء الاستعارة على ادعاء دخول المشبه في أفراد المشبه [به] لا تكون الكلمة المستعارة علمًا لمنافاته الجنسية، إلا إذا تضمن نوع صفة كحاتم[١].

[قرينة الاستعارة][٢]

وقرينة الاستعارة إما:

[١] - أمر واحد كما في قولك: رأيت أسدًا يرمي[٣].

= الإيضاح٣/ ١١٥

(١) أي لا تجري الاستعارة في الأعلام الشخصية، لأن الأعلام الجنسية فيها عموم كأسماء الأجناس فتصح الاستعارة فيها، نحو الأسد والليث، ونحو قولنا: رأيت أسامة له لبد لم تقلم.
أما العلم الشخصي فلا تجري فيه الاستعارة لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية، والعلمية تقتضي منع الاشتراك، فالعلم ينافي العموم بما فيه من التشخيص إلَّا إذا أفاد العلم الشخصي وصفًا به يصح اعتباره كليًا ويشتهر به فتجوز استعارته كتضمن حاتم للجود وقسّ للفصاحة فتقول: زرت إليوم حاتمًا وسمعت قسًّا، ورأيت مادرًا، وهكذا بدعوى كلية كل واحد من هؤلاء ودخول المشبه في جنس الجواد والفصيح والبخيل.

(٢) **والقرينة هي**: الأمر الذي ينقل الذهن من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي وهي إمَّا عقلية وإما لفظية ينظر شروح التلخيص ٤/ ٢٥.
فالعقلية نحو: «أقبل البحر» والسامع يرى رجلًا، «واحذر الأسد»، وأنت تشير إلى رجل شجاع، **واللفظية كقولنا**: «رعينا الغيث» والمراد من الغيث هو النبات، وكلمة رعينا هي القرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي وهو المطر.

(٣) ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٤]، حيث شبه الغضب بإنسان وحذفه ورمز بشيء من لوازمه وهو السكوت على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة هي إسناد السكوت إلى الغضب.
ويمكن أن نقول: استعير السكوت للسكون على أنها تبعية والغضب هو القرينة، وفيها تقول: شبه السكون بالسكوت بجامع الهدوء التام في كلٍّ، ثم حذف المشبه، وتنوسي التشبيه وادعي دخول المشبه في جنس المشبه به ثم استعير السكوت لتوقف الغضب وسكونه، ثم اشتق من السكوت بمعنى السكون والتوقف سكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التبعية التصريحية، تبعية لأنها في الفعل =

[٢] - أو أكثر، كما في قوله(١): (الكامل)

فـإن تـعـافـوا الـعـدل والإيـمـانـا ... فـإن في إيـمـانـنـا نـيـرانـا(٢)

فقرينة استعارة النيران للسيوف كراهة المخاطبين سلوك طريق العدل، والوفاء بالعهد، فتسلك معهم المجازية.

[٣] - أو معان ملتئمة، مربوطة بعضها ببعض، والجميع قرينة، لا كل واحد، كقوله(٣): (الطويل)

وصـاعـقـة مـن نـصـلـه تنكفي بها ... على أرؤس الأقران خمس سحائب(٤)

[أقسام الاستعارة باعتبار:
توافق الطرفين وتعاندهما]

ثم الاستعارة باعتبار الطرفين: إما ممكن اجتماعهما(٥) نحو: [قوله تعالى]: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢]. فاستعارة الإحياء للهداية.

= - وتصريحية للتصريح فيها بالمشبه به كما سيأتي، وفي قول المتنبي: (الوافر)

ولـمـا قـلـت الإبـل امـتـطـيـنـا ... إلـى ابـن أبـي سـلـيـمـان الـخـطـوبـا

شبه الخطوب بالإبل ثم حذف المشبه به «الإبل» ورمز بشيء من لوازمه «الامتطاء» وذاك هو قرينة الاستعارة المكنية وهو أمر واحد.

(١) لا يعرف قائله، وذكر كتب البلاغة أنه لبعض العرب.

(٢) تعافوا بمعنى: تكرهوا، والنيران يقصد بها السيوف، لا النيران الحقيقية.
وهذا توعد لمن يعاف الشريعة، ويعدل عنها؛ ولذا كان كل من العدل، والإيمان قرينة على هذا المراد.

(٣) أي البحتري.

(٤) أراد أن يصف ممدوحه بالبسالة وشدة الجود فذكر كلمة السحائب وأراد الأنامل لما بينهما من شبه في العطاء، وقرينة ذلك تتكون من هذه المعاني المترابطة «من نصله» على أرؤس الأعداء ثم عدد أصابع «اليد» والأنامل تعطي كما تعطي السحائب التي تهبط بصواعقها على الأعداء. ينظر بغية الإيضاح ٣/ ١١٦.

(٥) **أي أن الوفاقية**: ما يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد.

وهما مما يجتمعان(١)، وتسمى استعارة وقافية(٢).

وإما ممتنع(٣) كاستعارة اسم المعدوم للموجود، وتسمى عنادية(٤).

[أقسام العنادية]

ومنها(٥):

[١] - التهكمية.

[٢] - والتمليحية(٦).

نحو [قوله تعالى]: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [سورة آل عمران: ٢١](٧)، ورأيت

---

(١) أي ضالاً فهديناه، فقد استعير الإحياء للهداية، وقد اجتمعا (الإحياء والهداية) في الله سبحانه فهو محيي وهاد، ويقال فيها شبه الهدى بالإحياء بجامع ترتب النفع في كلٍّ، ثم استعير الإحياء للهداية واشتق منه أحيا بمعنى هدى على طريق التبعية.

(٢) لتوافق الطرفين في الاجتماع في موصوف واحد.

(٣) أي اجتماعهما.

(٤) وهي ما لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما كاجتماع النور والظلام، وهي في الآية السابقة في قوله (ميتا) أي: ضالًا، حيث شبه الموت بالضلال بجامع ترتب نفي الانتفاع، واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتًا بمعنى ضالًا، **وسميت عنادية**: لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد، إذ الضال يشترط أن يكون حيًا، والميت لا يتأتى منه نفع ولا ضر، **وسميت عنادية**؛ لأن طرفيها يتعاندان ولا يجتمعان في شيء واحد.

(٥) أي من العنادية.

(٦) وذلك باعتبار غرض المتكلم، فإن كان يقصد الاستهزاء والسخرية فهي تهكمية، وإن كان يقصد بسط السامعين وإزالة السآمة عن طريق الإتيان بشيء مليح مستظرف كانت تمليحية. ينظر حاشية الدسوقي ٣/ ٧٨.

(٧) هذا شاهد للتهكمية، وبيانه: أن البشارة هي الخبر السار، فحين تستعار لضد ذلك وهو الإنذار فإنما يقصد بها التهكم، وذلك لتنزيل التضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم، ونحوه: قوله تعالى ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [سورة الصافات: ٢٣]، والهدى يكون للخير وطريق الجنة، فنزل الهدى في =

أسدًا أي جبانًا[١].

[الاستعارة باعتبار الجامع]

وباعتبار الجامع[٢]:

إما داخل في مفهوم الطرفين كاستعارة الأسد للرجل الشجاع[٣].

= حق هؤلاء منزلة السوْق، وقد قال سبحانه ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [سورة مريم: ٨٥-٨٦]، فالآية من باب التهكم أيضًا تنزيلًا للتضاد منزلة التناسب فهي: **عنادية**: لعدم اجتماع الإنذار والبشارة والهداية والسوق، **وتهكمية**: لأن العذاب له ألفاظه المناسبة لغرضه ومقامه..

(١) وهذا شاهد للتمليحية، أي: إذا قلت رأيت أسدًا، وأنت تريد جبانًا على سبيل التمليح والظرف فإنها تكون تمليحية، مع ملاحظة أن الوجه وهو الشجاعة متحقق في المشبه به ومنزل في المشبه (الجبان)، وهي: **استعارة تصريحية**، ولا يخفي اجتماع التبشير والإنذار والشجاعة والجبن من جهة واحدة، أي بحيث يكون المبشر به هو المنذر به والمبشر هو المنذر، وأمامن جهتين فيتأتى بأن يخبرك مخبر بأن فلانًا يريد ضربك وكسوتك بعد ذلك، وكذا الشجاعة والجبن لا يمكن اجتماعهما من جهة واحدة، وأما من جهتين فهو ممكن ألا ترى إلى قول الشاعر:

أسـدٌ علـيّ وفـي الحـروب نعـامة

(٢) الجامع في الاستعارة: بمثابة (وجه الشبه) في التشبيه، وهو ما قصد اشتراك الطرفين فيه، وسمى جامعًا لأنه جمع المشبه في أفراد المشبه به تحت مفهومه وأدخله في جنسه ادعاء، ولابد أن يكون في المستعار منه أقوى؛ لأن الاستعارة مبنية على المبالغة في التشبيه، والمبالغة فيه توجب إبلاغ المشبه لما هو أكمل. جواهر البلاغة للهاشمي ٢٦٩.

(٣) فالوجه هنا داخل في مفهوم الطرفين، وعد منه الخطيب: استعارة الطيران للعدو؛ كما في قول امرأة من بني الحارث ترثي قتيلا: (الرمل)

لَـوْ يَـشَـا طَـارَ بـِهِ ذُو مَـيْـعـةٍ ... لَاحِـقُ الآطَـال نَـهْـدٌ ذو خُـصَـلْ

وكما جاء في الخبر: «كلما سمع هيعة طار إليها» فإن الطيران والعدو يشتركان في أمر داخل في مفهومهما؛ وهو قطع المسافة بسرعة، ولكن الطيران أسرع من العدو، ونحوهما قول بعض العرب: (الوافر)

فـطـرت بـمُـنْـصُـلي فـي يَـعْـمَـلات ... دوامـي الأيـد يـخـبـطـن الـسـريـحـا

يقول: إنه قام بسيفه مسرعا إلى نوق فعقرهن، ودميت أيديهن، فخبطن السيور المشدودة على =

أو غير داخل كما في قولك: رأيت شمسًا، وأنت تريد إنسانًا مهلل وجهه فالمهلل خارج عن الطرفين[1].

وإما عامية وهي: المبتذلة؛ لظهور الجامع فيها، نحو: رأيت أسدًا يرمي.

أو خاصة وهي: التي لا يطلع عليها إلا الخاصة الذين أوتوا [١٨ب] ذهنًا لطيفًا[2].

= أرجلهن، وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر في قول البحتري: (الكامل)

يتراكمون على الأسنة في الوغى ... كالفجر فاض على نجوم الغيهب

فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص؛ وذلك أن يفارق مكانه دفعة، فينبسط، وللفجر انبساط شبيه بذلك. وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [سورة الأعراف: ١٦٨]، فإن القطع موضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام التي بعضها ملتزق ببعض؛ فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التي هي داخلة في مفهومهما، وهي في القطع أشد. وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع في قول القطامي: (البسيط)

لم تلق قوما همُ شر لإخوتهم ... منا عشية يجري بالدم الوادي

نُقْرِيهِمُ لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زرّاد

فإن الخياطة تضم خرق القميص، والسرد يضم حلق الدرع؛ فالجامع بينهما الضم الذي هو داخل في مفهومهما، وهو في الأول أشد، وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب: (الطويل)

نثرتهمُ فوق الأحيدب نثرة ... كما نُثرت فوق العروس الدراهم

لأن النثر أن تجمع أشياء في كف أو وعاء، ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ونظام، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام، ونسبه إلى الممدوح؛ لأنه سببه. بغية الإيضاح ٣/ ١٢٠.

(١) أي أن الجامع بينهما هو التلألؤ، وهو غير داخل في مفهومهما، ومنه قول المتنبي: (الكامل)

في الخدّ إن عزم الخليط رحيلا ... مطر تزيد به الخدود محولا.

فالاستعارة في قوله (مطر) استعارة للدموع بقرينة (به الخدود محولا) ثم ذكر ما يناسب المشبه (الدموع) وهو الخدود، وما يناسب المشبه به (المطر) وهو المحول بمعنى الجدب. واجتماعهما يدل على سقوطهما، كما سيأتي في الاستعارة المطلقة.

(٢) نحو الشواهد المدروسة في أنواعها.

[الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع]

وباعتبار الطرفين والجامع ستة [أقسام]؛ لأن الطرفين إن كانا حسيين فالجامع:

إما حسي: نحو [قوله تعالى]: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [سورة طه: ٨٨]، والجامع: الشكل(١)،

وإما عقلي: نحو [قوله تعالى] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [سورة يس: ٣٧](٢).

وإما بعضه عقلي، وبعضه حسي: نحو: رأيت شمسًا، يريد إنسانًا كالشمس في حسن الطلعة، وذلك حسي، ونباهة القدر، وذلك عقلي.

وقد أهمل المفتاح هذا القسم لندرته.

---

(١) فإن المستعار منه حقيقة العجل، وهو ولد البقرة، والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله - تعالى - من حلى القبط، والجامع الشكل، والجميع حسي.
ومثله قوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [سورة الكهف: ٩٩].
(٢) فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المسمى موجا، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوج ومأجوج وهما حسيان والجامع ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب. عروس الأفراح ٢/ ١٥٨. فالطرفان حسيان، والجامع حسي.

(٢) فإنّ المستعار منه: كشط الجلد عن نحو الشاة، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل، وهما حسّيّان، والجامع ما يعقل من ترتّب أمر على آخر: **أي**: شبه انسلاخ النهار من ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة، فالطرفان حسيان والجامع هو ما يعقل من ترتب أحدهما على الآخر وكذلك قوله» فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس» فالمستعار له الأرض المزخرفة المتزينة، والمستعار منه: النبات، وهما حسيان والجامع: الهلاك، وهو أمر معقول. وكذلك قوله حصيدا خامدين فاصل الخمود للنار، فالمستعار منه هو للنار، والمستعار له هو القوم المهلكون، والجامع بينهما هو الهلاك ومنه قوه تعالى: «﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [سورة الإسراء: ٢٤]، فالمستعار منه هو الطائر، والمستعار له هو الولد، والجامع بينهما هو لين العريكة وانحطاط الجانب، وهو معقول غير محسوس، ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢﴾ [سورة الذاريات: ٤٢]، والرميم هو العظم البالى، استعير للإهلاك. ينظر: مفتاح العلوم ٣٨٩، والطراز للعلوي ٣/ ١٨٦.

وإن لم يكونا حسيين، بل إما:

عقليين: نحو [قوله تعالى] ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [سورة يس: ٥٢]، مقترنًا بقرينة كون الكلام مع الموتى مع قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فالمستعار منه: الرقاد، أي: النوم، والمستعار له: الموت إلا بمجرد المصدر، والمكان الذي يتأخر فيه، فالاستعارة تبعية.

أو يجوز كون الموقد بمعنى المصدر، فتكون الاستعارة أصلية، وعلى كل فالجامع: ظهور العقل، والجميع عقلي[١].

أو مختلفان: أحد الطرفين حسي، والآخر عقلي، نحو [قوله تعالى]:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [سورة الحجر: ٩٤]، فالمستعار منه: كسر الزجاجة، وهو حسي، والمستعار له: التبليغ، والجامع التأثير، وهما عقليان.

والمعنى: أبن الأمر إبانة لا تنمحي، كما لا يلتئم الصدع[٢].

---

(١) والجامع بينهما هو سكون الأطراف وبطلان الحركة، وهكذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٤]، فوصف الغضب بالسكوت على جهة الاستعارة، فالمستعار هو السكوت، والمستعار له هو الغضب، والجامع بينهما هو زوال الغضب، كما أن السكوت زوال الكلام، وهذه كلها أمور عقلية، ومن هذا قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ [سورة الملك: ٨]، فالتّميز ههنا هو شدة الغضب، فالمستعار منه هو حالة الإنسان عند غضبه، استعيرت للنار عند شدة تلهبها، والجامع بينهما هو الحالة المتوهّمة عند شدة الغيظ، فهي مستعارة للنار. الطراز ٣/ ١٨٧.

(٢) وقد زاده العلوي إيضاحا فقال: والصدع من صفات الأجسام، يقال انصدع الإبريق والقارورة، وقد استعير ههنا لوضوح أمر الرسول ﷺ فيما جاء به من الحق وإظهار النبوة، والجامع بينهما هو التفرقة بين الحق والباطل وإزالة التباس أحدهما بالآخر، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤]، فالزلزلة حقيقتها هي: الاضطراب في الأجسام، وقد استعيرت ههنا للفشل والاضطراب في الأحوال، والجامع بينهما هو تغير الأحوال، وهكذا قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]، فحقيقة النبذ إنما يكون مستعملا في طرح الشيء من أعلى إلى أسفل، ثم استعمل مجازا على جهة الاستعارة في إلقاء ما حملوه من التكاليف عن أنفسهم بترك الامتثال، والجامع بينهما هو الإعراض عما ألزموا به من تلك الأمور كلها، إلى غير ذلك من الاستعارات الرائقة من محسوس بمعقول. الطراز٣/ ١٨٨.

وعكسه[١] [كقوله تعالى]: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [سورة الحاقة: ١١]، فالمستعار له كثرة الماء، وهو حسي، والمستعار منه: التكثير، والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان[٢].

[أقسام الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار: أصلية، وتبعية]

وهي: أي الاستعارة.

إن: استعير.

اسم جنس: يدل على مجرد ذات أو مجرد معنى.

وقوله:

استعير: مفسر للشرط المحذوف.

له: متعلق أي إن جردت في ذلك فهي استعارة.

أصلية: كالأسد إذا استعير للرجل الشجاع، والقتل إذا استعير للضرب الشديد، وحاتم إذا استعير للجواد على تأويله باسم جنس[٣].

---

(١) أي استعارة المعقول للمحسوس.

(٢) بيانه: أن الطغيان هو التكبر، والاستعلاء بغير حق، وهما أمران معقولان، ثم استعير الطغيان للماء، وهو محسوس، والجامع بينهما هو الخروج عن الحد في الاستعلاء على جهة الإضرار، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [سورة الحاقة: ٦]، فالعتو هو التكبر، وهو من الأمور المعقولة، استعير ههنا للريح، وهي محسوسة، والجامع بينهما هو الإضرار الخارج عن حد العادة. الطراز ٣/ ١٨٨

(٣) معنى ذلك: أن الأصلية:
تكون كذلك إذا كان اللفظ المستعار اسمًا جامدًا لذات كالأسد والبحر والبدر... أو لمعنى كالقتل والضرب والفهم... سواء أكان ذلك على سبيل الحقيقة كما هنا أم على سبيل التأويل كالأعلام الشخصية التي اشتهرت بوصف كحاتم ومادر وسحبان.
وسميت أصلية لعدم بنائها على تشبيه تابع لغيره، كما هو الشأن في التبعية التي تجرى الاستعارة فيها أولًا في مصادرها كما سيأتي، ومن شواهد الاستعارة الأصلية قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة إبراهيم: ١]، شبهت الضلالة بالظلمة والهداية =

وحذف الناظم الفاء من الجواب للضرورة، والمبتدأ من الجملة لقرينة دلالة الخبر عليه.

أولا: استعير اسم جنس، بل استعير المشتق من فعل، واسم فاعل، واسم مفعول، وصفة مشبهة، وأفعل التفضيل، واسم المكان، والزمان، والآلة، كذلك والحرف.

ف: الاستعارة.

تبعية: لتعاقبها لغيرها، للتشبيه في الفعل، والمشتق لمعنى المصدر، أي يقع أولًا فيه، ثم يسري منه فيها، وفي الحرف لمتعلق معناه، نحو: الظرفية المطلقة المتحصلة بذكر ما دخل عليه كل لمجرور في: زيد في نعمة(١).

= بالنور، والجامع في الأول عدم الاهتداء وفي الثاني الاهتداء، ثم استعير لفظ الظلمات للضلال، ولفظ النور للهداية أي استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والقرينة على ذلك قوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ فإن إنزاله كان سببًا في الهداية ولم يكن للإخراج من الليل إلى النهار على سبيل الحقيقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [سورة الفاتحة: ٦]، فإنَّه قصد بالصراط الدين القويم، وقوله تعالى في شأن موسى وهارون: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨﴾ [سورة الصافات: ١١٨]، وقوله ﷺ «لا تستضيئوا بنار المشركين» فاستعار النار للرأي والمشورة، أي لا تهتدوا برأى المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم والقرينة هنا حالية لأنه لا ينهي عن الاستضاءة بالنار الحقيقية فلا يصلح القول على هذه الشاكلة وإنما يشبه الرأي والمشورة بالنار بجامع الاهتداء والاسترشاد في كلٍّ.

وتأمل من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦]، فقد استعير الريش للباس الزينة وهي مستعارة من ريش الطائر، وقوله تعالى في شأن ذى القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝٨٤ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ [سورة الكهف: ٨٤-٨٥]، والسبب في اللغة هو الحبل، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى المقصود، وهو يتناول العلم والقدرة والآلة، وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٢]، حيث استعير الحبل للعهد والعصمة والذمام من الله ومن المؤمنين.

(١) **أي أن الاستعارة التبعية**: هي: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً، أو اسمًا مشتقًا، أو حرفًا فإذا تأملت في قول الله تعالى: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ [سورة الروم: ١٩].، رأيت أن المراد تشبيه تزينها بالنبات الأخضر النضر بالإحياء؛ بجامع الحسن أو النفع، ثم استعير الإحياء للتزيين واشتق من الإحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين على سبيل الاستعارة التبعية، ويلاحظ أن جريانها في الفعل كان =

وإنما قالوا: الظرفية، والأسد، والانتهاء، والاستعلاء، متعلقات معاني الحروف، لا معانيها؛ لأنها لو كانت معانيها لكانت الحروف أسماء؛ لأن الحرفية والاسمية باعتبار المعاني، ....

= تابعًا لجريانها في المصدر، لأنه هو الأولى بأن يعتبر فيه التشبيه أولًا؛ ولذلك قيل: سميت تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى ولأن الأفعال لا يصح أن يجرى فيها التشبيه لكونها غير صالحة للموصوفية، وتأتى التبعية في الفعل الماضي والمضارع والأمر.

وتأتي في الماضي باعتبار الزمان أو باعتبار الحدث، والمقصود بالأول: أنه يصح التجوز بالماضي عن المستقبل تشبيهًا له في التحقيق كما هو جلي في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [سورة النحل: ١]، حيث شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كلٍّ، واستعير الإتيان في الماضي (أتى) للإتيان في المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [سورة الأعراف: ٤٨] بمعنى ينادى شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق الوقوع أيضًا، وكذلك الشأن في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠]، أي: ويقضى الأمر، شبه قضاء الأمر في المستقبل بقضائه في الماضي بجامع تحقق الوقوع أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾ [سورة فصلت: ٢١]، ونحوه في كتاب الله كثير، ولا يمنع ذلك أن يكون مجازًا مرسلًا علاقته التضاد، أما باعتبار الحدث فنحو قولنا: نطقت الحال بكذا، أي دلت ويقال فيها شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كلٍّ واستعير النطق للدلالة الواضحة، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ومن المشهور في ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ [سورة الحاقة: ١١]، ففي الأول استعار الإحياء للهداية وفي الثاني استعار الطغيان لمجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥]، يقال: شبه الاجتهاد في إيقاع الفتنة بالسعي بجامع الوصول إلى المطلوب في كلٍّ، ثم استعير السعي لإيقاع الفتنة ثم اشتق من السعي لهذا الغرض سعى.. بمعنى فتن أو أوقع الفتنة بقرينة ﴿لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾؛ ولذا يقال: فلان يسعى بالنميمة بين النَّاس، وقوله تعالى ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨﴾ [سورة الجن: ٨]. أي طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها. حيث استعير اللمس لطلب البلوغ بجامع الوصول إلى المراد.

وتلك معان مستقلة[١].

قال صاحب المفتاح: وكونها متعلقات معاني الحروف، بمعنى أنه إذا أفادت هذه الحروف معان، رجعت لتلك المعاني بنوع استلزام[٢].

قال في التلخيص: فيقدر في نطقت الحال، أو الحال ناطقة:

تشبيه الدلالة بالنطق، والدلالة مشبه، والنطق مشبه به، والجامع إيضاح المعنى، ثم استعيرت كلمة نطقت لكلمة دلت، وناطقة لدالة[٣].

فالاستعارة في المصدر أصلية، وفي المشتق تبعية.

ويقدر التشبيه في لام التعليل نحو [قوله تعالى]: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [سورة القصص: ٨]، تشبيه التعقيب بالتعليل بجامع الترتيب للعداوة، والحزن، أو لتشبيه العداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بعلية الغائية، كالمحبة والتبني وغير ذلك في الترتيب على الالتقاط، ثم استعمل في العداوة، والحزن، ما كان حقه أن يستعمل في العلة الغائية فتكون الاستعارة فيها تبعية للاستعارة في المجرور[٤].

---

(١) قلنا إن الاستعارة في الأفعال والمشتقات تابعة للاستعارة في مصادرها، لأنها هي المقصودة بالذات، وكذلك هي في معاني الحروف تابعة لمتعلقات معانيها، لأن معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلَّا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية.

(٢) ونص السكاكي قوله: متعلقات معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها مثل قولنا (من) لابتداء الغاية و(إلى) معناها: انتهاء الغاية، و(كي) معناها الغرض، فهذه ليست معاني الحروف وإلَّا لما كانت حروفًا بل أسماء وإنما هي متعلقات لمعانيها، وعلى هذا لا نستعير الحرف إلَّا بعد تقدير الاستعارة في متعلق معناه فإذا أردت استعارة (لعل) لغير معناها قدرت الاستعارة في معنى الترجي ثم استعملت هناك (لعل) مفتاح العلوم ٢٠٩.

(٣) ينظر شروح التلخيص ٣/ ١١٢.

(٤) توضيح الصورة: أنه يقال هنا: شبهت المحبة والتبنى بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع الترتيب واستعيرت اللام الموضوعة للعلة الغائية في العلة الواقعية على طريق التبعية، فالمستعار منه العلة والمستعار له العاقبة، والترتيب على الالتقاط هو الجامع، والقرينة استحالة التقاط الطفل ليكون عدوًا وفي قوله تعالى: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ =

وهذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب الكشاف.

***

= [سورة طه: ٧١]، استعمل (في) مكان (على) للدلالة على التمكين وهذا يوحي بأن جذوع النخل صارت أوعية لهم مما يدل على شدة تمكنها منهم وشدة وثاقهم فيها.

ويقال فيها: شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كلٍّ، واستعار لفظ الظرفية للاستعلاء المطلق فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات التي هي معاني الحروف، وهذا معنى استعارة لفظ (في) الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى (على) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وكذلك الشأن في قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [سورة الأعراف: ٥٣]، فـ (هل) أصلها طلب الفهم واستعملت هنا للتمني ويقال فيها شبه مطلق التمني بمطلق الاستفهام بجامع مطلق الطلب في كلٍّ ثم استعيرت الموضوعة للاستفهام للتمني... لأنه لا يمكن إجراء الاستعارة في المعنى الكلي (الاستفهام) على أنه معنى لهذا الحرف، لأن هذه الكليات كما سبق ليست معاني الحرف وإنما هي متعلقات معانيها. هذا موقف الجمهور.

أما الزمخشري وتبعه الخطيب وابن يعقوب المغربي، فرأوا أن الاستعارة تجري في مدخول الحرف أي أنها تابعة لتشبيه يجري في مدخول الحرف أي في مجروره.

قال الخطيب: فالتشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها لمعاني مصادرها وفي الحروف لمتعلقات معانيها كالمجرور في قولنا «زيد في نعمة ورفاهية، وفي لام التعليل كقوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [سورة القصص: ٨]، للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط، أي: أنه في الآية شبهت العداوة والحزن بالمحبة والتبني بجامع الترتب على الالتقاط في كلٍّ ثم استعيرت اللام الدالة على العلة الغائية من المشبه به للمشبه، وبذلك لا تكون الاستعارة تصريحية كما أراد هو، بل تكون مكنية لأن المذكور فيها هو المشبه، ومذهبه أن الاستعارة في الحرف تبعية وذاك وجه الاعتراض على كلامه.

وهناك وجه آخر مؤداه: أن المجرور ليس هو متعلق معنى الحرف بل المتعلق هو المعنى الكلي المصطلح عليه ولا ريب أن إجراءها على طريق الاستعارة بالكناية أيسر إن كان مخالفًا لما عليه الجمهور.

وكذلك قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [سورة طه: ٧١]، «شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل. ينظر: بغية الإيضاح ٣/ ١٣١، والكشاف جـ٢ / ٥٤٦.

[أقسام الاستعارة باعتبار الملائم][1]

ثم الاستعارة إن لم تقترن بصفة معنوية، ولا تفريع:

فمطلقة[2].

وإن قرنت بما يلائم المستعار له:

فمجردة[3].

كقول حسان في مدح النبي - ﷺ[4]: (الكامل)

---

(١) الاستعارة لا بد فيها من قرينة، وبدونها لا تكون استعارة، ومعنى ذلك: أن القرينة لا تكون هي الملائم، وإنما يكون الملائم بعدها، وهو: عبارة عن تفريعات، وأوصاف تناسب المستعار منه (وتكون الاستعارة بذلك مرشحة) أو المستعار له (وتكون الاستعارة بذلك مجردة)، وقد لا تقترن الاستعارة بواحد من ذلك (وتسمى مطلقة).

(٢) **وهي**: التي أطلقت عن التقييد بواحد من الملائمات السابقة، ولكنها لا تعدم القرينة؛ لأنها من تمام الاستعارة كما سبق.
كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة إبراهيم: ١]، فإنَّه استعار الظلمات للضلال والنور للإيمان وليس هنا ما يلائم هذا أو ذاك، ونحوه قول المتنبي: (الكامل)

في الخد إن عزم الخليط رحيلا ... مطر تزيد به الخدود مُحولا

فالاستعارة في قوله (مطر) استعارة للدموع بقرينة (به الخدود محولا) ثم ذكر ما يناسب المشبه (الدموع) وهو الخدود، وما يناسب المشبه به (المطر) وهو المحول بمعنى الجدب.
وسميت مطلقة: لإطلاقها عما يقوي أحد الطرفين، فهي مرحلة وسط بين (المرشحة والمجردة) لأنها تكتفي بذكر القرينة التي هي دليل الاستعارة وهي لا تعدو التجوز الذي يقع في الكلام دون إيغال في التناسي وتدخل في الخيال أو التقرب منه، وقد تقرن بما يلائمهما، كالمثال الأخير الذي ذكره الشارح: لدى أسد شاكي السلاح... وسيأتي بيانه.

(٣) وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له (المشبه) عكس المرشحة.

(٤) البيت ليس لحسان، وإنما هو لكثير عزة في ديوانه ص ٢٨٨ ومنسوب له في كتب البلاغة، وتمامه:

غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رقابُ المَالِ

غمرُ الـرِّداءِ إذا تَبَسَّمَ ضَاحكًا

الغمر: الماء الكثير، والمراد: العطاء، فاستعار الرداء للعطاء؛ لأنه يصون صاحبه، كما يصون الرداء ما يلقى عليه [١٩أ] ثم وصفه بالغمر الملائم للعطاء باعتبار كثرة استعماله فيه حتى صار كأنه حقيقة فيه، وإلا فهو حقيقة في الأمر بذلك للاستعارة، والقرينة سياق الكلام(١).

وإن قرنت بما يلائم المستعار منه:

فمرشحة(٢).

نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [سورة البقرة: ١٦]، ثم استعار الاشتراء للاستبدال، ثم فرع عليها ما يلائم الاشتراء من الربح في

---

(١) أي قَوْله: إِذا تَبَسم ضَاحِكا، أَي شَارِعا فِي الضحك، آخِذا فِيهِ غلقت لضحكته رِقَاب المَال. يُقَال غلق الرَّهْن فِي يَد الْمُرْتَهن إِذا لم يقدر على انفكاكه وَهُوَ يُرِيد فِي الْبَيْت أَن ممدوحه إِذا تَبَسم غلقت رِقَاب أَمْوَاله فِي أَيدي السَّائِلين. الطراز ٢/ ١٤٩.

ومن المشهور في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ ﴾ [سورة النحل: ١١٢]، فقد شبه ما يعتري الإنسان من أثر الجوع والخوف وهو (النحافة والاصفرار والوهن) شبه ذلك باللباس، أي أنه استعار اللباس لما غشى الإنسان من أثر الجوع والخوف، وعبر بالإذاقة ليلائم المستعار له (المشبه) لأن معناها: الابتلاء بآلام ذلك، وهي أبلغ من (كساها) لما فيها من إشعار بالشدة؛ ولأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك بالحس ولا عكس وكلمة اللباس فيها عموم الأثر... ولذا عبر بها دون (طعم)، وقول البحتري:- (الوافر)

يؤدونَ التحيَّةَ من بعيدٍ إلى قمَرٍ من الإيوانِ بَادِ

فإنَّه لما شبه الممدوح بالقمر بقرينة (يؤدون التحية) قرنه بما يلائم المشبه وهو: الإيوان الذي يبدو منه الممدوح.

(٢) أي أنها قرنت بما يلائم المستعار منه «المشبه به» بعد القرينة، والمجاز حينئذٍ يوغل في تناسي الأصل ويجعل الكلام قريبًا من الحقيقة؛ ولذلك قالوا: المراد بالترشيح تربية المجاز، وتنميته، وإشاعته حتى يوهم أنه حقيقة من قولهم: رشح الصبي إذا رباه، وغذاه باللبن حتى يقوى، وترشيح المجاز في الاصطلاح: أن تقرنه بصفة أو تفريع كلام يلائم معناه الحقيقي.

التجارة[1].

---

(١) فأكد بذلك الإحساس بأن ثمة مبايعة حقيقية؛ ولذا قال الزمخشري «فإن قلت: هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازًا في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثمة مبايعة على الحقيقة؟ **قلت:** هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفي بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقت لم تر كلامًا أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقًا وهو المجاز المرشح، وذلك كقوله: (الطويل)

ولما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر، ونحوه قول بعض فُتَّاكهم في أمه: (الوافر)

فما أمَّ الردين وإن أدلت ... بعالمة بأخلاق الكرام

إذا الشيطان قصع في قفاها ... تنفقناه بالحبل التؤام

أي: إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم، يريد إذا جردت وأساءت الخلق أجهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها، حيث استعار التقصيع أولًا ثم ضم إليه التنفيق ثم الحبل التؤام، فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويؤاخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلًا لخسارهم وتصويرًا لحقيقته. الكشاف١/ ١٩٤.

ومنه قول تأبط شرًا يصف فرسه: (الطويل)

إذا هزه في عظم قرن تهللت ... نواجذ أفواه المنايا الضواحك

فقد جعل للمنايا أفواهًا وصورها في صورة حيوان، جعل لها نواجذ وجعلها أيضًا ضواحك فأكمل هيأتها وأبرز ملامحها، لأن النواجز من صفات المستعار منه، ومن المشهور في ذلك قول شوقي في مدح النبي ﷺ: (الكامل)

لي في مديحكَ يا رسولُ عرائسُ ... تيّمن فيكَ وشاقَهُنَّ جلاءُ

هنَّ الحسانُ فإن قبلتَ تكرُّما ... فمهورهُنّ شفاعةٌ حسناءُ

فإنَّه شبه القصائد بالعرائس، ولما استعار العرائس للقصائد اتبع ذلك بما يلائم المستعار منه بقوله: (تيمن فيك - شاقهن جلاء - هن الحسان - مهورهن) وهذه أوصاف العرائس، وقول الشاعر:- (الكامل)

لا تحسبنَّ بشاشتي لك عن رضًا ... فوَحَقِّ فضلك إنني أتملقُ

ولئن نطقتُ بشكر برِّكَ مفصِحًا ... فلسانُ حالي بالشكايةِ أنطقُ

فإنَّه شبه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم في الدلالة، فأثبت لها اللسان الذي به قوام =

وقد يجمعان[١] كقوله[٢]: (الطويل)

لَدَى أَسد شاكي السِّلاحِ مُقذَّفٍ لَهُ لبد أظْفَارُهُ لم تقَلَّمِ[٣]

ففي المصراع الأول تجريد، وفي الثاني ترشيح، والترشيح أبلغ[٤].

= الدلالة في الإنسان، وهو بذلك استعارة مكنية وقرينتها لفظ (لسان) والنطق (أنطق) ترشيح لأنه من ملائمات المستعار منه.

(١) أي الترشيح والتجريد، وتسمى الاستعارة حينئذ مطلقة، والبيت - الآتي - الذي استدل به من شواهدها، فتعد الاستعارة مطلقة إذا ذكر معها ما يلائم الطرفين.

(٢) أي زهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٢٣، من معلقته المشهورة التي يمتدح فيها الحارث بن عوف، وهرم بن سنان.

(٣) فالاستعارة في كلمة (أسد) استعاره للرجل الشجاع، ثم ذكر ما يناسب المستعار له (المشبه) في قوله (شاكي السلاح) وما يناسب المستعار منه(المشبه به) في قوله: (له لبد أظفاره لم تقلم) والأول تجريد، والثاني ترشيح ، واجتماعهما يؤدي إلى سقوطهما فتسمى الاستعارة مطلقة لأنه ليس هناك ما يرجح هذا على ذاك.

(٤) قوله: والترشيح أبلغ، يشير إلى مراتب الاستعارة من هذا الجانب، وبيانه كما يأتي:

مراتب هذه الاستعارة قوة وضعفا

لا ريب أن الترشيح أبلغها لأنه يشتمل على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه ويجعل الكلام كأنه يقرب من الحقيقة، أو كما قال **الإمام عبد القاهر**: «وكأن حديث الاستعارة والقياس لم يجر منهم على بال، ولم يروه ولا طيف خيال، ومثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان، ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوًا من طريق المكان، ألا ترى إلى قول أبى تمام: (المتقارب)

ويصعد حتى يَظنَّ الجهولُ بأن له حاجة في السماء

فلولا قصده أن ينسى التشبيه ويرفعه بجهده ويصمم على إنكاره وجحده فيجعله صاعدًا في السماء من حيث المساحة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه. أسرار البلاغة ١٧٨، أي: أنه استعار الصعود الحسي لارتقاء المنزلة، واشتق منه يصعد بمعنى يرتقي ويعلو، ومن رائع ذلك قول بشار: (مجزوء الوافر)

أتتني الشمس زائرةً ولم تك تبرح الفلكا

ثم إنه يقوم على إثبات التعجب أو نفيه، وذلك كقول المتنبي: (الكامل)

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق =

[المجاز المركب]

والمجاز المركب: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، فإن كان لعلاقة المشابهة بأن شبّه بمعناه الأصلي فتشبيه التمثيل على سبيل الاستعارة، ويقال له: التمثيل بدون ما بعده[١].

ويمتاز عن التشبيه المركب بأنه يقال: التشبيه التمثيلي، أو تشبيه تمثيل[٢].

= أي: كبرت تعجبًا، وذلك أن الشاعر استعار الشموس للممدوحين ثم تناسى التشبيه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها تطلع من المشرق فتناسى أنه يتكلم عن شموس مجازية ومنه قول الشاعر: (الكامل)

قامت تظللني من الشمس ... نفس أعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

يقول عبد القاهر «فلولا أنه أنسى نفسه أن ههنا استعارة ومجازًا من القول وعمل على دعوى شمس على الحقيقة لما كان لهذا التعجب معنى، فليس ببدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنسانًا ويقيه وهجًا بشخصه. أسرار البلاغة ٢٨١.

والتخييل وتناسي التشبيه - يجري في هذا الضرب أكثر من غيره مما يعطي الاستعارة حسنًا ويضفي عليها جمالًا وجلالًا، ويليه في المرتبة الثانية: الإطلاق: لأنه يترك الاستعارة على حالها دون أن يذكر معها ما يقويها أو يضعفها، أما التجريد فهو آخر مراتبها لأنه يعود إلى حديث المشبه حين يذكر معه ما يناسبه وبذلك يضعف الاستعارة.

ولا يخفي عليك أن لكل مقام مقالًا يوائمه، فقد يكون مقام التجريد أبلغ من الترشيح حين يقتضي التعبير ذلك دون غيره، كما رأيت في آية النحل السالفة الذكر.

(١) هذا يسمى: الاستعارة التمثيلية، وهي: تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه وهي كثيرة في الأمثال السائرة، بل الأمثال كلها من قبيل الاستعارة المركبة.

(٢) الفرق بين تشبيه التمثيل والاستعارة التمثيلية:

هذا الفرق قائم على أن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه وأداته فإذا تأملت ذلك أدركت أن:

• تشبيه التمثيل يذكر فيه المشبه والأداة ويجوز أن يكون بين مفردين كما سبق ومنه قولهم: المنافق كالحرباء. وراجع في ذلك ما سبق من كلام عبد القاهر. =

كقولك للمتردد في أمر بين فعله وتركه:

«أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى»(١)

حيث شبه مجموع صورة تردده في ذلك الأمر، بمجموع صورة تردد من يريد الذهاب تارة فيقدم رجلًا، ولا يريد أخرى، ....

= • أما الاستعارة التمثيلية فلا تكون إلَّا في التراكيب ثم إنها نوع من المجاز ففيها أبلغية.

• وتشبيه التمثيل لا يحتاج إلى قرينة تدل على حقيقته، وهي تحتاج إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

• كما أن الاستعارة التمثيلية يحذف منها المشبه والأداة ولا يبقى فيها من أركان التشبيه إلَّا المشبه به فقط.

ولكن يلاحظ أن كل شيء يحسن به التشبيه تحسن به الاستعارة نحو وجود التناسب بين الطرفين والتقاط الشبه بين المتباعدين، ولا يمنع ذلك أن يكون الشبه قويًا جليًا...

وإذا لم يتقرر الشبه بين الطرفين فلا تصلح الاستعارة كقول أبي تمام: (الوافر)

كأن المطل في بدء وعود ... دخانًا للصنيعة وهي نار

لأنه شبه المطل في العطاء بالدخان، والصنيعة بالنار وقد صرح بذكر المشبه وجعل المشبه به خبرًا عنه، ولم يتقرر الشبه بين الصنيغة والنار، وعلى ذلك فلا يقال أعطيتني نارًا لها دخان تريد صنيعة لعدم وضوح الشبه بينهما، فلا بد من ذكر الطرفين حتى يتبين المراد.

وكذلك إذا اشتمت رائحة التشبيه من الكلام ضعفت الاستعارة كما في قول ابن طباطبا العلوي: (المنسرح)

لا تعجبوا من بلى غُلالته ... قد زَرَّ أزراره على القمر

فضمائر المشبه هنا كثيرة وهي الضمير في (غلالته - وأزراره - والمستتر في زرّ) وهذا يضعف الاستعارة، وإن كان التخييل فيه واضحًا جليًا وهو كما قال عبد القاهر قد عمد إلى شيء هو خاصية في طبيعة القمر لأنه هو الذي يسرع بلى الكتان وهو بذلك يتعمق في الخيال حتى يوهم أنه يتحدث عن قمر حقيقي (أسرار البلاغة ٢٨٢) لا عن ممدوح يشبه القمر وهذا التخييل أيضًا يأتي مع التصريح بالتشبيه، لذا كان إلى التشبيه الضمني أقرب.

(١) هذا جزء من المثل المشهور في قول الوليد بن يزيد في كتابه لمروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة «أما بعد: فإني أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام». وهو من شواهد الاستعارة التمثيلية. وسيأتي بيانه.

وهذا متنزع من عدة أمور[(١)].

ومتى فشا استعمال المجاز المركب في معنى استعمل فيه كما استعمل فيه مثلا.

فالمثل - بفتح أوله - فشا استعماله فيما استعمل فيه، ولا يلتفت إلى المعنى الثاني بذكر، أو إفراد، أو ضدها، لوجوبه استعارة لفظ المشبه به بحاله في الاستعارة المصرحة.

---

(١) بيان ذلك: شبه هيئة من يتردد في البيعة بحال من يتردد في المشي فيقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية، **والاستعارة هنا مرشحة؛ لأن قوله** (فاعتمد على أيهما شئت) من ملائمات المشبه به، **وقد تكون مجردة** لو قلت أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى حتى كددت ذهنك، **وتكون مطلقة** إذا قلت أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، حيث لم تقترن بما يناسب أحد الطرفين، ومنه قولهم لمن يعمل في غير معمل «أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء. أي أنك في فعلك كمن يفعل ذلك.

وقولهم: لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يأباه: ما زال يفتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد، فهو يشبه رفقه بصاحبه وإعمال الحيلة معه ليصل إلى ما أراد بحال من يجيء إلى البعير الصعب الذي لا ينقاد فيحكه ويفتل الشعر في ذروته (أعلى سنامه) وغاربه (ما بين السنام والعنق) حتى يسكن ويستأنس.

و العلم في ذلك عند البلاغيين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]، ففيها نهي عن البخل، والمراد: تشبيه حالة البخيل الممتنع عن البذل والعطاء بحالة من جمعت يده وعنقه في قيد فلا يستطيع أن يمد يده إلى شيء، ثم استعيرت حالة المشبه به وهيأته للمشبه، وقوله تعالى على لسان سيدنا موسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - لبني إسرائيل: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [سورة البقرة: ٦١]، فقد شبه حالهم وقد لبستهم الذلة واشتملت عليهم وأحاطت بهم بحال من ضربت عليهم القبة، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، شبه حال المسلم الواثق بربه القوي الإيمان بحال المتدلي المستمسك بحبل وثيق يأمن انقطاعه، وقول الشماخ: (الوافر)

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقَّاها عَرابةُ باليمين

فالشبه مأخوذ من جميع التلقي واليمين، واستعيرت هيئة تلقي الشيء باليمين التي يضرب بها المثل في القدرة لهيئة اقتداره على نيل المجد، وشواهد ذلك أعظم من أن تحصى في شعر الكلام ونثره وكلها تجري في التصريحية الأصلية.

ولو غير لخرج عن ذلك، فلا يكون استعارة، فلا يكون مثلًا، فينظر إلى موارد الأمثال كقولهم:

«الصيف ضيعت اللبن» بكسر التاء، مثال لذلك للمرأة؛ لأنه في الأصل لها[١].

[الاستعارة المكنية][٢]

وأما الاستعارة المكنية ففي[٣] حقيقتها أقوال[٤]:

---

(١) «الصيفَ ضيعت اللبن»: يضرب لمن فرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه، **وأصل هذا المثل**: أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه، فطلقها، وتزوجت بشاب فقير، ثم طلبت من مطلقها لبنًا وقت الشتاء، فقال لها «الصيف ضيعت اللبن».

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن، ثم رجعت إليه تطلب اللبن منه شتاء بجامع التفريط في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريقة الاستعارة التمثيلية.

(٢) وهي ما حذف فيها لفظ المشبه به استغناء عنه ببعض لوازمه. كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [سورة الإسراء: ٢٤]، أي: تواضع لهما وتذلل، وهنا تقول: شبه الذلَّ بطائر ثم حذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو الجناح على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤]، حيث شبه الشيب في البياض والإنارة بشواظ النار، وذلك لفشوه في الشعر وانتشاره في كل نواحيه، وفي ذلك دليل على سرعة تزايده حتى يصير في الإسراع كاشتعال لهب النار، ثم حذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية، ويلاحظ أن في الفعل (اشتعل) استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه انتشار الشعر الأبيض وفشوه في الرأس باشتعال النار بجامع العموم في كلٍّ، ثم تنوسي التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم استعار الاشتعال للانتشار، ثم اشتق من الاشتعال بمعنى الانتشار الفعل اشتعل بمعنى انتشر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٣) في الأصل (في)

(٤) **الاستعارة بالكناية عند الجمهور:**

يرى الجمهور أن الاستعارة بالكناية هي لفظ المشبه به المحذوف، المرموز إليه بإثبات لازمه للمشبه، كما سبق في الآية الأولى، فالاستعارة بالكناية فيها هي لفظ (الطائر) المحذوف، والقرينة عليها =

اختار الخطيب:

أنها التشبيه المضمر في النفس، وأن التخيلية إثبات ما هو من لوازم المشبه به للمشبه نحو:

أظفار المنية أنشبت بفلان

شبهت المنية في نفسك بالسبع، وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به، وهو: الأظفار[١].

فالتشبيه المذكور استعارة مكنية عند الخطيب، وإثبات لازم السبع للموت تخييل[٢].

= هي إثبات الجناح للذل.

(١) بيان ذلك: أن الخطيب استقى مذهبه من مذهب الإمام عبد القاهر، **وخلاصته**: أنها: التشبيه المضمر في النفس، المتروك أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه، وبهذا تخرج الاستعارة بالكناية عن المجاز اللغوي، وتصير فعلًا من أفعال النفس فلا يكون لتسميتها استعارة وجه، والتشبيه المضمر في النفس ليس لفظًا ولا استعمال لفظ، بل هو فعل من أفعال النفس، ومن هنا كان تسميته استعارة تسمية خالية عن المناسبة ولعل الذي بعث الخطيب على مخالفة الجمهور أمران:

الأول: - أنه قصد المغايرة بين التصريحية والمكنية من جميع الوجوه حتى تتميز الأقسام الواقعة في كلام البلغاء أتم تمييز دون أن يلتبس بعضها ببعض لا في اللفظ ولا في التقدير.

والثاني: - أنه رأى أن إضمار التشبيه في النفس أقوى مناسبة من إضمار لفظ المشبه به فيه، لأن التشبيه معنى والمعاني كثيرًا ما تضمر في النفس، فالإضمار آنس بها بخلاف الألفاظ.

و لمذهب الجمهور مزايا منها:-

أ - أن مذهب الجمهور في الاستعارة بالكناية أقرب إلى الضبط حيث تكون الاستعارة بأقسامها هي لفظ المشبه به المستعمل في المشبه، وإثبات الاستعارة التخيلية للمشبه به لا يخل بذلك الضبط لأنها غير مقصودة بذاتها.

ب - أن هذا المذهب أشد مناسبة مع التسمية اللغوية للاستعارة.

(٢) ولتتمة الأقوال المدروسة فيها نذكر للقارئ مذهب السكاكي، والعصام، كما يأتي:

مذهب السكاكي: يرى أن الاستعارة بالكناية هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء أن المشبه عين المشبه به، وإنكار أن يكون غيره بقرينة ذكر اللازم، ومثل لذلك بقول الشاعر: (الكامل)

وإذا المنية أنشبَتْ أظفارَها ... ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

فبعد أن شبه معنى المنية وهو الموت بالسبع يدعى بواسطة التشبيه أن الموت عين السبع أي من جنسه وغير خارج عنه، فيصير للسبع فردان أحدهما حقيقي والآخر ادعائي، فيستعار لفظ المنية من =

= الموت المطلق الذي لم يدع ادعاءه بالسبع للفرد الادعائي الذي هو الموت المتحد بالسبع ادعاء، فلفظ المنية مستعمل في الموت الذي ادعي أنه عين السبع ومن جنسه فيكون لفظًا مستعملًا في غير ما وضع له، وأن الأظفار مستعارة لصورة وهمية أثبتت للمنية.

وهذا المذهب مردود بأمور ثلاثة:

١- أن ما قاله من أن لفظ المشبه مستعمل في المشبه به مخالف للواقع بأن القائل: (**وإذا المنيَّة أنشبت أظفارها**)، لم يرد أظفار الموت المتخيلة، فهو لم يستعمل المنية إلَّا في معناها الذي وضعت له وهو الموت لا السبع.

٢- قوله: إن لفظ (المنية) نقل من مطلق موت إلى موت متحد بالسبع يقتضي أن يكون مجازًا مرسلًا من قبيل إطلاق المطلق على المقيد وليس مجازًا علاقته المشابهة حتى يكون استعارة، وكلامنا في الاستعارة لا في المجاز المرسل.

٣- أنه لا وجه لتسمية ذلك استعارة مكنية، بل هو جدير بأن يسمى استعارة مصرحة، لأن اللفظ الذي سماه استعارة مصرح به في الكلام.

هذا هو ظاهر كلام السكاكي في كثير من المواطن، وفي بعض المواطن يوافق الجمهور على رأيهم في الاستعارة بالكناية.

مذهب العصام: يرى العصام صاحب كتاب الأطول، وصاحب شرح السمرقندية: أن في مثل قول الشاعر: (وإذا المنيَّة أنشبت أظفارها) استعارة وكناية:

• **أما الاستعارة: فهي متفرعة على تشبيه مقلوب، حيث شبه السبع بالمنية مبالغة في كمال وجه الشبه فيه ثم تنوسي التشبيه، وادعي أن السبع من جنس المنية، فاستعير لفظ المنية للسبع، فصارت كلمة المنية هي الاستعارة**

• **أما الكناية: فهي أن يجعل مجموع الكلام المشتمل على الاستعارة كناية عن تحقق الموت بلا ريبة. الأطول ٢/ ١٤٨**

ومجمل هذا المذهب: أن الاستعارة بالكناية هي لفظ المشبه به المقلوب المستعمل فالمشبه المقلوب مع جعل مجموع الكلام بعد ذلك كناية اصطلاحية، **والقرينة على الاستعارة**: هي ذكر الملائم للمشبه المقلوب، **والقرينة على الكناية**: حالية.

وهذا المذهب مردود بثلاثة أمور: -

١- أن كل أحد يعرف أن الغرض من قوله: وإذا المنية أنشبت... هو تشبيه الموت بالسبع في الاغتيال، لا تشبيه السبع بالموت، فالحمل عليه حمل للكلام على غير مقصد قائله بلا جدال.

٢ -يلزم على هذا المذهب أن يكون المذكور في الاستعارة بالكناية هو المشبه به، وذلك على =

وسط الأقوال في تحقيقها، وفي ترتيبها، وفي الفرق بينهما وبين الترشيح في المكنية، وبينها وبين التجريد في المصرحة، مودع في كتابنا: «**لطيف الرمز والإشارة إلى خبايا زوايا حسن العبارة في نظم الاستعارة**» وفيما ذكرنا كفاية.

وإن يكن: المستعار.

ضدا: للمستعار له وامتنع اجتماعهما.

تهكمية: كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة آل عمران: ٢١]، أي أنذرهم فاستعارة التبشير للإنذار وهما ضدان إنما يكون بإدخاله فيه على سبيل التهكم، أي السخرية، وكقولك: رأيت أسدًا، وتريد جبانًا على سبيل التمليح والظرافة ومنه [قوله تعالى] ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة هود: ٨٧]، بدل السفيه الغوي.

والتهكمية، والتلميحية من أنواع العنادية كما تقدم[1].



= خلاف ما اتفقت عليه الآراء المتقدمة.

٣- وبناء على هذا تكون استعارة تصريحية لأنه قد صرح فيها بلفظ المشبه به، وحذف منها المشبه، فلا تكون قسمًا آخر، وهذا باطل لمخالفته للواقع الذي تنوعت على أساسه الأساليب. وينظر في كل ذلك: شروح التلخيص.

(١) سبق بيان ذلك كله في حديث الشارح عن أقسام الاستعارة باعتبار توافق الطرفين وتعاندهما تفصيلا لا يستدعي الإعادة.

[الكناية](1)

٨٨- وَمَا بِهِ لَازِمُ مَعْنَى وَهْوَ لا ... مُمْتَنِعًا كِنَايَةٌ، فَاقْسِمْ إِلَى

٨٩- إِرَادَةِ النِّسْبَةِ، أَوْ نَفْسِ الصِّفَهْ ... أَوْ [غَيْرِ] هَذَيْنِ، اجْتَهِدْ أَنْ تَعْرِفَهْ

وما: أي لفظ أريد.

---

(١) **توطئة عن الكناية في التراث:**

جاءت الكناية في كلام السابقين الذين تحدثوا عن بلاغة القرآن ومعانيه تارة بمفهومها اللغوي، وأخرى بمفهومها الاصطلاحي المعروف وإن لم ينصوا عليها، وقبل أن نتعرض لبيان ذلك نقف أولًا عند:

المفهوم اللغوى لها: يقول ابن فارس (كنو) الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره، يقال: كنيت عن كذا إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه، وكنوت أيضًا، ومما يوضح هذا قول القائل: (الطويل)

وإني لأكْنُو عَنْ قَذُورَ بغيرها ... وأُعْرِبُ أحْيَانًا بِهَا فَأُصَارِحُ

ألا تراه جعل الكناية مقابلة للمصارحة؛ ولذلك سمى الكنية كنية كأنها تورية عن اسمه، ويقول ابن منظور: الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكَنَى عن الأمر بغيره ويكْنى كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو: الرفث والغائط ونحوه. مقاييس اللغة، ولسان العرب (كنو).

فإذا كانت الكناية لغة توحي بمعنى الخفاء والستر فإن هذا المعنى يعدُّ مقدمة للمعنى الاصطلاحي الذي ذكره **الإمام عبد القاهر** وهو: (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو إليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلًا عليه مثال ذلك قولهم «هو طويل النجاد» يريدون طويل القامة. دلائل الإعجاز ٦٦.

وبذلك نرى تناسبًا وترابطًا بين ما ذكره ابن فارس وهذا الذي ذكره الإمام عبد القاهر لأن المذكور دليل على غيره في مفهوم الكلامين وهذا أكثر وضوحًا في كلام ابن منظور، ولكن المعنى يتخلص للمفهوم اللغوي عند من ذكر الضمير وقال إنه كناية عن كذا ويقصد سابق الكلام كالذي ذكره الفراء في معنى قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].«الهاء كناية عن القرآن؛ فأتوا بسورة من مثل القرآن».

به لازم معنى: موضوع لذلك اللفظ، كطويل النجاد، إذا أريد به طول القامة لطول النجاد الموضوع له اللفظ المذكور.

وهو: أي المعنى الموضوع له.

لا ممتنعا: أي غير ممتنع إرادته مع إرادة اللازم، بل يجوز أن يراد به طول النجاد أيضًا على الحقيقة معه.

كناية: فالكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته منه(١).

[أقسام الكناية]

فاقسم: [١٩ب] حذف المفعول للضرورة أي: اقسم الكناية.

إلى: ثلاثة أقسام.

إرادة النسبة: من الذات، والصفة، وبمعنى الواو.

والثاني:

[أو] **نفس الصفة**.

والثالث:

[أو] **غير هذين**: وهو الذات.

اجتهد أن تعرفه: أي كل قسم، ومتعلقه، وفي البيتين أيضًا(٢) جعل الجار آخر البيت الأول، والمجرور آخر الثاني.

[الكناية عن نسبة]

فالكناية عن النسبة تنويه إن دلت على ثبوت أمر لآخر(٣).

---

(١) هذا تعريف الخطيب

(٢) يقصد في نظم البيتين المذكور فيهما أنواع الكناية.

(٣) معنى قوله: تنويه: أي هي التي يذكر فيها الموصوف والصفة دون النسبة، ولكن يذكر مكانها نسبة =

نحو[١]: (الكامل)

إنَّ السَّماحَةَ والمُروءةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحَشْرَجِ

كني بجعل هذه الأشياء مضروبة بقبة عن تعيينها، إذ لا بد لها من محل يقومها والقبة لا تقومها.

فظهر أن ظرفيتها لهذه الأشياء ليست إلا ظرفيتها لابن الحشرج المقوم لها[٢].

أو سلبية إن دلت على انتفائه عنه نحو: فلان لأكرم من برديه، فنفي الكرم عن البرد يراد نفيه عن لابسه.

[الكناية عن صفة]

والكناية عن الصفة[٣]:

= أخرى تستلزمها، كقولهم: المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه، فإنَّه صرح بالصفة وضمير الموصوف، ولم يقصد نسبة المجد إلى الثوب، ولكنه قصد نسبته إليه وتلبسه به بطريق الكناية.

(١) قول زياد الأعجم.

(٢) بيان ذلك: أن الأوصاف مذكورة والموصوف (ابن الحشرج) موجود في الكلام، ولكنه لم يصفه بها بطريق مباشر بل (عدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه وإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين لما كان إلَّا كلامًا غفلًا وحديثًا ساذجًا» دلائل الإعجاز ٣٠٧.
فهو لم يصرح بإثبات هذه الصفات له، ولكنه جعلها في قبة مضروبة عليه وكأنها ملازمة له، فالمقصود بيان نسبة هذه الصفات إليه، فكنى عن جعلها فيه بجعلها في شيء يلتبس به ويشتمل عليه، ومن ذلك قول الشنفرى يصف امرأة بالعفة: (الطويل)

يبيت بمنجاةٍ من اللؤم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حُلَّتِ

أراد أن ينفي اللؤم ويبعده عنها، فتوصل إلى ذلك بنفيه عن بيتها وكنى عن نسبة ذلك إليها بنسبته إلى بيتها... وكناية عن العفة. والمعاني حين تأتي هكذا مدلولًا عليها بغيرها فإن ذلك أفخم لأمرها وأعظم لشأنها، والمعنى ههنا ليس هو المعنى والكلام على ظاهره شأنه شأن الذهب لم يصنع أشكالًا وصورًا... فالعبارة هنا ليست هي العبارة والكلام على حقيقته لأنها تأخذ أشكالًا وصورًا.

(٣) وهي: ما ذكر فيها الموصوف والنسبة، ولم يذكر فيها الصفة المرادة بل ذكر مكانها ما يستلزمها؛ =

[أنواع الكناية عن صفة][1]

قريبة[2] إن كانت بلا واسطة واضحة كانت لجلاء اللزوم.

أو خفية لخفاء اللزوم، نحو: فلان طويل النجاد كناية عن طول قامته، وهذا أمر واضح[3].

= لأن الكناية لا يصرح فيها بالمعنى المراد، بل بمعنى هو تاليه وردفه، كما سبق، ومن هنا يبدو اللطف والفخامة والنبل، تأمل من ذلك قول امرئ القيس: (الطويل)

ظَلِلْتُ ردائي فوق رأسيَ قاعدًا ... أعدُّ الحصَى ما تنقضي عبراتي

وعدّ الحصى من فعل المحزون المتحير، فهو كناية عما لحقه من الهم والحزن حين وجد الديار مقفرة متغيرة، ثم تأمل قول الهذلي: (الطويل)

وكنتُ إذا جاري دعا لمضوفةٍ ... أشمِّرُ حتى ينصف الساقُ مئزري

وهو كناية عن سرعة استجابته واستعداده لتلبية الدعوة.

(١) قسمها العلماء إلى: كناية قريبة، وكناية بعيدة، وأرجعوا ذلك إلى قلة الوسائط وكثرتها.

(٢) **أي أن القريبة هي**: ما ينتقل منها إلى المعنى المقصود بدون واسطة، أي أن المعنى الثاني فيها يردف المعنى الأول مباشرة.

(٣) هذا كلام من قول الخنساء ترثي أخاها: (المتقارب)

طويلُ النجادِ رفيعُ العِما ... دِ سادَ عشيرتَه أمْرَدا

و النجاد هي: حمائل السيف يقصد بها طول القامة والشهامة.. وطول النجاد يعقبه طول القامة دون حاجة إلى الوسائط التي سنراها في البعيد.

وكذلك قولها: «رفيع العماد» كناية عن العز والشرف والسيادة بين قومه، وقول الحماسي: (الكامل)

أبَتِ الرَّوادِفُ والثُّدِي لِقُمْصِها ... مَسَّ البطونِ وأن تمسَّ ظُهُورا

فالمعنى المباشر للبيت ليس هو المقصود وإنما تاليه وردفه وهو الكناية عن ضمور الخصر وامتلاء الروادف والثدي امتلاءً يحول بين الثوب وبين مس الظهر والبطن... وهذا نوع قريب واضح.

وهناك نوع قريب ولكن فيه خفاء، ومنه قول النبي ﷺ لعدى بن حاتم (إنك لعريض الوساد) وذلك لأنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، أحضر عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود ليعرف بهما طلوع النهار، فلما علم =

وبعيدة إن كانت بواسطة، واضحة إن قلت الوسائط، نحو: فلان كثير الطبايخ كناية عن المضياف فهذا بواسطتين.

أي: تنقل منه إلى كثرة الأكلة، ومنهم إلى كثرة الأضياف[١].

وخفية إن كثرت، نحو: فلان كثير الرماد، كناية عن المضياف بأربع وسائط: الانتقال من كثرة الرماد، إلى إيقاد الحطب تحت القدر، ومنه إلى ما تقدم[٢].

= النبي ﷺ بذلك قال له هذه الكلمة وقصد بذلك قلة وعيه وفهمه، والعرب كانت تكني عمن هذه حالته بقولهم «عريض القفا» فعرض الوسادة يتضمن عرض القفا.
ومنها قوله حكاية عن صاحب الجنتين: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٢]، ونظائر ذلك كثرة والأمر فيها بيِّن.

(١) أي أن الوسائط قد تكون قليلة، وتسمى الكناية البعيدة.

(٢) وإن كثرت الوسائط تكون بعيدة خفية، كما في قولهم «كثير الرماد» فإنَّه ينتقل فيها من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان ومنها إلى المقصود الكناية عنه وهو الكرم، كذلك الشأن فيما يشبه ذلك: كقول الشاعر: (الوافر)

وما يك في من عيب فإني ... جبانُ الكلب مهزول الفصيل

فمعلوم أنه يكنى بجبن الكلب وهزال الفصيل عن القرى والضيافة وهذا يستلزم الكرم، ولكن الوسائط هنا تكثر حتى تصل إلى المطلوب.
يقول الخطيب: فإنَّه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يَعُسَّ دونها مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعيًا له إلى استمرار تأديبه لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهًا إثر وجوه ومن ذلك إلى كونه مقصد أدانٍ وأقاص ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قري الأضياف، وكذلك (مهزول الفصيل) ينتقل من ذلك إلى فقد الأم، إلى قوة الداعي إلى نحرها... إلى صرفها للطبخ، إلى أنه مضياف. وهكذا.
ومن لطيف ذلك قول نصيب: (المتقارب)

لِعبْدِ العَزِيزِ عَلى قَومِهِ ... وغيرهمُ مِننٌ ظاهرهْ
فبابُك أسهل أبوابهم ... ودارك مأهولةٌ عَامِرَهْ
وكلبك آنس بالزائرين ... من الأمِّ بالابنة الزائرهْ =

[الكناية عن موصوف]

والكناية في الذات:

قريبة: إن كانت لفظًا واحدًا لسهولة الانتقال، وقلة الوسائط، وبعيدة: إن كانت مجموع الألفاظ، نحو قولهم كناية عن الإنسان مستوي القامة: عريض الأظفار[1].

= فقد وصف كلبه بذلك ثم انتقل منه إلى أنهم معرفون لديه، إلى كثرة مشاهدته إياهم... إلى موفور إحسان صاحبه وهو المراد.

غير أن المعنى هنا يختلف عنه في جبن الكلب في البيت السابق، لأن كونه آنس بالزائرين، دليل على شدة الإلف اتصال المشاهدة وكأنهم من البيت. أما جبن الكلب فيدل على بداية إلفه لهم وأنه لا يهرُّ في وجوههم خوفًا من صاحبه فيجبن حينئذٍ. وأبدع من هذه وتلك قول إبراهيم بن هرمة: (الطويل)

يكاد إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقْبِلًا ... يُكَلِّمُه من حُبِّه وهْوَ أعْجَمُ

فهذا يكاد يكلمهم لولا أنه أعجم، وتلك أرقى المراحل في شدة الأنس وطول الإلف... حتى إنه يستقبله بحفاوة وسرور...

وفرق بين صورة الكلام ها هنا وصورته في قول عنترة: (الكامل)

فازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلِبَانِه ... وشَكَا إلى عَبْرَةٍ وتحمْحُم

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ... ولَكَانَ لَوْ عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي

فالصورة في الأول خرجت عن حقيقتها وطبيعتها وحلت محلها صورة خيالية، أما الصورة عند عنترة فما زالت في موضعها وعلى حقيقتها لم يحل محلها شيء؛ لأن الفرس لا يزال يحمحم لم يخرج عن ذلك. ينظر التصوير البياني ٣٨٣.

(١) **بيان ذلك**: أن الكناية تكون عن موصوف: إذا كان المكنى عنه ذاتًا ملازمة للموصوف سواء أكان لفظ الكناية ذاتًا أم صفة، كقولهم: «أبناء النيل»: يريدون المصريين، وبنات الليل وبنات الشوق وأطفال الحب، وحسّن هذه الكنايات أن الهموم تتوالد وتتكاثر في الليل فكأنها بناته، وكذلك خواطر الحب ونوازع الصبوة، فيها من الوضاءة والطراوة ما يجعلها أقرب إلى البنات والأطفال، وكذا تكنيتهم عن المرأة بالنعجة، كقوله تعالى كناية عن أحد الخصمين ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [سورة ص: ٢٣].

وقوله تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة القمر: ١٣]، كناية عن السفينة وهي موصوفة بكونها ذات ألواح ودسر، وقول عمرو بن معد يكرب: (الكامل) =

وشرطهما: اختصاص المعنى الحقيقي بالمكنى عنه بحسب الظاهر سواء اختص به حقيقة أم لا.

وعند السكاكي:[١]

الكناية إن كانت مناسبة للعرضية:

فتعريض وهو: لفظ قصد به معنى بلا استعمال فيه، كما يقول المحتاج: جئتك لأسلم عليك، فليس بحقيقة، ولا مجاز، بل هو من مستتبعات التراكيب[٢].

= الضَّاربينَ بِكُلِّ أبيضَ مخْذَمٍ ... والطَّاعنينَ مجَامعَ الأضْغَانِ

الأبيض المخذم كناية عن السيف القاطع، وكنى بمجامع الأضغان عن القلوب.

(١) **رأى السكاكي أن**: التعريض والرمز والإيماء والإشارة من أنواع الكناية، فمتى كانت الكناية عرضية كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسبًا... وإن كانت ذات وسائط كثيرة كما في كثير الرماد كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسبًا؛ لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بُعد، وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كعريض القفا وعريض الوسادة، كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسبًا، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية قال: (الكامل)

رمزت إلى مخافة من بعلها ... من غير أن تبدي هناك كلامًا

وإن كانت ظاهرة ولا خفاء فيها كان إطلاق اسم الإيماء، والإشارة عليها مناسبًا، كقول البحتري: (الكامل)

أو ما رأيت المجد ألقى رحله ... في آل طلحة ثم لم يتحول

فإنَّه في إفادة أن آل طلحة أماجد ظاهر... مفتاح العلوم ٢٢٤ - ٢٢٥ باختصار - الحلبي الطبعةالثانية ١٩٩٠م.

(٢) التعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح. التعريفات للجرجاني ٨٥.

وهو: طريقة من الكلام أخفي من الكناية، فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني ولا مصاحبة ولا ملابَسَةٌ بين معنى الكلام وما يُراد الدلالة به عليه، إنّما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يُفْهَم ذهنًا بها من توجيه الكلام. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٥٦٣ عبد الرحمن حبنكة الميداني.

وقول الشارح عن التعريض: إنه من مستتبعات التراكيب يؤكده قول ابن الأثير: وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد ألبتة. يعني كالمجاز والكناية. ينظر المثل السائر ٣/ ٥٧.

وإن لم يكن مناسبة للعرضية فإن كثرت الوسائط في الانتقال كما في: كثير الرماد، كناية عن المضاف:

فتلويح(١).

وإن قلت مع خفاء في اللزوم:

فرمز(٢).

وبلا خفاء:

فإيماء، وإشارة(٣).

[المجاز أبلغ من الحقيقة]

واتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة والاستعارة، والمصرحة أقوى من التشبية(٤).

---

(١) **وعليه فالتلويح**: كناية تكثر فيها الوسائط بلا تعريض، فجبن الكلب في قوله: جبان الكلب كناية عن كرم الرجل بأسلوب التلويح.

(٢) وعلى ذلك فالرمز هو: كناية قليلة الوسائط، خفيّة اللوازم، أو الكناية القائمة على مسافة قريبة فيكون فيها الخفاء نسبيا كأن نقول: عريض الوسادة كناية عن أنّه أبله.

(٣) الإيماء أو الإشارة: كناية تتوسط بين التلويح والرمز بقلة الوسائط فيها وبوضوح نسبي في العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد، كقول أبي تمام: (الوافر)

أبين فما يزرن سوى كريم ... وحسبك أن يزرن أبا سعيد

فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف كان إطلاق اسم الإيماء والإشارة عليها مناسبا وكقول البحتري: (الكامل)

أو ما رأيت المجد ألقى رحله ... في آل طلحة ثم لم يتحول

فإنه في إفادة أن آل طلحة أماجد ظاهر.

(٤) **اختلف العلماء في كون الكناية حقيقة أو مجازًا، فقال بعضهم**: إنها مجاز لأن اللفظ فيها مستعمل في غير ما وضع له، فقد أطلق وأريد به غير معناه الأصلي، **ورأى بعضهم**: أنها حقيقة، لأنها استعملت فيما وضعت له وأريد بها الدلالة على غيره ولم تخرجه عن أن يكون مستعملًا فيما وضع له...، **أما** =

والكنايةِ أبلغ من التصريح باعتبار تأكيد الدلالة، وزيادتها، لا باعتبار زيادة في المدلول، كما لا يخفي.

وإنما كان أبلغ لأن الانتقال فيه من الملزوم إلى اللازم، فهو كدعوى الشيء ببينة؛ لأن وجود الملزوم شاهد بوجود اللازم، وهذا ظاهر(١).

= **جمهور البلاغيين ويمثلهم الخطيب**: فرأوا أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز، فهي ليست حقيقة، لأن اللفظ لم يقصد به المعنى الحقيقي بل أريد لازمه، وليست مجازًا، لأن المجاز لا بد فيه من قرينة مانعة والكناية قرينتها غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، مع ملاحظة أنه ليست كل كناية يصلح فيها إرادة المعنى الحقيقي، فهناك كنايات لا يصلح فيها ذلك.

كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، فقد أرادوا الكناية عن البخل، جل الله تعالى عما يقولون، واليد بمعناها الحقيقي تستحيل في حقه سبحانه، وكذا قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: ٥]، فالمعنى الحقيقي للاستواء وهو «الجلوس» يستحيل في حقه سبحانه، ومِن ثَمَّ فالمراد هو المعنى الكنائي وحده، وهو الاستيلاء والسيطرة والتملك، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [سورة الزمر: ٦٧]، فهو كناية عن عموم قدرته سبحانه.

(١) فمصطلح الكناية يدل لغة على الخفاء وهذا الخفاء وراءه دلالة أبلغ من التصريح به؛ لذلك قال عبد القاهر «ليس المعنى إذا قلنا (**إن الكناية أبلغ من التصريح**)، أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وآكد وأشد، فليست المزية في قولهم: (جَمُّ الرماد) أنه دل على قرى أكثر، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجابًا هو أشد وادعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق» دلائل الإعجاز ٧١. ويذكر ويصرح به وأن شأوه في حذفه، وبلاغته في عمق الدلالة عليه وإثبات دليله، وهذا ما حققه عبد القاهر في موطن آخر حين قال «أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزيةٌ لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غُفلًا، وذلك أنك لا تدعي شاهدَ الصفة ودليلها إلَّا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يُشك فيه ولا يُظنُّ بالمخبر التجوزُ الغلط» دلائل الإعجاز ٧٢.

وهذا يستدعي أن نشير إلى: الفرق بين طريق الكناية في أداء المعاني وطريق المجاز في ذلك

ولقد وفق البلاغيون في أسلوب الكناية حين قالوا: إن الفرق بينها وبين المجاز:

- **أن المجاز** فيه قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وأن المعول فيه على حديث النقل، كما سبق.
- **والكناية** وإن كانت فيها قرينة إلَّا أنها ليست مانعة فقد يصح فيها إرادة المعنى الحقيقي... =

وقيدت الاستعارة بما ذكرته لإخراج المكنية والتخلية؛ إذ ليسا من أنواع المجاز على المختار عند الخطيب.



= فالقرينة فيها قرينة السياق، فلا معنى لأن يخبر عن كثرة الرماد إلَّا إذا كان هناك مقصد آخر دل عليه معنى ما ذكرت.

والعلاقات فيها: سلوكية كالعادات والأغراض، فالرابط بين الكرم وكثرة الرماد، العادة والسلوك العربي؛ لذلك نجد أن أسلوب الكناية استوعب الحياة التي عاشها القوم والمجازات والتشبيهات متأثرة بالبيئة فحسب، فالذي أخذ صورة الأصل العربي هو أسلوب الكناية؛ لذلك كانت عندهم أبلغ من التصريح مع ما فيها من براعة.

ذكر الزركشي من كناياتهم: فلان عفيف الإزار، طاهر الذيل، ولم يُخْصن فرجه، وفي الحديث «كان إذا دخل العشر أيقظ أهله وشد المئزر «فكنوا عن ترك الوطء بشد المئزر، وعن الجماع بالعسيلة في قول النبي ﷺ لامرأة رفاعة القرظى: حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. وعن النساء بالقوارير «رفقًا بالقوارير» لضعف قلوب النساء، والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة... وغير ذلك كثير...

[علم البديع][1]

٩٠- عِلْمُ الْبَدِيْعِ وَهْوَ تَحْسِيْنُ الْكَلَامِ   بَعْدَ رِعَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْمَقَامِ

---

(١) **توطئة عن التعريف بعلم البديع:**

جاءت الألوان البديعية في الشعر القديم والنثر عفو الخاطر دون إعمال فكر وكدِّ ذهن، بل كانت مما يستدعيه المعنى استدعاء، وكانت تصدر عن الشعراء عن فطرة وسليقة، وقد زخرت النصوص القديمة المخضرمة بتلك الصور دون أن يعرف أصحابها أسماءها ولا أقسامها، ومن ذلك قول امرئ القيس يبالغ في وصف فرسه: (الطويل)

فَعادى عِداءً بَينَ ثَورٍ وَنَعجَةٍ   دِراكًا فلَم يُنضَح بِماءٍ فَيُغسَلِ

هذا في المبالغة، ومنه في ردِّ عجز الكلام على صدره قول امريء القيس أيضا: (الطويل)

إذا المَرءُ لَم يَخزُن عليهِ لِسانَهُ   فَلَيسَ عَلى شَيءٍ سِواهُ بِخَزّانِ

ويقول زهير في باب المطابقة: (البسيط)

لَيثٌ بِعَثَّرَ يَصطادُ الرِجالَ إذا   ما كَذَّبَ اللَيثُ عَن أَقرانِهِ صَدَقا

وكثير من هذا يدل على وجود صور البديع في الشعر القديم.

انتشر هذا اللون وكثر في القرن الثالث الهجري، كما هو جلي في شعر بشار ومسلم بن الوليد، وأبي نواس وغيرهم ممن اهتموا بجمال الصورة الشعرية اهتمامًا بالغًا، حتى ليخيل إلى من لم يكن له معرفة بكلام العرب أن هؤلاء أتوا بما لم يأت به أحد سواهم، مما حفَّز بعض العلماء إلى بيان أن هؤلاء المجددين لم يأتوا بما أتوا به من فراغ، وإنما كان له جذوره الممتدة في أعراق ألوان الكلام البليغ - كما سبق، فابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) وهو الشاعر المرموق يقول في كتابه «البديع»: «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله (ﷺ) وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارًا ومسلمًا وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم، وقد احتوى كتاب ابن المعتز هذا على ثمانية عشر لونًا من ألوان البديع، خمسة منها ذكرها الجاحظ قبله وهي: **الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها «الصدور»، والمذهب الكلامي.**

علم البديع[1] **وهو**: علم يعرف به وجوه:

تحسين الكلام بعد رعاية الوضوح: للدلالة بالخلو عن التعقيد المعنوي.

و: المطابقة.

المقام: فلا تعتبر المحسنات وتعد محسنة للكلام إلا بعد رعاية الأمرين حتى يخرج

= **وثلاثة عشر لونًا من تسميته هو، وهي**: الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجدِّ، وحسن التضمين، والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعنات الشاعر نفسه في القوافي، وحسن الابتداء، وبعد ذلك تتابع التأليف في هذا الفن البلاغي، وتتابعت الإضافات، فرأينا قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) يؤلف كتابه «نقد الشعر» ويذكر سبعة وعشرين نوعًا، توارد مع ابن المعتز في سبعة منها وانفرد بعشرين، وابتكر أبو هلال العسكري (ت٣٩٤هـ) على ما سبق ستة أنواع، ثم أضاف ابن رشيق (ت ٤٦٣هـ) أنواعًا أخرى، **وهكذا نلحظ أن كلمة «البديع»** كلمة عامة تتسع لكل أنواع علوم البلاغة بحسب وضعها الأخير «المعاني - البيان - البديع» عند علماء البلاغة كابن سنان (ت٤٦٦هـ) وعبد القاهر (ت٤٧٥هـ) - والسكاكي (ت ٦٢٦هـ) أول من أطلق «علم المعاني» على المباحث إلى بحثها فيه، وأول من حكم على «علم البيان» بأنه منزل من علم المعاني منزلة المركب من المفرد، كما أنه أول من فرق بين هذين العلمين، ولكنه لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العلمين السابقين، بل إنها تشارك مسائلهما في تزيين الكلام بأبهي الحلل. والوصول به إلى أعلى درجات التحسين، وجاء بدر الدين بن مالك (ت٦٨٦هـ) فسمى هذه المحسنات «علم البديع» وذلك في كتابه: المصباح، وجاء الخطيب القزويني (ت٧٨٠هـ) فعرفه بالتعريف المعتاد الذي نقف عنده بالدراسة بعد قليل.

(١) **المعنى اللغوي لكلمة «بديع»**: تبين مما سبق أن هذه الكلمة من مادة «بدع»، ومعناها يدور حول الجدة والحداثة والإنشاء على غير مثال سابق.

فقد جاءت في شعر حسان بمعنى الجديد المخترع، قال: (البسيط)

قَومٌ إِذا حارَبوا ضَروا عَدُوَّهُمُ ... أَو حاوَلوا النَفعَ في أَشياعِهِم نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تِلكَ مِنهُم غَيرُ مُحدَثَةٍ ... إِنَّ الخَلائِقَ فاعلَم شَرُّها البِدَعُ

ووردت في القرآن الكريم بمعنى جمال المنشأ وحسن البدء على غير مثال. قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة: ١١٧]، ووردت في الحديث الشريف بمعنى الطيب والجديد، قال (ﷺ): «إن تهامة كبديع العسل حلو أوله وحلو آخره» وذلك لطيب هوائها...

وهو عند البلاغيين: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة على المعنى المراد.

بالأول عن عهدة البيان، وبالثاني عن عهدة المعاني، وإلا لكان كتعليق الدر على الخنازير[١].

---

(١) معنى هذا أن البديع لا يكون إلا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال (خصيصة علم المعاني) ووضوح الدلالة على المعنى المراد (خصيصة علم البيان، فلو فُقد الشرطان أو أحدهما من الكلام لم يكن العلم بوجوه التحسين من البديع، كما سيأتي خلال الدراسة والشواهد.

نسبة البديع من المعاني والبيان:

أشرت إلى أن التحسين لا يكون إلا من بعد مطابقة ووضوح دلالة، وهذا يعني أن نسبة البديع من المعاني والبيان نسبة المركب من المفرد، والمركب لا يستقيم إلا بتحقيق المفردات على نحو خاص، كذلك لا يستقيم البديع بغير المعاني والبيان، فإن وُجد قول خال من المطابقة، أو وضوح الدلالة لم يكن بديعًا وإن جمع كل ضروب التحسين والتحبير، يضرب أهل العلم لذلك مثلًا بقولهم: «إنَّ يَزِيدَ لَيَزِيدَنَّ ظُلْمًا إذا أَنَّ المظلومُ مِن أذَى» وذلك إذا قيل هذا لمن لا ينكر أو يتشكك في ذلك، على الرغم مِن أن هذا المثال اشتمل على تجنيس مكثف بين: «إنَّ - أَنَّ» «يزيد - لَيَزِيدَنَّ» «ظُلْمًا - المظلوم»، «إذا - أذى» فإن هذا المثال لا يُعَدُّ من البديع لفقده شروط المطابقة لمقتضى الحال، والكلام الذي لا يطابق المقام يخرج من البلاغة عامة، لأن بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، على اختلاف علومها (المعاني، البيان، البديع).

البديع بين الذاتية والعرضية:

إذا كان لا يتجلى إلا بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة فمعنى ذلك أنه ليس عرضيا كما يدعي البعض، ولذلك وجب هنا التدليل على أنه ذاتي، وبيان ذلك كما يأتي: البديع ليس ذنَبًا من أذناب البلاغة ولا عَرَضًا من أعراضها، كما يدعى بعض المتأخرين بل الحاجة إليه ماسة في سياقه حيث يضفي على الأسلوب ما لا يتم المعنى إلا به. ومن ثم تراه في مواطن ولا تراه في أخرى باعتبار مسمياته التي أطلقها العلماء، ولا مجال للاصطلاحات أو المسميات الجديدة فيكفي أن يتعلم الدارس ما كتبوه ليعرف خصوصيات كل كلام من خلال فهمه لهذه الفنون، **ولا يخفي ما لهذا العلم من مكانة في تراث السابقين،** فقد جعله الجاحظ من خصوصيات لغة العرب فقال: «والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ورأبت على كل لسان»، وأطلقه على فنون البلاغة المختلفة، وكذلك ألَّف فيه ابن المعتز وقدامة ابن جعفر كما سبق، وعقد أبو هلال له بابًا في كتاب الصناعتين وذكر بعض صور البديع وقال عنها: «فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا روية ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها وأن القدماء لم يعرفوها»، كذلك الإمام عبد القاهر أطلقه على مختلف فنون البلاغة حيث قال: «وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع...، وسمى أسامة بن منقذ كتابه «البديع في البديع في نقد الشعر» وجمع فيه خمسة وتسعين فنًا بلاغيًا، وسار ابن أبي الإصبع المصري على خطاه في كتابيه «بديع القرآن» و«تحرير التحبير». =

[أضرب التحسين:
أولا: التحسين اللفظي]

والمحسن:

٩١- ضَرْبَانِ: لَفْظِيٌّ؛ كَتَجْنِيْسٍ، وَرَدّ، وَسَجْعٍ، أَوْ قَلْبٍ وَتَشْرِيْعٍ وَردْ

ضربان[1]:

= فالبديع في القرون الستة الأولى للهجرة كان يدل على فنون البلاغة المختلفة حتى جاء عصر السكاكي فقسم البلاغة إلى هذه العلوم وأفرد بعض الموضوعات وسماها وجوهًا يصار إليها لتحسين الكلام وقسمها لفظية ومعنوية، ولكن بدر الدين ابن مالك أول من أطلق مصطلح البديع على هذه الوجوه والمحسنات، ودراسة هذه المحسنات خير شاهد على أنه تحسين ذاتي لا عرض كما رأينا في أول مباحثه (الطباق..) فإذا كان الغرض من التقابل في مثل قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [سورة الحديد: ٣]، طلاقة الملك والقدرة في أسمى معانيها فإن ذلك لا يتم إلا بالجمع بين الأضداد، ولا يجمع بينها غيره سبحانه، كما جمع بين الإحياء والإماتة في مثل قوله تعالى: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾ [سورة الحديد: ٢]، فإن الطباق حكم في مثل هذه الأمور ولذلك أدرجه الفخر الرازي ومعه المقابلة فيما أسماه الإمام عبد القاهر «باب في النظم يتحد فيه الوضع ويدق فيه الصنع» مما يؤكد أنهما والمحسنات التي سارت على دربهما من مقتضيات الأحوال وموجبات الأغراض، وعلى ذلك نقول بيقين لا شك فيه إن التحسين ذاتي؛ لأنه مما يستدعيه السياق ويقتضيه المقام، ولذلك أيضًا يقول عنه الإمام العلوي «اعلم أن هذا الفن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب، ولا يكون واقعًا في المفردات، وهو خلاصة علمي المعاني والبيان ومصَّاصُ سُكَّرهما.. فهو صفو الصفو وخلاص الخلاص» [الطراز: ٣/ ٣٤٧]

(١) قسَّمَ العلماء المحسنات إلى محسنات ترجع إلى المعنى وأخرى إلى اللفظ، والقول بأن التحسين لفظي لا يعني إهدار جانب المعنى، والقول بأنه معنوي لا يعني إهدار جانب اللفظ، فالعناية بالألفاظ إنما هي خدمة للمعاني، وتشريف لها.

والمهم أن:

١ - **المحسنات المعنوية**: هي التي يكون التحسين فيها راجعًا إلى المعنى أولًا، ويتبعه تحسين اللفظ ثانيًا. =

أحدهما: **لفظي**: وقدمه النظم عكس صنيع أصله[١]؛ لأنه أقل أنواعًا بحسب ما ذكره.

[التجنيس وأنواعه]

كتجنيس[٢] وهو: تشابه اللفظين: تامًا أو غيره.

= - كيف نعرفها من غيرها؟

نعرفها بأن اللفظ لو غُيِّر بما يرادفه لبقي المحسن كما كان قبل التغيير، ففي قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النجم: ٤٣-٤٤]، طباق بين (أضحك وأبكى - وأمات وأحيا) وهو محسن معنوي، وعلامة ذلك أننا لو غيرنا اللفظ بمرادفه - في غير القرآن - فوضعنا في مكان أضحك «سَرَّ» وفي مكان أبكى «أحزن» مثلًا، لم يتغير المحسن الذي خلعه الطباق على الكلام.

٢- **والمحسنات اللفظية**: هي التي يكون فيها التحسين راجعًا إلى اللفظ أولًا، ويتبعه تحسين المعنى ثانيًا.

كيفية معرفتها:

تعرف بأنه لو غُير أحد اللفظين بما يرادفه زال ذلك المحسن، فمثلًا في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [سورة الروم: ٥٥].

جناس بين لفظي (ساعة وساعة) وهما كلمتان اختلفتا في المعنى، واتفقتا في نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها، فهو جناس تام.

والجناس محسن لفظي، وعلامة ذلك أننا لو غيرنا اللفظ الأول مثلًا بمرادفه، ووضعنا مكانه «يوم القيامة» لتغير المحسن الذي وضعه الجناس على الكلام.

- فهذه تسميةٌ (معنويةٌ - ولفظيةٌ) منظورٌ فيها إلى جانب الاستهلال لا جانب الاشتمال، فالتحسين اللفظي يطوي في أحشائه تحسينًا للمعنى، وتسميتها لفظية لأنها تثقيف في البنية اللفظية والصوتية، وتسمية الأخرى معنوية، لأنها ضروب من الصنعة متجهة إلى المعاني من حيث تناسبها، أو تقابلها، أو تشاكلها ونحو ذلك من ضروب هذا الفن.

(١) أي قدمه على عكس ما صنع البلاغيون؛ حيث بدأوا بالمحسنات المعنوية

(٢) يقال له أيضًا المجانسة بمعنى المفاعلة، لأن كلا من الطرفين يشابه ويماثل الآخر، فالمشاركة كائنة بينهما.

مفهومه الاصطلاحي: تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى. **والتشابه بين الكلمتين يكون في**: =

والتام: ما اتفق التشابه لهما في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها.

[والجناس التام قسمان]:

[١- التام المماثل][(١)]:

إن اتفقا كذلك، وكانا من نوع واحد: كاسمين [٢٠أ] سمي: متماثلًا؛ إذ التماثل: الاتحاد في النوع نحو [قوله تعالى]: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [سورة الروم: ٥٥][(٢)].

= ١- نوع الحروف.

٢- ترتيبها.

٣- عددها.

٤- ضبطها (الحركات).

فإن كان التشابه بين الكلمتين من هذه الجهات الأربع سمي التجنيس تامًا، وبعضهم يسميه كاملًا، وإن نقص التشابه في شيء من هذه الأربع لم يكن تامًا، **والتجنيس** شأنه شأن كل فنون البلاغة، لا يستمد جماله من ذاته حيث حَلَّ، وإنما مع انسجامه مع بقية الفنون، ومع المعنى الذي يسعى إلى بنائه وتشكيله وتحبيره.

(١) توضيح ذلك: التام المماثل: وهو ما كان طرفاه من نوع كلميٍّ واحد، اسمين أو فعلين، أو حرفين.

(٢) هذا جناس تام مماثل **لأنه جاء بين اسمين** (الساعة - ساعة) الأولى هي القيامة، والثانية هي المدة الزمنية، أما قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [**سورة القمر**: ٤٦]، فليس من التجنيس، لاتفاقهما في المدلول، فهو من التكرير.

ومنه قول الشاعر: (الكامل)

لَـكِ يـا مَـنـازِلُ في الـقُـلـوبِ مَـنـازِلُ ... أَقـفَـرتِ أَنـتِ وَهُـنَّ مِـنـكِ أَواهِـلُ

وقوله: (مجزوء الرمل)

حدق الآجال آجال ... والهوى للمرء قتال

فالأول جمع إِجْل وهو القطيع من بقر الوحش، والثاني جمع أَجَل والمراد به منتهي الأعمار.

أما ما كان بين فعلين، فمثل قولهم «لما قال لديهم قال لهم»، فالأول من القيلولة والثاني من القول، وقولهم: فلان يضرب بالبيداء، فلا يضل ويضرب في الهيجاء فلا يكل، فالضرب الأول بمعنى قطع المسافة، والضرب الثاني بمعنى الحمل على الأعداء، **وأما ما كان بين حرفين** فكقولهم: «قد =

[٢- التام المستوفي]:

وإن كان: من نوعين[١] فمستوفي[٢]، نحو[٣]: (الكامل)

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فإنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الله[٤]

[التام المركب]:

وإن كان أحد كلمتيه مركبًا، والآخر مفردًا: سمي جناس التركيب، فإن اتفقا في الخط سمي:

المتشابه: نحو[٥]: (المتقارب)

= يجود الكريم وقد يعثر الجواد» فـ«قد» الأولى للتكثير، والثانية للتقليل، من باب المعنى، لأن الكريم يعرف بالجود، أما الجواد فقلمايعثر، ولذا سمى جوادًا.

(١) أي: مختلفين: اسم وفعل.

(٢) وهو ما كانت فيه المجانسة بين نوعين من الكلمات، نحو أن يكون بين اسم وفعل، كالشاهد الذي ذكره.

(٣) قول أبي تمام.

(٤) اللّفظان المتشابهان فيه من نوعين مختلفين من أنواع الكلام، أحدهما اسم والآخر فعل.
ومنه قول الشاعر: (الطويل)

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى ردِّ أمْرِ الله فيه سبيل

وقول الآخر: (السريع)

إذا رماك الدهرُ على معشر قد أجمع الناس على بغضهم

فدارِهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

وكل هذا تام مفرد.

(٥) قول أبي الفتح البستي، وهو: على بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، أبو الفتح (٤٠٠هـ - ١٠١٠م) شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته. وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة (السلطان محمود، ابن سبكتكين) ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبا في بلدة» أوزجند» ببخارى. له» ديوان شعر - ط» صغير، فيه بعض شعره. وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدون. =

إذا مِـلـكٌ لـم يـكُـنْ ذا هِـبَـه ... فـدعْـهُ فـدَولَـتُـهُ ذاهِـبَـهْ[١]

وإلا فمفروق[٢] نحو[٣]: (مجزوء الخفيف)

كُـلُّـكُـمْ قـدْ أخـذَ الـجا ... مَ ولا جـامَ لَـنـا

مـا الَّـذي ضَـرَّ مـديـرَ الـ ... ـجـام لَـو جَـامَـلَـنـا[٤]

[الجناس غير التام][٥]

وغير التام: إن اختلف المتجانسان في هيئات الحروف فقط سمى:

[١]- **محرفا** نحو: جُبة البرد [جَنة البرد]، بضم الموحدة، وفتحها[٦].

وإن اختلفا في النقط سمي:

[٢]- **مصحفًا**[٧] نحو: عزك غرك[٨].

= وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: «زيادة المرء في دنياه نقصان» الأعلام ٤/ ٣٢٦.

(١) وهو من التام المركب؛ لأن قوله: «ذا هبة» الأول بمعنى صاحب عطاء، وقول «ذاهبة» الثانية بمعنى فانية، وهو مفرد والأول مركب. وهذا من المتشابه في الخط.

(٢) والاختلاف في الخط يجعله جناسًا مفروقًا.

(٣) قول أبي الفتح البستي أيضا.

(٤) الجام: الكأس، ومدير الجام: هو الساقي، وقوله «جاملنا» بمعنى عاملنا بالجميل..والشاهد في «جام لنا - وجاملنا» فقد تجانسا وكل منهما مركب مع اختلافهما في الخط.

(٥) بمعنى: أن يختلف طرفاه في نوع الحروف أو عددها، أو ترتيبها أو ضبطها.

(٦) الجناس هنا هو المحرف؛ حيث اختلف طرفاه في حركات الحروف، كما هو جلي من شاهده، ومنه: الدعاء المعروف: اللهم حسِّن خُلُقي كما حسَّنت خَلْقي. **وكقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة الصافات: ٧٢-٧٣]..

(٧) يقول العصام: ومنه قول المفتاح في التجنيس اللاحق: إنه إذا اتفق المتجانسان كتابة يسمى تجنيس تصحيف. الأطول ٢/ ٦٣٤

(٨) الاختلاف في النقط جعله مصحفا، وهذا القول منسوب لأمير المؤمنين على - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إلى معاوية حين تمرد عن طاعته: (عزّك غرّك فصار قصار ذلك ذلّك فاخش فاحش فعلك تهتدى بهدى) فأجابه =

وإن اختلفا في أعداد الحروف سمي:

[٣]- **ناقصًا** إما بحرف في الأول نحو [قوله تعالى]: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [سورة القيامة: ٢٩-٣٠][١].

وفي الوسط نحو: جدي جهدك.

أو في الآخر نحو: بأسياف قواض قواضب[٢].

وقد سمي هذا مطرفًا[٣].

وأما ما [كان] أكثر من حرف[٤] نحو[٥]: (مجزوء الكامل)

إن البكاء هو الشفا ... ء من الجوا بين الجوانح[٦]

وإن اختلفا في أنواع الحروف فيشترط أن لا يختلفا في أكثر من حرف، وإلا كان سجعًا،

= معاوية بقوله: (على قدري غلى قدري). الأطول ٢/ ٦٣٤.

(١) الاختلاف هنا في الحرف الأول (الساق والمساق)، ومنه قولهم: دوام الحال من المحال.

(٢) هذا من قول أبي تمام: (الطويل)

يَمُدُّون من أيدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ ... تَصُولُ بأسْيافٍ قَوَاضٍ قَواضِبِ

فآخر عواص ياء، وآخر عواصم ميم، وآخر قواض ياء، وآخر قواضب الباء، ومن ذلك ما قاله البحتري: (الطويل)

لئن صدفت عنا فربّت أنفس ... صواد إلى تلك النفوس الصّوادف

فآخر صواد هي إلياء، وعجز صوادف الفاء، مع اتفاقهما فيما عدا ذلك. ينظر أسرار البلاغة ١٧ والطراز ٢/ ١٨٨

(٣) المُطَرَّف» وهو ما كان الحرف الناقص في آخرِ أَحَدِهما، مثل: «سَارٍ» و«سَارِق». و«عَارٍ» و«عَارِف». و«قاضٍ» و«قاضِم». و«جَوارٍ» و«جَوَارِح» كما سبق في بيت أبي تمام.

(٤) أي ما كان الناقص في آخر أحدهما أكثر من حرف، فيسمى(المزيل) لكون مقابله بمثابة ما له ذيل، مثل: «الْجَوى» و«الجوانح». و«الصَّفا» و«الصّفائح». و«القَنا» و«القنابل».

(٥) قول الخنساء ترثي أخاها صخرا.

(٦) الجناس هنا بين: الجوا، والجوانح، من المذيل كما سبق، الجوَى: الحرقَةُ وشدّة الوجد. الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب ما يلي الصدر. ينظر البلاغة العربية للميداني٢/ ٤٩٣.

لا جناسًا.

والحرفان المختلفان نوعًا إن تقاربا مخرجًا:

[٤]- **فمضارع**[(١)] نحو: ليل دامس وطليق طامس[(٢)] [قوله تعالى] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [سورة الأنعام: ٢٦][(٣)].

وفي الآخر نحو: الخيل معقود في نواصيها الخير.

[٥- الجناس **اللاحق**][(٤)]- وإلاّ سمي ناقصًا، سواء كان في الأول نحو [قوله تعالى]: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [سورة الهمزة: ١].

أو في الوسط نحو [قوله تعالى] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [سورة العاديات: ٧-٨].

أو في الآخر نحو [قوله تعالى] ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [سورة النساء: ٨٣].

[جناس القلب][(٥)]:

وإن اختلف لفظ المتجانسين في الترتيب سمي:

---

(١) أي أن المضارع: ما اختلف طرفاه في نوع الحروف مع تقاربهما مخرجًا. كالشواهد التي ذكرها.

(٢) الاختلاف يكون في البداية، أو في الوسط، أو في النهاية. وهذا ميسور المعرفة كما في الشواهد.

(٣) ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٥﴾ [سورة غافر: ٧٥]. «تفرحون» و«تَمْرحُون» متشابهان باختلافٍ في حرف واحد هو «الفاء» في اللفظ الأول، و«الميم» في اللفظ الثاني، وهما حرفان متقاربان. **ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣].

(٤) الشواهد التي ذكرها هنا تندرج تحت هذا النوع الذي يسمى: اللاحق، وهو من أنواع الجناس غير التام، «الجناس اللّاحِق»: وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما غَيْرِ مُتَقاربَيْنِ في النُّطْق، في الأوّل أو الوسط أو الآخر. على ترتيب الشواهد المذكورة عنده.

(٥) وهو: ما اختلف طرفاه في ترتيب الحروف نحو: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا». والشواهد الأخرى المذكورة، ونحوها..

جناس القلب نحو:

حسامه فتح لأوليائه حتف على أعدائه

ويسمى هذا قلب كل.

ونحو: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ويسمى:

قلب بعض.

[الجناس المجنح]

وإذا وقع أحد المتجانسين أول البيت والثاني آخره سمي مجنحا نحو[١]: (مجزوء الكامل)

قد لاح أنوار الهدى   من كفه في كل حال[٢]

[الجناس المزدوج]

وإذا ولي أحد المتجانسين أي كان مجانسه الآخر سمي:

مزدوجًا، ومكررًا، مردودًا، نحو: [قوله تعالى] ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النمل: ٢٢][٣].

---

(١) لا يعرف قائله.

(٢) وقع أحد المتجانسين في أول البيت، والآخر في آخره، ويسمى (مقلوبًا مجنحًا) كأنه ذو جناحين (لاح، حال).

(٣) ونحوه: قولهم: «مَنْ جَدَّ وَجَد» -«من قرعَ بابًا ولَجَّ وَلَجَ».

تتمة:

ويلحق بالجناس نوعان:

١- **الجناس الاشتقاقي:** وهو أن يكون طرفاه بينهما اشتقاق أصغر، بمعنى أن يتفقا في نوع الحروف وترتيبها، كقوله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

٢- **المشابهة:** أي ما يشبه الاشتقاق وليس به، وهو أن يكون طرفاه من أصلين مختلفين متفقين في =

[رد العجز على الصدر]

ورد: عجز على صدر وهو:

أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما أول الفقرة والآخر آخرها[١].

نحو [قوله تعالى]: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

ونحو: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل[٢].

ونحو [قوله تعالى]: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة نوح: ١٠].

وفي النظم: أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو صدر المصراع الثاني، ويحصل له ستة عشر وجهًا، حاصلة من ضرب أربعة في أربعة، وذكرت أمثلتها في المطولات.

ومثال ما أحد المذكورين في الصدر والآخر في الضرب[٣]:

= نوع الحروف وترتيبها، **كقوله تعالى**: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٦٨]، الأولى من القول والثانية من القَلا أي البغض، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الرحمن: ٥٤].

(١) ولا بد وراء ذلك من دلالة بلاغية، كالحث على الخشية لله، والتنبيه، وتحفيز الهمم نحوها في قوله تعالى: وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» وهكذا لكل قول دلالة، وليس مجرد رسوم للكلمات...

(٢) **فسائل الأول: من السؤال، وسائل الثاني: من السَّيلان.**

(٣) قائله: الأقيشر كما هو منسوب في كتب البلاغة، منها: دلائل الإعجاز، ومفتاح العلوم، وفيه ضرب من التأنيب، ولفت النظر إلى ما يتحلي به من بخل في جانب، وسوء خلق من جانب آخر، فقد قيل في سبب هذا البيت والذي بعده: سأل الأُقَيْشَرُ ابْنَ عَمٍّ له موسرًا، فمنعه ولم يُعْطه، فشكاه إلى قومه وذمَّه، فوثَبَ إليه ابْنُ عمِّه ولطمه، فقال فيه الأُقَيْشر: (الطويل)

سَرِيعٌ إلى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ... وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ =

سريع إلى ابن العم يلطم خده ... وليس إلى داعي الندا بسريع

[السجع][1]

وسجع: في نثر عن القرآن فلا يقال فيه أسجاع؛ تأدبًا، بل يقال فيه فواصل. والقول بأن المنع من إطلاق السجع فيه لعدم الأذن شرعًا، رده السعد[2] بأن مثله لا يتوقف على ورود السمع به، وهو كالقافية في الشعر[3].

= حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ ... وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ

ومن شواهده في الشعر أيضا قول الشاعر: (الوافر)

تمتع من شميم عرار نجدٍ ... فما بعد العشية من عرار

وكقول جرير: (الكامل)

زَعَمَ الفَرَزدَقُ أَن سَيَقتُلُ مِربَعًا ... أَبشِر بِطولِ سَلامَةٍ يا مَربَعُ

وقول الشاعر: (الطويل)

وإن لم يكن إلا معرج ساعة ... قليلًا فإني نافع لي قليلها

(١) **المدلول اللغوي:**
السجع: الاستواء، يقال: سجع يسجع سجعًا، استوى واستقام وأشبه بعضه بعضًا، وسجع الحمام، هدل على جهة واحدة، ويراد به موالاة صوتها على طريق واحد.

(٢) ينظر المطول ٢/ ٤٨٠.

(٣) معنى هذا: أن الفواصل خاصة بالقرآن، كما أن الأسجاع خاصة بالشعر.
وذكر العلماء في ذلك كلاما كثيرا، أوجز السيوطي الكثير منه، **فقال**: وهي الطريقة التي يباينُ القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل ما بينها وبين ما بعدها، وأخْذا من قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ **[سورة فصلت: ٣]**، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعًا، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسْمَ الشعر وجب سلْبُ القافية عنه أيضًا، لأنها منه، وخاصةٌ به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه، ثم تحدث عن اختلاف العلماء فيه فقال:
وهل يجوزُ استعمال السجع في القرآن، خلاف:
- **الجمهور على المنع**؛ لأن أصله: من سجع الطَّيْر، فَشُرفَ القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأن القرآن من صفاته =

= تعالى، فلا يجوز وصْفُه بصفة لم يرد الإذن بها، قال الرماني في إعجاز القرآن: ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقول في القرآن.

سجع، وفرَّقُوا بينهما: بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم مجال المعنى عليه، والفواصل التي تَتْبَع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها، **قال**: ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبًا، وتبعه على ذلك أبو بكر الباقلاني.

وقال الخفاجي في سر الفصاحة: قول الرماني: إن السجعَ عَيْب والفواصل بلاغة غلط، فإنه إن أراد بالسجع ما يَتْبَعُ المعنى - وهو غير مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له - وهو مقصود متكلف - فذلك عيب، والفواصل مثله، **قال**: وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعًا - رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غَرَضٌ في التسمية قريب، والحقيقة ما قلناه، **قال**: والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل، **قال**: فإن قيل: إذا كان عندكم أن السجع محمود فَهلا وَرَدَ القرآنُ كله مسجوعًا، وما الوجه في ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع، قلنا، إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى عُرْفهم وعادتهم، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامُه كله مسجوعًا، لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لاستماع طول الكلام، فلم يَرِدْ كله مسجوعًا جريًا منهم على عُرْفِهم في اللطيفة الغالبة من كلامهم، ولم يخل من السجع، لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة السابقة. معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٢٥.

والذين أثبتوه، ولم يعدوه عيبا احتجوا بأن الرسول - ﷺ - قيد الإنكار بالتشبيه: ((كسجع الكهان؟)) ولو كان الإنكار لذاته لقال: «أسجعًا» فقط. الأمر الذي يعني أن النهي منصب على سجع الكهان. كما أن إثبات السجع في القرآن صحيح؛ لأنه مما يبين به فضل الكلام، ولأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات، ثم إنه لا سببَ للفصل بين الفاصلة والسجع، فالفاصلة أو السجع في القرآن تؤدي دورها تمامًا كما تؤديه في غيره من الكلام الفني الجميل.

ومنهم التنوخي (ت٧٤٨)، **يقول**: «أما مَن عاب السجع مطلقًا، فمخطئ؛ لأن السجع كثير في كتاب الله وفي كلام النبي - ﷺ - والفصحاء كقس وسَحبان، وإنما يُعاب السجع إذا احتاج متكلفه إلى تنقيص المعنى أو زيادته، فالذي فاته من المعنى يَقبُح، وترك السجع لا يقبح، فيكون حينئذٍ السجعُ قبيحًا لاستلزام القبح. وبهذا يُجاب عن قول النبي - ﷺ: ((أسجعًا كسجع الكهان؟))، فإنه لو عاب السجع مطلقًا لَمَا نطق به، ولا يمكنه أن يعيبه مطلقًا؛ لمجيئه في كتاب الله تعالى كثيرًا. فالمعيب إذًا هو سجع مخصوص، وهو الذي مثَّله بسجع الكهان، وهو الذي ينقص المعنى أو يزيده» ينظر الأقصى القريب في علم البيان ٥١٦ تحقيق د/ هشام عبد العزيز الشرقاوي ٢٠١٧م. =

فالسجع: اللفظ المتواطئ في أواخر النثر.

قال في الإيضاح(١):

السجع: تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد(٢).

والحاصل كما قال السعد: إن السجع يطلق على الكلمة الأخيرة من الفقرة [٢٠ب] باعتبار توافقها لمثلها من الفقرة الأخرى، وعلى نفس توافقهما ومرجع المعنيين واحد انتهى(٣).

وهو مختص بالنثر على المشهور.

[أقسام السجع]:

وله ثلاثة أقسام:

[١]- مطرف(٤).

[٢]- ومرصع(٥).

= هذا إيجاز لبعض أهل العلم في الخلاف في تسمية ما في القرآن: فواصل، أو أسجاع، الأرجح والأفضل أن تسمى فواصل باعتبار التعريف؛ لأنه تواطؤ الفاصلتين على حرف واحد، ولم يقل أحد تواطؤ السجعتين.

(١) ينظر بغية الإيضاح ٤/ ٧٨.

(٢) **والمراد بالفاصلة**: الكلمة الأخيرة من القرينة، والقرينة هي: الجملة أو الفقرة.
والمراد بالحرف الواحد: الروي، وهو الحرف الأخير من كل فاصلة، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص: ١]، الآية كلها قرينة وكلمة (أحد) فاصلة، وحرف الدال هو الروي.

(٣) ينظر المطول ٢/ ٤٧٩.

(٤) وهو: ما اختلفت فيه الفاصلتان وزنًا واتحدا رويًا، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [سورة نوح: ١٣-١٤]، والمراد به الوزن العروضي فـ(وقار) على وزن فعولن، و(أطوارا) على وزن مستفعلن، وحرف الروي واحد.

(٥) وهو: ما اتفقت فيه كلمات الفقرتين أو أكثرها وزنًا ورويا، كقولهم: يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

[٣]- ومتواز[1].

وأحسن السجع:

ما تساوت قرائنه في الحروف نحو [قوله تعالى]: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الواقعة: ٢٨-٢٩].

ثم ما طالت قرينته الثانية نحو [قوله تعالى] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [سورة النجم: ١-٢].

أو الثالثة نحو [قوله تعالى] ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الحاقة: ٣٠-٣١]

ولا يحسن أن يؤتى بعد قرينة السجع بقرينة أقصر منها، قصرًا كثيرًا، لا قليلًا، فلا يرد [قوله تعالى] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفيل: ١-٢].

والأسجاع مبنية على سكون الآخر، نحو:

---

(١) وهو: **ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنًا ورويًا، كقوله تعالى:** ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الغاشية: ١٣-١٤]. وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**اللهم إني أدرأ بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم**».

وثمة أنواع أخرى ذكرها العلماء، وهي:

- **المتوازن**: ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنًا واختلفتا رويًا. كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الغاشية: ١٥-١٦].

المماثل: ما اتفقت فيه كلمات الفقرتين أو أكثرها وزنًا لا رويًا، كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة الصافات: ١١٧-١١٨]، وهذه الأنواع تكون في الشعر أيضًا إلا أنها قليلة.

ومنه: ما يكون في الشعر وحده، نوعان:

١- **التشطير**: أن تكون في كل شطر فاصلتان اتفقتا رويًا. كقول أبي تمام: (البسيط)

تَدبيرُ مُعتَصِمٍ بِاللَهِ مُنتَقِمِ ... لِلَّهِ مُرتَغِبٍ في اللَهِ مُرتَقِبِ

حيث تركب الشطر الأول من فقرتين متفقتين في الميم، والثاني من فقرتين متفقتين في الباء.

٢- التصريع وهو: اتفاق العروض والضرب في الروي. كقول أبي فراس: (الوافر)

بأطراف المُثَقَّفةِ العوالي ... تَفَرَّدْنا بأوساطِ المَعالي

«مَا أَبْعَدَ مَا فَاتْ، وَمَا أَقْرَبَ ما هُو آتْ».

ولولا السكون فات السجع[١].

[القلب]

وقلب: وهو كون الكلام بحيث لو عكس، وبدئ بحرفه الآخر إلىٰ الأول كان الحاصل من الكلام الأول بعينه نحو [قوله تعالى]: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [سورة المدثر: ٣]، ونحو [قوله تعالى]: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [سورة يس: ٤٠][٢].

ونحو[٣]: (الوافر)

مَـــوَدَّتُـــهُ تَـــدُوْمُ لِـكُــلِّ هَـــوْلٍ   وَهَــلْ كُــلٌّ مَــوَدَّتُــهُ تَـــدُوْمُ؟[٤]

---

(١) هذا إيجاز لما ذكره الخطيب، والشراح، وفيه يقول: واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفا عليها؛ لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف، ألا ترى أنك لو وصلتَ قولهم: «ما أبعد ما فات، ما أقرب ما هو آتٍ» لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب، فيفوت الغرض من السجع. ينظر بغية الإيضاح ٤/ ٨١ وذلك لأن (فات) تكون مفتوحة الآخر، و(آت) منونته، فلا تكون فاصلة، وعليه فلا يحصل الغرض إلا بالوقف.

(٢) ويسميه بعض العلماء «**العكس اللّفظي**» وهو أن يُقْرأ الكلام من آخره إلى أوّله كما يُقْرأُ من أوّله إلى آخره، والمعتبر فيه الحروف المكتوبة لا الملفوظة، وهو فنّ لا يَعْدو أن يكون مهارة شكليّة لفظيّة، لا يرتبط به معنى، وتكلُّفُه قد يُفْسِد المعاني المقصودة. البلاغة العربية أسسها وعلومها ٨٦٣.
ومن شواهده: **قول العماد الأصبهاني للقاضي الفاضل**: سر، فلا كبا بك الفرس، وقولك: أرض خضراء ورمح أحمر، ونحو ذلك وهو كثير.

(٣) **قَوْلِ الْقَاضِي الْأَرَّجَانِيِّ**: من [**الوافر**] ينظر: ديوانه ٣/ ١٢٣٤، والإيضاح ٦/ ١١٣

(٤) فإنه يقرأ من النهاية كما يقرأ من البداية، والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف) وبالعكس أيضا، ولذا تحقق القلب في كُلٍّ فِي فَلَكٍ لأن المعتبر هو الحرف المكتوب، والحرف المقصور في حكم الممدود كذلك، ولهذا تحقق القلب في أرض خضراء، إذا لا اعتداد برقم الهمزة بل هو في حكم النقط، ولا اعتداد بالنقط، حتى إنه ذكر الشارح المحقق في المختصر أن في شكس قلب، وجعله فارقا بين جناس القلب والقلب، وقال: ومن موجبات الفرق أن جناس القلب يوجب ذكر اللفظين جميعا =

[التشريع]

وتشريع: ويسمى: التوشيح[١]، وذا القافيتين، وهو: بناء البيت على قافيتين فصاعدًا، بحيث يصح المعنى على الوقوف على كل منهما، نحو[٢]: (الكامل)

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى ومرارة الأقدار

دار متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غدًا تبا لها من دار

فإن وقفت على الردى، أو على غدا، فهما الضرب الأول من الكامل[٣]، أو على الأكدار، ودار، فمن الضرب الثاني[٤].

= بخلاف القلب كما ذكرنا. ينظر المطول٢/ ٤٨١.

(١) لأنه لما كان ما يضاف إلى القافية الأولى زائدا على الثانية سمي توشيحا، لأن الوشاح ما يكون من الحلى على الكشح زائدا عليه، وسبب تسميته تشريعا: أن ما هذا حاله من الشعر فإن النفس تشرع إلى تمام القافية وكمالها. ينظر الطراز٣/ ٤٠.

(٢) قول الحريري ينظر مقاماته الشعرية ٣/ ٩٤.

والحريري هو: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري: الأديب الكبير، (٤٤٦ - ٥١٦هـ = ١٠٥٤ - ١١٢٢م) صاحب» المقامات الحريرية - ط» سماه» مقامات أبي زيد السروجي». ومن كتبه» درة الغواص في أوهام الخواص - ط» و«ملحة الاعراب - ط» و«صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور» في التاريخ. و«توشيح البيان» نقل عنه الغزولي. وله شعر حسن في» ديوان» و«ديوان رسائل»، وكان دميم الصورة غزير العلم. مولده بالمشان (بليدة فوق البصرة) ووفاته بالبصرة. ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه. وكان ينتسب إلى ربيعة الفرس. الأعلام ٥/ ١٧٧

(٣) أي على وضعه الذي هو عليه الآن.

(٤) أي من مجزوء الكامل، وتكون كما يأتي:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ... إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ ... فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدَا

وكقوله: (الكامل)

يأيها الملك الذي عمّ الورى ... ما في الكِرام له نظيرٌ يُنظر =

وعلم من تعريفه أنه قاصر على الشعر، وأجازه بعضهم في النثر[١].

ورد: هذا المحسن اللفظي في كلام البلغاء.

[الاقتباس]

ومما يتصل باللفظي:

الاقتباس وهو: أن يضمن الكلام نثرًا، أو نظمًا من القرآن، أو الحديث لا على أنه منه، على وجه يكون فيه إشعار على أنه منهما[٢]، كقال الله تعالى، وقال رسول الله فلا يكون اقتباسًا حينئذٍ.

والاقتباس في النثر من القرآن نحو: فلم يكن إلا كلمح البصر، أو هو أقرب حتى أنشد فأعرب[٣].

وفي الشعر قوله[٤]: (السريع)

= لو كان مثلك آخر في عصرنا ... ما كان في الدنيا فقيرٌ مُعسر

إذ يمكن أن يُقال أيضًا في هذين البيتين

يأيها الملك الذي ... ما في الكرام له نظير

لو كان مثلك آخرٌ ... ما كان في الدنيا فقيرُ

(١) قيل: قد يقع في المنثور أيضا على معنى أن الفقرة الأولى تكون مختصة بتسجيعتين وتكون الثانية تابعة لها على هذا الحد، وهذا التوشيح إنما يقع ممن كان يتعاطى التمكن من صناعة النظم، عظيم البراعة في ذلك مقتدرا على كثير من الأساليب، ولكن وروده في المنظوم أحسن بهجة وأرسخ عرقا في البلاغة. ينظر الطراز٣/ ٤٠.

(٢) والغرض منه: تقوية الفكرة المطلوبة، وتزيين الكلام، شريطة عدم التجاوز، أو التكلف، أو الخروج بالنص عن هدفه، أو إنزال كلام الله ورسوله منزلة لا تليق..

(٣) مقامات الحريري (المقامة الحلوانية) تحقيق يوسف بقاعي ص٢٨.
هذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة النحل: ٧٧].

(٤) لأبي القاسم بن الحسن الكاتبي في معاهد التّنصيص ٤/ ١٠٩، ونسبه إليه أيضا الشيخ عبد المتعال =

إن كنت أرمضت على هجرنا ... من غير ما ذنب فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل[(١)]

ومن السنة في النثر نحو: قلنا شاهت الوجوه، وفتح اللكع، ومن يرجوه[(٢)].

وفي الشعر[(٣)]، نحو[(٤)]: (الخفيف)

قال لي إن رقيبي ... سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهك ... الجنة حفت بالمكاره[(٥)]

= الصعيدي في بغية الإيضاح ٤/ ١١٣.

(١) فالشاعر اقتبس في البيت الأوّل جزءا من الآية ١٨ من سورة يوسف التي جاء فيها: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يوسف: ١٨]، واقتبس من الآية ١٧٣ من سورة آل عمران في البيت الثاني وفيها ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣].

(٢) ينظر مقامات الحريريّ، العُمانيّة ٤/ ٢٩٩. وهو اقتباس من حديث حُنَين، ومَفاده: أنّ الرّسولَ ﷺ، لمّا اشتدّتِ الحرب يوم حنين قبض قبضة من ترابٍ من الأرض، ثم رمى بها وجوهَ المشركين قائلًا: «شاهَت الوجوهُ». أي قبحت، وشاه اللئيم وقبح أيضا ينظر: جامع الأصول ٨/ ٣٩٩.

(٣) أي من شواهد الشعر المقتبسة من السنة.

(٤) قول الصاحب بن عباد في ديوانه ٢٣٠، وفي بغية الإيضاح منسوب له أيضا٤/ ١١٣

(٥) الضمير في (قال) للمحبوب، والرقيب: الحارس، وقوله: داره يعني: لاطفه، وحفت بمعنى: أحيطت، والاقتباس من الحديث الشريف «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».
ومنه قول الحريري أيضا في المقامة القطيعية: حتى إذا سكنَتِ الزّماجِرُ. وصمتَ المزْجورُ والزّاجِرُ. قال: يا قومُ أنا أُنَبّئُكُمْ بتأويلِهِ. وأميّزُ صَحيحَ القوْلِ منْ عليلِهِ. مقاماته ص١٨١، وفي القرآن الكريم: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة يوسف:٤٥].
ومن شواهد الخطيب القزويني : قول ابن نباتة الخطيب فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ما لكم لا تشفقون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون، من سورة الذاريات ٢٣: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وقوله أيضا من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة هناك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب وحق عليه العقاب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، من سورة الحديد في قوله تعالى ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم =

[التحسين المعنوي]

٩٢- وَالْـمَـعْـنَـوِيُّ وَهْـوَ كَالتَّسْهِيْمِ، وَالْـجَـمْـعِ، وَالـتَّـفْـرِيْـقِ، وَالـتَّـقْـسِـيْـمِ

و: الثاني من ضربي المحسن البديعي:

معنوي: أي راجع إلى تحسين المعنى أولًا وبالذات، وإن كان قد يفيد بعدها تحسين اللفظ أيضًا، وكان آخره ليكون في عمله ترق من الأدنى إلى الأعلى والأصل قدمه؛ لأن المقصود الأصلي هو المعاني، والألفاظ توابع، وقوالب لها.

[التسهيم]

وهو كالتسهيم(١): بالمهملة ويقال له:

الإرصاد(٢) وهو: أن يجعل قبل العجز من الفقرة، أو البيت ما يدل عليه إذا عرف الروي

= بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ الآية ١٣ . ينظر بغية الإيضاح ٤/ ١١١.وشواهد في التراث كثيرة ..

(١) سماه بعضهم تسهيمًا، نظرًا إلى أن التسهيم في اللغة هو جعل الثوب ذا خطوط كأنها سهام لا تختلف ولا تتفاوت وكل سهم يدل على الآخر، ولذلك يقول ابن المقفع: «وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، وسماه قدامة «توشيحًا» وهو أن يكون أول البيت شاهدًا بقافيته، وفضل أبو هلال العسكري أن يسمى «تبيينًا» وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ عن مقطعه وأوله يخبر بآخره وصدره يشهد بعجزه... وخير الكلام ما دل بعضه على بعض كما قال ابن الأثير، وتلك براعة اللغة، وشواهده في كلام الله أكبر من أن تحصى.

(٢) وسماه بعضهم إرصادا: لأن بداية الكلام تدل أو - على الأقل - تلمح إلى نهايته، فكأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلها.

ومعناه: يتجلى فيما يأتي: «الراء والصاد والدال - كما يقول ابن فارس - أصل واحد وهو التهيؤ لرِقْبة شيء على مسلكه، ثم يحمل عليه ما يشاكله، يقال أرصدت له كذا، أي هيأته له»، **وذكر ابن منظور أن الإرصاد هو**: الانتظار والإعداد، ويقال: أرصدته، إذا قعدت له على طريقه ترقبه، **فهو** أسلوب أدبي رائق يدل فيه أول الكلام على آخره، والسياق الذي جاء فيه استدعى أن يبنى الكلام على هذه =

نحو [قوله تعالى]: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [سورة العنكبوت: ٤٠][١].

ونحو[٢]: (الوافر)

إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[٣]

= الطريقة من البيان، مما يؤكد أن التحسين الذي أضفي على الكلام تحسين نابع من ذات العبارة ومطابقتها لمقتضى الحال.

(١) جاءت هذه الآية في الإخبار عن مصائر المكذبين إجمالاً بعد أن بين عقاب كل قوم بما يناسب عصيانهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [**سورة العنكبوت**: ٤٠]. فأفعال الطغاة أولًا دلت على أن الظلم الذي أوجب لهم هذا العذاب جلبوه لأنفسهم، ومادة العجز دل عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ ويفهم منه بعد هذا الاستدراك أن العجز من مادة الظلم، المهم أن بداية الكلام أشارت إلى نهايته، ولم يشترط بعض العلماء «العلم بالروي» لأن النهاية قد تفهم من صدر الكلام أو حشوه، ولذلك جعل منه الطيبي قوله تعالى عقب الآية السابقة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [سورة العنكبوت: ٤١]، فإذا وقف السامع عند قوله تعالى ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ علم أن بعده: ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [سورة يونس: ١٩]، فاختلافهم في التوحيد كفيل بإهلاكهم والقضاء عليهم لولا كلمة سبقت من الله بكتابة آجالهم، وقوله سبحانه ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة يونس: ١٩].

مبشرة بما بعدها لأن القضاء لا بد أن يكون فيما اختلفوا فيه. وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝٢١﴾ [سورة يونس: ٢١] فإذا كان هناك مكر منهم فالله يعاقبهم على قدر عملهم، وتقدُّم ذكر المكر خير دليل على أن الكتابة تكون فيما يمكرون.

(٢) قول عمرو بن معدي كرب.

(٣) صدر البيت دل على أن القافية من مادة الاستطاعة دون سواها.

ومنه قول البحتري: (الطويل)

أَحَلَّت دَمي مِن غَيرِ جُرمٍ وَحَرَّمَت بِلا سَبَبٍ يَومَ اللِقاءِ كَلامي =

[الجمع]

والجمع: وهو أن يجمع بين متعدد في حكم[١] كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٦][٢].

ونحو[٣]: (الرجز)

= فَلَيسَ الَّذي حَلَّلتِهِ بِمُحَلَّلٍ وَلَيسَ الَّذي حَرَّمتِهِ بِحَرام

قوله: «وليس الذي حرمته» دليل على هذا الختام، وذكر أبو هلال أن الذي يسمع الشطر الأول يعرف الأخير بكماله، وقوله أيضـًا: (الكامل)

أَبكيكُما دَمعـًا وَلَو أَنّي عَلى قَدرِ الجَوى أَبكي بَكَيتُكُما دَما

يصلح أن يكون الشاهد قوله «أبكيكما دمعـًا» لأنها دلت على النهاية حيث لا يكون بعد بكاء الدمع إلا بكاء الدم.

ويمكن أن يكون الشاهد قوله: «ولو أني على قدر الجوى أبكي» لأنها توحي بهذه الخاتمة أيضـًا وترتبط بها ارتباط الجواب بالشرط.

وروي أنه لما بلغت قراءة النبي (ﷺ): ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [سورة المؤمنون:١٤]، قال عبد الله بن أبي السرح: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ فقال النبي (ﷺ) كذلك أنزلت، وهذا دليل على عدم اشتراط معرفة الروي في باب الإرصاد، والكلمات في هذا الباب يفتح بعضها الطريق إلى بعض ويهدي بعضها إلى بعض وتشير أوائلها إلى أواخرها. ومن المشهور في ذلك قول زهير: (الطويل)

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِش ثَمانينَ حَولاً لا أَبا لَكَ يَسأَمِ

فصدر البيت أشار إلى عجزه، وبدايته نادت على نهايته والمقام اقتضى هذه الخاتمة.

(١) أي: أن يُجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد.

(٢) أي جمع بينهما في كونهما زينة، ونحو: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾[سورة البينة: ٦].

(٣) قول أبي الْعَتَاهِيَة من أرجوزته المزدوجة الَّتِي سَمَّاهَا ذَات الأَمْثَال.

وَأَبُو الْعَتَاهِيَة هُوَ إِسْمَاعِيل بن الْقَاسِم بن سُوَيْد بن كيسَان مولى عنزة وكنيته أَبُو إِسْحَاق وَأَبُو الْعَتَاهِيَة كنية غلبت عليهِ لِأَنَّهُ كَانَ يحب الشُّهْرَة والمجون فكنى لعتوه بذلك وَقيل إِن الْمهْدي قَالَ لَهُ يَوْمًا أَنْت إِنْسَان متعته متحذلق فاستوت لَهُ من ذَلِك كنيته وَيُقَال للرجل المتحذلق عتاهية وَفِيه يَقُول أَبُو قَابُوس النَّصْرَانِي – من الكامل – وَقد بلغه أَنه فضل عليهِ العتابي: (مجزوء الكامل) =

إنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَهْ   مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيُّ مَفْسَدَهْ[(١)]

[التفريق]

والتفريق: وهو إيقاع تباين بين أمرين في نوع من [١٢١أ] المدح أو غيره كقوله[(٢)]:
(الخفيف)

ما نوال الغمام وقت ربيع   كنوال الأمير يوم سخاء

= قُلْ لِلْمُكني نَفْسهُ   مُتَخيرًا بِعتاهِيهْ
والمُرْسلِ الْكَلم القَبِيح   وعنهُ أذنٌ وَاعِيهْ
إن كنتَ سِرًّا سؤتني   أَو كَانَ ذَاكَ عَلَانِيهْ
فَعليك لعنَةُ ذِي الْجلَال   وأُمُّ زيدٍ زانيهْ

وَأم زيد هِيَ أم أبي الْعَتَاهِيَة ومنشأه بِالْكُوفَةِ... معاهد التنصيص ٢/ ٢٨٣

(١) جمع بَين مُتَعَدد فِي حكم وَهُوَ ظَاهر فِي الْبَيْت وَمَا أحسن قَول الصفي الْحلِيّ فِيهِ: (البسيط)
آرَاؤُهُ وَعَطاياهُ ونعمتُهُ   وعفوُهُ رحمَةٌ للنَّاس كلهم
وَمِنْه قَول ابْن حجَّة أيضا، مَعَ تَسْمِيَة النَّوْع: (البسيط)
آدابهُ وعَطاياه ورأفَتُهُ   سجيةٌ ضمن جَمْع فِيهِ ملتئم
وَكذا من قَول ابْن جَابر الأندلسي:(البسيط)
قد أحْرَز السَّبق والإحسانَ فِي نَسقٍ   والعِلم والحِلم قَبلَ الدَّرك للحلم
ينظر معاهد التنصيص ٢/ ٢٨٢.

(٢) أي: رشيد الدين الوطواط، وهو: - رشيد الدين الوطواط (٥٧٣هـ - ١١٧٧م محمد بن محمد بن عبد الجليل ابن عبد الملك العمري البلخي، رشيد الدين، أبو بكر الوطواط: أديب، من الكتاب المترسلين. كان ينظم الشعر بالعربية والفارسية. مولده ببلخ، ووفاته بخوارزم، له (تحفة الصديق، من كلام أبي بكر الصديق) و(فصل الخطاب، من كلام عمر بن الخطاب - ط) و(أنس اللهفان من كلام عثمان ابن عفان) و(مطلوب كل طالب، من كلام علي بن أبي طالب - ط) قال صاحب كشف الظنون: رأيت الجميع في مجلد، و(مجموعة رسائل - ط) في جزءين صغيرين، و(ديوان شعر) وشعره دون نثره. وله بالفارسية (حدائق السحر في دقائق الشعر - ط) ألفه ل أبي المظفر خوارزم شاه، و(ديوان رسائل) الأعلام ٧/ ٢٥..

فـــوال الأمـــيـــر بـــدرة عـيـن ونـــوال الـغـمـام قـطـرة مـــاء[١]

[التقسيم]

والتقسيم: وهو ذكر متعدد، ثم بإضافة ما لكل إليه على التعيين، وبالقيد الأخير خرج اللف والنشر، نحو[٢]: (البسيط)

ولا يـقـيـم عـلـى ضـيـمٍ يُـــرادُ به إلا الأذلَّان عَـيـرُ الـحـي والـوتـدُ
هـذا على الخسفِ مـربـوطٌ برمتِهِ وذا يُـشَـجُّ فـلا يَـرثـي لـه أحـدُ[٣]

***

(١) فبعد أن ذكر النوال الذي هو لفظٌ كُلّيٌ يَجْمع في أفراده نَوالَ الأمير حين يعطي، ونوال الغمام حين يمطر، فرَّقَ في الحكم، فأبان أنّ نوال الأمير بَدْرَةُ عَيْن، أي: كيس مملوءٌ ذهباً، وأنَّ نوال الغمام قطرة ماء. فالتفريق هنا تفريق في الحكم.ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة هود: ١٠٥]، لَا تَكَلَّم: أي: لَا تتكلَّم، ففي هذه الآية تفريق في الحكم بين بعض النفوس وبعضها الآخر، بعد كونها داخلةً في عموم كلمة «نفس» التي هي كُلّيٌّ يشمل كلَّ فرْدٍ ذي نفس من خَلْقِ الله عَزَّوَجَلَّ مسؤولة عن اختياراتها. ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها ٧٨٢.

(٢) قول المتلمس (نحو ٥٠ ق هـ - نحو ٥٦٩ م) جرير بن عبد العزى - أو عبد المسيح - من بني ضبيعة، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند (ملك العراق) ثم هجاه، فأراد عمرو قتله ففر إلى الشام، ولحق بآل جفنة (ملوكها) ومات ببصرى (من أعمال حوران - في سورية) وفي الامثال (أشأم من صحيفة المتلمس) وهي كتاب حمله من عمرو ابن هند إلى عامله بالبحرين، وفيه الامر بقتله. ففضه وقرئ له ما فيه، فقذفه في نهر الحيرة، ونجا. له (ديوان شعر - ط) فيه ما بقي من شعره.

(٣) الضيم: الظلم، والعير بفتح المهملة: الحمار، وغلب على الوحشي والمناسب هنا الأهلي، والخسف: النقيصة، والإذلال: تحميل الإنسان ما يكره وحبس الدابة بلا علف، والرمة بضم الراء وتكسر: قطعه من حبل، والشج الكسر والدق، والاستثناء في (إلا الأذلان) استثناء مفرغ، وقد أسند إليه فعل الإقامة في الظاهر وإن كان مسندا في الحقيقة إلى العام المحذوف.
والشاهد فيهما: التقسيم وهو: ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين، فإنه ذكر العير والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف، وإلى الثاني الشج على التعيين. معاهد التنصيص ٢/ ٣٠٦.

[القول بالموجب]

٩٣- [وَالْقَوْلِ بِالْمُوجِبِ، وَالتَّجْرِيْدِ وَالْجِدِّ وَالطِّبَاقِ، وَالتَّأْكِيْدِ
٩٤- وَالْعَكْسِ، وَالرُّجُوعِ، وَالإِيْهَامِ وَاللَّفِّ، وَالنَّشْرِ، وَالاِسْتِخْدَامِ]
٩٥- وَالسَّوْقِ، وَالتَّوْجِيْهِ، وَالتَّوْفِيْقِ، وَالْبَحْثِ، وَالتَّعْلِيلِ، وَالتَّعْلِيقِ

والقول بالموجب[١]: أي بموجب العلة.

وهو ضربان:

أحدهما: أن يقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فيثبتها لغيره من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير أو انتفائه عنه نحو [قوله تعالى حكاية عن المنافقين]: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون: ٨].

والأعز: صفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأولى كناية عن المؤمنين فأثبت الله ردًّا عليهم تلك الصفة لغيرهم، وهو: الله ورسوله والمؤمنون، من غير تعرض لثبوت الإخراج لهم، ونفيه عنهم[٢].

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه.

---

(١) كلمة الموجب إذا نُطقت بكسر الجيم فيراد بها الصفة الموجبة للحكم، أي التي جلبته، وإذا نُطقت بفتحها فيراد بها الحكم الذي أوجبته.

(٢) هكذا شرح الآية بناء على التعريف، وإيجاز ذلك: أن المنافقين أرادوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل: المؤمنين، ورتبوا على ذلك الإخراج من المدينة، فنقل الحق (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) صفة العزة له ولرسوله وللمؤمنين، ولم يتعرض لثبوت حكم الإخراج للمؤمنين ولا لنفيه عنهم، كما فعل المنافقون حين أثبتوا العزة لأنفسهم.

كقوله[1]: (الخفيف)

قَـالَ: ثَـقَّـلْـتُ إِذْ أَتَـيْـتُ مِـرَارًا قُـلْـتُ ثَـقَّـلْـتَ كَـاهِـلـي بـالأَيَـادِي

فلفظ (ثقلت) وقع في كلام الغير، وهو المتكلم بمعنى: حملك المؤنة، وثقلت نفسه بالإتيان مرة بعد أخرى، فحمله المخاطب على خلاف الذي يحتمله اللفظ، وهو تثقيل وضع المنة به بذكر متعلقه وهو: كاهلي بالأيادي[2].

---

(١) أي ابن حجّاج البغدادي «هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي» شاعرَ فَكِهٌ. ينظر البلاغة العربية ١/ ٤٩٨

(٢) شرحه الدسوقي بإفاضة في قوله: قال ثقلت كاهلي) الكاهل ما بين الكتفين، وقوله بالأيادي أي المنن والنعم (قوله: فلفظ ثقلت وقع في كلام الغير) أي وهو المتكلم و(قوله: بمعنى حملتك المؤنة) أي المشقة من أكل وشرب بإتياني لك مرة بعد أخرى، وقوله فحمله، أي المخاطب وقوله (على تثقيل عاتقه) أي كتفه وقوله والمنن عطف تفسير، والحاصل أن المتكلم يقول لمخاطبه ثقلت عليك وحملتك المشقة بإتياني إليك مرارا، فقال له المخاطب صدقت في كونك ثقلت علي، لكن ثقلت كاهلي بالمنن لا حملتني المشقة، فجعل إتيانه إليه نعما عديدة حتى أثقلت عاتقه، وبعد البيت المذكور: (الخفيف)

قـلـت طـوّلـت قـال لا بـل تـطول ت وأبـرمـت قـال حـبـل ودادي

أي: قلت له طولت الإقامة والإتيان، فقال بل تطولت من التطول والتفضل، وقوله وأبرمت أي أمللت، وقوله حبل ودادي أي: قال نعم أبرمت ولكن أبرمت وأحكمت حبل ودادي، فقوله وأبرمت قال حبل ودادي من هذا القبيل، أي القول بالموجب بدون إعادة المحمول، ومنه أيضا البيت الثالث في قول الشاعر: (الوافر)

وإخـوان حـسـبـتـهـم دروعـا فـكـانـوهـا ولـكـن لـلأعـادي
وخـلـتـهـمُ سـهـامـا صـائـبـات فـكـانـوهـا ولـكـن في فـؤادي
وقـالـوا قـد صـفـت مـنـا قـلـوب لـقـد صـدقـوا ولـكـن مـن ودادي

فكأنه قال نعم صدقتم ولكن صفاؤكم عن ودادي لا عن حقد، وأما البيتان الأولان فليسا من هذا القبيل، بل ما فيهما قريب منه، إذ ليس فيهما حمل صفة ذكرت في كلام الغير على معنى آخر، وإنما فيهما ذكر صفة ظنت على وجه فإذا هي على خلافه، فأشبها هذا القبيل من جهة كون المعنى فيهما في الجملة على الخلاف، وذلك لأنه وقع في ظنه أن إخوانه دروع له، فظهر له أنهم ليسوا دروعا له، بل للأعادي، وظن أنهم سهام صائبات لأعاديه فظهر له أنهم ليسوا كذلك بل سهام صائبة لفؤاده، وأما البيت الثالث فقد صدر اللفظ منه فحمله على غير مرادهم. حاشيته على مختصر المعاني ١٤٨.

[التجريد][١]

والتجريد: بالجيم، وهو: أن يتنزع من أمر ذي صفة أمرًا آخر مثله فيها؛ مبالغة لكمالها فيه[٢].

[أنواع التجريد]:

ويكون بـ:

[١]- (من) التجريدية، نحو: لي من فلان صديق حميم[٣].

[٢]- وبـ (الباء) التجريدية الداخلة على المنتزع منه الجواب: لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر[٤].

[٣]- أو بـ (باء) المعية في المنتزع [كقوله][٥]: (الطويل)

وَشَـوْهَاءَ تَعْدُو بي إِلَى صَارِخِ الْوَغَى   بِمُسْـتَلْئِمٍ مِثْـلِ الْفَنِيـقِ الْمُرَحَّـلِ[٦]

---

(١) هو في اللغة بمعنى: إزالة الشيء عن غيره.

(٢) أي أن: النكتة البلاغية فيه تكمن في المبالغة التي تؤكد ثبات المعنى المراد وقوته، مع ما في السياقات من معان تحقق المراد..

(٣) فقد بلغ فلان هذا من الصداقة حدًا يصح معه أن ينتزع منه شخص آخر مثله في تلك الصفة.

(٤) فقد بالغ في اتصافه بالسماحة حتى كأنه انتزع منه بحرًا فيها، وهذه الباء تفيد المصاحبة وهذا النوع يدل على التشبيه.

(٥) ذي الرُّمة في ديوانه ٣/ ١٤٩٩.

(٦) الشوهاء هي الفرس إلى غيَّرتها الحروب، وصارخ الوغى هو: المستغيث في الحرب، وهو بذلك أفاد أنها تعدو به إلى من يستغيث ليغيثه ثم قال: «بمستلئم» أي لابس اللأْمَة وهي الدرع، فقد دخلت الباء هنا على المنتزع لتبين أنه جرد من نفسه مستلئماً مستعداً للحرب، وهذه الفرس تعدو به ومعه وهذه الباء «بمستلئم» تسمى باء التجريد وهي تفيد المصاحبة.

بالغ في اتصافه بالاستعداد للحرب، حتى انتزع منه مستعدًا لها، لابس درع.

[٤]- وبـ(في) في المنتزع منه نحو [قوله تعالى] ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [سورة فصلت: ٢٨]. أخرج منها مثلها، وجعلها فيها؛ مبالغة في اتصافها بالخلود[١].

[٥]- يكون بغير وسط حرف، نحو[٢]: (الكامل)

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ ... تَحْوِي الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتُ كَرِيمُ

وأراد بالكريم: نفسه، وانتزع منها كريما مبالغة في كرمه[٣].

[٦]- ويكون بطريق الكناية نحو[٤]: (المنسرح)

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلَا ... يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفِّ مَنْ بَخِلا

أي يشرب الكأس بكف كريم، فهو كناية انتزع منها جوادًا آخر[٥].

[٧]- ومن التجريد: مخاطبة الإنسان نفسه نحو[٦]: (البسيط)

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ[٧]

---

(١) أي أن جهنم هي دار الخلد، وللمبالغة في اتصافها بذلك جرد منها دارًا أخرى هي دار الخلد، وجعلها معدة في جهنم للكفار؛ تهويلًا لأمرها مبالغة في شدتها.

(٢) منسوب لقَتَادةَ بنِ مَسْلَمةَ الحَنَفِيّ في ديوان بني بكر في الجاهليّة ص ٣٤٩، ومعاهد التّنصيص ٣/ ١٤

(٣) وهو تجريد بغير واسطة حرف.. ومنه: **قوله تعالى**: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾ [**سورة التوبة**: ١٢]. فلشدة توغلهم في نقض العهود والطعن في الدين جرد منهم أئمة في الكفر، وهم الكفار المتحدث عنهم، ولذا لم يقل: فقاتلوهم.

(٤) قول الأعشى.

(٥) يريد أنّ ممدوحه لا يشرب كأسًا بكفٍّ بخيل، إنّما يشربُ بكف كريم، وبما أنّ هذا الممدوح جوادٌ كريم فهو لا يشرب غالبًا إلّا بكف نفسه، فقد جرّدَ الأعشى من ممدوحه شخصًا كريمًا ورأى أنه لا يشْرَبُ إلّا بكفّه. البلاغة العربية ٢/ ٤٣٤.

(٦) قول البوصيري يخاطب نفسه.

(٧) ومنه: قول الأعشى: (البسيط)

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرتَحِلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَداعًا أَيُّها الرَّجُلُ =

[الجد الذي يراد به الهزل]

والجد: والمراد به: الهزل[١]وهو أن يكون ظاهر اللفظ هزلاً وباطنه جدًا[٢]، كقوله[٣]: (الطويل)

إذا ما تميمي أتاك مفاخرًا فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب[٤]

= فهو يخاطب نفسه بقوله «ودِّع، تطيق، أيها الرجل».
ومثله قول المتنبي يخاطب نفسه: (البسيط)

لا خَيلَ عِندَكَ تُهديها وَلا مالُ فَليُسعِدِ النُطقُ إِن لَم تُسعِدِ الحالُ

فهو يخاطب نفسه فيقول: أنت فقير لا تملك أن تجزي من أحسن إليك، فإن كان هذا غير ممكن فلتقدم الممكن، وهو المدح والثناء.

(١) في الأصل (الذل) بدل الهزل.

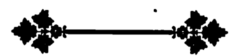
(٢) علماء البلاغة يسمون هذا المصطلح: الهزل الذي يراد به الجد؛ بمعنى أن يذكر الكلام على سبيل الهزل ولكنه من وراء ذلك جاد في ذمه، أو هجائه.. والتعريف مقصور على أن المذكور هزل.
إلا أن عصام الدين الاسفرايني يقول: لا وجه لتخصيص التحسين بالهزل الذي يراد به الجد، دون الجد الذي يراد به الهزل، إلا أن يقال اقتصر على الموجود كقوله [إذا ما تميميّ أتاك مفاخرا فقل عد عن ذا]) أي أحسب من جملة ما يفتخر به أنه (كيف أكلك للضَّبّ)؟ بفتح الضاد. الأطول شرح تلخيص المفتاح ٢/ ٤٤٧
وقد استشهد الشارح بنفس الشاهد الذي ذكره البلاغيون في مصطلحهم (الهزل الذي يراد به الجد) ولعله يقصد عموم المصطلح لهذا الذي ذكروه وعكسه، وأن يرجع لقصد المتكلم.

(٣) أي أبي نواس.

(٤) فهذا القول للتميمي عند تفاخره هزل، لكنه يقصد به ذمه بأكل الضب لأن أشراف الناس كانوا يعافون أكله، فكأنه يتقزز منه حين يسأله هذا السؤال، وبلاغة الكلام هنا تتجلى في جمعه بين الهزل والجد في آن واحد فظاهره هزل وباطنه جد، حيث التهكم والسخرية من أكل هذا الحيوان المعقد الذنب.
وتوسع فيه ابن معصوم المدني فرأى أنه لا يختص بالمدح والذم، بل كل مقصد أخرجه المتكلم هذا المخرج سواء كان مدحـًا أو ذمـًا أو غزلاً أو شكوى أو سؤالاً ... وذلك كقول اللحام في أبي طلحة قسورة بن محمد: (السريع)

ويكَ أبا طلحةَ ما تَستَحي بلغت ستين ولم تَلْتَحِ

وقول ابن الهباريه: (الوافر) =



= يقول أبو سعيدٍ إذ رآني عفيفًا منذُ عام ما شربْتُ
على يدِ أيّ شيخٍ تُبْتَ قل لي فقلتُ على يد الإفلاس تُبْتُ

ومنه: قول أبي دلامة لما خرج في جنازة عمَّةِ المنصور وجلس على القبر ينتظر مواراتها، فقال له المنصور: ما أعددت لهذه الحفرة؟ فقال: عَمَّةَ أمير المؤمنين.

[الطباق](1)

والطباق: هو الجمع بين متضادين [٢١ب] أو أكثر.

[أنواع الطباق]:

[طباق الإيجاب]:

ويكون بلفظين من نوع [واحد] من:

اسمين نحو [قوله تعالى] ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [سورة الكهف: ١٨](٢).

أو فعلين نحو [قوله تعالى] ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨](٣).

---

(١) **في اللغة**: بمعنى الموافقة والمساواة، يقال: طابق بين الشيئين جعلهما على حذو واحد، والسماوات طباق ككتاب لمطابقة بعضها بعضًا...
ويقال: طابق البعير في مشيه إذا وضع خف رجله موضع خف يده.
وفي اصطلاح البلاغيين: الجمع بين الشيء وضده.

(٢) التقابل بين «أيقاظًا ورقود» تضاعف حسنه حيث سيق الخطاب مساق العموم «تحسبهم» مع ما يفيده الفعل «تحسب من التنبيه على خطأ الرؤية لظاهر حال أهل الكهف، وهنا تتجلى قيمة المطابقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [سورة فاطر: ١٩-٢٢]، فسياق الكلام في نفي الاستواء يقتضي ذكر الأضداد، ومنه قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة إبراهيم: ١]. ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١] فنرى التضاد بين الظلمات والنور يكشف للمخاطب فرق ما بين الهدى والضلال بما فيه من مخاطبة حاسة البصر تلك إلى تميز بين الضار والنافع أو بين الجمال والقبح، وقد تضاعف حسن هذا التضاد لأنه أفرغ في قالب الاستعارة.

(٣) التقابل بين الضدين، والجمع بينهما لا يكون من العلي القادر، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ =

= ﴿ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٢٦]، فطلاقة القدرة تتجلى في ذلك؛ لأن الجمع بين الأضداد من خصائصه سبحانه وهذا يتناسب مع السياق والمقام.

نلحظ أنها تجمع إلى روعة الطباق صورة التسليم المطلق للقادر المختار، الذي يؤتي وينزع، ويعز ويذل دون أن يكون على اختياره قيد إلا إرادته فهي التي ترجح بين ممكن وغيره.

وكذلك الشأن في قوله (ﷺ) للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع» أبرز هذا التقابل بين الكثرة والقلة سمو النفس وعلو الهمة للأنصار على نحوٍ لم تشهده الإنسانية من قبل، ونلحظ أن هذا الصنف من الناس – في عصرنا – أندر من الماس في منجم من الفحم كما قال بعض شيوخنا.

وكذلك الشأن في حديث الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن المنافقين الذين اتخذوا من شد الحر ستارًا يخفون به عداوتهم للإسلام وعذرًا يتخلفون به عن مناصرة الرسول (ﷺ) في نضاله للأعداء، بل حاولوا تخذيل المخلصين عن الجهاد.

ولنتأمل ذلك من خلال السياق القرآني: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٨١-٨٢]. ضعفت همتهم وتقاعست إرادتهم وآثروا الراحة متعللين بشدة الحر، فجاء هذا البيان يسخر من ضيق فهمهم، ويبين لهم الحقوق وما يحدث لهم، فقلة الضحك جاء التعبير عنها في صورة الأمر، وذلك يوحي بأنه يحدث لديهم من عدم، فإنهم لن ينفسوا عن غيظهم إلا بعد أن يخرج المؤمنون تحت لواء الرسول، ويخلو لهم الجو للتنفيس عن كبتهم، بما تدفعه الهواجس في نفوسهم من الأمل في ألا يعود، وهم لا يعلمون أن الله مؤيده بنصره...

وكذلك توحي صيغة الإنذار بالبكاء «وليبكوا» بكثرة لا نهاية لها، حيث جاءت في صورة الأمر مع المضارع الداعي إلى الاستمرار، لأن البكاء في الآخرة طويل لا أمد له أما الضحك في الدنيا فأيامه معدودة، لذلك كان الجزاء من جنس العمل، ففرحهم زائل، وحزنهم دائم ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، وبذلك ندرك قيمة هذه الأنواع من البديع في بناء الأسلوب.

وخذ من ذلك حديث النبي (ﷺ) «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»، سيقت العبارة في صورة التأكيد بـ«إنَّ»، وأسلوب القصر وتعريف المسند إليه بـ«أل» وتنكير «شيء» وتوغلها في الإبهام، والتعبير عن المسند بالفعل...

كل ذلك يدفع في خاطر المتلقي الإحساس بروعة الرفق وجميل أثره وعموم نفعه...، كل هذا ونحوه مما يؤكد ذاتية البديع، وأهميته في السياق الذي يقتضيه، والمقام الذي يستدعيه..

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة النجم: ٤٣-٤٤]،=

أو حرفين نحو [قوله تعالى]: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦][(١)].

أو من نوعين [مختلفين] نحو [قوله تعالى]: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢][(٢)].

والطباق طباق الإيجاب[(٣)] كما مر[(٤)].

[طباق السلب]:

= ومنه قول الشاعر: (الطويل)

أما والذي أبكى وأضحكَ والذي ... أماتَ وأحيا والذي أمرُهُ الأمر

(١) فهذا التقابل بين النافع والضار، فيه تنبيه، وإيقاظ للنفس لتلتزم بالحق، وتنصرف عن الباطل، ومنه قول الشاعر: (الطويل)

على أنَّني راضٍ بِأَنْ أَحْمِلَ الهَوَى ... وأخلُصَ منه لا علي ولا لِيَا

(٢) فيه فرق ما بين الهدى والضلال، وسبق دراسته في الاستعارة الوفاقية. والمعنى: ضالاً فهديناه، فالموت والإحياء لفظان مجازيان ومعناهما متضادان، وقول الشاعر: (الوافر)

لَقَد أَحيا المَكارِمَ بَعدَ مَوتٍ ... وَشادَ بِناءَها بَعدَ اِنهِدامِ

فالإحياء والموت، والشَّيد والانهدام معانيها متقابلة في ألفاظها الحقيقية والمجازية إذ المراد: أعطى في وقت قلَّ فيه العطاء.

(٣) وهو ما كان طرفا المقابلة فيه موجبين كالأمثلة السابقة. أو سلبيين، كقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأعلى: ١٠-١٣]، فالحديث عن طول البقاء وخلود العذاب جزاءً للشقاء يقتضي نفي الموت وهو يتمناه ويهفو إليه ليستريح، ونفي الحياة الآمنة السعيدة، وذاك هو المناسب لبيان مصيره ﴿الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ ويستمر فيها.

(٤) ومنه نوع معرفته مهمة، وهو:

- **الطباق المعنوي**: ما كانت المقابلة بين الشيء وضده في المعنى لا في اللفظ، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، اللفظ مختلف والمعنى متضاد، فلما كان البناء رفعًا للمبنى كان مضادًا للفراش، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة يس: ١٥-١٦]. أي لصادقون ولكن بلاغة السياق استدعت ذكر الإرسال «لمرسلون» ليتجلى الفرق بين طبقات البشر.

وطباق السلب وهو: الجمع بين فعل مصدر واحد، أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر[١] والآخر نهي نحو [قوله تعالى] ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[٢] [سورة المائدة: ٤٤][٣]. [وقوله تعالى] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٤] [سورة الروم: ٦-٧][٥].

---

(١) كلمة (أمر) محذوفة من ب.

(٢) قوله تعالى: واخشون. ساقطة من ب.

(٣) هذا ما كان أحد الطرفين فيه نهيا، والآخر أمرا. ومنهج استقامة الحياة يقتضي توحيد مصدرها ومن ثم خشيتها لله وحده في بيان الأحكام خاصة.

(٤) أحدهما هنا منفي، والآخر مثبت، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر: ٩]، لو تأملت سياق الآية لرأيت أن هذه دعوة إلى التعقل والتبصر في إدراك الحقائق تناسب ختام الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وقول الشاعر: (الكامل)

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ ... فَكَأَنَّهُم خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ ... فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا

(٥) تتمة في أمور مهمة:

نلحظ هنا أنه ترك من الطباق أنواع في غاية الأهمية لمعرفة الباب كاملا، وهي: طباق التدبيج، وما يلحق بالطباق، والمقابلة، وهي نوع من التضاد غير المقتصر على مقابلة طرف بطرف آخر كما هو في الطباق، ولكنها تأتي بين اثنين، واثنين فأكثر، وسأبين ذلك ليكون قارئ هذا الكتاب ملما بالموضوع، وبيانه كما يأتي:

- طباق التدبيج:

هناك نوع من الطباق يسمى «طباق التدبيج» من دَبَج الأرض بمعنى زينها.

وهو في اصطلاح البلاغيين: أن يُذكر في معنًى - كالمدح وغيره - لونان أو ألوان، بقصد الكناية أو التورية، فمن طباق الكناية قول أبي تمام: (الطويل)

تَرَدَّى ثِيابَ المَوتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى ... لَهَا اللَّيلُ إلا وَهْيَ سُنْدُسٌ خُضْرُ

تردى ثياب الموت: بمعنى اتخذها رداءً، وهي ثياب الحرب، واحمرارها بدم القتل، والسندس هو رقيق الحرير، فقد كنى عن القتل بلبس الثياب الحمر، وعن دخول الجنة بخضرة السندس. وجمع بين الحمرة والخضرة على سبيل الطباق، وقد جمع الحريري بين تدبيج التورية والكناية في قوله: «فمذ أزور المحبوب الأصفر، واغبر العيش الأخضر، اسودَّ يومي الأبيض، وابيض فودي الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر»، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر هو «الإنسان =

= الذي له صفرة». والبعيد هو «الذهب» وهو المراد فيكون تورية.
أما بقية الألوان في قول الحريري فتدبيج كناية، لأن خضرة العيش كناية عن طيبه، والاغبرار كناية عن ضيقه، واسود... كناية عن الحزن، وبياض فوده كناية عن ضعف حاله.
وتدبيج التورية قليل في كلامهم، ولذلك نراهم يتناقلون قول الحريري هذا مع أنه ليس خالصًا لتدبيج التورية، وقد يأتي تدبيج الألوان على الحقيقة، لا على الكناية ولا التورية، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٧]، فقد جمع في هذه الآية ألوانًا متقابلة ليبين ما اشتملت عليه من دلائل قدرته الباهرة، إنه الواحد القادر المبدع الفاطر للأشياء على غير مثال.
ورأى بعض العلماء أن المراد بذلك: الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق، لأن الجادة البيضاء هي الطريق الملحوب الذي كثر السلوك فيه جدًا، وهي أوضح الطرق وأبينها، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء التي كأنها في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الظهور والوضوح، وعلى هذا جمعت الآية بين التدبيج، وصحة التقسيم، وهي مسوقة للاعتداد بالنعم على ما هدت إليه من السعي في طلب المصالح والمنافع، والفرار من المضار والمعاطب.

ما يلحق بالطباق

يلحق بالطباق نوعان من بديع البيان هما:
١ - الطباق الخفي:
وهو: الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية أو اللزوم، كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، فإن الرحمة ليست مقابلة للشدة على الحقيقة، ولكنها مسبَّبة عن اللين الذي هو ضد الشدة.
غير أنه أوثر التعبير بالرحمة تحقيقًا لما بينهم من تواصل وتراحم، وكأنهم من رحم واحدة لها حق الصلة، أما اللين فأصله في الأجسام ويستعار للخلق.
وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة نوح: ٢٥]، فإدخال النار لا يقابل على الحقيقة الإغراق، لكن الإدخال يستلزم الإحراق المضاد للإغراق، لكن السياق يستدعي التعبير بالإدخال ليناسب سوء المصير وليتلاءم مع مثل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النساء: ٥٦].
٢ - إيهام التضاد: وهو الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان. كقول الشاعر: (الكامل)

لا تَعجَبي يا سَلمَ مِن رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشيبُ بِرَأسِهِ فَبَكى

فالمراد من: ضحك المشيب: ظهور الشيب ظهورًا تامًا، فهو استعارة تبعية، شبَّه الظهور بالضحك، =

= واستعار الضحك للظهور، ومراد الضحك هنا لا يُضاد البكاء، لكن الضحك بمعناه الحقيقي مضاد للبكاء، ومنه أيضًا قول الشاعر: (الطويل)

وَقَدْ أَطْفَأُوا شَمْسَ النَّهارِ وَأَوْقَدُوا ... نُجومَ العَوالي في سَماءِ عَجاجِ

فالتقابل هنا بين: الإطفاء والإيقاد الحقيقيين، أما المجازيان فلا؛ لأن إطفاء الشمس عبارة عن إثارة العجاج حتى غطى الشمس، وإيقاد نجوم العوالي عبارة عن رفع وتشريع أسنة رماحهم، ولا مضادة بين هذين المعنيين.

الفرق بين هذا وبين التدبيج:

أنه يكون بطريق المجاز، أما التدبيج فيكون بطريق الكناية أو التورية، كما أن الطباق المسمى تدبيجًا يكون باعتبار التقابل بين الألوان.

(٢) المقابلة (الطباق المركب)

تعريفها: هي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب، بحيث يكون كل عنصر في كل طرف مقابلًا لمناظره في الموقع في الطرف الآخر.

صور المقابلة:

للمقابلة بهذا الاعتبار عدة صور، فهناك مقابلة اثنين باثنين، وثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة وخمسة بخمسة. وإليك شواهد ذلك.

١ - **مقابلة اثنين باثنين:** كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٢]، فقابل: الضحك والقلة، بالبكاء والكثرة، وقوله (ﷺ): «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع» فقابل الكثرة والفزع بالقلة والطمع، مع الترتيب، وقوله (ﷺ): «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»... وهكذا.

٢ - **مقابلة ثلاثة بثلاثة:** كقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [سورة الحديد: ٢٣]، وهو واضح، وكقول أبي دُلامة، وقد سأله المنصور عن أحسن بيت قيل في المقابلة، فقال بيت يلعب به الصبيان، وأنشد: (البسيط)

ما أَحسَنَ الدينَ وَالدُنيا إذا اجتَمَعا ... وَأَقبَحَ الكُفرَ وَالإفلاسَ بِالرَجُلِ

فقابل: أحسن بـ أقبح، والدينَ بالكفر، والدنيا بالإفلاس، وقد اجتمعت مقابلة اثنين باثنين وثلاثة بثلاثة في قوله تعالى في صفة الرسول (ﷺ): ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]، **فقابل أولًا:** الأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر، ثم قابل ثانيًا ثلاثة بثلاثة.

٣- **مقابلة أربعة بأربعة:** نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾=

[تأكيد المدح بما يشبه الذم]

والتأكيد: للمدح بما يشبه الذم[(١)].

= ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الليل: ٥-١٠]، **فقابل**: الإعطاء والاتقاء والتصديق والتيسير، بالبخل والاستغناء والتكذيب والتعسير، ومعنى الاستغناء أنه استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق الله.

٤- مقابلة خمسة بخمسة: كقول المتنبي: (البسيط)

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) — (١) (٢) (٣) (٤) (٥)

أَزورُهُم وَسَوادُ اللَيلِ يَشفَعُ لي ... وَأَنثَني وَبَياضُ الصُبحِ يُغري بي

قوله: «يشفع لي» يعني أنه يعينه على الاجتماع بهم لأنه يستره عن الرقباء، وقوله «يغري بي» بمعنى يحضهم عليه لئلا يراه رقباؤهم، وبهذا تمت المقابلة بين «يغري» و«يشفع».

وهناك مفاضلة بين هذا البيت وبيت أبي دلامة السابق، فقد رجح بيت المتنبي لكثرة المقابلة مع سهولة النظم، ولأن قافيته ممكنة أي متمكنة في مقامها، أما قافية الآخر فهي مستدعاة؛ لأن هذا غير مختص بالرجال، فكان المقام يستدعي معنى أعم من هذا، وفُضِّل بيت أبي دلامة على هذا البيت بجودة المقابلة فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح.

٥- مقابلة ستة بستة:

ذهب بعض العلماء إلى أن أقصى ما تنتهي إليه صور المقابلة هو خمسة بخمسة، غير أنه يوجد على قلة مقابلة ستة بستة كقول عنترة: (الطويل)

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) — (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

علـى رأس حُـرٍّ تـاجُ عِـزٍّ يـزينُـهُ ... وفي رِجْـلِ عـبدٍ قـيد ذُلٍّ يَشـينُـهُ

معيار الجودة في هذا الأسلوب:

مما ينبغي استحضاره في الذهن: أنه ليس معيار الجودة والجمال في هذا الأسلوب هو كثرة المتقابلات ولا صرامة التضاد بين العناصر، إنما هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل غيره مكانه جاء منه:

- إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام.
- وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة.

(١) وهو أن يذكر المتكلم صفة مدح على طريقة ما؛ ثم يأتي بأداة الاستثناء فيوهم أنه سيذكر صفة مغايرة لما قبلها فيذكر صفة تؤكد ما قبلها.

وهو قسمان:

أحدهما: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح استثناء منقطعًا نحو قوله[١]: (الطويل)

وَلا عَيبَ فيهِم غَيرَ أَنَّ سُيوفَهُم ... بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ[٢]

والتأكيد فيه من جهة:

- أنه كدعوى الشيء ببينة[٣].

ومن جهة: أن أصل الاستثناء: الاتصال، فذكر أداته قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج المستثنى من قبلها، فإذا ولي أداته صفة مدح، وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع، جاء التأكيد لما فيه من المدح إلى المدح، والإشعار بأنه لم يجد صفة ذم تشبيهًا له، واضطر لاستثناء صفة المدح، وتحويل الاستثناء إلى الانقطاع[٤].

وثانيهما: أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء، نحو: حديث «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش[٥] واسترضعت في بني سعد»[٦].

---

(١) أي النابغة الذبياني.

(٢) فـ«العيب» صفة ذم منفية، استثني منها صفة مدح، وهي أن سيوفهم ذات فلول إن كانت عيبًا، والفلول هي آثار الضرب والحرب، في حد السيف، وذلك دليل شجاعتهم، ولا يمكن أن تكون الشجاعة عيبًا.

(٣) وكأنه استدل على نفي العيب عنهم بتعليق وجوده على وجود ما لا يكون، والتعليق بالمحال محال.

(٤) إيضاح ذلك: أن الأصل في الاستثناء الاتصال، فإذا نطق المتكلم بأداة الاستثناء توهم السامع مغايرة ما قبلها لما بعدها، فإذا أتى بعدها بصفة مدح تأكد المدح الأول بنوع من الخلابة والطرافة، فالاستثناء هنا منقطع، ولكنه يقدر متصلًا، لأن الشاعر حول الاستثناء من الاتصال الذي كان مترقبًا إلى الانقطاع الذي لم يكن مترقبًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الواقعة: ٢٥-٢٦]، فما قبل إلا نفي لصفة اللغو والتأثيم، وما بعدها إثبات للسلام، وكلاهما مدح.

(٥) الحديث في شرح السنة للبغوي ٢/ ٢٠٢ تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٦) أثبت النبي (ﷺ) لنفسه صفة الكمال في الفصاحة، والإتيان بأداة الاستثناء بعدها مشعر بأنه أراد =

والنوع الأول أوصل في التأكيد[١].

[تأكيد الذم بما يشبه المدح]

والعكس: أي تأكيد الذم بما يشبه المدح.

وهو ضربان:

أحدهما: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخول صفة الذم في صفة المدح، كقولك: «فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء لمن أحسن إليه»[٢].

= إثبات وصف بعدها مخالف لما قبلها، فلما أثبت أنه من قريش وقريش أفصح العرب، كان ذلك تأكيدًا للمدح بأسلوب ألف الناس سماعه في الذم، ومثله قول النابغة الجعدي:

فَتًى كَمُلَتْ أَخلاقُه غَيرَ أَنَّهُ ... جَوادٌ فَما يُبقي مِنَ المالِ باقِيا

(١) نعم هذا النوع أقل من الأول حسنًا؛ لأنه أفاد التأكيد من جهة واحدة، وهي جهة إثبات المدح مرتين، ولا يفيد التأكيد من جهة أنه كدعوى الشيء بالبرهان والدليل، **وهناك نوع ثالث من تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو**: أن يكون الاستثناء فيه مفرغًا «بمعنى تفرغ العامل للعمل فيما بعد الأداة»، وذلك بأن يُؤتى بمستثنًى فيه معنى المدح، معمولًا لفعل فيه معنى الذم، كقوله تعالى يحكى مقالة سحرة فرعون لما آمنوا بموسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٦]، أي وما تعيب منا إلا أصل المناقب، وأسس المفاخر، وهي: الإيمان بالله، وكون الإيمان عيبًا محال. **فنرى في الآية**: صفة ذم منفية، مستثنى منها صفة مدح، وهذا المستثنى معمول للفعل الذي فيه معنى الذم، ويجرى مجرى الاستثناء هنا: الاستدراك بـ«لكن»، كقول بديع الزمان الهمذاني: (الطويل)

هُوَ البَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ البَحْرُ زَاخِرًا ... سِوى أَنَّهُ الضِرْغَامُ لَكِنَّهُ الوَبْلُ

فلفظ «لكن» تفيد ما أفادته «إلا» و«سوى»، وذلك لأن أداة الاستثناء في هذا الباب بمعنى لكن، لأن الاستثناء منقطع.

(٢) ومنه قول الشاعر: (البسيط)

فإن من لامني لا خير فيه سوى ... وصفي له بأخس الناس كلهم

فالمعنى: أنه لا خير فيه سوى أنه أخس الناس، إن كانت تلك الصفة خيرًا، وكونها خيرًا محال، فيكون ثبوت الخير محالًا.

والتأكيد فيه من وجهين أيضًا:

أ- أنه كدعوى الشيء بالبينة والبرهان لتعلق ثبوت الخيرية له على المحال، وهو كون الأخسية خيرًا.

وثانيهما: أن ينسب للشيء صفة ذم، ويعقب بأداة استثناء، تليها صفة ذم أخرى، كقولك: فلان فاسق إلا أنه جاهل[١].

وتحقيق هذين على قياس ما مر في تأكيد المدح بما يشبه الذم من:

[١] - إفادة التأكيد.

[٢] - والإتيان بالاستثناء المفرغ نحو لا يستحسن منه إلا جهله.

[٣] - وكون الاستدلال فيه بمنزلة الاستثناء نحو: فلان جاهل إلا أنه فاسق، ويجوز جعل هذا النوع داخلًا في قوله: التأكيد، ويراد به النوع البديعي المعروف بـ:

[العكس والتبديل]

العكس والتبديل وهو أن يُقدم في الكلام جزء، ثم يؤخر ذلك الجزء[٢].

إما: بين أحد طرفي الجملة، وما أضيف إليه نحو: عادات السادات سادات العادات[٣].

وإما بين متعلقي الفعل في جملتين نحو [قوله تعالى] ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الروم: ١٩][٤].

ب - أن الأصل فيما بعد أداة الاستثناء مخالفته لما قبلها، ونفي صفة المدح ذم، فإذا أثبت صفة ذم بعد أداة الاستثناء جاء التأكيد.

(١) ومنه: فلان حسود إلا أنه نمام، وقول الشاعر: (المتقارب)

لئيم الطباع سوى أنه جبان يهون عليه الهوان

(٢) ويحْسُن هذا الفنُّ البديعيُّ حين يكونُ كلٌّ من مُقدّم الكلام وتاليه الذي هو عكْسُه مؤدِّيَيْن من المعاني ما يُقْصَدُ لدى البلغاء، كقولهم: كلام الأمير أميرُ الكلام. البلاغة العربية للميداني ٢/ ٤٤١

(٣) كلٌّ من مقدّم الكلام وتاليه الذي هو عكسه في هذا التعبير ذو معنًى مقصود، والمعنيان متكاملان في موضوعهما. البلاغة العربية للميداني ٢/ ٤٤١

(٤) فالجملة الأولى عكس الثانية، وليست العبرة بهذا الشكل الظاهري، بل هو تعجيب من قدرة العليم الخبير ومن حكمته في الكائن القائم وفي الكون الدائر فإن حي الشجر والنبات يخرج من بذر ميت =

وإما بين لفظين في طرفي جملتين نحو [قوله تعالى]: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠][1].

[الرجوع]

والرجوع: وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة[2]، ....

= وكانوا يعدون الساكن هو الميت والنامي أو المتحرك هو الحي فالنبتة حية أخرجت من الحبة وهي ميتة والفرخ كذلك من البيضة وهذا هو إخراج الحي من الميت، والحبة الميتة أصلها من النبتة يوم أن كانت حية والبيضة أصلها من الفرخ وهذا هو إخراج الميت من الحي وبناء الأسلوب على ذلك دعوة إلى التأمل في الكون كله.

(١) ويتجلى عموم المودة والرحمة وتبادلهما، كذلك عموم التخلص للدعوة والإبلاغ وإرجاع الحساب إلى الخالق وحده في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٥٢]، وكذلك تخلص الفضل وطلاقة القدرة لله وحده في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [سورة فاطر: ٢]، وهو من براعة الأديب ومهارته في تحريك النفوس وهز أوتار القلوب. وتأمل من ذلك: سؤل ابن خالويه عن ابن دريد أيُّما أغزر: شعره أو علمه؟ فقال: هو أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وسئل البحتري عن أبى تمام والشافعي، فقال: أبو تمام عالم غلب عليه الشعر، والشافعي شاعر غلب عليه العلم، وقال القاضي أبو يوسف لبعض الأمراء: أنت أمير الشعراء وشاعر الأمراء، ومنه في الشعر: (الطويل)

منعمةُ الأطرافِ زانت عقودها ... بأحسنَ مما زينتها عقودها

وقول الآخر: (الوافر)

رَمى الحَدَثان نِسوَةَ آلِ حَربٍ ... بِمِقدارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمودا

فَرَدَّ شُعورَهُنَّ السودَ بيضًا ... وَرَدَّ وَجوهَهُنَّ البيضَ سُودا

وحرب هو جد معاوية بن أبى سفيان، والحدثان: الدهر، والسمود بمعنى الذهول، هذا ولكل شاهد بلاغته وعليك أن تستكشف ذلك بتأملك في عكس الكلام وتبديل عباراته ومدى أثره في نفسك وبلاغة صاحبه في رؤيتك.

(٢) كالتحسّر، والتحزّن، ودفع توهّمٍ قد يسبق إلى الذهن، واستدراكٍ بقيدٍ، وبيانٍ للمراد من الكلام السابق وغير ذلك. ينظر بغية الإيضاح ٤/ ٢٤

ويفرق الدسوقي بينه وبين الغلط فيقول: نما يكون من البديع إذا كان ذلك النقض لنكتة، وأما إذا

نحو[1]: (الوافر)

وَأخــــوَانٍ حَسِبتُهُم دُرُوعًـــا ... فَكَـانُـوهَـا وَلَـكِـنَ لِـلاعَـادِي[2]

عاد المتكلم لإبطال الكلام الأول لمجرد كونه غلطا فلا يكون من البديع. حاشيته٤/ ٤٨تعليق =

= د عبد الحميد هنداوي..

(١) نسبها الزمخشري لأبي الحسن بن فضال النحوي في: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ١/ ٣٧١، وهو شاعر مغربي توفي سنة ٤٧٤ هـ وقيل هو: هُوَ أَبُو الحَسَنِ على بن فَضالٍ بن عليّ بنِ غَالِبِ المُجَاشِعِيُّ المَيْرَوَانِيُّ وَفَاتُهُ فِي رَبِيع الأوَّلِ بِبَغْدَادَ مِنْ سَنَةِ ٣٧٩. الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ - ٧١٠هـ) ١٠/ ١٤. المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) ذكرهما الخطيب، والشراح في باب القول بالموجب، وقالوا: إنهما من القريب منه، وعلل ذلك الدسوقي بقوله: إذ ليس فيهما حمل صفة ذكرت في كلام الغير على معنى آخر، وإنما فيهما ذكر صفة ظنت على وجه فإذا هي على خلافه، فأشبها هذا القبيل من جهة كون المعنى فيهما في الجملة على الخلاف، وذلك لأنه وقع في ظنه أن إخوانه دروع له، فظهر له أنهم ليسوا دروعا له، بل للأعادى، وظن أنهم سهام صائبات لأعاديه فظهر له أنهم ليسوا كذلك بل سهام صائبة لفؤاده، وأما البيت الثالث فقد صدر اللفظ منه فحمله على غير مرادهم. حاشيته ٤/ ١٤٩، والبيت الثالث الذي يتحدث عنه هو: (الوافر)

وَقَـالُـوا قَـدْ صَـفَـتْ مِـنَّا قُـلُـوْبٌ ... لَـقَـدْ صَـدَقُـوا وَلَـكِـنْ مِـنْ وِدَادِي

وشاهده المشهور عند البغيين قول زهير يمدح هرم بن سنان: (البسيط)

قِـفْ بـالـدِّيَارِ الَّتي لَـمْ يَعْفُهَا الْـقِـدَمُ ... بَـلَـى وَغَـيَّـرَهـا الأَرْوَاحُ والـدِّيَـمُ

والقدم: تقادم العهد، والأرواح: جمع ريح؛ لأن أصله الروح، والديمة: المطر الدائم ، أخبر أولاً بما لا تحقق له، ثم أفاق بعض الإفاقة، فنقض الكلام السابق قائلاً: بلى عفاها القدم، وغيرها الأرواح، والديم. ينظر كتاب الإفاضة في شرح أنبوب البلاغة من تحقيقي تحت الطبع.

- وقيل: نظر زهير إلى ديار مَنْ يُحِبُّ فتورادتْ عليه الذكريات، فتَمَثَّلَتْ صورتُها في نفسه كأنَّها مُشَاهَدَةٌ بعَيْنيه، فوصَفَ الدّيارَ بقوله: «لم يَعْفُهَا الْقِدَمُ» وما لَبِثَ طَوِيلاً حتَّى انجلَتْ تصوُّراتُه النفسيّة، وشاهد الواقع، فلم يَرَ في الدّيار أثراً، فقال: «بَلَى، وغَيَّرَها الأرواح والدّيم».

أي إنّه أراد أن يُعَبِّر عن حالَتِه التي تعرَّض لها في النظرة الأولى ثم في النظرات التي جاءت بعدها، فصَاغَ كلامه بأسلوب الادّعاء أوّلاً، ونقضِ الادّعاء ثانياً. ومنه قول الحماسي «ابن الطَّثْرِيّة":(الطويل)

إلـيـسَ قِـلِـيـلاً نَـظْـرَةٌ إنْ نَـظَـرْتُـهَـا ... إلـيـكِ وَكَـلاَّ لَـيْـسَ مِـنْـكِ قَـلِـيـلُ

وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَصَارُوْهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي

[التورية]

والإيهام: ويسمى التورية[1].

وهو: أن يطلق لفظ له معنيان: قريب، وبعيد، ويراد البعيد.

وهي ضربان:

مجردة: وهي ما لا تجامع شيئًا من ملائم القريب نحو [قوله تعالى] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: ٥]، فالاستواء له معنى قريب، هو: الاستقرار، وهو غير مراد، وبعيد وهو: الاستيلاء، وهو المراد، وليس فيه ما يناسب المعنى الأول[2].

رأى الشاعر أوّلاً أنّ صاحبته إذا سمحت له بنظرة ينظرها إليها فإنّها لا تعطيه إلاّ عطاءً قليلاً، فأطلق = = عبارته فقال: «إليسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إليكِ» ولكن تَنَبَّهَ عَقِبَهَا إِلَى أنّ القليلَ مِنْهَا بالنسبةِ إليهِ شَيْءٌ كثيرٌ يكَثِّرُه حبُّهُ لها وشوقُه إليها، فاستَدْرَك على نفسه، فنقضَ قولَهُ بأسلوبِ زَجْرِ نفسه زَجْرِ نفسه على أوّل تفكيره وتعبيرِه فقال: «وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ». كلُّ هذهِ كانت خواطِرَ مارّةً في نفسه، فرأى بأسْلوبِهِ الأَدَبِيّ أن يُعَبِّر عنها كما هيَ، ويُدَوِّنَها في شِعْرِهِ، ويُشْبِهُ قولَ هذا الحماس قولُ القائل: (الوافر)

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي ولَكِنْ قَلِيلُكَ لاَ يُقَالُ لَه قَلِيلُ

ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها للميداني ص ٨٠٠.

(١) **في اللغة**: مصدر ورَّيت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره.
ولابد فيها من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد، ولا تحتاج إلى علاقة كالمجاز، ولا إلى واسطة كالكناية، وقد اعتبرت من البديع لاعتمادها على قرينة خفية تحتاج إلى دقة وتفطن، وهي ثمرة من ثمار اللفظ المشترك، ودليل من أدلة براعة اللغة، وسميت إيهاما؛ لأن فيها ما يوهم غير المراد.

(٢) اختلفت مذاهب العلماء في هذا القول الكريم وأمثاله من آيات الصفات، ويكفي أن نذكر هنا ما جمعه الشيخ الزرقاني رحمه الله من باب الإحاطة والتعليم.
قال: يتفق الجميع من سلف وخلف على أن ظاهر الاستواء على العرش، وهو الجلوس عليه مع التمكن والتحيز مستحيل لأن الأدلة القاطعة تنزه الله عن أن يشبه خلقه، أو يحتاج إلى شيء منه سواء أكان مكانا يحل فيه أم غيره، وكذلك اتفق السلف والخلف على أن هذا الظاهر غير مراد لله قطعا؛ لأنه تعالى نفي عن نفسه المماثلة لخلقه وأثبت لنفسه الغنى عنهم فقال ليس كمثله شيء وقال: ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ

= ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ [سورة لقمان: ٢٦]، فلو أراد هذا الظاهر لكان متناقضا.

= **ثم اختلف السلف والخلف بعد ما تقدم:**

فرأى السلفيون: أن يفوضوا تعيين معنى الاستواء إلى الله هو أعلم بما نسبه إلى نفسه وأعلم بما يليق به، ولا دليل عندهم على هذا التعيين.

ورأى الخلف: أن يؤولوا؛ لأنه يبعد كل ا لبعد أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمون.

وما دام ميدان اللغة متسعا للتأويل وجب التأويل بيد أنهم افترقوا في هذا التأويل فرقتين:

فطائفة الأشاعرة: يؤولون من غير تعيين، ويقولون إن المراد من الآية إثبات أنه تعالى متصف بصفة سمعية لا نعلمها على التعيين تسمى صفة الاستواء.

وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف؛ لأن اللغة تتسع لهذا المعنى ومنه قول الشاعر العربي:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

أي استوى وقهر أو دبر وحكم، فكذلك يكون معنى النص الكريم: الرحمن استولى على عرش العالم، وحكم العالم بقدرته ودبره بمشيئته.

وابن دقيق العيد يقول بهذا التأويل إن رآه قريبا ويتوقف إن رآه بعيدا.

ومثل ذلك في نحو: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [**سورة الرحمن: ٢٧**]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [**سورة طه: ٣٩**]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [**سورة الفتح: ١٠**]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [**سورة الزمر: ٦٧**]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [**سورة النحل: ٥٠**]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [**سورة الفجر: ٢٢**]، و﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [**سورة الأنعام: ٥٩**].

فالسلف يفوضون في معانيها تفويضا مطلقا بعد تنزيه الله عن ظواهرها المستحيلة، **والأشاعرة** يفسرونها بصفات سمعية زائدة على الصفات التي نعلمها، ولكنهم يفوضون الأمر في تعيين هذه الصفات إلى الله فهم مؤولون من وجه، مفوضون من وجه، **والمتأخرون** يفسرون الوجه بالذات ولفظ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة طه: ٣٩] بتربية موسى ملحوظا بعناية الله وجميل رعايته، ولفظ اليد بالقدرة، ولفظ إليمين بالقوة، والفوقية بالعلو المعنوي دون الحسي، والمجيء في قوله «وجاء ربك» بمجيء أمره، والعندية في قوله ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [**سورة الأنعام: ٥٩**]. بالإحاطة والتمكن، أو بمثل ذلك في الجميع. مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٢٩٠. محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة.

وذكر الزركشي: أنه نقل عن عن أم سلمة أنها سئلت عن الاستواء فقالت: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

ومرشحة: نحو [قوله تعالى] ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧].

«فاليد مما له معنى قريب غير مراد، وهو الجارحة، وبعيد وهو القدرة، وهو المراد، ورشح بما يناسبه وهو البناء[1].

وكذلك سئل عنه مالك فأجاب بما قالته أم سلمة، إلا أنه زاد فيها: أن من عاد إلى هذا السؤال عنه = أضرب عنقه، وكذلك سئل سفيان الثوري فقال: أفهم من قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ ما أفهم من قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة: ٢٩]، وسئل الأوزاعي عن تفسير هذه الآية فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كما قال: وإني لأراك ضالا. البرهان في علوم القرآن ٢/ ٧٨ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ -١٩٥٧م. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

ومن شواهد التورية المجردة: وهي التي لم يذكر فيها ما يلائم المعنى القريب أي «المورَّى به». قول أبي بكر (t) وقد سئل عن النبي (ﷺ) حين الهجرة، فقيل له: من هذا؟ فقال: «هاد يهديني»، أراد أبو بكر أنه هاد يهديه إلى الإسلام، ولكنه ورَّى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر، فأوهم بهذا المعنى القريب، غير أنه أراد المعنى البعيد، وهو الهداية إلى الإيمان والإرشاد إلى طريقه وسبيله، وليس هنا ما يلائم المعنى القريب.

وكذلك لما خرج النبي (ﷺ) في غزوة بدر ووجد أعرابيًا في الطريق، فسأله: ما علمك بقريش ومحمد؟ فقال له الأعرابي: مم أنت؟ فقال له النبي (ﷺ): حتى تخبرني، فقال الأعرابي: بلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا، ومحمد خرج يوم كذا... ثم استنجزه الوعد، فقال له النبي (ﷺ): أنا من ماء، ومضى، فأوهم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) أنه من العراق، لأن من أسماء العراق «ماء» وهو يريد أنه من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب»

وليس في هذا الكلام ما يلائم المعنى القريب غير المراد، وفيه قرينة خفية تدل على المعنى البعيد تحتاج في إدراكها إلى تعمُّل وتأمل؛ ولذا سميت التورية أيضًا بالإيهام، لأن فيها ما يوهم غير المراد.

(١) هذا الشاهد من آيات الصفات أيضا وينطبق عليه ما سبق في البيان السابق، ومن شواهد هذا النوع من التورية والإيهام: قول الشاعر: (الطويل)

حَمَلۡنَاهُمُ طُـرًّا عَلَى الدهم بَعۡدَمَا ... خَلَعۡنَا عليهِم بِالطِّعَانِ مَلابِسَا

المعنى: أنهم أسروا أعداءهم وقيدوهم بالحديد بعد أن أثخنوهم بالجراح، وطُرًّا: حال بمعنى جميعًا، الدهم: جمع أدهم، وهو الفرس الأسود، ومعناه المراد القيد من الحديد، فكلمة (الدهم) لها معنيان، أحدهما قريب وهو «الخيول السود» وهو المتبادر إلى الذهن وهو غير مراد، والآخر بعيد وهو «القيود السود» وهو المراد، وقد رشحت التورية بما يلائم المعنى القريب، لأن كلمة «حملناهم» تناسب



الخيول.
=

ومنها قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٢٩]، فاليد لها معنى قريب هو الجارحة وهو غير مراد ومعناها البعيد المراد هنا هو «الذلة» وقد اقترنت بالإعطاء الذي يناسب المعنى القريب والملائم هنا مذكور قبل لفظ التورية، وقد يذكر بعده، كقول القاضي عياض في صيفية باردة: (البسيط)

كأن كانونَ أهدى من ملابسه لشهر تمُّوزَ أنواعًا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل

(كانون: من أشهر السنة الشمسية يقع في زمن البرد، وتموز شهر منها يقع في زمن الدفء، والجدي والحمل: برجان الأول في البرد والثاني في الدفء).

الشاهد في لفظ «الغزالة» فالمعنى القريب لها هو الظبية غير مراد، والمعنى البعيد المراد هو الشمس، وقد قرنت بعدها بما يلائم القريب وهو قوله «خرفت» لأن الخراف من جنس الغزالة والمراد به المعنى المجازي وهو قلة وعيها أو عقلها، وفي كل من الجدي والحمل تورية يراد بها المعنى البعيد (البرج).

[اللف والنشر]

[٢٢أ] **واللف والنشر**[١]: وهو ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل من غير تعين؛ ثقة برد السامع لكل منهما ما هو له، بالقرينة اللفظية، أو المعنوية.

فالأول: وهو مرتب نحو [قوله تعالى]: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ

---

(١) المعنى اللغوي لهذا المصطلح يدل على اجتماع أشياء، وتفرق ما يناسبها، وذلك لأن اللف يدل على الجمع، يقال: لف الشيء يلفُّه لفًا أي جمعه، ويقال: جاء القوم بلفهم ولفيفهم أي بجماعتهم وأخلاطهم فهو جمع شيء إلى آخر كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الإسراء: ١٠٤]، أي مجتمعين، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة النبأ: ١٦، أي: بساتين ملتفة... والنشر هو البسط، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [سورة التكوير: ١٠]، وكما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: ١٠].

والمبرد من أوائل الذين التفتوا إلى هذا النوع من البيان وقال فيه: والعرب تلف الخبرين المختلفين، ثم ترمى بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كلٍّ خبره»، نلحظ أنهم قالوا من غير تعيين لأنه لو عُيِّن لكان من باب التقسيم، وهو لون بلاغي آخر، والفروق بين المصطلحات تدق إلى أبعد الحدود.

- **بلاغته وسبب تسميته**: وبلاغة هذا النوع من الكلام تتجلى في أنه يلف الأشياء تشويقًا لمعرفة خصائصها ثم ينشرها فتتركز في الطباع.

سبب التسمية: وسمى الأول لفًا: أخذًا من جمعها وضم بعضها إلى بعض.

وسمى الثاني نشرًا: أخذًا من بسطها مرتبة أو غير مرتبة، اعتمادًا على فطنة السامع، وهو كثير في البيان يبدأ من نوعين ويرقى إلى خمسة أشياء ملفوفة تقابلها خمسة منشورة ولكنه ليس من المقابلة لأن المقابلة فيها تضاد فلا تغفل ذلك وتأمل في الخمسة قول بعضهم: (البسيط)

لفّي ونَشري اِنتهائي مبدئي شَغفي ... مَعهم لديهم إليهم منهم بهمِ

فالخمسة الأولى ملفوفة ونشرها في الخمسة التالية، فلفي معهم، ونشري لديهم وانتهائي إليهم ومبدئي منهم وشغفي بهم، أرأيت أنك تستطيع أن ترد من النشر ما له في اللف من غير تعيين؟ ولذا قالوا ثقة بأن السامع يرده إليه.

وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [سورة القصص: ٧٣].

ذكر المتعدد مفصلًا، وردّ السكون إلى الليل، وابتغاء الفضل إلى النهار، وهو طلب المكاسب، والمعايش[١].

وغير مرتب نحو قوله[٢]:

(١) الآية الكريمة من النوع الأول الذي يأتي النشر فيه على ترتيب اللف أي يكون الأول للأول وهكذا، وهذا الضرب هو الأكثر في هذا النوع والأشهر فيه، وفي الآية ذكر الليل والنهار على التفصيل ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه وما للنهار وهو الابتغاء من فضل الله على الترتيب.
ومن شواهد هذا النوع أيضًا قوله تعالى أول سورة هود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [سورة هود: ١]، قال الإمام الرازي: أي: أحكمت وفصلت من لدن حكيم خبير، وعلى هذا التقدير فقد حصل بين أول الآية وآخرها نكتة لطيفة كأنه يقول: أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبير عالم بكيفيات الأمور. أ. هـ.
وهذه النكتة هي اللف المفصل والنشر الذي رتب على تفصيله كما ترى لأن الإحكام من الحكيم والتفصيل من الخبير. وقوله (ﷺ): «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير» وفي الشعر قول ابن حَيُّوس: (الكامل)

فِعلُ المُدامِ وَلَونُها وَمذاقُها ... في مُقلَتَيهِ وَوَجنَتَيهِ وَريقِهِ

فقوله «في مقلتيه» عائد على أثر الخمر وفعلها في عقله، وقوله: ووجنتيه» عائد إلى اللون، والريق عائد إلى المذاق، وهذا هو الطريق تراه أيضًا في قول ابن الرومى يخاطب آل نوبخت ويشبه آراءهم ووجوههم وسيوفهم بالنجوم (تشبيه جمع): (الكامل)

آراؤكُمْ ووجوهكُمْ وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجونَ نجومُ
فيها معالمُ للهُدَى ومصابحٌ ... تجلو الدجى والأخريات رُجومُ

فالمعالم للآراء، والمصابح للوجوه، والرجوم - أي الشهب - للسيوف، واعترض بعضهم بأنه يوجد تعيين في الأخير، لأن الأخريات معينة للسيوف وعليه فيكون من باب التقسيم، وأجيب بأن النشر إنما وقع في الضمير «فيها» أي في الآراء، والوجوه والسيوف، معالم ومصابح... الخ، فليس ثمة تحديد، وذكر الشيخ عبد المتعال الصعيدي بأنه لو افترضنا وجود التعيين فإنه في بعضها دون البعض، والأرجح أنه لا تعيين لأن قوله «والأخريات رجوم» لا تصلح خبرًا عن السيوف. ينظر: بغية الإيضاح ٤/ ٢٨، ٢٩.

(٢) البيت منسوب في بعض كتب البلاغة لابن حيوس (٣٩٤ - ٤٧٣هـ = ١٠٠٣ - ١٠٨١م) محمد بن =

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغـــزال لـحـظـا وقـــدا وردفـــا

فاللحظ: للغزال، والقد: للغصن، والردف: للحقف، وهو المجتمع من الرمل[1].

= سلطان بن محمد بن حيوس الغنوي، الأمير أبو الفتيان، مصطفي الدولة: شاعر الشام في عصره. يلقب بالامارة، وكان أبوه من أمراء العرب. ولد ونشأ بدمشق. وتقرب من بعض الولاة والوزراء بمدائحه لهم. وأكثر من مدح (أنوشتكين الدزبري) من وزراء الفاطميين، وله فيه ٤٠ قصيدة. ولما اختل أمر الفاطميين وعمت الفتن بلاد الشام، ضاعت أمواله ورقت حاله، فرحل إلى حلب وانقطع إلى أصحابها (بني مرداس) فمدحهم وعاش في ظلالهم إلى أن توفي، بحلب، له (ديوان شعر - ط) في مجلدين، صدره السيد خليل مردم بمقدمة في ٤٥ صفحة، استوفي بها سيرته وأخباره. الأعلام ٦/ ١٤٧

(١) المعنى: كيف أصبر وأترك حبك وأنت بهذه الأوصاف من حسن العينين واعتدال القامة وعظم الردف؟
وهو من اللف والنشر غير المرتب: بمعنى: أن يأتي النشر على عكس ترتيب اللف بأن يكون أول النشر لآخر اللف، فأول النشر «لحظًا» لآخر اللف «وغزال»، وكذا القد للغصن والردف للحقف وهو مجتمع الرمل إذا استدار، يشبِّه عجزها به.
ومن شواهده أيضا: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٧]، فقد جمعت الآية حالة المؤمنين وحالة الكافرين في بياض الوجوه وسوادها، كناية عن المصير المحتوم لكل منهما ولذلك تصلح الآية شاهدًا على طباق التدبيج السابق لأن البياض والسواد ضدان يُقصد بهما الكناية عن السرور لهؤلاء والكآبة لهؤلاء.
والمهم هنا أنه لفَّ الحالتين ثم لما نشرهما جاء الأول من النشر للأخير من اللف كما هو جلي أمامك، والسبب في ذلك أن المقام مقام تبكيت وتأنيب وتعنيف فكأنه يلاحقهم بهذا الوصف فيختم بهم ويبدأ بهم، وفيه من زيادة المشقة عليهم ما فيه لو كانوا يشعرون، وكذلك لتكون البداية والنهاية للمؤمنين، ولتدور الدائرة على الكافرين، وفيها يقول شيخنا الدكتور/ محمود توفيق - حياه الله -«فيكون تشكيل الآيات على نهج التشكيل الدائري الذي يعطى إيحاءً بإحاطة المؤمنين بالكافرين».
ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [سورة الإسراء: ١٢]، فابتغاء الفضل هو أول النشر جعله لآخر اللف ﴿آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ والمبصرة اسم فاعل لأنها ترسل شعاع الأشياء إلى العين كما يقول فضيلة الشيخ الشعراوى (رحمه الله)، وجعل آخر النشر ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، لأول اللف: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾؛ لأن القمر علامة الشهور وفيه يقول سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩]، وفي الآية الكريمة أيضًا ما يسمى بالجمع مع التفريق =

والثاني: ما يكون المتعدد فيه مجملا(١).

نحو [قوله تعالى]: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [سورة البقرة: ١١١].

فضمير (قالوا) لليهود والنصارى، ذُكروا على سبيل الإجمال بالضمير العائد إليهما، أي قالت اليهود لن يدخل إلا من كان هودًا، وقالت النصارى لن يدخل إلا من كان نصارى، فلف بين الفريقين، والقولين، إجمالًا؛ لعدم الإلباس، والعلم بتضليل كل فريق صاحبه، واعتقاد أنه داخل الجنة دون صاحبه(٢).

= حيث جمع بين الليل والنهار في أنهما آيتان ثم فرق بينهما في ذلك الحكم فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة...

وكذلك في إسناد الإبصار إلى النهار مجاز عقلي لأن النهار لا يبصر بل يُبْصَر فيه، كما في قولهم: نهاره صائم وليله قائم، وتأمل من هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة لقمان: ١٨]، فاللف بين: التصعير،... والمشي مرحًا وجاء الأول من النشر «المختال» للأخير من اللف «المشي مرحًا والثاني من النشر «الفخور» للأول من اللف «تصعير الخد» مع أنه ليس واحد منهما بأقل رتبة من الآخر في الازدراء ولكن مجيء البناء على هذه الشاكلة آكد لهذا الازدراء وكأنه - سبحانه - أراد أن يتمم شأن الماشي في الأرض مرحًا بأنه مختال وأنه بذلك مبغوض عند الله فبدأ بيان البغض من حيث انتهى كما أن تقديم هذا مرة وذاك أخرى دليل على تساويهما في عدم محبة الله.

(١) معناه أن المتعدد يذكر على جهة الإجمال وبعضهم يجعله لفًا تقديريًا.

(٢) توضيح ذلك: أن اللف مجموع ومجمل في كلمة «قالوا» لأنها تشمل أهل الكتابين: اليهود والنصارى، والتقدير: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًّا، وعليه فـ «هودًا ونصارى» نشر لما أجمل في قوله «وقالوا»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [سورة البقرة: ١٣٥]، فقوله: «قالوا» لفّ ضميرين أحدهما لليهود، أي قالت إليهود كونوا هودًا تهتدوا، والآخر للنصارى أي: قالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا، وعليه فـ«أو» للتنويع لا للتخيير؛ لأن كل فريق يدعو إلى دينه، لذلك جاء الرد عليهم ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١٣٥].

[الاستخدام][1]

والاستخدام: بالمعجمة والمهملة: أن يراد بلفظ ذي معنيين أحدهما ثم يراد بضميره ما في معنييه.

نحو قوله[2]: (الوافر)

إذا نَـزَلَ السَّـمـاءُ بـأرضِ قـومٍ رَعَـيْـنـاهُ وإنْ كـانُـوا غِـضَـابَـا

فالسماء له معنيان: الغيث، وهو المراد أولًا، والنبات،..............................

---

(١) **معناه وسبب تسميته وتاريخه**: الاستخدام في اللغة: استفعال من الخدمة، وسمي بذلك لأن الكلمة تخدم معنيين.

أول من تحدث فيه وتناوله بوضوح أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) في كتابه «البديع في البديع في نقد الشعر» وعرفه تعريفًا جامعًا شاملًا لتقسيمات المتأخرين بعده حين أرادوا تعريفه، فقال ابن منقذ:

اعلم أن الاستخدام هو أن يكون للكلمة معنيان فتحتاج إليهما فتذكرها وحدها تخدم للمعنيين، ومثَّل له بقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾ [سورة النساء: ٤٣]، فموطن الشاهد هنا كلمة «الصلاة» لأنها تحتمل معنيين هنا وكل معنى له قرينة تدل عليه، فالمعنى الأول لها «فعل الصلاة» بما فيها من حركات وسكنات... إلخ، والدليل عليه قوله سبحانه في ذات الآية ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ والمعنى الثاني لها «مكان الصلاة أو موضعها» والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾ يعني يجوز لكم المرور من مكانها.

(٢) نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير وهو من قصيدة من الوافر أولها

أقـلـي الـلـوم عـاذل والـعـتـابـا وقـولـي إن أصـبـت لـقـد أصـابـا

ونسبه المفضل في اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء وساقه في قصيدة طويلة أولها

أجـد الـقـلـب مـن سـلـمـى اجتـنـابـا وأقـصـر بـعـد مـا شـابـت وشـابـا

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد في قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه. معاهد التنصيص ٢/ ٢٦٠.

وهو المراد عند عود رعيناه إليه(١).

---

(١) **هذا المثال للنوع الأول الذي قيل فيه:** (أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم بضميره معناه الآخر) معنى البيت أن الشاعر يفاخر بقومه وأنهم يفعلون ما شاءوا من الرعي في بلاد الأقوام ولا يبالون بأحد فإذا رأوا مرعًى نزلوا فيه وإن غضب أهله فهم أصحاب رياسة وبأس وغلبة، **والشاهد:** في كلمة «السماء» فإنه يقصد بها المطر لأنه هو الذي ينزل، والضمير في «رعيناه» عائد عليها فأدى إلى أن المقصود بها النبات الذي كان المطر سببًا فيه، **فلفظة السماء لها معنيان: أحدهما:** يفهم منها؛ لأنها لا تنزل إنما ينزل المطر.

الثاني: يفهم من الضمير العائد عليها في «رعيناه»؛ لأن المطر الذي كانت السماء مجازًا عنه بعلاقة المجاورة سبب في هذا المرعى.

ولا يخفي عليك أن في كلمة «السماء» مجازًا مرسلًا علاقته المجاورة لأنها يقصد بها المطر والقرينة لفظ «نزل» وفي معناه الآخر النبات مجاز آخر علاقته السببية لأن الغيث سبب في النبات، والقرينة لفظ «رعيناه».

وتأمل من هذا القبيل قول الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، تجد أن لفظة «الشهر» يقصد بها الهلال لأنه هو الذي يُشاهد وأن الضمير العائد عليها في قوله «فليصمه» يقصد به الزمن المعلوم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٢-١٣]، الآية جلية وشاهدنا فيها لفظ «الإنسان» فإن له مرادين: أحدهما: آدم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، والثاني: في الضمير العائد عليه «جعلناه» فإنه يقصد به نسله.

فاللفظ ذاته أفاد معنى، وضميره أفاد معنى آخر. هذا على اعتبار أن المقصود به آدم، ولكن على قول من يرى أنه يراد به ذريته فلا استخدام.

وتأمل قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا﴾ [سورة النور: ١]. تجد أن الضمير في «فرضناها» يقصد به الأحكام التي احتوتها السورة وعليه فكلمة «سورة» يقصد بها عموم السورة المشتملة على الآيات بما فيها، ويقصد بضميرها الأحكام، وهذا باب واسع يحتاج إلى دراسة مفصلة في كتاب الله سبحانه وأنصح بها لأنه باب جليل من الأبواب التي تثري اللغة وتوضح جلائل المقاصد من الكلام، ومنه قول البحتري: (الكامل)

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم ... شبوه بين جوانحي وضلوعي

وهو شاهد النوع الثاني الذي ذكروه في قولهم: أو يراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر، أي يأتي في الكلام لفظ يعود عليه خلال السياق ضميران كل واحد منهما يؤدى معنى.

انظر المعنى أولًا تجد لفظ «سقى» خبرًا يراد به الإنشاء؛ لأنه يدعو لديار الأحبة بالسقيا، والغضا =

[المشاكلة]

والسوق والمراد المشاكلة وهي: ذكر الشيء بلفظ غيره[1]؛ ....

= شجر صلب يتقد جمره زمنًا طويلًا، أو اسم مكان، يعني شاهدك في لفظ «الغضا» لأنه يحتمل المعنيين السالفين ويوجد في الكلام ضميران أحدهما يوضح كونه اسم مكان وهو ضمير قوله «والساكنيه» والثاني يجعله اسم شجر وهو ضمير «شبوه» لأن الجمر أصله شجر، والمقصود بالنار هنا نار الشوق. والفرق بين هذا النوع والنوع الأول هو تعدد الضمير فقط، وهو قليل في كلام البلاغيين ويحتاج إثباته إلى بحث في بطون الكلام شعره ونثره، وتستطيع الوقوف عنده حيث تجد كلامًا يحتمل معنيين، وقد يكون بطريق غامض كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ [سورة الرعد: ٣٨-٣٩].

فالشاهد - على رأي بعض العلماء توسط بين دليلي معناه - في كلمة «كتاب» فإنها تحتمل معنى الأجل المحتوم أي الأمد، بدليل ذكر «أجل» قبلها وتحتمل الكتاب المكتوب بقرينة «يمحو» ذكر هذا ابن أبي الإصبع المصري، وأراه تكلفًا وتحميلًا للسياق ما لا يكون، والتورية أولى به لأن المعنى القريب فيه غير مراد، ولذلك فرق هو بينه وبين التورية بأنه يستخدم المعنيين.

وذكر السيوطى أنه استخرج بفكره على طريقة السكاكي «تعريف المتأخرين» آيات منها قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [سورة النحل: ١]، وبيَّن أن ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ يراد به ثلاثة معان هي: قيام الساعة، والعذاب، وبعثة النبي (ﷺ)، وأعيد عليه الضمير في «تستعجلوه» مرادًا به قيام الساعة والعذاب، وذكر صفي الدين الحلي أنه عزيز، ولذلك لم يذكر له المتقدمون أمثلة كثيرة.

بلاغته:

بعد هذه التطوافة حوله وحول ما قيل فيه تلمح أنه فن جليل يحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطف فكر ودقة نظر وبه تتنوع الدلالة البلاغية للفظ وتتسع آفاق الكلام بالقرائن والأدلة، ومن براعة المتكلم أن يستجلي من اللفظ معنيين بدقة النظر في سياقه أو منه معنى ومن ضميره معنى آخر، أو من كل من ضميريه - إن وجدا - معنى، فهذا ضرب من ثراء اللغة وطول باعها شريطة ألا يتسع الكلام فيه دون دليل.

- وقد لاحظت فيما سبق أنه يأتي في حقيقة الكلام ومجازه، وأنه يفوق التورية في إرادة المعنيين أو احتمال السياق لهما بالقرائن، ومن ثم حسن تسميته استخدامًا لخدمة الكلمة الواحدة أكثر من معنى على التحقيق والتدقيق، وهكذا ترى لكل فن من فنون التعبير دلالة تطابق المقام.

(١) المشاكلة تختلف عن جوهر المجاز؛ لأنه ذكر الشيء بلفظ غيره لعلاقة بينهما من حيث المدلول =

لوقوعه في سوقه وصحبته[١]؛ تحقيقًا، أو تقديرًا.

الأول كقوله[٢]: (الكامل)

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أي خيطوا، فلوقوع الخياطة عقب سوق الطبخ عبر به عنها[٣].

ومنه [قوله تعالى]: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، قيل أصله: ولا أعلم معلوماتك؛ لأن الكلام النفسي لا يجوز على الله تعالى؛ لأنه وسوسة، إلا أنه سلك بالكلام طريق المشاكلة، ....

= لا من حيث الملفوظ، أما المشاكلة فهي مصاحبة لفظ للفظ، وعلى ذلك فالمصاحبة في المشاكلة ليست هي المجاورة في المجاز المرسل.

زاد البلاغيون في التعريف (أو بلفظ ضد ذلك الغير أو مماثل هذا الغير). لتكتمل صورة المشاكلة.

(١) معنى الوقوع في صحبته: أن ذلك الشيء الملبس لفظ غيره وجد مصاحبًا لغيره، فأحدثت هذه المصاحبة سبيلًا إلى مشاكلته لغيره في لفظه.

والصحبة نوعان:

أ - **صحبة ذكرية**: وهي التحقيقية التي تكون عند تحقق ذكر لفظ الأول.

ب - **صحبة علمية**: وهي الصحبة التقديرية التي تكون عند تحقق خطور معنى الأول في البال دون تحقق ذكر لفظه.

(٢) الْبَيْت من الْكَامِل وقائله أَبُو الرقعمق يرْوى أَنه قَالَ كَانَ لي إِخْوَان أَرْبَعَة وَكنت أنادمهم أَيَّام الْأُسْتَاذ كافور الإخشيدي فَجَاءَنِي رسولهم فِي يَوْم بَارِد وَلَيْسَت لي كسْوَة تحصنني من الْبرد فَقَالَ إخوانك يقرأون عليك السَّلَام وَيَقُولُونَ لَك قد اصطبحنا الْيَوْم وذبحنا شَاة سَمِينَة فاشته علينا مَا نطبخ لَك مِنْهَا قَالَ فَكتبت إِلَيْهِم: (الْكَامِل)

إخواننَا قصدُوا الصبوحَ بسحرة فَأتى رسولُهُمُ إِلَى خُصُوصا

قَالُوا اقترح شَيْئا نجد لَك طبخه قلت اطبخوا لي جُبَّة وقميصا

قَالَ فَذهب الرَّسُول بالرقعة فَمَا شَعرت حَتَّى عَاد وَمَعَهُ أَربع خلع وَأَرْبع صرر فِي كل صرة عشرَة دَنَانِير فَلبِست إِحْدَى الْخلْع وصرت إِلَيْهِم. معاهد التنصيص ٢/ ٢٥٢ وينظر الإيضاح ص ٣٤٨.

(٣) أيِ أَنَّهُ أَرَادَ خيطوا فَذكر خياطَة الْجُبَّة والقميص بِلَفْظ الطَّبْخ لوقوعها فِي صُحْبَة طبخ الطَّعَام

فقيل: في نفسك؛ لقوله: في نفسي(١).

والثاني نحو [قوله تعالى] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [سورة البقرة: ١٣٨]، وإنما كانت من صَبغه، مصدر مؤكد؛ لأن الإيمان مطهر النفوس من دنس الكفر وصبغة الله بمعنى تطهير الله.

والأصل: أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: إنه تطهير لهم، فإذا فعل ذلك أحد بولده قال الآن صار نصرانيًّا حقًّا، فأمر المسلمين بأن يقولوا: آمنا، أي طهرنا أنفسنا مثل طهارتكم أنفسكم بالمعمودية، فعبروا عن الإيمان بالله الذي هو تطهير الله بصبغة الله؛ للمشاكلة، لوقوعه في صبغة النصارى؛ تقديرًا بقرينة سبب النزول الحالية، وغمس النصارى أولادهم في المعمودية، وإن لم يذكرا(٢).

---

(١) ومن شواهدها أيضا: قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤]، عبر عن جزاء الاعتداء بلفظ الاعتداء لوقوعه في صحبته تحقيقًا، وبذلك يكون قد سمى الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠]، فقد سمى عقاب الله لهم مكرًا ليشاكل مكر الكفار زيادة في روعتهم ومبالغة في تعنيفهم، وأن الجزاء سيكون على قدر مكرهم.

(٢) شواهدها أيضا: قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٦]، فإن المشاكلة بلفظ «يستحي» كانت للفظٍ قيل من أعداء الله لما ضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت، فقالوا: أما يستحي رب محمد أن يضرب المثل بالأشياء المحقرة، فنزلت هذه الآية، وقول أعداء الله هذا لم يكن مصاحبًا على سبيل التحقيق، بل على سبيل التقدير، لأنه وقع منهم قبل نزول الآية، فكأنها وقعت في صحبته تقديرًا والمقدر كالموجود لأنه سبب نزولها.
وعلى ذلك فبلاغة المشاكلة تكمن في جمالٍ في العبارة، وسموٍ في البلاغة؛ لأن المعنى الثاني ليس هو عين الأول مع أنه عُبر به لوقوعه في صحبته، والمصاحبة شطر جوهر المشاكلة.
وقد يذكر الشيء بلفظٍ ضد ما هو واقع في صحبته تحقيقًا أيضًا، **ومن ذلك** ما روى أن القاضي شريحًا قال لرجل شهد عنده: إنك لسَبْطُ الشهادة، فقال الرجل: إنها لم تُجَعَّد عنى»
أصل السبوطة: انطلاق الشعر وامتداده، فعبر بها لبيان استمرار الشهادة عنده وامتداد حفظها، فقال الرجل إنها لم تجعد عني والتجعيد ضد السبوطة فهو يستلزم القصور، وهذا من المشاكلة بلفظ مضاد للمذكور في صحبته، لأن التجعيد ضد السبوطة، **ومن ذلك** قول أعرابي لرجل: «لا تدنس شعرك =

[سوق المعلوم مساق غيره]

أو المراد بقوله: **والسوق** [٢٢ب] سوق المعلوم مساق غيره؛ لنكتة، ويسمى تجاهل العارف(١).

وبالأول سماه السكاكي قال: ولا أحب تسميته بالتجاهل؛ لوروده في كلام الله تعالى(٢).

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، مع علمه أنه لم يقله، وهو لتوبيخ مدعي ذلك.

= بعرض فلان فإنه سمين المال مهزول المعروف قصير عمر المُنى طويل حياة الفقر»

الشاهد في ذلك: قوله: «مهزول المعروف» لأن الرجل كان يطمع في معروفه لما علم أنه سمين المال، فأراد أن ينزع من قبله هذا الطمع فعبر بلفظ مضاد للمذكور فقال: «مهزول المعروف» فذكر المراد بلفظ مضاد للمذكور الواقع في صحبته؛ لأن الهزال ضد السمنة، ويمكن أن يكون المذكور بلفظ مماثل للفظ غيره الواقع في صحبته التحقيقية.

ومن ذلك ما روي أن رجلًا قال لوهب: أليس قد ورد أنَّ «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة؟ فقال وهب: بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بالأسنان فتح لك وإلا لم يُفتح لك»، فالرجل لما عبر عن «لا إله إلا الله» بالمفتاح كان ذلك دافعًا لوهب أن يعبر عن تحقيق الأعمال الصالحة المعتبرة في الإسلام بالأسنان، وهذا اللفظ «الأسنان» مشاكل للفظ «المفتاح» لأنه مماثل له.

(١) هذا الأسلوب البديعي يُفقه معناه من عنوانه هذا (تجاهل العارف)؛ لأن السائل حين يسأل عن شيء ما وهو يعلم ما يريد أن يسأل عنه فهذا دليل على أنه يتجاهل، ولكن هذا التجاهل يكون مباحًا إذا كان وراءه نكتة بلاغية، أما لغير نكتة فإنه لا يحق لك أن تسأل عما تعرفه، والذي سماه بذلك ابن المعتز ولم يعرفه ولكنه مثل له ببعض الشواهد التي جاءت في بابه وعدَّه ضمن محاسن الكلام. ينظر البديع لابن المعتز ص، وسماه أبو هلال «تجاهل العارف ومزج الشك باليقين» **وعرفه بقوله:** «هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدًا، ومثل له بشواهد من المنثور والمنظوم، تراجع في كتاب الصناعتين ص، وسيأتي دراسة بعضها ههنا.

(٢) أي ولا تليق به هذه التسمية (تجاهل العارف) لذلك رجح كثير من العلماء أن يسمى سوق المعلوم مساق غيره تأدبًا مع القرآن الكريم، وهذه التسمية أعم لأنها تشمل جميع أغراضه في كلام الشعراء دون كلام الله سبحانه. مفتاح العلوم .

ونحو[١]: (الطويل)

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا؟ كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

وعدم جزع الشجر معلوم للقليل، لكنه تجاهل، ويكون ذلك؛ للمبالغة في المدح أو الذم[٢].

وللتّدلّه أي: التبحر في الحب كقوله[٣]: (البسيط)

بِاللَّهِ يَا ظَبَيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ؟

تجاهل؛ لتحيره في الخبر، حيث أمر الظبيات بإعلام ما هو الواقع[٤].

---

(١) قول: ليلى بنت طريف بن الصلت، التغلبية الشيبانية (نحو ٢٠٠هـ - نحو ٨١٥م): شاعرة، من الفوارس، كانت تركب الخيل وتقاتل، وعليها الدرع والمغفر. وهي أخت» الوليد بن طريف» الخارجي، اشتهرت بقصيدة لها في رثائه، تقول فيها: «أيا شجر الخابور مالك مورقا؟ كأنك لم تجزع على ابن طريف!» قال ابن خلكان: كانت تسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر. الأعلام ٥/ ١٢٨.

(٢) والبيت الذي بعده:

فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنًا وسُيُوفِ

والخابور نهرٌ بديار بكر، تخاطب شجره لائمة له بأنه مورق نضر لم يذبل ولم يتأثر بموت هذا الشجاع، وهي تعلم أنه لم يجزع ولكنها نزلت نفسها منزلة من لا يعلم فخاطبته وكأنه يعقل ولامته وكأنه مما يلام ويوبخ، والغرض الذي وراء هذا التجاهل أبلغ من التجاهل لأنها تعرض بمن لم يتأثر بموته من البشر من باب إياك أعني واسمعي يا جارة.

(٣) اختُلف في نسبته: فنُسب للمجنون، ولذي الرُّمَّة، وللعَرْجيّ، وللحسين بن عبد الله الغزّيّ، ونَسبه الباخَرْزيّ، في دُمية القَصر، لبدويّ اسمه: كامل الثّقفيّ، والأكثرون على أنَّه للعَرجيّ. معاهد التنصيص ٣/ ١٦٧، وهو للعَرْجيّ في ذيل ديوانه ص ١٨٢، والعمدة ٢/ ٦٨٣، وتحرير التّحبير ص ١٣٦.

(٤) هذا قول من حيره الحب وأدهشه وجعله يتجاهل شأن محبوبته وكأن أمرها اشتبه عليه ومخاطبته للظباء تدل على حسنها، وأنها تشبه الظباء، ففي الكلام تشبيه ضمني، وشدة التشبيه بينهما أفقدته النطق بالحقيقة ونزلته منزلة من لا يدري، مع أنه يعلم أنها من البشر، وكل هذا ونحوه يدل على شدة الحب والوله به والمبالغة في بيان حسنها.

ومنه قول ذي الرمة: (الطويل) =

= أَيا ظَبيَةَ الوَعساءِ بَينَ جُلاجِلٍ وَبَينَ النَقا آأَنتِ أَم أُمُّ سالِمِ

فلشدة حبه لأم سالم وجه الخطاب لظبية الوعساء «الرابية اللينة من الرمل تنبت أحرار البقول» وهي بين مكانين «جُلاجل والنقا» يقول لها أأنت التي أراكي أمامي أم أُمُّ سالم، وهو يعلم الحقيقة ولكنه يتجاهلها حبًّا ومبالغة في الجمال لشدة الحسن والإغراق في الحب.

١ - **المبالغة في المدح والذم**: ومن الأول «المدح» قول البحتري وهو قريب من الذي قبله: (البسيط)

أَلَمعُ بَرقٍ سَرى أَم ضَوءُ مِصباحِ أَم اِبتِسامَتُها بِالمَنظَرِ الضاحي

فتكرار «أم» يدل على الشك والاشتباه، مع أنه يعلم الحقيقة، ولكنه يبالغ في مدحها بالحسن والجمال، فابتسامتها تشبه البرق الذي يلمع ليلًا، أو تشبه ضوء المصباح وهذا ما يتضمنه الكلام، وأراد بالمنظر الضاحي: الوجه الحسن، تجاهل كل ذلك، وكأنه لم يدر هل ذلك اللمعان المشاهد من أسنانها عند الابتسام لمع برق سرى أم هو ضوء مصباح أم هو ضوء ابتسامتها الكائنة في منظرها الضاحي، فهذا التجاهل أفاد غاية المدح، وأنها بلغت إلى حيث يتحير في شأنها وجمالها.

ومن الثاني أي المبالغة في الذم: قول زهير: (الوافر)

وما أدري - وسوف إخال أدري - أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

«القوم» لفظ يطلق على الرجال خاصة بدليل هذا القول، وبدليل قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [سورة الحجرات: ١١]، والشاهد أنه يعلم أن آل حصن رجال، لكنه تجاهل ذلك وقال وسوف إخال أدري، أي سأدري في المستقبل، فهذا التجاهل المنزل منزلة الجهل بهم - حيث يلتبسون عليه بالنساء لضعفهم وقلة جدواهم - فيه إظهار لنهاية الذم وأنهم في منزلة النساء، هذه بعض شواهده في الشعر وإن أردت المزيد فراجع: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي: ص١٢٣.

أما شواهده من الكتاب العزيز فيجري معظمها في باب الاستفهام غير الصريح ولذلك سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة، وهذه النكتة في شواهد القرآن الكريم قد تكون لأغراض أخرى منها:

١ - **التقرير والتأنيس**: كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [سورة طه: ١٧-١٨]، فربنا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) يعلم ما بيد موسى (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ولكنه أراد سبحانه بعد تأنيسه بسؤاله عما هو أعلم به منه - تقريره بما في يده واعترافه بكونها عصا وتحققه من ذلك عند السؤال ليزداد علمه بما يمنحه الله في عصاه من قلبها حية، فلا يعتريه شك، بل يعترف أن ذلك كائن بقدرة الله وأنه عليه يسير، ومن أجل هذه النكتة سيق المعلوم سوق المجهول.

٢ - **التنبيه على خطأ المخاطب**: كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ =

[التوجيه]

والتوجيه: وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين(١)

= فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الانفطار: ٦-٧] فالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعلم ما أصاب الإنسان حتى وقع في الهلاك، ولكن جاء البيان على هذه الشاكلة إيقاظًا له وتنبيهًا عسى أن يعود إلى ربه

٣ - التقرير الذي يفيد التبرئة: كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، فالغرض من هذا السؤال «مع أن الله يعلم أنه لم يقل وقد أجاب عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بذلك» هو أن يقر أمامهم فيبرأ نفسه ويوقعهم في الحرج ويقطع عليهم كل حجة ويظهر فريتهم أمام ربهم.

ويدخل في هذا الباب كل شواهد الاستفهام بأغراضه التي درستها والتي لم تدرسها كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة ص: ٧٥]، فالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعلم أنه امتنع استكبارًا بدليل قوله تعالى: في آية أخرى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة ص: ٧٤]، فهو سبحانه يعلم كل شيء، ولكنه أراد أن يسجل على إبليس معصيته لبيان استحقاقه لعقوبته التي ستكون من جنس عمله

وتأمل ما حكاه القرآن الكريم عن قوم شعيب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا﴾ [سورة هود: ٨٧]، وهم يعلمون أنها كذلك تأمره بأنه لا معبود إلا الله، ولكنهم قصدوا توبيخه، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

كذلك حكاية القرآن عن الكفار: ﴿فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة القمر: ٢٤]، وهم يعلمون أنه بشر ولكنهم ساقوا كلامهم بطريق السؤال تعجبًا من ذلك.

(١) التوجيه في اللغة وموقف العلماء منه: التوجيه في اللغة: مصدر وجهه توجيهًا، كما قال سيدنا إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [سورة الأنعام: ٧٩].

مسمياته:

يسمى التوجيه، ويسمى محتمل الضدين، وبعضهم يسميه الإيهام، وسماه الزمخشري «ذا الوجهين».

تعريفاته:

١ - إيراد الكلام محتملًا لوجهين مختلفين بأن يكون أحدهما مدحًا والآخر ذمًّا.

٢ - سماه ابن أبي الإصبع المصري إبهامًا، وعرفه بقوله: أن يقول المتكلم كلامًا يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما من الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد به =

كقوله(١) في خياط أعور: (مجزوء الرمل)

خـــاط عـــمـــر لـــي قـــبـــاء لـــيـــت عـــيـــنـــيـــه ســـــواء(٢)

= إبهام الأمر فيهما قصدًا» ولا ريب أن هذا الذي سماه إبهامًا هو التوجيه الذي ذكره السكاكي وتابعوه، ولكن المصري هنا أفصح عن كل خصائصه مع اختلاف التسمية، وبعضهم يرجح هذه التسمية (الإبهام) غير أني أرى أن «التوجيه» أفضل؛ لأن الكلام فيه يتوجه وجهتين، والمتحدث هو الذي يعرف مراده، وإن كان يقصد الإبهام على السامع، ولكن بلاغة التعبير في احتماله للوجهين على السواء.
وهذا هو المراد وبه تكمن براعته في احتمال الكلام للمدح أو الذم على السواء؛ ولذلك رأي السبكي أنه يجب تقييده بالاحتمالين المتساويين؛ لأنه إن كان أحدهما ظاهرًا، والثاني خفيًا، والمراد هو الخفي، كان تورية، وهذا هو الفرق بينه وبين التورية...

(١) البيت لبشار، وهو في ديوانه برواية التسهيل: (مجزوء الرمل)

خَـــاطَ لِـــي عَـــمْـــرو قِـــبَـــا لَـــيْـــتَ عَـــيْـــنَـــيْـــهِ سِـــوَا

قُـــلْـــتُ شِـــعْـــرًا لـــيـــسَ يـــدْري أمُـــديـــحٌ أمْ هِـــجَـــا

وهو: بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ (٩٥ - ١٦٧هـ = ٧١٤ - ٧٨٤م): أشعر المولدين على الاطلاق. أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريرا، نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الاولى، جمع بعضه في (ديوان - ط) ٣ أجزاء منه. قال الجاحظ: (كان شاعرًا راجزا، سجاعا خطيبا، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة). واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة. وكانت عادته، إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم يقول. وأخباره كثيرة. ولبعض المعاصرين كتب في سيرته، منها (بشار بن برد - ط) لإبراهيم عبد القادر المازني، ومثله لأحمد حسين منصور، ولحسنين القرني، ولمحمد على الطنطاوي، ولحنا نمر، ولعمر فروخ. الأعلام ٢/ ٥٢.

(٢) ذكر البلاغيّون أنّ السّابق إلى استخدام هذا الفنّ في الأدب «بشّارُ بن بُرْد» وأنّه كان كثير العبث به، ومن أخباره فيه: أنّه أراد أن يخيط قباءً عند خيّاط قيل: اسمه «عَمْرو» وقيل: اسمه «زيد» فقال له الخيّاط ممازحـًا سأخيط لك هذا الثوب فلا تدري أهو جُبَّة أَمْ قباء، فقال له بشار: إذاً أنظم فيك شعراً لا يعلم من سمعه أدعوت به لك أم دعوتُ به عليك، وكان الخيّاط أعْوَر، فلمّا فعل الخياط ما وَعَد به، قال فيه بشار:

خَـــاطَ لِـــي عَـــمْـــرو قِـــبَـــا لَـــيْـــتَ عَـــيْـــنَـــيْـــهِ سِـــوَا =

فإنه يحتمل الدعاء بسلامة المريضة، والدعاء عليه بعمى الصحيحة، فيكون مدحًا، أو ذمًّا[(١)].

قلتُ شعراً ليسَ يدري أمديحٌ أمْ هِجَا

ورُوي أنّ «محمد بن حزم» هنَّأَ الحسن بن سَهْل بتزويج ابنته «بوران» للخليفة المأمون مع من هنَّأه، فأثاب المهنئين، ومنع ابن حزم، فكتب إليه: إنْ أنّت تماديت في حرماني قُلتُ فيك شعراً لاَ يُعْرَفُ أَمَدْحٌ هو أَمْ ذمّ؟ فاستحضره وقال له: لا أعطيك أو تفعل، فقال ابن حزم: (مجزوء الخفيف)

بَارَكَ اللَّهُ لِلْحَسَنْ وَلِبُورَانَ فِي الْخَتَنْ

يَا إمَامَ الْهُدَى ظفرْ تَ ولكِنْ بِبِنْتِ مَنْ؟

استفهام يحتمل أن تكون ابنة شريف أو وضيع، فاستحسنه «الحسن» وقال له: أمن مبتكراتك؟ قال: لا، بل نقلته من بشار بن برد. البلاغة العربية أسسها وعلومها ٢٧٠.

(١) ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ [سورة النساء: ٤٦]، وهذا الذي سماه الزمخشري «ذا الوجهين»؛ لأنه يحتمل الذم أي: اسمع منا مدعوًا عليك بلا سمعت، والمدح أي اسمع غير مسمع مكروهًا، فالعبارة تحتمل هذا وذاك في منطوقها على السواء، ولا يعتد في إثباتها شاهدًا في هذا الباب بما يفيده السياق من سوء أدبهم بقولهم سمعنا وعصينا؛ لأنه لو أريد الترجيح لما صلحت شاهدًا على «التوجيه» والثاني منهما كلمة «راعنا»، وتأمل أن الله قال فيها هنا: ﴿وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ والمهم أن العبارة تحتمل المعنيين والسفيه يُعرف قصده، والشريف يُعرف غرضه.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [سورة البقرة: ١٠٤]، قال: يفهم منها: الذم الذي أراده إليهود والمدح الذي قصده المسلمون حين رغبوا في أن يرعاهم الرسول (ﷺ)، فكلمة «راعنا» كان يستعملها إليهود بسوء أدب ينم عن سفاهة عقولهم حيث كانوا يميلونها في النطق حتى تؤدى معنى آخر مشتقًا من الرعونة والطيش وكان المسلمون يستعملونها بقصد انتظرنا حتى نفهم ونحفظ ما تقول، أو انظر في أمورنا بما يصلحها من باب اللطف والشفقة، فلكل وجهته، هؤلاء يذمون وهؤلاء يمدحون، فلما تفشت في اليهود بهذا القصد السيء، أبدلهم الله ما لا يحتمل ولا يلتبس ويتخذه إليهود ذريعة للفتنة فقال (سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ) ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ [سورة البقرة: ١٠٤]، أي اطلبوا التأني بهذا اللفظ واسمعوا أي تنبهوا، وبدأ بالنهي الذي يقطع على المبطلين باطلهم ثم ثنى بالأمر الذي يفيد الاستئناس والتوجيه الصحيح في الاستجابة لما أمر به والابتعاد عما نهي عنه، وللكافرين عذاب إليم تذييل يهدئ حماس نفوسهم وغيظ قلوبهم.

ومنه أيضا: قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤﴾ [سورة المسد: ٤]، على رفع «حمالة» -

ومن التوجيه الهزل يراد به الجد[١].

[المذهب الكلامي]

والتوفيق والبحث: لعلّه كنى به عن المذهب الكلامي.

وهو: إيراد حجة للمطلوب على طريق أهل الكلام[٢]، نحو [قوله تعالى]: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ

= ونصبها بكون الرفع صفة والنصب حال، والقراءتان فيهما توجيه لأنها تحتمل صفتها في الدنيا بما كانت تضعه في طريق النبي (ﷺ) ويحتمل أنها صفتها في جهنم، والجزاء من جنس العمل، وروي أن الحجاج سأل ابن جبير حين أراد قتله: ما تقول فيَّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: أحسن والله، فقال الحجاج: يا جهلة إنما سماني ظالمًا مشركًا، وتلا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الجن: ١٥]، ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنعام: ١]؛ لأن قسط بمعنى جار وهو مقسط إذا عدل، ورفع غلامان إلى بعض الولاة فاستحسن سمتهما، فسأل عن نسبهما، فقال أحدهما: (المنسرح)

أنا ابن من ذلت الرقاب له.. ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه طوعًا إليه خاضعة.. يأخذ من مالها ومن دمها

وقال الآخر: (الطويل)

أنا ابن الذي لا ينزل الأرض قدره.. وإن نزلت يومًا فسوف تعود

ترى الناس أفواجًا إلى ضوء ناره.. فمنهم قيام حولها وقعود

فسأل عنهما بعد ذهابهما، فقيل: ابنا حجَّام وطباخ، فتعجب؛ وذلك لأن الحجام تخضع له الرقاب والخضوع الأعظم لله سبحانه، والطباخ الماهر تعتلي قدره النار، وكذا تعتلي قدر الكريم أو ذوي الشرف، وهو باب يعتلي به قدر الكلام وتكثر فوائده، ويحتاج إلى عمل يجمع شواهده ويجلي خصائصه، نسأل الله أن يهيئ له من يفعل.

(١) سبق بيانه.

(٢) وسمى بذلك: لأنه جاء على طريقة «علم الكلام والتوحيد» وهو عبارة عن إثبات الدين وأصوله بالبراهين العقلية القاطعة. وقيل إن هذه التسمية تُنْسَبُ إلى الجاحظ، والسبَبُ في إطلاق هذه التسميّة أنَّ عِلْمَ الكلام يَسْتَنِد في حُجَجه إلى الحجج العقلية، فإذا استخدم الأديبُ الحجج العقليّة في كلامه، فقد ذهب مذْهَبَ عُلَماءِ الكلام. ينظر البلاغة العربية للميداني ٨٠١.

وله مسميات أخرى منها: الاحتجاج النظري، وإلجام الخصم بالحجة، وطريقة أهل الكلام هي: أن =

ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]، أي لكنهما لم يفسدا فلزم منه التوكيد[١].

كقوله[٢]: (الطويل)

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... ولَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرءِ مَطْلَبُ

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً ... لَمُبْلِغُكَ الْواشِي أَغَشُّ وأَكْذَبُ

وَلَكِنَّنِي كُنْتُ امْرَأً لِيَ جَانِبٌ ... مِنَ الأَرْض فِيه مُسْتَرَادٌ[٣] وَمَذْهَبُ

مُلُوكٌ وإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ ... أُحَكَّمُ في أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ

كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا[٤]

= تكون الحجة بعد تسليم المقدمات فيها مستلزمة للمطلوب.

(١) يدلل الحق (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) على وحدانيته فيقول: لو كان فيهما - أي السماء والأرض - آلهة غيره سبحانه لفسدتا، لما تقرر عادة من فساد المحكوم فيه عند تعدد الحاكم، واللازم هنا وهو فساد السماوات والأرض باطل بالمشاهدة؛ لأن المراد بفسادهما: خروجهما عن النظام الذي هما عليه، وذلك غير كائن، فكان هذا اللازم باطلًا وكذلك الملزوم وهو تعدد الآلهة، أي انتفي الثاني لانتفاء الأول، وهذه طريقة أهل الكلام.

(٢) أي النابغة الذبياني يعتذر للنعمان بن المنذر، أحد ملوك آل غسّان في الجاهلية، وكان النابغة قد مدح آل جفنة بالشام، فسَاءَ ذلك النعمان.

(٣) مُسْتَرَادٌ: مَكانٌ أَتَرَدَّدُ فيه لِطَلَبِ الرِّزْق، يُقَال لغة: استرادَ الشيءَ، إذا طلَبَهُ مُقْبلًا مُدْبراً في مَكانِ الطَّمَع في الحصول عليه.

(٤) في الأصل: أرهب. وهذه الأبيات من شواهد البلاغيين في هذا الباب، ذكرها الخطيب، وغيره، وعلق عليها بقوله: يقول: أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسن إلى قوم فمدحتُهم، فكما أن مدح أولئك لك لا يعد ذنبا، فكذلك مدحي لمن أحسن إلي لا يعد ذنبا. بغية الإيضاح ٤/ ٤٤. ووضح الميداني معناها، وطريقة أهل الكلام فيها فقال: يقول «النابغة» في اعتذاره «للنعمان»: إنَّ لي مَصَالح في الأرض الَّتي أَخْتَلِفُ إليها، وأترَدَّدُ في أنحائها، ويُوجَدُ في هذه الأرض مُلُوك وإخوان، إذا أنَا مَدَحْتُهُمْ حَكَّمُوني في أموالهم وقرّبُوني إليهم، كَمَا تَفْعَلُ أنْتَ حِينَما يأتيكَ شُعَراءُ مِنْ غَيْرِ شُعرائِكَ الخَاصِّينَ بك، فيَمْدَحُونَكَ، فإنَّكَ تُكْرِمُهم، وتُجْزِلُ لهم العطايا، ولا تراهُمْ مُذْنبين، مع أنَّهم في الأصل شعراء لغيرك، فعاملني كما تعاملهم.

الشاعر هنا يَقِيسُ حالَتَهُ على حالة شعراء آخرين، فعلوا مثله، ولم يعتبرهم النعمان مذنبين، وهذا =

[حسن التعليل]

و: حسن[١]

التعليل: هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي[٢].

[أنواع حسن التعليل]

وهو إما لبيان:

[١] - علة صفة ثابتة.

= الاستدلال المنطقيُّ في الشعر وارد على مذهب علماء الكلام في تقديم الحجج العقليّة، على أنّ النابغة جاهليٌّ جاء قبل عُلَماء الكلام بقرون، لكنّه ساق في شعره دليلاً عقليًّا. البلاغة العربية ٢/ ٤٤٨.
ومن شواهده أيضا: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦﴾ [سورة الأنعام: ٧٥-٧٦]، تقدير المحاجة هنا: أن القمر آفل والإله ليس بآفل، فالقمر ليس بإله، وتلك طريقة المناطقة أيضـاً في القياس، والشكل...
وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [سورة الروم: ٢٧]، أي الإعادة أهون عليه من البدء فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة. وقوله (ﷺ): «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» وتمام الدليل فيه: لكنكم ضحكتم كثيراً وبكيتم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم.

(١) يلاحظ أنه ذكره دون أمثلة، وسأجلي - إن شاء الله - أمثلته من خلال أقسامه التي أجملها، كما سيأتي.

(٢) بمعنى أن يكون إثبات العلة مناسبًا لنظر من العقل لطيف دقيق، وأن يكون غير حقيقي مما يجعله بحاجة إلى مزيد تأمل، ولا يستطيعه إلا من له تصرف في دقائق الأمور والمعاني، وعلى ذلك فيشترط في العلة لتكون من هذا الباب ثلاثة شروط:
١- أن تكون غير حقيقية، أي ليست هي العلة الواقعية.
٢- أن تكون نتاج نظر عقلي دقيق.
٣- أن تكون على سبيل الإصرار والقطع بأنها هي العلة ولا سواها.
وبهذا يكون هذا التعليل من البديع.

[٢] - أو لإثبات صفة غير ثابتة.

والأول: [**أقسام النوع الأول: صفة ثابتة**]:

[أ]- إما ألّا يظهر لها علة في العادة(١).

[ب]- أو يظهر لها علة غير المذكورة(٢).

---

(١) هذا هو النوع الأول من القسم الأول، وبيانه: أن يكون الوصف ثابتًا في نفسه لا يظهر له في العادة علة، ولا يمنع أن يكون له في الحقيقة علة لكنها غير جلية، فالمعتبر هو عدم ظهورها، ومن ذلك قول المتنبي: (الكامل)

لَم تَحكِ نائِلَكَ السَحابُ وَإِنَّما ... حُمَّت بِهِ فَصَبيبُها الرُحَضاءُ

فنزول المطر صفة ثابتة، ولا يظهر له في العادة علة، وأراد المتنبي أن يذكر له علة غير حقيقية منبثقة من معين اللطف والدقة، فادعى أن السحاب لا تريد محاكاة الممدوح بمطرها لأن عطاءه المتتابع أكثر من مائها وأغزر، ولكنها حُمت حسدًا له، أي أصابتها الحمى، فالماء الذي ينصب من السحاب إنما هو عرق الحمى، والرحضاء هو عرق الحمى، ومن ذلك قول ابن نباتة يصف فرسًا: (الوافر)

وأَدهمَ يستمدُ الليلُ منهُ ... وتطلُع بين عينيهِ الثُّريّا

سَرَى خلفَ الصَّبَاحِ يَطيرُ مَشيًا ... ويطوي خلفَهُ الأفلاكَ طَيًّا

فلما خافَ وشكَ الفوتِ منه ... تَشبَّثَ بالقوائمِ والمُحَيَّا

يذكر الشاعر أن جواده بالغ الدهمة، وأن الليل يستمد سواده من دهمته، ثم يعلل ذلك البياض المشرق في قوائمه ووجهه بأن ذلك الجواد سرى خلف الصباح وفاته، وطوى الأفلاك، فلما أدرك الصباح أن هذا الجواد أوشك على فوته تعلق الصباح بقوائمه ومحياه، فكان ذلك البياض فيهما من آثار ذلك التعلق، ومن ذلك قول ابن رشيق: (الوافر)

سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمْ كانَتْ مُصَلًّى ... وَلِمْ كانَتْ لنا طُهْرًا وَطِيبا

فَقالَتْ غَيْرَ ناطِقَةٍ لأَنّي ... حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسانٍ حَبيبا

فقد تخيل الشاعر علة غير حقيقية لكون الأرض مسجدًا وطهورًا وذلك على سبيل التخييل والطرافة.

(٢) وهذا هو النوع الثاني من القسم الأول: أن يكون الوصف ثابتًا في نفسه، وله علة ظاهرة لم يعتبرها الأديب، فذكر له علة أخرى غير حقيقية، وذلك كقول المتنبي يمدح بدر بن عمار: (الرمل)

ما بِهِ قَتلُ أَعاديهِ وَلَكِن ... يَتَّقي إِخلافَ ما تَرجو الذِئابُ

فقتل الأعداء وصف ثابت للممدوح، وعلته الحقيقية هي دفع الضر والأذي منهم ليصفو له ملكه من منازعتهم. =

والثاني: [أقسام النوع الثاني: إثبات صفة غير ثابتة]:

[أ]- إما أن يكون علة ممكنة[١].

[ب] - أو غير ممكنة[٢].

= لكن المتنبي لم يعتد بهذه العلة فتخيل لها علة مناسبة لكرم الممدوح فكأن الذي دفعه إلى القتل: محبته في ألا يخيب رجاء الراجين فيه وإن كانوا ذئابًا، وهذه مبالغة في وصفه بالجود، التمس لها علة طريفة، ومن ذلك قول أبي طالب المأموني في بعض الوزراء ببخارى: (الخفيف)

مُغرَمٌ بالثناءِ صَبٌّ بكسب الـ ... ـمَجْدِ يهتزُّ للسَّماح ارتياحَا

لا يَذُوق الإغفاءَ إلا رجاءَ ... أن يَرَى طيفَ مسْتَمِيحٍ رَوَاحَا

فالشاعر يدعي أن نومه لم يكن من أجل الراحة الجسدية وإنما علل نومه بعلة غير حقيقية، وهي أن يرى في المنام مستميحًا (أي طالبًا للعطاء) فيأنس برؤيته، ويسعد بتحقيق رغبته، وكل هذا من أجل تحقيق كرمه، وقوة عطائه.

وقيد: المستميح بـ «الرواح» إشارة إلى أن العفاة إنما يحضرونه في صدر النهار على عادة الملوك، فإذا كان الرواح قلوا، فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم، وهذا دليل كرمه...

(١) القسم الأول من النوع الثاني (صفة غير ثابتة) وبيانه: أن يكون الوصف غير ثابت ولكنه ممكن والأديب يريد إثباته، كقول الشاعر: (البسيط)

يا واشِيًا حَسُنَت فينا إساءَتُهُ ... نجى حِذارُكَ إنساني مِنَ الغَرَقِ

استحسن الشاعر إساءة الواشي، وذلك أمر ممكن، غير أنه ليس ثابتًا في دنيا الناس، فأراد الشاعر أن يثبته ويجعله واقعًا فتخيل لذلك علة تثبته، فادعى أن ابتعاده من الواشي وحذاره نجي عينه من أن تغرق في الدمع، حيث إنه ترك البكاء لبعده عنه، فكأن ذلك الترك منجاة لإنسان عينه، ومتى كانت نجاة إنسان عينه من الغرق أمرًا حسنًا، فما كان سببًا له يكون حسنًا...، ومنه قول الشاعر: (الخفيف)

علَّمتني بهجرها الصَّبر عنها ... فهي مشكورةٌ على التَّقبيحِ

فالشكر على التقبيح وصف غير ثابت ولا واقع في دنيا الناس إلا تهكمًا، ولكنه يمكن أن يكون حين يبلغ الصفح ذروته والود قمته... فأراد الشاعر أن يثبته ويجعله واقعًا، فتخيل لذلك علة وهي أن هجرها هذا من كثرته جعل نفسه قد تعودته فاستطاعت أن تصبر عنها، ولم تكن نفسه من قبل تستطيع ذلك.

(٢) القسم الثاني من النوع الثاني (صفة غير ثابتة): وبيانه: أن يكون الوصف غير ثابت وغير ممكن والأديب يريد إثباته، مثلوا له ببيت مترجم عن الفارسية يقول: (البسيط)

لَوْ لَم تكن نِيَّةُ الجوزاءِ خِدْمَتَهُ ... لَمَا رأيتَ عليها عِقْدَ مُنْتطقِ =

[ما يلحق بحسن التعليل]:

وأُلحق بحسن التعليل ما بني على الشك[١].



= يريد الشاعر أن الجوزاء نوت خدمة الممدوح، ولا شك في أن هذا الوصف غير ثابت، وغير ممكن أيضًا، ولكن الشاعر أراد إمكانه وإيقاعه فتخيل لذلك علة وهي أن الجوزاء منتطقة بعقد مشدود في وسطها، كالحزام، شأن خدم الملوك، والسبب في ذلك الخدمة، وهذه الأنواع في كتب البلاغيين وتمت الاستعانة بشواهدهم بشيء من التوضيح للأقسام والشواهد.

(١) هذه الإضافة ذكرها الخطيب في تلخيصه لمفتاح العلوم فقال: ومما يلحق بالتعليل وليس به؛ لبناء الأمر فيه على الشك نحو قول أبي تمام: (الطويل)

ربا شفعت ريح الصَّبَا لرياضها ... إلى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغر غيبن تحتها ... حبيبا فما ترقا لهن مدامع

وقول أبي الطيب: (الكامل)

رحل العزاء برحلتي فكأنني ... أتبعته الأنفاس للتشييع

علة تصعيد الأنفاس في العادة هي التحسر والتأسف، لا ما جوز أن يكون إياه، والمعنى: رحل عني العزاء بارتحالي عنك؛ أي: معه أو بسببه، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر، وكانت الأنفاس تتصعد منه، أيضا صار العزاء وتنفس الصعداء كأنهما نزيلان، فلما رحل ذلك كان حقا على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة. التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح الأديب: عبد الرحمن البرقوقي ٣٧٨.

[السرقات الشعرية](١)

---

(١) توطئة:

السرقات الشعرية: باب نفيس اهتم به الدارسون قديمًا وحديثًا لما له من أهمية جليلة في الدراسات النقدية التي تكشف فرق ما بين شاعر وآخر وأديب وآخر وترى فيه فكر غيرك يولِّد عندك فكرًا، ونتاج غيرك يكون سببًا في نتاجك، واللاحق لا بد أن يتأثر بالسابق وإن أبى وزعم أنه أتى بما لم يأت به الأوائل.

والعجيب أن ترى بعض علمائنا ينفر من هذه التسمية ويجعلها عارًا على الأدب مع أنها كائنة عند كل دارس، وباحث بلفظها ومعناها، غير أن البعض يترفع عنها، أو يحاول فيسميها «المحاكاة بين الأدباء» وهو أستاذنا الدكتور/ عبد الرحمن عثمان في كتابه «مذاهب النقد وقضاياه» (ص٨٨) وكذلك يرى شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد أبو موسى: أننا أسأنا إليه بهذه التسمية «السرقات الشعرية» وهي تسمية تَصُدُّ عنه، وتسِمُ ما وراءه من علم شريف بوسم غير شريف» وذلك في كتابه الجليل «مدخل إلى كتاب عبد القاهر» (ص١٠٤).

ولكن إذا كنا نترفع عن هذه التسمية لما فيها من علم شريف؛ حديث ينتج القديم جديدًا، فأين نحن من زهير بن أبى سلمى وهو من هو بين فحول الشعراء ثم لا يوقن في ابتكار قوله ويرى أنه متبع، اسمعه يقول: (الخفيف)

ما أرانا نقول إلا مُعارًا ... أو مُعادًا من قولنا مَكْرورا

وهذا «طرفة» يصرح بلفظ السرقة مع أنه ينكرها ولا يأتي ذكرها من فراغ: (البسيط)

ولا أُغيرُ على الأشعارِ أسْرِقها ... عنها غَنيتُ، وشرُّ الناسِ من سَرَقا

ويقول الأعشى: (المتقارب)

فكيف أنا وانتحال القوافي ... بعيد المشيب كفي ذاك عارًا

ومعنى هذا أن ظاهرة الانتحال قديمة قِدَم الشعر والأدب، وهذا حسان ينفي عن معانيه الأخذ والسرقة فيقول: (الكامل)

لا أسرِقُ الشُّعَراءَ ما نَطَقُوا ... بلْ لا يوافِقُ شعرُهُمْ شعْرِي

وكل من جرير والفرزدق يدعي أن صاحبه يأخذ منه، ومن ذلك قول الفرزدق يخاطب جريرًا: (الكامل) =

عدل عن ترجمة التلخيص بقوله:

خاتمة(١):

إنه مجموع: مقدمة، وثلاثة فنون، وخاتمة، مع أن الخاتمة من الفن الثالث، لا زائدة عليه.

المعاني المتفق عليها الشاعران فأكثر: إن اتفقا في غرض استوى الناس في قصده، كالوصف بالشجاعة، والسخاء لتقرر ذلك في جميع العقول والعادات فلا يسمى سرقة.

وكذا لا تسماها إن اتفقا في وجه الدلالة على الغرض، كـ:

التشبيه، وكذلك هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن هي له، كوصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة، والبخيل بالعبوس مع سعة ذات إليد، أو اشتراك الناس في معرفة وجه الدلالة على الغرض؛ لاستقراره في العقول، كتشبيه الشجاع بالأسد.

= إن تذكروا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي تتنحلوا الأشعارا

فالذي يتأثر بكلام غيره، وإن لم يتعمده يأت إليه في كلامه خلسة وخفية.

وتلك هي دلالة (السين والراء والقاف) كما قال ابن فارس: تدل على أخذ الشيء في خفاء وستر، وكتب في ذلك الجاحظ، وغيره من النقاد، مبينين الاستعانة بالمعنى على الأقل، وهذا لا تصلح فيه - من وجهة نظري - المحاكاة، ولا تعاب فيه كلمة سرقة، ولا سيما وقد استعملها الشعراء أنفسهم.

ولكن هذه السرقة لها مواطن فلا تسمى المعاني المشتركة بين الناس سرقة، وإنما يكون ذلك في المعاني البديعة المخترعة التي يختص بها شاعر.

وهذا قول الآمدي: «وإنما السَّرقُ يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك»، وقال أيضًا: «إن السرقة ليست من كبير مساوئ الشعراء، وخاصة المتأخرين إذ كان هذا بابًا ما تعدى منه متقدم، ولا متأخر» فلا تطلق السرقة على المعاني المتداولة، إنما على البديع كما سبق أو على الأمور المنسوبة لشاعر بعينه، وهذا - كما سبق - باب جليل ليس هنا موطنه، بل هو بالدراسات النقدية ألصق، ولا دخل له بمباحث البديع غير أن الخطيب ألحقه بها لضرورة العلم به، ولأنه لم يتناوله في العلمين السابقين.

(١) في التلخيص: (خاتمة في السرقات الشعرية، وما يتصل بها وغير ذلك) ص٤٠٨ شرح البرقوقي.

وإلا فإن توقف على تفكر، واحتاج إلى تأمل فيكون فيه سبق بعض الشعراء على بعض في الاختراع، وهذا خاص في أصله غريب، وعامي، تُصُرِّف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة، كما تقدم في التشبيه[1].

[أنواع السرقات]

٩٦- السَّرِقَاتُ: ظَاهِرٌ فَالنَّسْخُ ... يُذَمُّ، لَا إِنِ اسْتُطِيبَ الْمَسْخُ

٩٧- وَالسَّلْخُ مِثْلُهُ. وَغَيْرُ ظَاهِرِ ... كَوَضْعِ مَعْنًى فِي مَحَلٍّ آخَرِ

والسرقات: المذكورة نوعان:

[القسم الأول من السرقات]

ظاهر: وهو أن يؤخذ المعنى كله، إما مع أخذ اللفظ كذلك، من غير تغيير لفظه.

أو مع تغييرها بمرادفها، وهو مذموم جدًا؛ لأنه سرقة [٢٢٣أ] محضة[2].، وتسمى: نسخًا، أو انتحالا[3] وهذا معنى قوله:

والنسخ يذم: كما حكي عن ابن الزبير أنه فعل بقول أوس[4]: (الطويل)

---

(١) كلام الخطيب في التلخيص٤٠٩.

(٢) هنا يحدثنا عن أنواع السرقة، وهي ظاهرة وغير ظاهرة، والظاهرة -كما قال الخطيب -: أن يؤخذ المعنى كله إما مع اللفظ كله أو بعضه أو المعنى كله وحده، وقسمه أقسامًا، هي: النسخ، والمسخ، والسلخ. التلخيص٤٠٩

(٣) النسخ أو الانتحال، بمعنى أن يسطو شاعر على قول شاعر فيأخذه كله وقد وقع مثل هذا بين زهير وأوس حيث ورد بيت واحد في قصيدتيهما وهو: (الطويل)

إذا أَنتَ لَم تُعرِض عَنِ الجَهلِ وَالخَنا ... أَصَبتَ حَليمًا أَو أَصابَكَ جاهِلُ

ويقصد بالجهل والخنا: السفه والفحش، وأحد الشاعرين أخذ من الآخر لأن توارد الخواطر لا يكون بهذا النص دون أدنى تغيير.

(٤) وهو: معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني (٦٤ هـ -٦٨٣م): شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية =

إِذَا أَنْـتَ لَـمْ تُنْصِفْ أَخَـاكَ وَجَدْتَهُ   على طَـرَفِ الهِجْرَانِ إِنْ كانَ يَعْقِلُ
ويَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ   إِذا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْمَلُ[1]

لا تذم الأحداث (استطيب) بأن أخذ المعنى مع تغيير لنظمه، أو أخذ مع المعنى بعض اللفظ وهو:

المسخ[2]: ويسمى: إغارة، بل إن كان الثاني أبلغ لاختصاصه بفضل كاختصار، وجودة سبك، فممدوح[3].

= والاسلام. له مدائح في جماعة من الصحابة. رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب فيبالغان في إكرامه. له أخبار مع عمر بن الخطاب. وكان معاوية يفضله ويقول: (أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس) وهو صاحب لامية العجم التي أولها: (الطويل)

لَـعَـمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وإِنِّـي لأَوْجَــلُ   عَـلَـى أَيِّـنَـا تَـعْـدو الـمَـنِـيَّـةُ أَوَّلُ

مات في المدينة. له (ديوان شعر - ط) ولكمال مصطفي: (معن بن أوس - ط) الأعلام ٧/ ٢٧٣

(١) فقال له معاوية: لَقَدْ شَعَرْتَ بَعْدِي يَا أبا بكر، ولم يفارق «عبد الله بن الزبير» الشاعر مجلس معاوية حتَّى دخَلَ مَعْنُ بن أوس المزني، فأَنْشَدَهُ قصيدته التي يقول في مطلعها:

لَـعَـمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وإِنِّـي لأَوْجَــلُ   عَـلَـى أَيِّـنَـا تَـعْـدو الـمَـنِـيَّـةُ أَوَّلُ

حتى أتمّها، وفيها البيتان اللّذان أنشدهما «عبد الله بن الزبير». فأقبل «معاوية» على «عبد الله» وقال له: ألم تُخْبِرْني أنَّهما لكَ؟! فقال «عبد الله»: المعنى لي، واللَّفْظُ له، وبَعْدُ فهو أخي من الرضاعة، وأنا أحقُّ بشِعْرِه. ينظر: عروس الأفراح للسبكي٢/ ٣٢٢، والبلاغة العربية للميداني ٢/ ٥٥٠.

(٢) **المسخ أو الإغارة**، بمعنى: أخذ المعنى دون اللفظ أو مع بعض الألفاظ، فان امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو قول كقول بشار من البسيط:

مَـنْ رَاقَـبَ الـنَّـاسَ لَـمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ   وَفَـازَ بِـالـطَّـيِّـبَاتِ الْـفَـاتِـكُ الـلَّـهِجُ

وقول سَلْمٍ الخاسر بعده: من مخلَّع البسيط:

مَـنْ رَاقَـبَ الـنَّـاسَ مَـاتَ غَـمًّـا   وَفَـازَ بِـالـلَّـذَّةِ الْـجَـسُـوْرُ

فإن الثاني أجود سبكا، وأوجز. ينظر عروس الأفراح٢/ ٣٢٣.

(٣) كالمثال السبق في الهامش قبل هذا.

وإن كان دونه فمذموم[١]، وإن كان مثله فأبعد من الذم، ويكون الفضل للأول[٢].

والسلخ مثله: أي ومثل المسروق معنى، من غير أخذ اللفظ معه[٣]، ويسمى: إلمامًا، وهو ثلاثة أقسام:

---

(١) قولُ أبي تمّام وهو السابق: (الكامل)

هَـيْـهَـاتَ لَا يَـأْتـي الـزَّمَـانُ بِـمِـثْـلِـهِ ... إنَّ الـزَّمَـانَ بِـمِـثْـلِـهِ لَـبَـخِـيـلُ

أغار عليه أبُو الطّيب فقال: (الكامل)

أعْـدَى الـزَّمَـانَ سَـخَـاؤُهُ فَـسَـخَـا بِـه ... ولَـقَـدْ يَـكُـونُ بِـهِ الـزَّمَـانُ بَـخِـيـلا

الشطر الثاني من بيْتِ أبي الطّيّبِ مأخُوذٌ مِنْ أبي تمّام، إلَّا أنَّ قول أبي تمّام: «إنَّ الزَّمَانَ بمِثْلِهِ لبَخِيلُ» أبلغ من قول المتنبي: «وَلَقَدْ يكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بخيلًا» ففي عبارة: «ولَقَدْ يكُون» قُصُورٌ عن المعنَّى المجزوم به المؤكَّد في عبارة أبي تمَّام: «إنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبخِيلُ» وهذا واضح.

أما الشطر الأول من بيت المتنبّي فقد جاء بنحوه أبو تمّام في قوله: (المنسرح)

عَـلَّـمَـنِـي جُـودُكَ الـسَّـمَـاحَ فَـمَـا ... أَبْـقَـيْـتُ شيـئًـا لَـدَيَّ مِـنْ صِـلَـتِـكْ

ولأبي تمّام السبْقُ. البلاغة العربية ٢/ ٥٥٣

(٢) هذا نص الخطيب في التلخيص٤١٣، أي يكون الفضل للسابق منهما، وقد ناقشه الميداني، وبين براعة الثاني من خلال شاهد الخطيب، فقال: أن يكون جاء به المغير مساويًا لما جاء به السابق في بلاغته.

وهذا الوجه غير ممدوح ولا مذموم، على أنّ الفضل للسابق بلا ريب، ومن أمثلة هذا الوجه، قول أبي تمَّام وهو السابق: (الكامل)

لَـوْ حَـارَ مُـرْتَـادُ الـمَـنِـيَّـةِ لَـمْ يَـجِـدْ ... إلَّا الـفِـرَاقَ عـلـى الـنُّـفُـوسِ دَلِـيـلا

أي: لو حار طالب المنيَّة لأحدٍ في اتّخاذ وسيلة لا تُكلِّفهُ عنتًا لم يجد إلَّا وسيلة فراق الأحبّةِ، أغار عليه المتنبي وصاغه بأسلوبه فقال: (البسيط)

لَـوْلَا مُـفَـارَقَـةُ الأَحْـبَـابِ مَـا وَجَـدَتْ ... لَـهَـا الـمَـنَـايَـا إلـى أرْواحِـنَـا سُـبُـلا

قالُوا: البيْتانِ متكافئان في بلاغتهما، أقول: بيت المتنبّي أدَقُّ وأوضحُ وأشْعَرُ، فقد خصّص الفراق بفراق الأحباب، ولم يتكلّف كما تكلّف أبو تمام بقوله: «مُرْتَادُ المنيّة» والمنايا لا تحتاج دليلًا يدلُّها على النفوس إنّما لها سُبُل، وهذا ما اختاره المتنبي، فهو في عمله مُغِيرٌ مُجِيد، ومُستَفِيد مُحْسِن. البلاغة العربية ٢/ ٥٥٢.

(٣) بمعنى: أن يأخُذَ السَّالِخُ المعنى فقط دون اللّفظ.

[١]- أبلغ من الأول فيكون: ممدوحًا(١).

[٢]- أو دون فيكون: مذمومًا(٢).

[٣]- أو مثله فيكون: أبعد عن الذم(٣).

---

(١) بمعنى: أن يكون ما جاء به السَّالخ المُلِمُّ أحْسَنَ سَبكًا وبلاغةً ورصانة تعبير، وهو عَمَلٌ رَشيد ومَسْلَكٌ حميد، ومن أمثلته على ما ذكروا قول «البحتري» وهو السابق: (الطويل)

تَـصُـدُّ حَـيَـاءً أَنْ تَـرَاكَ بِـأَوْجُـهٍ أَتَـى الـذَّنْـبَ عَـاصِيـهَا فَلِيمَ مُطِيعُها

أي: من أجل ذنوب الوجوه العاصية تُلَامُ الوُجُوه المطيعة، هذا المعنى أَلَمَّ به المتنبي فأخَذَهُ وصاغهُ بأسلوب أحْسَنَ سبْكًا وأجْودَ تعبيرًا فقال: (الوافر)

وَجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُـفَـهَـاءُ قَـوْمٍ وحَـلَّ بِـغَـيْـرِ جـارِمِـهِ الـعَـذَابُ

البلاغة العربية ٢/ ٥٥٣

(٢) كَقَوْلِ الْبُحْتُرِيِّ: (الكامل)

وَإِذَا تَـأَلَّـقَ فِـي الـنَّـدِيِّ كَـلَامُـهُ الْـ مَـصْـقُـوْلُ؛ خِلْـتَ لِسَـانَهُ مِـنْ عَضْبِهِ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ: (البسيط)

كَـأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خُرْصَانَا

فَبَيْتُ الْبُحْتُرِيِّ أَبْلَغُ لِمَا فِيْ لَفْظَيْ: (تَأَلَّقَ) وَ(الْمَصْقُوْلُ) مِنَ الِاسْتِعَارَةِ التَّخْيِيْلِيَّةِ؛ فَإِنَّ التَّأَلُّقَ وَالصَّقَالَةَ لِلْكَلَامِ؛ بِمَنْزَلَةِ الْأَظْفَارِ لِلْمَنِيَّةِ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ تَشْبِيْهُ كَلَامِهِ بِالسَّيْفِ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ. ينظر: دُرَرُ الفَرائدِ المُسْتَحْسَنَة في شرحِ مَنْظومةِ ابنِ الشِّحْنةِ (في علوم المعاني والبيان والبديع)٢٦٢ المؤلف: ابن عَبْدِ الحَقِّ العُمَرِيّ الطَّرَابُلْسِيّ (المتوفي: نحو ١٠٢٤هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور سُلَيمان حُسَين العُمَيرات الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان ط ٢٠١٨م، وعروس الأفراح ٢/ ٣٢٦.

(٣) أن يكون ما جاء به السالخ الملِمُّ مساويًا لما جاء به السابق في بلاغَته.

وهذا الوجه غير محمود ولا مذموم، ومنه كما ذكروا قولُ بعضهم يرثي ابْنًا له: (الكامل)

الـصَّـبْـرُ يُـحْـمَـدُ فِـي الـمَـواطِـنِ كُلِّهَا إِلَّا عـلـيـكَ فـإِنَّـهُ مَـذْمُـومُ

أَلَمَّ به أبو تمَّام فقال: (الطويل)

وَقَـدْ كَـانَ يُـدْعَـى لَابِـسُ الصَّبْرِ حَازِمًا فَـأَصْـبَـحَ يُـدْعَـى حَـازِمًـا حِـيـنَ يَـجْـزَعُ

ومن أمثلته قول بعض الأعراب: (السريع)

وَرِيـحُـهَـا أَطْـيَـبُ مِـنْ طِيبِهَـا والـطِّـيـبُ فـيـهِ الـمِـسْـكُ والـعَـنْـبَـرُ =

[القسم الثاني من السرقات]:

٩٧- وَالسَّلْخُ مِثْلُهُ. وَغَيْرُ ظَاهِرِ كَوَضْعِ مَعْنَى فِيْ مَحَلٍّ آخَرِ

٩٨- أَوْ يَتَشَابَهَانِ، أَوْ ذَا أَشْمَلُ وَمِنْهُ قَلْبٌ، وَاقْتِبَاسٌ يُنْقَلُ

و: القسم الثاني من السرقة:

غير ظاهر[1]: فمنه تشابه المعنيين كما قال:

[١]- **كوضع معنى في محل معنى آخر**: كقوله[2]: (الكامل)

سُلِبُوْا، وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عليهِمُ مُحْمَرَّةً؛ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوْا

وقول الآخر[3]: (الكامل)

يَبِسَ النَّجِيْعُ عليهِ، وَهْوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ، فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ

فنقله الثاني من القتيل إلى السيف[4].

[٢]- أو يتشابهان: أي يتشابه المعنى الأول والثاني كقوله[5]: (الوافر)

فَلَا يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ

= أَلَمَّ بِه بشّار بن بُرْدٍ فأَخَذَهُ وَقَصَّرَ عنه، فقال: (الرمل)

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ المِسْكَ عَلَى رِيحِ البَصَلْ

البلاغة العربية ٢/ ٥٥٣

(١) معنى غير الظاهر: أخذ المعنى مع تغيير فيه، كوضع معنى في محل آخر، أو وجود تشابه بين المعنى الأول والثاني، أو يكون الثاني أشمل، أو يُعكس المعنى الأول، وهو القلب.

(٢) أي البحتري في القتلى. راجع ديوانه ١/ ٧٦، من شواهد: وضع معنى في محل معنى آخر.

(٣) المتنبي

(٤) أي أن قول البحتري في القتلى، نقله المتنبي إلى وصف السيف. فكان هذا شاهدا على وضع معنى في محل آخر كما قال الناظم، وهو أحد أنواع السرقة غير الظاهرة.

(٥) أي جرير - ديوانه ٢/ ٨٥٦.

وقول الآخر[١]: (الوافر)

وَمَــنْ فِـيْ كَـفِّـهِ مِـنْـهُـمْ قَـنَـاةٌ ... كَـمَـنْ فِـيْ كَـفِّـهِ مِـنْـهُـمْ خِـضَـابُ

والبيتان اشتملا على تشابه الرجال بالنساء[٢].

[٣]- أو ذا: أي معنى الثاني.

أشمل: من معنى الأول فيكون أحسن كقوله[٣]: (الوافر)

إِذا غَـضِـبَـتْ عـلـيـكَ بَـنُـو تَـمِـيـمٍ ... وَجَــدْتَ الـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ غِـضَـابًا

وقول الآخر[٤]: (السريع)

لَـيْـسَ عَـلَـى الـلَّـهِ بِـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ ... أَنْ يَـجْـمَـعَ الـعَـالَـمَ فِـي وَاحِــدِ[٥]

ومنه: أي من غير الظاهر.

[٣]- **قلب**: وهو ما يكون معنى الثاني نقيض الأول.

---

(١) أي أبو الطيب - ديوانه ١/ ٨٥.

(٢) فكل من البيتين يدل على عدم المبالاة بالرجال، إلا أنهما مختلفان، لأن الأول دل على مساواة النساء للرجال، والثاني دل على تشبيه الرجال بالنساء، فهو معنى غير الأول والأول أبلغ منه. عروس الأفراح٢/ ٣٢٨. فقول جرير (ذو العمامة) كناية عن الرجل، و(الخمار) كناية عن المرأة، ويشبهه تكنية المتنبي عن الرجل بـ(من في كفه منهم قناة) وتكنيته عن المرأة بـ(من في كفه منهم خضاب) وهذا هو تشابه المعنيين في السرقة غير الظاهرة.

(٣) أي جرير، ديوانه ٢/ ٨٢٣.

(٤) أي: أبو نوس، ديوانه ص ٢٠٢.

(٥) الثاني شامل، لأن العالم أشمل من الناس، لأنه كل موجود حادث، والذي يظهر أن يقال: الثاني أبلغ، باعتبار أنه صريح في أن الناس كلهم ذلك الواحد، بخلاف الأول، فإنه لا يلزم من غضب الناس كلهم لغضب بني تميم، أن يكونوا هم جميع الناس؛ لجواز أن يريد أن الناس تبع لهم، يغضبون لغضبهم، لكن التعبير عن هذا بأنه أشمل فيه تعسف. عروس الأفراح٢/ ٣٢٩.

كقوله[١]: (الكامل)

أَجِـدُ الْـمَـلَامَـةَ فِـيْ هَـوَاكِ لَـذِيْـذَةً حُـبًّا لِـذِكْـرِكِ، فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وقول الآخر[٢]: (الكامل)

أَأُحِـبُّـهُ، وَأُحِـبُّ فِـيْـهِ مَـلَامَـةً؟ إِنَّ الْـمَـلَامَـةَ فِـيْـهِ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ[٣]

[الاقتباس في قول الناظم: وَاقْتِبَاسٌ يُنْقَلُ]

ومما يتصل بما ذكر من السرقات الشعرية:

اقتباس: وتقدم أواخر المحسنات اللفظية، وأنه: تضمين[٤] المتكلم كلامه شيئًا من القرآن، أو الحديث، لا على أنه منه[٥].

٩٩- وَمِنْهُ تَضْمِيْنٌ، وَتَلْمِيْحٌ، وَحَلّ، وَمِـنْـهُ عَـقْـدٌ. وَالـتَّـأَنِّـقْ إِنْ تَـسَـلْ

---

(١) أي: أبو الشيص، ديوانه ص ٩٣.

(٢) أي: المتنبي، ديوانه ١/ ٤.

(٣) أي أن المتنبي أخذ المعنى الأول وقلبه. قال السبكي: فبيت المتنبي وأبي الشيص متناقضان، لأن أبا الشيص صرح بحب الملامة، والمتنبي نفى حبها بهمزة الإنكار بقوله: «أأحبه وأحب فيه ملامة» وقد يقال: المنكر بهمزة الإنكار ما وليها، والذي وليها حبه وهو غير منكر، وجوابه أن المعنى: أأجمع بين الأمرين مثل: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، أو يقال: التقدير: «وأنا أحب» ويكون جملة حالية، وإنما قدرنا «أنا» لأن المضارع المثبت لا يقع حالا بالواو. عروس الأفراح٢/ ٣٢٩، وفيه يقول ابن الأثير: وهذا من السرقات الخفية جدا، ولأن يسمى ابتداعا أولى من أن يسمى سرقة، وقد توخيته في شيء من شعري فجاء حسنا، فمن ذلك قولي: (البسيط)

لولا الكرام وما سنوه من كرم لم يدر قائل شعر كيف يمتدح

أخذته من قول أبي تمام: (الطويل)

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة العلا من أين تؤتى المكارم

من قصيدته في مدح أحمد بن دواد "الديوان ٣/ ١٨٣. المثل السائر٣/ ٢٤٥ تحقيق الحوفي وطبانة.

(٤) في أ: تضمين الكلام المتكلم...

(٥) سبقت دراسته في نهاية المحسنات اللفظية كما قال.

١٠٠- بَـرَاعَـةُ اسْـتِـهْـلَالٍ، انْـتِـقَـالُ حُـسْـنُ الْـخِـتَـامِ. اِنْـتَـهـي الْـمَـقَـالُ

ومنه: أي من المتصل بما ذكر.

تضمين، وتلميح، وحل.

ومنه: أي من المذكور

عقد.

والاقتباس ضربان:

ما لم ينقل المقتبس المأخوذ من معناه - كما قدمناه - في مثال الاقتباس الموالي.

والثاني: خلافه، وهو ما ينقل من معناه إلى معنى آخر.

كقوله(١): (الهزج)

لئن أخطأت في مدحيـ ك ما أخطأت في مدحي

لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع

ولا بأس بتغيير يسير في المقتبس للوزن كقوله(٢): (مخلع البسيط)

قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

أو لغيره، كالسجع، والقلب، وغيرهما.

[التضمين]

و [**أما**] التضمين فهو: أن يُضمن الشعر شيئًا من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم [**٢٣ب**] يكن مشهورًا عند البلغاء كقوله(٣): (الوافر)

---

(١) أي: ابن الرومي.

(٢) أي بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه. (بغية الإيضاح ٤/ ١١٤، وسبقت دراسة هذا انوع من الكلام في نهاية التحسين اللفظي، ولا داعي لإعادته.

(٣) أي الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرّضه أبو زيد للبيع.

عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعي أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا[١]

وإن كان مشهورًا فلا حاجة للتنبيه كقوله[٢]: (الكامل)

قد قلت لما أطلعتْ وجناته حول الشقيق الغض روضةَ آس

أَعذاره الساري العجول ترفقا ما في وقوفك ساعة من باس[٣]

ولا يضر في التضمين التعبير اليسير[٤].

وربما سمي تضمين البيت فما زاد استعانة.

وتضمين المصراع إبداعًا.

---

(١) ذكر أن المصراع الثاني للعرجي، وبيت العرجي هو: (الوافر)

أضاعوني وأيَّ فتًى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

وقد نبَّه الحريري على التضمين بقوله: «سأُنْشِد». ينظر البلاغة العربية للميداني ٨٦٥.

(٢) أي: أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان (بغية الإيضاح ٤/ ١١٦)

(٣) فالمصراع الأخير، مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام: (الكامل)

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعةً مِنْ بَاسِ نَقْضي حُقُوقَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

(٤) ومن شواهد ذلك: ما قيل عنه: أَحْسَنُ التضمين ما زاد على الأصل أمرًا حسنًا، كتورية، أو تشبيه، ومنه قول ابن أبي الإصبع مستغلاً شعر المتنبي لمعنى آخر غير الذي قصده: (الطويل)

إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَغْرَهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ

وَيُذْكِرنِي مِنْ قَدِّهَا وَمَدامِعِي مَجَرُّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوابِقِ

الشطران الثانيان مطلع قصيدة للمتنبّي يمدح بها سيف الدولة، ولم يُنَبِّه ابن أبي الإصبع على التضمين لأن قصيدة المتنبّي مشهورة عند المشتغلين بالأدب.

الْعُذَيب وبَارِق: موضعان بظاهر الكوفة مَجَرُّ عَوَالينا: أي: مكان جرّ الرماح، وحركة جرّها. ومَجْرى السَّوابق: أي: مكان جري الخيل السوابق، وحركةُ جريها.

فأخذ ابن أبي الإصبع من «الْعُذَيب» معنى عذوبة ريق صاحبته، وأخذ من «بَارِق» البريق الذي يُرَى من ثغرها، على سبيل التورية.

وشبّه قدّها بحركة جرّ الرّماح، وشبّه جريان دمعهِ بِجَرْيِ الخيل السوابق.

قالوا: ولا يَضُرُّ التغيير اليسير عند التضمين. البلاغة العربية ٨٦٥.

[التلميح]

والتلميح: أن يشار إلى قصة، أو شعر من غير ذكره:

صريحًا كقوله(١): (الطويل)

فَـوَالـلَّـهِ مَـا أَدْرِي أَأَحْـــلَامُ نَـائِـمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَع(٢)

أو ضمنا كقوله(٣): (الطويل)

لَعَمْرٌو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَظِي ... أَرَقُّ وَأحْفي مِنْكَ في سَاعَةِ الْكَرْبِ

ففيه إشارة إلى قوله(٤): (البسيط)

الْمُسْتَجِيرُ بِـعَـمْـرٍو عِـنْـدَ كُـرْبَـتِهِ ... كَالمُسْـتَجِيرِ مِـنَ الرَّمْضَـاءِ بِالنَّارِ(٥)

[الحل]

والحل: أن ينثر النظم(٦).

---

(١) أي أبو تمام، وهو في ديوانه ص٥٨٢.

(٢) وصف لحوقه بالأحبة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب من جانب الخدر في ظلمة الليل، ثم استعظم ذلك واستغرب وتجاهل تحيرا وتدلها وقال أهذا حلم أراه في النوم، أم كان في الركب يوشع، النبي صلى الله عليه وآله. فرد الشمس. مختصر المعاني ٢٩٥.

(٣) أي: أبو تمام

(٤) أبو تمام أيضا، يشير إلى قصته.

(٥) وقصة ذلك أنّ عمرواً تَرَصَّدَ كُلَيْباً حتى ابتعد عن الحمى، فركب فرسه فأتبعه فرمَى صُلْبَهُ، ثُمَّ وقَفَ عليه فقال له: يا عَمْرو أغِثْنِي بِشَرْبَةِ ماءٍ فَأَجْهَزَ عليه، فمات، فقيل هذا البيت. البلاغة العربية٢/ ٥٤٢.

(٦) أي: أن يَنْثُر الكاتب، أو المتكلّم شِعْرًا لِغَيرِه، ويكون حَسَنًا إذا كان سَبْكُ الحلِّ حسَنَ الموقع، مستقرًّا غير قَلِقٍ، وافِيًا بمعاني الأصل، غَيْرَ ناقصٍ في الْحُسْنِ عن سَبْكِ أصْلِه، أو أن يكون بمثابة الشَّرْح لدقائقه، وإلَّا كان عملًا غَيْرَ مقبولٍ في الأعمال الأدبية. البلاغة العربية ٢/ ٨٦٧.

كقول بعض المغاربة: فَإِنَّهُ لَمَّا قَبُحَتْ فَعَلاتُهُ، وَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ، لَمْ يَزَلْ سُوءُ الظَّنِّ يَقْتَادُهُ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُّمَهُ فِي الَّذِي يَعْتَادُهُ حل به قول المتنبي[١]: (الطويل)

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ[٢]

[العقد]

والعقد: أن يضمن المتكلم كلامه شيئًا من القرآن، أو الحديث، منبها على أنه منه[٣]، كقوله في القرآن:[٤](الوافر)

فَإِنَّ اللهَ خَلَّاقَ الْبَرَايَا ... عَنَتْ لِجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ

يَقُولُ: إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ ... إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى؛ فَاكْتُبُوهُ[٥]

وفي الحديث كقوله[٦]: (الخفيف)

عمدة الناس عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البريه

---

(١) البيت في شرح ديوان المتنبي للواحدي، ومعناه: يقول المسيء الظن لا يأمن من أساء إليه وما يخطر بقلبه من التوهم على أصاغره يصدق ذلك.

(٢) ومنه قول صاحب «الوشي المرقوم في حلّ المنظوم» يصف قلم كاتب: «فَلَا تَحْظَى بِهِ دَوْلَةٌ إِلاَّ فَخَرَتْ عَلَى الدُّوَل، وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ الْخَيْلِ والْخَوَلِ، وَقَالَتْ: أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَقْلاَمِ لاَ عَلَى الأَسَل». العبارة الأخيرة حلّ لقول أبي الطيّب مع ردّ لمقاله وجعل أعْلَى الممالك ما يبنى على الأقلام: (البسيط)

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ ... وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ

(٣) أي أنه: وهو نظم النثر لا على طريق الاقتباس، ومن شروطه أن يؤخذ (المنثور) بجملة لفظه أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص، ليدخل في وزن الشعر. ينظر: جواهر البلاغة للهاشمي ٣٤١.

(٤) الحسين بن الحسن الواساني الدمشقي (بغية الإيضاح ٤/ ١١٨).

(٥) فإنه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]، ونبه على أنه من القرآن بقوله: يقول.

(٦) الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ديوانه ١٥٢.

اتــق الـشـبـهـات وازهـــد ودع ما لـيـس يعينك واعـمـلـن بـنـيـه[١]

[مواضع التأنق في الكلام][٢]

و: على المتكلم

التأنق: أي إعمال الفكرة، والبصيرة فيما يورده، في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظًا، وأحسن سبكا، وأصح معنى.

وبيّن الثلاثة بقوله:

إن تسل: براعة استهلال، انتقال، حسن الختام.

[١]- **والابتداء**: لأنه مما يقرع السمع أول الكلام، فيجب أن يكون على الوجه الذي بلغ نهاية الحسن، وإليها، ووصل إلى غاية الكمال حتى جعل له الإصغاء على وفق إرادته، والإبدال عنه بالإعراض، فيحسب في المدح ما يتطير به.

---

(١) **مواضع التأنق في الكلام** : أرادوا بها معرفة منزلة الكلام، ودرجة حسنه، وذلك في: براعة ابتدائه، وحسن تخلصه، وحسن انتهائه، ومعلوم أن الابتداء هو أول شيء يصدر من الشاعر أو الناثر، فيجب أن يكون ذلك مناسبًا لما سيتحدث فيه؛ لأن مقدمة الشيء تمهيد للدخول فيه فلا بد أن تكون ألصق به وأقرب له وغير نافرة منه، فصدر خطبة النكاح يختلف عن صدر خطبة العيد وعن صدر خطبة التأبين حتى يكون الكلام مناسبًا للحال والمقام، وليس أدل على ذلك من قول ابن المقفع «ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته » وهذا ما مر بنا في درس الإرصاد أو التسهيم.

(٢) مواضع التأنق في الكلام: أرادوا بها معرفة منزلة الكلام، ودرجة حسنه، وذلك في: براعة ابتدائه، وحسن تخلصه، وحسن انتهائه، ومعلوم أن الابتداء هو أول شيء يصدر من الشاعر أو الناثر، فيجب أن يكون ذلك مناسبًا لما سيتحدث فيه؛ لأن مقدمة الشيء تمهيد للدخول فيه فلا بد أن تكون ألصق به وأقرب له وغير نافرة منه، فصدر خطبة النكاح يختلف عن صدر خطبة العيد وعن صدر خطبة التأبين حتى يكون الكلام مناسبًا للحال والمقام، وليس أدل على ذلك من قول ابن المقفع «ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته» وهذا ما مر بنا في درس الإرصاد أو التسهيم.

وأحسن براعة الاستهلال: ما ناسب المطلوب بأن يذكر في الابتداء ما يناسبه ليدل على المراد، كقوله في التهنئة[١]: (البسيط)

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ....[٢]

[٢]- والثاني: حسن الانتقال والتخلص مما شبب الكلام به من تشبيب، أو غيره، إلى المقصود، مع رعاية الملاءمة، كقوله[٣]: (البسيط)

يقول في قُومس قَوْمي وقدْ أَخَذَتْ ... مِنَّا السّرَى وخُطَا المَهْرِيَّةِ القُودِ

أَمَطْلَعَ الشَّمسِ تبغي أن تَؤُمَّ بنا ... فقلتُ كلّا ولكن مطلعَ الجودِ

وقد جاء حسن التخلص في القرآن فيما ذكره عن موسى وحكاية دعائه لنفسه ولأمته بقوله: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦].

---

(١) أبو محمد الخازن يهنئ ابن عباد بمولود لابنته (البغية ٤/ ١٣٠)، والشطر الثاني:

وكوكب المجد في أفق العلا صعد

(٢) والبيت منسوب في الإيضاح، ويتيمة الدهر للثعالبي، والمنتحل للثعالبي أيضا، لأبي محمد الخازن من قصيدة يهنئ بها الصاحب ابن عبَّاد بسِبْطه الشريف أبي الحسن عباد بن على الحسنيِّ.
وأبو محمد الخازن هو: عبد الله بن أحمد الخازن، أصبهاني، كان من خواص الصاحب بن عباد، وكان على خزانة كتبه في ريعان شبابه، هرب من حضرته مدة ثم عاد إليه. وفيات الأعيان لابن خلكان ٧/ ٣٤٢.
فبراعة الاستهلال هنا تتجلى في فصاحة الابتداء لما فيه من دقة الإشارة إلى ما سيق الكلام له، وتمام تناسبه للغرض المقصود.

(٣) أي أبو تمام، قالها في عبد الله بن طاهر، وقومس - بضم القاف وآخرها سين مهملة - صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، والمهرية - بفتح الميم - الإبل المنسوبة إلى مَهْرة بن حيدان، والقود: الطوال الظهور والأعناق، واحدها أقود. والشاهد فيهما: حسن التخلص، وهو الخروج ممَّا ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود، مع رعاية الملاءمة بينهما، وهو قليل في كلام المتقدمين. وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبي سلمى: (البسيط)

إنَّ البخيلَ مَلوم حيثُ كانَ ولـ ... ـكنَّ الجَوَاد على عِلّاتِهِ هَرِمُ

معاهد التنصيص ١/ ٤٥٣.

وجوابه عنه ثم تخلصه عنه بمناقب سيد المرسلين بعد التخلص لأمته[١].

وقد ينتقل المتكلم مما شبب منه إلى مقصوده بغير ملاءمة، ويسمى حينئذٍ: **اقتضابًا، وارتجالًا، وانقطاعًا**[٢].

وهو مذهب العرب، ومن يليهم [٢٤أ] من المخضرمين.

ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص.

كقولك: بعد حمد الله: أما بعد[٣]..

---

(١) أي من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

(٢) يقول العلوي: الاقتضاب: وهو نقيض التخليص، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو بصدده ثم يستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك من أفانين الكلام، لا يكون بين الأول والثاني ملائمة ولا مناسبة، وهذا هو مذهب الشعراء المتقدمين من العرب كامريء القيس والنابغة وطرفة ولبيد، ومن تلاهم من طبقات الشعراء، فأما المحدثون من الشعراء كأبي تمام وأبي الطيب وغيرهم ممن تأخر فإنهم تصرفوا في التخليصات فأبدعوا فيها وأظهروا كل غريبة ومن أمثلته في كتاب الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة ص: ٤٥-٥٠].
فصدر الكلام أولا بذكر الأنبياء والثناء عليهم ثم ذكر بعده بابا آخر غير ذلك لا تعلق له بالأول، وهو ذكر الجنة وأهلها، ثم لما أتم ذكره عقبه بذكر النار وأهلها بقوله هذا ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾، فانظر إلى هذا الاقتضاب الرائق، والذي حسن من موقعه لفظة «هذا» فإنها جعلت له موقعا أحسن من التخليص.. الطراز٢/ ١٨١

(٣) وهو اقتضاب من جهة أنه قد انتقل من حمد الله والثناء على رسوله إلى كلام آخر من غير رعاية ملائمة بينهما، لكنه يشبه التخلص من غير قصد إلى ارتباط وتعلق بما قبله، بل أُتي بلفظ (أمّا بعد) قصدا إلى ربط هذا الكلام بما سبق عليه، وقيل: هو فصل الخطاب؛ لأنه يفصل خطابًا عن خطاب من جهة أنه يبين مقطع السابق مبدأ اللاحق. ينظر كتاب الإفاضة في شرح أنبوب البلاغة بتحقيقي تحت الطبع.

وقيل: هو فصل الخطاب كقوله [تعالى] ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥﴾ [سورة ص: ٥٥]، أي الأمر هذا، أو هذا الأمر، أو خذ الأمر[١].

وقوله: هذا: دلّك.

ومنه قول الكاتب: هذا بابه.

[٣] - **والثالث**: حسن الختام والانتهاء منه؛ لأنه آخر ما يعيه السامع، وهو منتهى ما يختم به الكلام

فإن كان حسنًا حرك نشاط السامع، فوعاه، ووصفه لغيره، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه، وعما قبله، وإن كان في ذاته بالغًا حد الكمال، واصلًا نهاية البهاء[٢].

وأحسنه ما يؤذن بانتهاء الكلام كقوله[٣]: (الطويل)

بَقيتَ بَقاء الدَّهْرِ يا كهف أهله ... وهذا دُعاء للبرية شامِلُ[٤]

وجميع فواتح السور، لا سيما حروف التهجي، واردة على أحسن الوجوه؛ لأنها توقظ

---

(١) سبق بيانه هنا في شاهد الطراز.

(٢) أوجز الهاشمي كلام العلماء فيه فقال: «حسن الانتهاء» ويقال له «حسن الختام» هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه، عذب اللفظ، حسن السبّك، صَحيح المعنى، مشعرًا بالتّمام حتى تتحقق (براعة المقطع) بحسن الختام، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام، لقرب العهد به.
يعني: أن يكون آخر الكلام مُستعذبًا حسنًا، لتبقى لذتُه في الأسماع مُؤذنًا بالانتهاء، بحيث لا يبقى تشوقًا إلى ما وراءه، كقول أبي نُوَاس: (الطويل)

وإني جدير إذ بَلَغتك بالمنى ... وأنت بما أمَّلتُ فيك جدير
فإن تُولِني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذرٌ وشكورُ

جواهر البلاغة ٣٤٤.

(٣) ذكر الشيخ العباسي: أن البيت من الطويل، ونسب لأبي العلاء المعري، ونَسَبه ابن فضل الله لأبي الطيب المتنبي، ولم أره في ديوان واحد منهما: والشاهد فيه: حسن الانتهاء. معاهد التنصيص ١/ ٤٦٣.

(٤) لأن بقاءك سبب لكون البرية في أمن ونعمة وصلاح الحال، أو المعنى: وهذا دعاء لا يخصني، بل يشاركني فيه جميع البرية. الأطول ٢/ ٥٣٠.

لسماع ما بعدها؛ لأنهم إذا سمعوها من مثله - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - علموا أنها والمتلو بعدها من جهة الوحي.

وكذا جميع خواتمها واردة على أحسن الوجوه، وأكملها؛ لأنها بين أدعية، ووصايا، ومواعظ، وتعظيم، فهي متناسبة المطالع، والمقاصد في: الحسن، والكمال، وفي أنواع المقال، كما بينت ذلك في كتاب: (**رفع الإلباس ببيان اشتراك معاني سورة الفاتحة والناس**).

ويظهر لك ذلك بالتأمل، والتفكر، وحسن التوجه، وكمال التذكر.

وبقي مما ينبغي التأنق فيه:

المطلب، وحقه: أن يخرج إليه بعد تقدم وسيلة نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [سورة الفاتحة: ٥]

ومنه ما روي أنا أبا نواس سئل في المنام ما فعل الله بك؟ قال غفر لي ذنوبي بأبيات قلتها، وهي تحت وسادتي فيها[١]: (الكامل)

يا رَبِّ إن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً ... فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ
إن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ ... فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ
أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ
ما لي إليكَ وَسيلَةٌ إلا الرَجا ... وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ

ومن حسن الختام قول الناظم:

وانتهى المقال.

---

(١) ذكر الدميري قصة هذه الأبيات فقال: قال محمد بن نافع: رأيت أبا نواس في المنام بعد موته فقلت: يا أبا نواس، فقال: لات حين كنية، فقلت: الحسن بن هانيء قال: نعم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي وهي تحت الوسادة، قال: فأتيت أهله فقلت: هل قال أخي شعرا قبل موته؟ قالوا: لا نعلم، إلا إنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو قال: فدخلت ورفعت وسادته فإذا أنا برقعة مكتوب فيها. وذكر الأبيات. حياة الحيوان الكبرى١/ ٧٣ طبعة دار الكتب العلمية.

ففيه مطابقة للواقع مع حسن السبك، وانتهاء الكلام، وحصول المرام، ومن حسن الختام قول الآخر[١]: (الطويل)

وجـودك محض الخير لا زال سـالما **من السـوء والآفـات والهم والسـقم**

وأبقـاك رب الدهـر كهفًـا لخلقـه **فهـذا دعـاء العبـد في البـدء والختم**

ومنه قولي في بعض الأراجيز:

ثم سلام مع صلاة قد زكت على.

وهذا آخر ما قيدناه، وعلى هذا النظم جمعناه.

جعله الله خالصًا لوجهه الكريم، وآتاني من فضله العميم، والحمد لله أولًا وآخرًا، باطنًا وظاهرًا.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

وكان ذلك وقت أوان الظهر ويوم الاثنين سادس عشر شهر رجب سنة ست وأربعين وألف، وكان عام نسخه: في غرة ذي الحجة الحرام.



(١) لا يعلم قائل البيتين.

الفهارس الفنّية

أولا: فهرس الأيات القرآنية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	١- سورة الفاتحة		
١	﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾	٢	١١٥
٢	﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾	٥	١١٥ - ١٤٢ - ٤٥٢
٣	﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾	٦	٣٣٠
	٢- سورة البقرة		
٤	﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾	٢	٦٨ - ٩٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤
٥	﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾	٥	٩٢
٦	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ ..﴾	٦	٢٣٠
٧	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ ...﴾	١١	١٨١
٨	﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾	١٥	٢٤٠
٩	﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾	١٦	٧٧ - ٣٤٥
١٠	﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾	١٩	٣٢١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣- سورة آل عمران			
٢٦	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ... ﴾	٢١	٣٣٤ - ٣٥٤
٢٧	﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي .. ﴾	٣٥	٩٣ - ٩٤
٢٨	﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ ﴾	٣٦	٩٣
٢٩	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا ... ﴾	٣٧	٦٨ - ١٩٦
٣٠	﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ... ﴾	٤٤	٥٦
٣١	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾	١٤٤	١٨٠
٣٢	﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾	١٥٨	١٤٢
٤- سورة النساء			
٣٣	﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا ... ﴾	٢	٣٢٣
٣٤	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ ... ﴾	٨٣	٣٧٤
٣٥	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ ... ﴾	٩٠	٢٤٥
٥- سورة المائدة			
٣٦	﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾	٣	٢٥٩
٣٧	﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾	٨	٨٥
٣٨	﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾	٤٤	٤٠٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٩	﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾		٤٢٠ - ٤٢٢
٦- سورة الأنعام			
٤٠	﴿يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ﴾	٢٦	
٤١	﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا..﴾	٢٧	٣٧٤
٤٢	﴿۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ ...﴾	٣٦	٢٥٨
٤٣	﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ ...﴾	٤٠	١٧٨
٤٤	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ ...﴾	٧٣	٢٠٣
٤٥	﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِي بِهِۦ...﴾	١٢٢	٩٥
٤٦	﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾	١٤٩	٣٣٣ - ٣٩٩
٤٧	﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ ..﴾	١٥١	١٣٤٧
٧- سورة الأعراف			
٤٨	﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ..﴾	٩٢	٨٩
٤٩	﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ ..﴾	١٣١	١٢٧ - ١٢٨
٥٠	﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾	١٥٦	٤٤٩
٨- سورة الأنفال			
٥١	﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ⑧﴾	٨	٢٥٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠- سورة يونس			
٥٢	﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ...﴾	٢٥	١٣٩
٥٣	﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ ...﴾	٨٩	٢٤٥
١١- سورة هود			
٥٤	﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ..﴾	٣٧	٦٩
٥٥	﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ ... ﴾	٦٩	٢٣٣
٥٦	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا ..﴾	٨٧	٢٠٥ – ٣٥٤
١٢- سورة يوسف			
٥٧	﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾	٢٣	٤٦
٥٨	﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن...﴾	٣٢	٢٥٩
٥٩	﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾	٣٦	٣٢٤
٦٠	﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم ..﴾	٤٥	٢٥٦
٦١	﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ..﴾	٨٢	٢٥٦
١٣- سورة الرعد			
٦٢	﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ..﴾	١٩	١٨١
١٤- سورة إبراهيم			
٦٣	﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾	١٠	١٨١
٦٤	﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾	١١	١٨١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	١٥- سورة الحجر		
٦٥	﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) ﴾	٣٠	١٠١
٦٦	﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) ﴾	٩٤	٣٣٨
	١٦- سورة النحل		
٦٧	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) ﴾	٥٧	٢٦٣
	١٧- سورة الإسراء		
٦٨	﴿ قُلْ كُونُوا ﴾	٥٠	٢٠٨
٦٩	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾	٨١	٢٦٥
٧٠	﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) ﴾	١٠٥	١١٢
	١٨- سورة الكهف		
٧١	﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ... ﴾	١٨	٣٩٧
٧٢	﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ ... ﴾	٤٥	٢٩٠
٧٣	﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ .. ﴾	٤٦	٣٨٧
٧٤	﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ .. ﴾	٧٩	٢٥٧
	١٩- سورة مريم		
٧٥	﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾	٢٠	٢٤٥
٧٦	﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾	٧٣	١٩٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٢٠- سورة طه		
٧٧	﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥)﴾	٥	٤٠٩
٧٨	﴿هِيَ عَصَايَ﴾	١٨	٨٣
٧٩	﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ (٦٧)﴾	٦٧	١٤٤
٨٠	﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨)﴾	٧٨	٨٩
٨١	﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا..﴾	٨٨	٣٣٧
٨٢	﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ ..﴾	١٢٠	٢٢٧
	٢١- سورة الأنبياء		
٨٣	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	٤٢٨
٨٤	﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾	٣٦	٩٢
٨٥	﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ..﴾	٨٠	١٩٣
	٢٧- سورة النمل		
٨٦	﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ..﴾	٢٠	٢٠٢
٨٧	﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ..﴾	٢٢	٣٧٥
	٢٨- سورة القصص		
٨٨	﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ..﴾	٨	٣٤٢
٨٩	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ ..﴾	٢٠	٩٩
٩٠	﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا..﴾	٧٣	٤١٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٢٩- سورة العنكبوت		
٩١	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ ..﴾	٤٠	٣٨٦
	٣٠- سورة الروم		
٩٢	﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ..﴾	٦-٧	٤٠٠
٩٣	﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾	١٩	٤٠٦
٩٤	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا ..﴾	٥٥	٣٧٠
	٣٣- سورة الأحزاب		
٩٥	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...﴾	٣٧	٣٧٦
	٣٤- سورة سبأ		
٩٦	﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٢٦٥
	٣٥- سورة فاطر		
٩٧	﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ..﴾	٤	٢٥٨
	٣٦- سورة يس		
٩٨	﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ ..﴾	١٤	٦٧
٩٩	﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	١١٤
١٠٠	﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾...﴾	٣٧	٣٣٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٤٤- سورة الدخان		
١١٣	﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾	١٣	٢٠٣
١١٤	﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٢٠١
	٥١- سورة الذاريات		
١١٥	﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾	١٢	١٩٦
١١٦	﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	٤١١
	٥٣- سورة النجم		
١١٧	﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾	١-٢	٣٨٠
	٥٦- سورة الواقعة		
١١٨	﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾	٢٨-٢٩	٣٨٠
	٦٠- سورة الممتحنة		
١١٩	﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾	١٠	٤٠٧
	٦٢- سورة الجمعة		
١٢٠	﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ..﴾	٥	٢٨٥
	٦٣- سورة المنافقون		
١٢١	﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ ..﴾	٨	٣٩٠
	٦٩- سورة الحاقة		
١٢٢	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾	١١	٣٣٩
١٢٣	﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾	٣٠-٣١	٣٨٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧١- سورة نوح			
١٢٤	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾	١٠	٣٧٦
٧٤- سورة المدثر			
١٢٥	﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾	٣	٢٤٤ - ٣٨١
٧٥- سورة القيامة			
١٢٦	﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٣٧٣
٨١- سورة التكوير			
١٢٧	﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾	٢٦	٢٠٢
٩٣- سورة الضحى			
١٢٨	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾	٣	١٣٩
٩٤- سورة الشرح			
١٢٩	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾	١	٢٠١
٩٦- سورة العلق			
١٣٠	﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٣٢٥
٩٧- سورة القدر			
١٣١	﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾	١	٨٦
١٠٠- سورة العاديات			
١٣٢	﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾	٧-٨	٣٧٤
١٠٣- سورة العصر			
١٣٣	﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾	٢	٩٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	١٠٤- سورة الهمزة		
١٣٤	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾	١	٣٧٤
	١٠٥- سورة الفيل		
١٣٥	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ ..﴾	١-٢	٣٨٠
	١٠٨- سورة الكوثر		
١٣٦	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾	١-٢	١١٥
	١٠٩- سورة الكافرون		
١٣٧	﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾	٦	١٣٢
	١١٢- سورة الإخلاص		
١٣٨	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾	١	٨٧

ثانيا:
فهرس الحديث الشريف



ثالثا:

فهرس القوافي

	الشطر الثاني للبيت	الشاعر	البحر	الصفحة
	الهمزة			
١	إلا بوجه ليس فيه حياء	المتنبي	الكامل	٣١٢
٢	ليت عينيه سواء	بشار بن برد	مجزوء الرمل	٤٢٦
٣	إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيْهِ مِنْ أَعْدَائِهِ	المتنبي	الكامل	٤٣٣
٤	كنوال الأمير يوم سماء	رشيد الدين	الخفيف	٣٨٨
	الباء			
٥	فإني وقيار بها لغريب	ضابئ بن الْحَارِث البرجمي	الطويل	١٢٠
٦	أَبُو أُمِّهِ حيٌّ أبوه يُقاربه	الفرزدق	الطويل	٥٤
٧	وعادت عواد بيننا وخطوب	علقمة بن عبدة الفحل	الطويل	١١٥
٨	فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب	أبو إسحاق إبراهيم بن بِلال الصَّابي	الطويل	٢٩٦
٩	وأسيافَنا لَيْلٌ تَهَاوَى كواكبُهْ	بشار بن برد	الطويل	٢٨٥-٣٠١
١٠	على أرؤس الأقران خمس سحائب	البحتري	الطويل	٣٣٣

١١	ولَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرءِ مَطْلَبُ	النابغة الذبياني	الطويل	٤٢٩
١٢	كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ	جرير	الوافر	٤٤٢
١٣	إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى؛ فَاكْتُبُوْهُ	الحسين بن الحسن الواساني الدمشقي	الوافر	٤٤٧
١٤	مُحْمَرَّةً؛ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوْا	البحتري	الكامل	٤٤١
١٥	وجدت الناس كلهم غضابا	جرير	الوافر	٤٤٢
١٦	رعيناه وإن كانوا غضابا	جرير	الوافر	٤١٧
١٧	فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب	أبو تمام	الطويل	٣٩٤
١٨	بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ	النابغة الذبياني	الطويل	٤٠٤
١٩	أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ	أبو تمام	الطويل	٤٤٦
٢٠	فدعْهُ فدَولَتُهُ ذاهِبهْ	أبو الفتح البستي	المتقارب	٣٧٢
		التاء		
٢١	ليت شبابًا بوع فاشتريت	رؤبة العجاج	الرجز	١٨٨
٢٢	لَدَينا وَلا مَقلِيَّةً إِن تَقَلَّتِ	كثير	الطويل	٢١٩
		الجيم		
٢٣	عنت لجلال هيبته الوجوه	الحسين الدمشقي	الوافر	٤٤٧
٢٤	وَفاحِماً وَمَرسِناً مُسَرَّجا	رؤبة العجاج	الرجز	٤٨
		الحاء		
٢٥	إن بني عمك فيهم رماح	حجلة بن نضلة الباهلي	السريع	٦٩

٢٦	وجه الخليفة حين يمتدح	محمد بن وهيب	الكامل	٢٩٥
٢٧	مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ	البحتري	السريع	٣٠٤
٢٨	ما أخطأت في مدحي	ابن الرومي	الهزج	٤٤٤
		الدال		
٢٩	وذا يُشَجُّ فلا يَرثي له أحدُ	المتلمس	البسيط	٣٨٩
٣٠	مِنْ غِمْدِهِ، فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ	المتنبي	الكامل	٤٤١
٣١	وكوكب المجد في أفق العلا صعد	أبو تمام	البسيط	٤٤٩
٣٢	حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِن جَمادِ	أبو العلاء المعري	الخفيف	١٠٨
٣٣	بَنِيَّ حوالَيَّ الأسودُ الحواردُ	الفرذدق	الطويل	٢٤٧
٣٤	فقلتُ كلاّ ولكن مطلعَ الجودِ	أبو تمام	البسيط	٤٩٩
٣٥	قُلْتُ ثَقَّلْتَ كَاهِلِي بالأَيَادِي	ابن حجاج البغدادي	الخفيف	٣٩١
٣٦	فَصَارُوْهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي	ابن فضال النحوي	الوافر	٤٠٩
٣٧	فكانوها ولكن للأعادي	ابن فضال النحوي	الوافر	٤٠٨
٣٨	أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ	أبو نواس	السريع	٤٤٢
٣٩	عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدْ	الصنوبري الصنوبري	مجزوء الكامل	٢٧٥
٤٠	مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيُّ مَفْسَدَهْ	بلا نسبة	الرجز	٣٨٨
		الراء		
٤١	زهر الربا فكأنما هو مقمرٌ	أبو تمام	الكامل	٣٠١- ٣٠٢

٤٢	أن سوف يأتي كل ما قدرا	بلا نسبة	الكامل	٢٦٤
٤٣	كعنقود مُلاّحيّة حين نوّرا	قيس بن الخطيم	الطويل	٢٨٤
٤٤	وليس قربَ قبر حرب قبر	بلا نسبة	الرجز	٥١
٤٥	وكل حَتْفِ امرِئٍ يجْرِي بمقدارِ	الأخطل	البسيط	٢٢٩
٤٦	أبكت غدًا تبا لها من دار	الحريري	الكامل	٣٨٢
٤٧	لَيْلاَيَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ؟	العرجي	البسيط	٤٢٣
٤٨	سيء الخلق فداره	الصاحب بن عباد	الخفيف	٣٨٤
٤٩	الجنة حفت بالمكاره	الصاحب بن عباد	الخفيف	٣٨٤
٥٠	أربع من كلام خير البرية	بلا نسبة	الخفيف	٤٤٧
٥١	سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ	جرير	الوافر	٤٤١
٥٢	كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ	أبو تمام	البسيط	٤٤٦
السين				
٥٣	ما في وقوفك ساعة من باس	أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان	الكامل	٤٤٥
الصاد				
٥٤	قلت اطبخوا لي جُبّة وقميصا	أَبُو الرقعمق	الكامل	٤٢٠
العين				
٥٥	عليهِ ولكنْ ساحةُ الصبرِ أوْسَعُ	الخزيمي	الطويل	١٣٥
٥٦	سنن لام بينهن ابتداع	القاضي التنوخي	الخفيف	٢٧٩
٥٧	أضاعوني وأي فتى أضاعوا	العرجي	الكامل	٤٤٥

٥٨	يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا	عبدة بن الطيب	الكامل	٩٠
٥٩	إذا جمعتنا يا جرير المجامع	الفرزدق	البسيط	٩١
٦٠	وجاوزه إلى ما تستطيع	عمرو بن معدي كرب	الوافر	٣٨٦
٦١	أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ	أبو تمام	الطويل	٤٤٦
٦٢	حَتَّى إِذَا وَاراكِ أفقٌ فارجعي	أبو النجم العجلي	الرجز	٧٦
٦٣	ولَيْسَ إلى داع الندى بسريع	الأُقَيْشر	الطويل	٣٧٧
٦٤	بواد غير ذي زرع	ابن الرومي	الهزج	٤٤٤
		الفاء		
٦٥	وغزال لحظا وقد وردفا	ابن حيوش	البسيط	٤١٥
٦٦	كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ	ليلى بنت طريف الخارجية	الطويل	٤٢٣
		القاف		
٦٧	لكن يمر عليها وهو منطلق	جؤية بن النضر	البسيط	١٢٤
		الكاف		
٦٨	مُقِراً بالذُّنُوبِ وقد دعَاكَا	بلا نسبة	الوافر	١١٣
٦٩	نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا	عبد الله بن همام السلولي	المتقارب	٢٤٤
		اللام		
٧٠	سهر دائم وحزن طويل	بلا نسبة	الخفيف	٨٢

٧١	بيتًا دعائمه أعز وأطول	الفرزدق	الكامل	٨٩
٧٢	وهذا دُعاء للبرية شامِلُ	أبو العلاء المعري، وقيل للمتنبي	الطويل	٤٥١
٧٣	ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعْله	عامر بن جوين الطائي	الطويل	٥٧
٧٤	والمجد والمكارم مثلا	البحتري	الخفيف	١٣٦
٧٥	يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلاَ	الأعشى	المنسرح	٣٩٣
٧٦	إذا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْمَلُ	أوس المزني	الطويل	٤٣٨
٧٧	الواهب الفضلِ الكريم المجزِل	أبوالنجم العجلي	الرجز	٤٩
٧٨	تَضِلُّ المدارى في مُثَنًى وَمُرسَلِ	امرؤ القيس	الطويل	٤٨
٧٩	وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ	امرؤ القيس	الطويل	٢٧٦
٨٠	فإن المسك بعض دم الغزال	المتنبي	الوافر	٢٩١
٨١	لمّا رأيتها بدت فوق الجبل	عبد الله بن المعتز أو أبو النجم	الرجز	٣٠٠-٣٠٩-٣١٠
٨٢	وأدمعي كاللآلي	بلا نسبة	المجتث	٣٠٨
٨٣	كِلاَهُمَا كاللَّيَالِي	بلا نسبة	المجتث	٣٠٣
٨٤	لدى وكرها العناب والحشف البالي	امرؤ القيس	الطويل	٣٠٢
٨٥	غَلِقَتْ لِضَحْكَتِه رقابُ المَالِ	كثير عزة	الكامل	٣٤٥
٨٦	من كفه في كل حال	بلا نسبة	مجزوء الكامل	٣٧٥

النون				
١٠٣	فإن في إيماننا نيرانا	بلا نسبة	الكامل	٣٣٣
١٠٤	الـجام لَو جَامَلَنا	أبو الفتح البستي	مجزوء الخفيف	٣٧٢
١٠٥	إنا إلى الله راجعونا	بعض المغاربة	مخلع البسيط	٤٤٤
١٠٦	قد أحوجت سمعي إلى ترجمان	عوف بن ملحم الشَّيْبَانِيّ	السريع	٢٦٣
الهاء				
١٠٧	يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الله	أبو تمام	الكامل	٣٧١
الياء				
١٠٨	ما ليس يعينك واعملن بنيه	الشافعي	الخفيف	٤٤٨



رابعا:

فهرس الأعلام



خامسا:

فهرس الأمثال والحكم

م	المثل	الصفحة
١	أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى	٣٤٩
٢	«الصيف ضيعت اللبن» بكسر التاء	٣٥١



سادسا:

فهرس المصادر والمراجع

١. **أسرار البلاغة** لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني-قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر-الناشر/ مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢. **أسرار العربية** لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري أبي البركات كمال الدين الأنباري-دار الأرقم بن أبي الأرقم-ط/ الأولى ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م .

٣. **الأطول في علوم البلاغة**، عصام الإسفرايني، إبراهيم بن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث،٢٠٠٨.

٤. **الأعلام** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر -أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٥. **الأغاني** لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي الأصبهاني- تح/ سمير جابر- الناشر/ دار الفكر- بيروت- الطبعة الثانية .

٦. **الأقصى القريب في علم البيان** تحقيق د/ هشام عبد العزيز الشرقاوي ٢٠١٧م

٧. **أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)** الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

٨. **الإتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي تقديم وتعليق: د مصطفى البغا، ط٢، دار ابن كثير، بيروت ١٤١٤هـ.

٩. **إرشاد الاريب** شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، تح: إحسان

عباس، الطبعة: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م

١٠. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الطبعة الأولى، دار الجيل -بيروت ، ١٤١٢هـ.

١١. **إنباء الغمر بأبناء العمر** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

١٢. **الانتصاف على الكشاف** ابن منير الاسكندري، أحمد بن محمد، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية

١٣. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** -لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري -الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م -دار الجيل - بيروت٠

١٤. **الإيضاح التلخيص في علوم البلاغة** محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني، تح :محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة: الثالثة، دار الجيل - بيروت

١٥. **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان.

١٦. **إيضاح شواهد الإيضاح (لأبي عليّ الفارسي)** تأليف: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٧ م

١٧. **الإيضاح في علوم البلاغة** لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر المعروف بـ(خطيب دمشق)- تح/ محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل- بيروت- ط/ الثالثة .

١٨. **البداية والنهاية** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي- تح/ علي شيري- الناشر/ دار إحياء التراث العربي- ط/ الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م

١٩. **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥.

٢٠. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

٢١. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، ط: الأولى، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

٢٢. **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها** د/ محمد العمري، المغرب ١٩٩٩م .

٢٣. **البلاغة العربية فنونها وأفنانها**، عباس حسن، ط٤، الأردن دار الفرقان .

٢٤. **بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي**، بو جمعة شتوان، ط١ منشورات مخبر تحليل الخطاب تيزي وزو ٢٠٠٧م، دار الأمل للنشر والتوزيع.

٢٥. **البيان والتبيين** "الجاحظ"، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ط٣، مؤسسة الخانجي، القاهرة.

٢٦. **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية —بيروت.

٢٧. **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر** لابن أبي الإصبع هامش الإيضاح للخطيب تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

٢٨. **التحرير والتنوير**، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع -تونس -١٩٩٧م.تحقيق: عصام شعيتو، الطبعة الأولى دار ومكتبة الهلال -بيروت، ١٩٨٧

٢٩. **التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان**، د/ محمد أبو موسى، ط: الثالثة، مكتبة وهبة، ١٩٩٣م.

٣٠. **تفسير الرازي (التفسير الكبير) المسمى (مفاتيح الغيب)** لمحمد بن عمر بن الحسن

الرازي الملقب بـ(فخر الدين الرازي)- الناشر/ دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط/ الثالثة ١٤٢٠هـ.

٣١. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت

٣٢. **جمهرة أشعار العرب**، أبو هلال العسكري، الناشر: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م

٣٣. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٤. حاشية العلامة محمد بن محمد عرفة الدسوقي على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني

٣٥. **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م٠

٣٦. **حياة الحيوان الكبرى**، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي، الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ

٣٧. **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري

٣٨. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادي-تح/ عبد السلام هارون-مكتبة الخانجي-القاهرة-ط/ الرابعة ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.

٣٩. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، ط: الثامنة مكتبة وهبة ٢٠٠٩م.

٤٠. **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، دار صادر – بيروت

٤١. **الدر الفريد وبيت القصيد** لمحمد بن أيدمر المستعصمي، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ -٢٠١٥ م

٤٢. **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، الخطيب الإسكافي برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، دار الآفاق الجديدة، لبنان بيروت ١٤٠١هـ=١٩٨١م

٤٣. **دُرَرُ الفَرائِدِ المُسْتَحْسَنَةِ في شرحِ مَنْظومةِ ابنِ الشِّحْنةِ** (في علوم المعاني والبيان والبديع) المؤلف: ابن عَبْدِ الحَقِّ العُمَرِيّ الطَّرَابُلْسِيّ، تحقيق ودراسة: الدكتور سُلَيمان حُسَين العُمَيرات الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان ط٢٠١٨م

٤٤. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح: محمد عبد المعيد ضان، الطبعة: الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

٤٥. **دلالات التراكيب دراسة بلاغية**/ د/ محمد محمد أبو موسى، ط: الرابعة، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٦. دلائل الإعجاز – لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود شاكر- مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٤٧. **دلائل الإعجاز** لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني- تح/ محمود محمد شاكر أبو فهر- مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة- ط/ الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٤٨. **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** ، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٤٩. **الذخر والعدة في شرح البردة**، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٩م.

٥٠. **الذهب في أخبار من ذهب** -ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح حققه: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٥١. **السنن الصغرى** لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي- تح/ عبد المعطي أمين قلعجي- دار النشر/ جامعة الدراسات الإسلامية- كراتشي- باكستان- ط/ الأولى ١٤١٠هـ=١٩٨٩م .

٥٢. **السنن الكبرى** ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣

٥٣. **سير أعلام النبلاء** للذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز- تح/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ/ شعيب الأرناؤوط- الناشر/ مؤسسة الرسالة- ط/ الثالثة ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م .

٥٤. **شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية**، د/ محمود توفيق محمد سعد، طبعة المؤلف ١٤٢٢هـ.

٥٥. **شرح أدب الكاتب** موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقى ، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت

٥٦. **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الأُشْمُوني الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨مـ

٥٧. **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو** لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري وكان يعرف بـ(الوقاد)-الناشر/ دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- ط/ الأولى ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

٥٨. **شرح تلخيص مفتاح العلوم** لجلال الدين القزويني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.

٥٩. **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** لشمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي- تح/ نواف بن جزاء الحارثي- الناشر/ عمادة

البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق)- ط/ الأولى ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٤م .

٦٠. **شرح شواهد المغني**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

٦١. **شروح التلخيص**، وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي- دار الكتب العلمية بيروت.

٦٢. **شعب الإيمان** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٦٣. **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

٦٤. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**/ القلقشندي/ دار الكتب العلمية- بيروت/ د ت .

٦٥. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٦٦. **الصناعتين(الكتابة-الشعر)**، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي.، وتحقيق مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية.

٦٧. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت

٦٨. **ضياء السالك إلى أوضح المسالك**، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٩. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ

٧٠. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح المؤلف**: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت -لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣ م

٧١. **على متن التلخيص**، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠١٢م

٧٢. **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٧٣. **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٣م

٧٤. **القاموس المحيط** لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي- تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف/ محمد نعيم العرقسُوسي- الناشر/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- ط/ الثامنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

٧٥. **كتاب التبيان في البيان** للإمام الطيبي(شرف الدين الطيبي)، تحقيق ودراسة: عبد الستار حسين زموط، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، ـ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

٧٦. **الكتاب** لعمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه)- تح/ عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط/ الثالثة ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م .

٧٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت .

٧٨. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٧٩. المثل **السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق الدكتور: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة

٨٠. **مدخل إلى كتابي عبد القاهر**، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة –القاهرة، ٢٠١٠م

٨١. مذاهب النقد وقضاياه الدكتور/ عبد الرحمن عثمان

٨٢. **مذكرات الشيخ** سليمان نوار فى القصر

٨٣. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٨٤. **مشيخة أبي المواهب الحنبلي**

٨٥. **مصنف ابن أبي شيبة**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تح : كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩هـ

٨٦. المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني الهِروي، وبهامشه حاشية السيد الشريف، ١٣٣٠هـ.نشر المكتبة الأزهرية.

٨٧. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣ هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: عالم الكتب – بيروت.

٨٨. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، تح: طارق بن عوض الله بن محمد أعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة

٨٩. **المعجم الأوسط** لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني- تح/ طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني- الناشر/ دار الحرمين- القاهرة .

٩٠. **المعجم الكبير** سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية.

٩١. **معجم المؤلفين**. عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٩٢. **معجم مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس- تح/ عبد السلام محمد هارون- دار الفكر ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

٩٣. **مغني اللبيب**، جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٥، ١٩٧٩م دار الفكر، بيروت .

٩٤. **مفتاح العلوم** يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) تحقيق وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٩٥. **مقامات الحريري**، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣ م

٩٦. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة.

٩٧. **المنهاج الواضح للبلاغة** للشيخ حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث.

٩٨. **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن محمّد بن يعقوب المغربي، تح: د/ خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية

٩٩. **نقد الشعر**، قدامة بن جعفر البغدادي، أبو الفرج، مطبعة الجوائب- قسطنطينية/ ط:١/ ١٣٠٢هـ.

١٠٠. **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، فخر الدين الرازي، دار صادر بيروت.

١٠١. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي ، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١

١٠٢. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي- تح/ إحسان عباس- الناشر/ دار صادر- بيروت- ط/ الأولى ١٩٧١م .

١٠٣. **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تح: د. مفيد محمد قمحية، الطبعة: الأولى دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.



سابعا:

فهرس المحتويات

